كامل البهائي

تأليف

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري

المشهور بـ (عماد الدين الطبري)

من علماء القرن السابع الهجري

الجزء الثاني



تعريب وتحقيق

محمد شعاع فاخر

كامل البهائي

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبري

المشهور بـ (عماد الدين الطبري)

من علماء القرن السابع الهجري



الجزء الثاني



ردمك الجزء الثاني : ٢ ـ ٠٧٢ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 072 - 2

ردمك مشترك : ٠ ـ ٠٧٣ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 073 - 0

الكتاب : كامل البهائي ـ ج ٢

المؤلف : الشيخ عماد الدين الطبري

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

عدد المطبوع : ٢٠٠٠ نسخة جلد ٢

سنة الطبع : ١٣٨٤ ـ ١٤٢٦ هـ

الطبعة : الأولىٰ

عدد الصفحات : ٣٨٠ صفحة وزيري

المطبعة : شريعت

السعر : ٨٠٠٠ تومان سعر الدورة الواحدة



الباب الثاني عشر

في فدك

قال مولانا زين العابدين عليه السلام: كانت أُمّ أيمن تذمّ أبابكر لما ردّ شهادتها، وقالت: والله ما أنطق لساني بذمّك حتّى سمعت أُذني ذمّ رسول الله لك.

قال أُبيّ بن كعب: فاطمة عندي صدّيقة (صادقة ـ المترجم) في فدك، والشيعة على هذا المذهب بأنّ فدكاً حقّ فاطمة، وأبوبكر اغتصبها منها بالقهر والظلم، وزعم أنّها من أموال الصدقة وكانت طعمة لفاطمة وهي في يدها على هذا النحو.

والعجب ممّن يدّعي الإسلام ثمّ يثب على طعمة أطعمها رسول الله ابنته فيسلبها منها بعد وفاته. زهٍ زه لهذا الخليفة ومع ذلك يدّعي بأنّ النبيّ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فلم يصدّقه واحد من الرواة في هذا الحديث، والنبيّ لم يقل هكذا؛ لا لعترته ولا لأُمّته.

وإنّه لمحض جهلٍ من قائله أنّ تصرّف الزهراء بفدك يحلّ يوماً ويحرم يوماً، وأنّ النبيّ لا يميّز بين الحرام والحلال، ويطعم آله الحرام لاسيّما الأولاد والأعزّة والأوصياء، حاشا عن رسول الله من ذلك وحاشا مائة ألف مرّة.

وطلب البيّنة من الزهراء عليها السلام وهو حقّها خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من عدم

طلب البيّنة من صاحب اليد لأنّها أمارة الملكيّة، وكانت البيّنة على أبي بكر لأنّه المدّعي ومع هذا فقد جاءت فاطمة عليها السلام بأُمّ أيمن التي بشّرها رسول الله بالجنّة، فردّ أبوبكر شهادتها قائلاً: إنّها امرأة من العجم لا تفصح، كما ردّ شهادة عليّ والحسن والحسين عليهما السلام قائلاً: إنّهم يجرّون النار إلى أقراصهم، على أنّهم عليهم السلام لم تمتدّ أيديهم إلى هذا النفع مدّة ملكهم ليثبتوا للناس كذب ادّعاء الخليفة، وأنّ الغرض من شهادتهم يوم ذاك لم يكن مجرّد النفع، بل الغرض الأساسي هو امتثال أمر الله سبحانه وحده: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (١)، وعلى ممّن قال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث ما دار، وهو رجل من أهل الجنّة، ورجل هذه صفته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يقيم الشهادة كذباً وزورا ؟!

فتأذّت فاطمة عليها السلام وأقسمت أن لا تكلّمه إلى أن تموت، وأوصت أن لا يحضروا جنازتها، وأن تُدفَن سرّاً، وفعل أميرالمؤمنين بما أوصته ولكنّ عمر بحث عن قبرها ليخرجها ويصلّي عليها ولكنّ الله أخفى القبر عنه.

وأجمعت كلمة القوم على أنّ النبيّ قال لفاطمة عليها السلام: فاطمة بضعة منّي؛ من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (٢).

عن صادق آل محمّد صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة كانت تطرق بيوت المهاجرين والأنصار ليلاً وهي مريضة فلم يسعفها أحدٌ منهم، فتألّمت من خذلانهم إلى أن قبضت سلام الله عليها. وحرم الناس من زيارة قبرها لظلمهم لها ورضاهم بظلمها.

---

(١) الطلاق: ٢.

(٢) الأحزاب: ٥٧ و٥٨.

سؤال:

لقائل أن يقول: لعلّها أوصت أن تُدفن ليلاً مبالغة في الحجاب عن أعين الناس منها لا لسبب غضبها على القوم.

الجواب:

لو كان الأمر كما تقدّم لبقي قبرها ظاهراً معلوماً وليس خفيّاً مستوراً، والقوم لم يحضروا الصلاة على جنازة أبيها فما بالك بجنازتها.

كان أبوبكر ذات يوم يحاور أميرالمؤمنين بشأن فدك والإمام يردّ عليه، فقال له فيما قال: إنّ البيّنة عليك لا على فاطمة لأنّك أنت المدّعي دونها، وفي أثناء كلامه قال له: يا أبابكر، لو شهد شاهد عدل على فاطمة بالـ.....[1] أكنت تقيم عليها الحدّ؟ فقال أبوبكر: نعم أفعل!! فقال أميرالمؤمنين: إذن والله تخرج من دين الله ودين رسوله. وقال أميرالمؤمنين: لأنّك كذّبت الله ورسوله وصدّقت الناس؛ لأنّ الله قال في حقّها وأهل بيت النبيّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2] فقد شهد الله بعصمتها وفاطمة في هذه الآية معصومة بناءاً على قول الله تعالى، فكيف يصحّ ارتكابها ... وأنت تسقط شهادة الله وتقبل شهادة عبده المضادّة لشهادته، وحينئذٍ كيف تدّعي المعصومة الباطل، وتطلب الصدقة المحرّمة عليها؟!

وما قاله لعليّ عليه السلام يصدق عليه، لأنّه قال: ما شهد عليّ إلّا ليجرّ النار إلى قرصه أي توخّياً لطلب المنفعة، والحديث الذي افتراه أبوبكر لم يكن إلّا لطلب المنفعة،

---

(١) ما أغثّ هذا المؤلّف وما أسمجه! أيجوز له أن يطلق هذه الكلمة المتناهية البعد عن الأدب في حقّ بضعة الرسول والمعروف في الرواية أنّه قال: سرقت، فكيف ملك المؤلّف الجرأة فكتبها في كتابه، وليس عليّ إلّا أن أستغفر الله له ما دمت حيّاً.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

لأنّه مالك للصدقة ولبيت المال، والدليل على ذلك أنّه لمّا هلك كان في ذمّته لبيت المال عشرون ألف دينار، ومن شهد له أو أعانه من المهاجرين والأنصار وأيتامها أو من صدّقه منهم فإنّما الغرض من ذلك جلب النفع وتحصيل الفوائد، إذن يردّ حديثه عليه.

وأمّا الحديث «نحن أهل بيت لا يحلّ لنا الصدقة» فإنّه عامّ مشهور بين الناس كافّة، وخمس أهل البيت والإنفال لم تقتصر معرفته على الحديث فحسب بل القرآن نصّ على ذلك ولا يدلّ الحديث وحده على حرمة الصدقة على أهل البيت.

وجه آخر:

إنّ واضع خبر «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ..» إلى آخره، جاهل لا يعلم شيئاً من العلم، والقرآن يكذب الخبر بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[1] وقال الله تعالى عن زكريّا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[2] وبما أنّ الرجل يفتري بالكذب فعليه أن يقرأ القرآن أوّلاً لئلّا يأتي بمناقض له، وكان عليه أن يروي حديثه الموضوع بالصيغة التالية: أنا من بين الأنبياء لا أُورث، وما أخلف يكون صدقة على المسلمين. ولا يكذب على رسول الله لأجل فدك وغصبها من الزهراء عليها السلام، ولا يناقض كتاب الله، وكان المسكين الراوي المفتري جاهلاً بالقرآن وبعلم الإعراب وبالقيامة وبالجنّة والنار.

سؤال:

وماذا عمّا يقال من أنّ سليمان ورث من داود النبوّة؟

---

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٤ ـ ٦.

الجواب:

كان سليمان نبيّاً وأبوه على قيد الحياة مضافاً إلى أنّ النبوّه لا تورث بل لا تكون إلّا بالوحي من الله وبالعصمة ولو كانت النبوّة تورث لكان أولاد الأنبياء جميعهم أنبياء بالمشاركة كأولاد آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب وموسى، ومن أولاد الأنبياء اليهود وهم باقون إلى اليوم فينبغي أن يكونوا أنبياء بوراثتهم النبوّة من أبيهم، ولمّا توفّي النبيّ ﷺ ورث نسائه بيوته وسكنّ فيها وأخذ أميرالمؤمنين ثياب النبيّ ودراعته وعمّامته وأمثالها وورثها أولاده من بعده فلم ينازعهم على ذلك أحد ولم يقل أحد بأنّها صدقة؛ لا البيوت ولا غيرها.

ووقعت بردة الرسول إلى بني العبّاس إلى زمن المقتدر كما جائت الرواية بذلك، فلو كانت هذه البردة صدقة على المسلمين والصدقة حرام على العبّاسيّين فلو لم تكن ميراثاً وكان ميراثه صدقة فكيف ساغ لأئمّة أهل السنّة والجماعة أن يحتفظوا بالحرام لأنفسهم هذه السنين الطويلة وقد قال رسول الله ﷺ: «من بدّل دين الله فاقتلوه»، فيكون على هذا أنّ الخلفاء جميعاً كفّار ودمهم مباح وقتلهم جائز، وكيف يقول مسلم بهذا؟! فظهر ممّا تقدّم أنّ رسول الله يورث كسائر الأُمّة.

سؤال:

لو قال قائل بأنّ رسول الله ﷺ أعطى تلك الأشياء لعليّ في حياته.

جواب:

ونحن نقول أيضاً أنّه أعطى فدكاً لفاطمة في حياته، ولو كان أعطاها لها بعد وفاته فإنّها تحسب بحساب الصدقة بناءاً على ما ادّعاه أبوبكر، على أنّ العبّاس والزهراء عليها السلام احتكما إلى القضاء فحكم لهما بمخلفات رسول الله ﷺ، فكيف ينبعض الحكم فيكون هنا إرثاً وفي مسألة فدك صدقة. وهذا عين التناقض. ويكون النبيّ ﷺ (وحاشاه) خان عترته لأنّه بلّغ أُمّته وما بلّغهم أو أنّه قال لهم

ولكنّهم أبَوه وهذا شاهد على كفرهم ـ وحاشاهم ـ وقد أجمعت الأُمّة على أنّها من أهل الجنّة بنصّ من الله ورسوله، ولو لم يبلّغ النبيّ لا العترة ولا الأُمّة لكان قد أوقع الفتنة بين الناس وحاشاه من ذلك مع أنّه لم يؤثر عن أحد من الصحابة أو الخلفاء الإنكار على العبّاس أو عليّ في طلبهما إرث رسول الله؛ لأنّ النبيّ بزعم الأوّل لا يورث.

الفصل الأوّل

في ردّ عمر بن عبدالعزيز فدكاً إلى محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام

اعلم أنّ أبابكر بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ فدكاً من فاطمة عليها السلام بمساعدة عمر بن الخطّاب، ولقد روى علماء النواصب عن عتبة وأبي سعيد الخدري أنّهما قالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لمّا نزلت آية ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[1]: يا فاطمة، لك فدك. وردّا دعوى فاطمة ولم يقبلا كلامها مع أنّ القرآن شاهد بعصمتها وطهارتها، وشهد لها عليّ والحسنان وأُمّ أيمن، ولم يقبلوا شهادتهم، وظلّت هذه المسألة سنّة بين أتباعهما ودخلت ظلامتها معهما قبريهما.

وقالا لفاطمة عليها السلام: «أُمّ أيمن مولاتك ومولاة أُمّك».

قال الواقدي ـ وهو من كبار علماء النواصب ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر يقول: لمّا توفّي رسول الله خرجت أنا وأبوبكر وعليّ بن أبي طالب وهو في بيت فاطمة وعنده المهاجرون، قال عمر: فقلت: يا علي، ماذا تقول؟ قال: أقول خيراً، نحن أولى برسول الله وما ترك. قلت: والذي بخيبر؟ قال: نعم، قلت: والذي بفدك؟ قال: نعم، قلت: كلّا والذي نفسي بيده حتّى تحزّوا رقابنا بالمناشير.

---

(١) الإسراء: ٢٦.

يريد بخيبر أرضاً تدعى العوالي وهي حقّ لفاطمة عليها السلام، وهذا الحديث يدلّ على أنّ نيّتهم مبيّتة لقصد آل رسول الله بالشرّ والقتل وغصب الحقوق.

وعرف عمر بن عبدالعزيز حقّ أهل بيت النبيّ أكثر من أبي بكر وعمر لأنّهما ظلماهم وهو أجرى العدل فيهم وردّ فدكاً على الإمام الباقر عليه السلام، وهما آذيا النبيّ وهو دفع عنهم الأذى، فقال له الناس: طعنت على الشيخين، قال: هما طعنا على أنفسهما.

روى أبو صالح (الناني عن يحيى بن عبدالحميد الحماني عن شريك) عن هشام ابن معاذ، قال: كنت جليساً لعمر بن عبدالعزيز حيث دخل المدينة فأمر مناديه فنادى: من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتاه محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام فدخل إليه مولاه مزاحم، فقال: إنّ محمّد بن عليّ بالباب، فقال له: أدخله يا مزاحم، قال: فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع، فقال له محمّد بن عليّ: ما أبكاك يا عمر؟ فقال هشام: أبكاه كذا وكذا يابن رسول الله.

فقال محمّد بن عليّ: يا عمر، إنّما الدنيا سوق من الأسواق، منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرجوا بما يضرّهم، وكم من قوم قد ضرّهم بمثل الذي أصبحنا فيه حتّى أتاهم الموت فاستوعبوا فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا لما أحبّوا من الآخرة عُدّة ولا ممّا كرهوا جُنّة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن والله عزّ وجلّ محققون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي كنّا نغبطهم بها فنوافقهم فيها وننظر إلى تلك الأعمال التي كنّا نتخوّف عليهم منها فنكفّ عنها؛ فاتّق الله واجعل في قلبك اثنين: تنظر الذي تحبّ أن يكون معك إذا قدمت على ربّك فابتغ فيه البدل، ولا تذهبنّ إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، فاتّق الله عزّ وجلّ (يا عمر) وافتح الأبواب وسهّل الحجاب وانظر

المظلوم وردّ الظالم[١].

فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ردّ عمر بن عبدالعزيز ظلامة محمّد بن عليّ - الباقر - فدك[٢]. واعترف أنّ الثلاثة أبابكر وعمر وعثمان (لعنهم الله) ظلموا فاطمة عليها السلام.

والعجب كلّ العجب منهما حين فرضا لابنتيهما اثني عشر ألف درهم يستوفيانها من بيت المال عاماً بعام، ومنعوا ابنة رسول الله ميراثها، ولمّا آل الحكم إلى عثمان (لعنه الله) حسبا أنّ العادة جارية كما كانت عليه الحال زمن أبيهما ولكنّه أبى إباءاً شديداً، فألحّا عليه وبالغا بالإلحاح فلم يتأثّر عثمان بذلك، وقال: لا والله ولا كرامة، ما ذاك لكما عندي، وقال: ألستما اللتين شهدتما بالكذب عند أبيكما ولفّقتما معكما أعرابيّاً يتطهّر ببوله - وهو مالك بن أوس بن الحرثان - فشهدتم أنّ النبيّ قال: لا نورث ما تركناه صدقة. وعجيب أمرهما حين زعما يوماً أنّ النبيّ لا يورث وجاءا يوماً آخر يطلبان بميراثه.

وقال أكثر المؤرّخين: إنّ أكثر أهل الكوفة عارضوا عمر بن عبدالعزيز بردّه فدكاً وقالوا: سفّهت رأي الشيخين وفضحتهما وهذا الأمر ليس إليك لأنّ الأُمّة بأجمعها تلقّت عملهما بالقبول، فقال: إنّي أمسك الأصل وأعطي الثمرة محمّداً الباقر، فرضي الكوفيّون بهذا القدر[٣].

قال جميل بن درّاج: جاء عليّ والعبّاس إلى أبي بكر يطلبان ميراثهما من

---

(١) الخصال للصدوق: ١٠٤، المسترشد: ٥٠٦، البحار ٤٦: ٣٢٦ و٧٥: ١٨١، نور الثقلين ٤: ٣٦٠.

(٢) الخصال: ١٤٠.

(٣) المشهور أنّ المعترضين هم بنو أُميّة، أمّا أهل الكوفة فقوم معروفون بولائهم لأهل البيت وبغضهم لبني أُميّة، والقرينة الحاليّة شاهدة بذلك، إذ كيف يسكت أهل الشام عن عمر وينقم عليه أهل الكوفة من بين البلاد كلّها!!

رسول الله ﷺ، وقاضى العبّاس عليّاً ـ كما جاء في الرواية ـ وسألت عن هذه المسألة الإمام الصادق وقلت له: رضاهما بقضائه مرشد إلى اعتباره حكماً عدلاً؟ فقال عليه السلام: يا جميل، هذه حجّة عليه، ولو علم عليّ أنّ للعبّاس حقّاً عنده لردّه إليه، وكذلك يفعل العبّاس ولكن عليّاً قال يوماً للعبّاس: يا عمّ، إنّ هذا الرجل غصب ميراثنا ومقامنا وينبغي علينا دفعه عمّا اغتصبه، وقال عليّ عليه السلام: وليس لذلك من وسيلة إلّا أن تذهب بنفسك إليه وتخاصمني في ميراث رسول الله ﷺ.

فلمّا حضرا عند أبي بكر، قال للعبّاس: ألا تعلم أنّ رسول الله في أوّل البعثة صنع طعاماً لبني عمومته من أولاد عبدالمطّلب وكان عددهم أربعين شخصاً فحضروا جميعاً، وقال لهم بعد الطعام: من منكم يؤازرني على هذا فيكون وزيري ووارثي ووصيّي وأخي ـ إلى ثلاث مرّات ـ فلم يجبه أحد ما عدا عليّاً وكان أصغرهم سنّاً؟

فقال العبّاس: أأنت تذكر ذلك أم نسيته؟ فقال: نعم أذكره ولا أنساه.

فقال العبّاس: فلقد ظلمته حين غصبته وزارته ووصايته ووراثته وأُخوّته.

فاستيقظ أبوبكر كما يستيقظ النائم وهو يقول: نحّوهم عنّي لأنّهما خادعاني ومكرا بي غدرا وأنا غافل عنهما!

قال الصادق عليه السلام: إنّما كان غرض عليّ والعبّاس الإشعار بأنّ أهل بيت النبيّ لاسيّما عليّ عليه السلام أولى بمقامه.

ولمّا ألزمه العبّاس الحجّة وعجز عنها ولم يحر جواباً بعد أن ألقمه حجراً توسّل بقدرته فقال: «نحّوهما عنّي» وكانا أرادا فضحه أمام الناس وكانت خصومتهما في بغلة رسول الله وسلاحه وحجرات نسائه وقطائعه التي أقطعها لبني هاشم. وكان العبّاس يعرف قدر عليّ لكنّه أراد أن يعلم أبابكر بظلمه كما فعل جبرئيل وميكائيل

بداود إذ تسوّروا عليه المحراب، ولم يكن مجيئهما على الحقيقة بل لإشعار داود وإعلامه على انّ ما فعلته يجدر بك غيره، وهكذا الحال هنا.

حكاية:

قال عبدالله بن عبّاس: كنّا يوماً عند أبي بكر وكان عمر حاضراً هناك، وتقدّما إلى الحجاب أن لا يأذن لأحد، فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا شيخ طويل القامة حلو المحضر، عليه رداء أحمر، وبيده عصًى وفي رجليه نعلان، فسلّم علينا وأمره أبوبكر بالجلوس، فأبى وقال: أنا رجل حاجّ وإلى جواري امرأة توفّي أبوها وخلّف لها ضيعة وكانت تعيش من ثمراتها وتتقوّت منها، فعمد والي البلد إلى مصادرتها وأخذ منافعها له، وأوصتني المرأة قالت: إذا جئت المدينة فاحكِ حالي للخليفة.

فقال أبوبكر: لا كرامة للغادر الفاجر.

وقال عمر: يا خليفة رسول الله، أرسل إلى هذا الغاشم الظالم من يسوقه إليك مكتوفاً.

فعاد الشيخ عليهما وقال: فمن أظلم ممّن يظلم بنت رسول الله ﷺ؟!

فقال أبوبكر: ردّوه ردّوه، فتقهقر الرجل ولم يقعوا له على عين ولا أثر، فسألوا الحاجب والبوّاب عنه، فقال: ما وقعت عيني على الرجل، وقال غيره: ما دخل عليكم أحدٌ أبداً ولم يخرج أحد، فخاف أبوبكر وقال لعمر: أرأيت وسمعت، فقال عمر: الذي أصابنا في وادي الجنّ أعظم من هذا، وإنّ الشيطان ليتحامل على المؤمن والحاكم ليفتنه ويضلّه، فصاح بهم هاتف[1]:

---

(١) وأنا أسوق لك الرواية كما وردت في الصراط المستقيم لعليّ بن يونس العاملي (٢: ٢٩٠): روي ⬅

. . . .

عن ابن عبّاس أنّه دخل على أبي بكر رجل فسلّم وقال: عزمت الحجّ فأتتني جارية وقالت لي أبلّغك رسالة وهي أنّي امرأة ضعيفة وإنّي عائلة وكان لأبي أُريضة جعلها لي تعينني على دهري فكنت أعيش منها أنا وزوجي وولدي، فلمّا توفّي أبي انتزعها والي البلد منّي فصيّرها في يد وكيله واستغلّها لنفسه وأطعم من شاء وحرمني.

فقال أبوبكر: ليس له ذلك ولا كرامة، لأكتبنّ إليه ولأُعذّبنّ هذا الظلوم الغشوم، ولأعزلنّه عن ولايتي.

وقال عمر: لا تمهله وأنفذ إليه من ينكل به ويأتي به مكتوفاً وأحسن أدبه على خيانته وفسقه.

فقال أبوبكر: من هذا الوالي؟ وفي أيّ بلد؟ وما اسم المرميّة بهذا المنكر؟

فقال الرجل: نعوذ بالله من غضب الله، نعوذ بالله من مقت الله، وأيّ حكم أجور وأظلم ممّن ظلم بنت رسول الله ﷺ، ثمّ خرج، فقال أبوبكر لخدمه: ردّوه، فقالوا: ما خرج علينا أحد وإنّ الباب لمغلق، فقال عمر: لا يهولنّك هذا فربّما يخيّل إبليس علينا وعلى أُمّة محمّدٍ ليفتنهم، فقال أبوبكر لابن عبّاس: إن تُسمِع ما سمعت أحداً، فسمعنا هاتفاً يقول:

يا من يسمّى باسم لا يليق به ... اعدل على آل ياسين الميامينا

أتجعل الخضر إبليساً لقد ذهبت ... بك المذاهب من رأي المضلّينا

فتُب إلى الله ممّا قد ركبت به ... آل النبيّ ودع ظلم الوليّينا

فالله يشهد أنّ الحقّ حقّهم ... لا حقّ تيم ولا حقّ المخلّينا

فأجابه الآخر:

عدلت أخا تيم على كلّ ظالم ... وجُرْتَ على آل النبيّ محمّد

وأغنيت تيماً مع عدي وزهرةٍ ... وأفقرت غُرّاً من سلالة أحمد

أفي فدكٍ شكٌّ بأنّ محمّداً ... حباها لها من دون تيم بمشهد

وعليّ وسلمان ومقداد منها (١) ... جندب مع عمّار في وسط مسجد

وأشهدنا والناس أنّ تُراثه ... لفاطم من دون البعيد المبعّد

فنحن شهود يوم تلقى محمّداً ... بظلمكم آل النبيّ المسدّد

فلا زلت ملعوناً يمسّك سخطه ... ولا زلت مخذولاً عظيم التلدّد

(١) منهم ـ المترجم.

يا مـن تـحلّى بـاسم لا يـليق بـه اعدل على آل يـاسين المـيامينا
أتجعل الخضر إبليساً لقد ذهبت بك المذاهب من بـين المُـضلّينا
نحن الشهود وقد دلّت على فدك بنت الرسول أميناً غير مغبونا[1]
الله يــعلم أنّ الحـقّ حـقّهم لا حـقّ تـيم ولا حـقّ العـديّينا
وقد شـهدت أخـا تـيم وصـيّته للأصلع الهـادي القـوّام بـالدينا
لا تـغمطنّ أخـا تـيم أبـا حسـن ما خـصّه الله مـن بـين الوصـيّينا
خـصّ النـبيّ عـليّاً يـوم فـارقه بالحلم والعلم والقـرآن والديـنا

فخاف أبوبكر وعمر، وغُشي عليهما، وقد وصل رسول أميرالمؤمنين إلى ابـن عبّاس وقال: «أجب ابن عمّك» فأقسم عليه أبوبكر أن لا يفشينّ السرّ إلى أحد.

قال عبدالله بن عبّاس: فلمّا رآني أميرالمؤمنين عليه السلام تبسّم حتّى بدت نـواجـذه، وقال: يابن العمّ، بالرحم والقرابة، هل حفظت الشعر أو لا؟ قلت: نعم حفظتها إلّا بيتين منها، فأعاد عليّ عليه السلام الحكاية، وقال: كان ذلك أخي الخـضر فـقد حـضر مجلسكم هذه الساعة، وأخبرني بما دار بين القوم وبيننا، وقال: ما ابتلي أحد بأحد كما ابتلي أبو بكر بعمر، وما عادى أحد قوماً أشدّ من معادات عمر لأهـل بـيت الرسول صلى الله عليه وآله[2].

فدخل ابن عبّاس على عليّ فحدّثه بالحديث، فلمّا أصبح أبوبكر دعا بفاطمة وكتب لها كتاباً بفدك فأخذه عمر وبقره، فدعت عليه بالبقر واستُجيب لها فيه.

هذا ما ذكره عليّ بن يونس العاملي في الصراط المستقيم وهو يختلف مع ما ذكـره المـؤلّف لاسيّما الأبيات المختومة بالنون والألف، وأحسب المؤلّف حذف آخر الأبيات لما فيه من إقواء وأخطاء، ونحن ترجمنا ما ذكره المؤلّف وذكرنا رواية الصراط المستقيم ليكون القـاري عـلى بصيرةٍ من أمرها.

(١) لو قال: «ليس مغبونا» لما كان إقواء في البيت ـ المترجم.

(٢) عثرت للمؤلّف على مواقف كثيرة يتهاود فيها مع أبي بكر وهو رأس الضلال وأوّل ظـالم ظلم

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[1].

قيل:إنّ عمر استعمل رجلاً وأوصاه قائلاً: إيّاك وظلم عباد الله، فقال له الرجل: يا عمر، فكيف ظلمت بنت رسول الله وغصبت منها فدكاً ورددتم قول رسول الله فيها وأنكرتم وصيّته وسيكون الله خصمك ورسوله يوم القيامة، فويل لك.

وجاءت الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أبابكر وعمر كانا في ملأ عظيم من المهاجرين والأنصار إذ انبرى لهما شابّ جميل طويل القامة، حسن الثياب، وقال: من منكم الخليفة؟ فأشاروا إلى أبي بكر، فقال له: أنت هو الخليفة؟ فقال: نعم أنا هو الخليفة، فقال: إنّ امرأة ضعيفة لها حوائط تقيت منها عيالها، فأخذها الحاكم منها تعدّياً وظلماً وانتزعها من يده من دون بيّنة، فقال عمر: يا خليفة رسول الله، أرسل إليه ليقبضوا عليه ويأتوا به إلى هنا لتقصر يده عن أموال الناس ويردّ حائط المرأة الضعيفة عليها.

فقال الرجل: فلم أخذت فدكاً من فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وكانت في يدها وقد نحلها النبيّ إيّاها، ومات وهي في يدها، ثمّ خرج من بينهم حالاً فأرسل ابن عبّاس في طلبه فلم يقع منه على عين ولا أثر، فخاف أبوبكر خوفاً شديداً، فقال له عمر: لا تجزع فإنّ هذا شيطان ظهر لك، فأجابهم هاتف من جانب البيت:

عدلت أخا تيم على كلّ ملحدٍ وجُزتَ على آل النبيّ محمّد

حقّ محمّد وآل محمّد، والذي قال فيه أمير المؤمنين: «فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّر ضرعيها...» ورجل يقال له مثل هذا الكلام ليس بالصفة التي تحدّث عنها المؤلّف، وإنّما هو عدوّ لأهل البيت، غاصب إرث الزهراء وسارق نحلتها، وهو صاحب الفكرة الخبيثة في إحراق دارها، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(١) الفرقان: ٢٧.

وأغنيت تيماً مع عدي وزهرةٍ وأفقرت غرّاً من سلالة أحمد
أفي فدكٍ شكّ بأنّ محمّداً حباطها لفطم دون تيم بمشهد
لأسرع ما بدّلتم ونقضتم عهودكم يا قوم بعد التوكّد

عقد المأمون مجلساً في يوم عرفة للانتصاف من القريب والبعيد، والقوّاد والخاصّة والعامّة، فقام رجل مدنيّ من أفصح الناس وقال: إن كنت منصفاً فأنصف فاطمة.

فقال المأمون: أتكون وكيلاً عنها؟

فقال الرجل: نعم.

ثمّ أقام وكيلاً عن أبي بكر وعمر، فقال المدني: اعلم بأنّ النبيّ أخذ فدكاً صلحاً من غير أن يوجف عليها بخيل ولا رجال بل بمدد من الملائكة وحدهم، وكانت من جملة الفيء الموكول إلى النبيّ أمره، فأعطاها لفاطمة عليها السلام فكانت في يدها مدّة حياة أبيها ثلاث سنوات تتصرّف فيها تصرّف المالك بملكه، وبعد موت أبيها كان وكيلها يقوم مقامها في التصرّف فغصبها منها أبوبكر ظلماً وعدواناً ومع كونها صاحبة اليد فقد طالبها بالبيّنة وشهدت لها أمّ أيمن بحقّها وهي امرأة مشهود لها بالجنّة فردّ أبوبكر شهادتها، وإذا جاءه أعرابيّ بوّال على عقبيه وادّعى على رسول الله دعوًى يعطيه بلا بيّنة، وشهد لفاطمة نظير هؤلاء الصلحاء فلم يقبلهم.

وشهد يحيى بن أكثم وغيره من الفقهاء على أنّ الزهراء عليها السلام ماتت بغصّتها مظلومة.

وقال المؤمن المدني: والأعجب من ذلك أنّ رسول الله لا يورث.

فقال المأمون: هل يعرف ذلك المسلمون؟

فقال المؤمن: لمّا نزلت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١) صعد النبيّ على المنبر وقال: ستكثر عليّ الكذابة من بعدي، بالعبارة التالية: معاشر الناس، إنّي نعيت إليّ نفسي وإلى الله وأنزل عليّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ألا وقد دنا حقوقي من بين أظهركم فإذا جاءكم الحديث عنّي فاضربوه على كتاب الله وسنّتي؛ فما خالف كتاب الله فارفضوه، وما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوه، وهذا الحديث مخالف للكتاب والسنّة بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٢) وبقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٣)، وبقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾(٤) فهل تخرجون فاطمة من أهل بيت النبيّ نعوذ بالله منه لأنّ النبيّ ﷺ «لا توارث بين الملّتين».

فشهد يحيى والفقهاء بأنّ فاطمة خرجت من الدنيا متظلّمة لم تنصف.

وقال أبوبكر ثلاث فعلتها وددت أنّي لم أفعلها، يا ليتني لم آخذ فدكاً من فاطمة، ولم أحرق بابها، ولم أتخلّف عن جيش أسامة، وهذه الثلاث ظلم عظيم لأنّ إيذاء فاطمة عليها السلام إيذاء الله ورسوله وإيذاء عليّ وهو من أهل الجنّة، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾(٥) الآية، وإيذا المسلمين ذنب عظيم.

والتخلّف عن جيش أسامة معصية للّه ولرسوله، يقول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٦) وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا﴾(٧).

---

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) مريم: ٥ ـ ٦.

(٤) النساء: ١١.

(٥) الأحزاب: ٥٧.

(٦) النساء: ٥٩.

(٧) المزمّل: ١٥.

وقال أيضاً: ثلاث لم أفعلها وددت أنّي فعلتها: الأُولى: ليتني قتلت خالداً بن الوليد في قصاص مالك بن نويرة، وليتني قتلت الأشعث بن قيس وطليحة الأسدي لأنّ هؤلاء الثلاثة للقتل مستحقّون، وقال أيضاً: ليتني سألت رسول الله عن الذي يقوم مقامه من بعده.

وتغافل وتجاهل يوم الغدير وعن يوم حائط بني النجار كما روى ذلك عمران بن الحصين الخزاعي وبريدة الأسلمي وغيرهم، وقد تقدّم ذلك حتّى قال بريدة لأبي بكر: لماذا لم تعقد بيعتك على منبر رسول الله ﷺ، وعقد لك البيعة أبو عبيدة وعمرو سالم مولى أبي حذيفة في زاوية سرّاً على جميع المسلمين، مع أنّك لم تحز من علم الشريعة والسنن شيئاً، بل أنت يلازم باب على رسولك كلّما نابتك نائبة أو نزلت بك نازلة ليحلّها لك ابن أبي طالب عليه السلام.

وقال: ليتيني سألت رسول الله حقّاً ما هو نصيبه ؟! وليتني سألته عن ذبائح أهل الكتاب أحلال هي أم حرام؟ وقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر، وكذلك قال: لا أبقاني الله لمعضلة ليس أبوالحسن فيها[1].

فصدّق الحاضرون المؤمن، وقال المأمون: يجب الإغضاء عن ذلك ويلزم تجاوزه.

فقال المؤمن: لا يجوز الإغضاء لأنّ الله لم يغض كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً* إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾[2]، وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾[3] الآية.

---

(١) مقدّمة نهج البلاغة ٢: ١، وسائل الشيعة ٢٨: ١٠٨ ط أهل البيت، و١٨: ٣٨١ طبع الإسلاميّة، الايضاح: ١٩٢، المسترشد: ٦٥٣، دلائل الإمامة: ٣٢، شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨، نظم درر السمطين: ١٣٢، أنساب الأشراف: ١٠٠، عمر الخطّاب للبكري: ١٩١ وغيرها.

(٢) الإسراء: ٧٤ و٧٥.

(٣) الحاقّة: ٤٤.

فعمد المأمون إلى كتابة صكّ بقلمه من أوراق عدّة وأرسلها إلى المشرق والمغرب وفيها ردّ فدك إلى السادات من بني فاطمة وكتب إلى عامل المدينة أن رُدَّ فدكاً إلى عليّ بن موسى الرضا وأطلق فيها يده لتئول من بعده إلى ابنه محمّد الجواد التقي، وأشهد الحاضرين على نفسه وعلى من بعده بعدم أخذها مرّة أُخرى.

تنبيه:

إنّ الذي افترى حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» هي عائشة وتابعتها عليه حفصة ورجل آخر يدعى أوس من قبيلة بني نضر ولم يروه أحد غيرهم..[١].

تنبيه:

لماذا لم يستردّ الإمام أميرالمؤمنين فدكاً في خلافته ؟ يرجع ذلك إلى وجوه:

الأوّل: إنّ الله سبحانه أعطى الغاصب والمغصوب منه ما يستحقّانه من الثواب والعقاب[٢].

الثاني: كره عليه السلام أن تخرج فاطمة من الدنيا مغصوباً حقّها وقد تألّمت وحزنت لذلك حزناً شديداً فلم تطب نفسه أن يفرح أولاده باسترداد ما غصب من فاطمة وذهبت إلى أبيها حزينة مكلومة غضبى من أجله؛ أُسوة بفاطمة واقتداءً بجنابها، وربّما كان من أجل إطلاق اسم الغصب عليه أبت نفسه التصرّف فيه، مِن ثَمّ عزب عن استرداده، ثمّ إنّ أولاد عليّ من فاطمة عليها السلام لم يطلبوا منه ذلك فلم يسعه عليه السلام أن

---

(١) ليتني أدرك السبب في تحاشى المؤلّف اتّهام أبي بكر ولينه عليه والواقع أنّ الأمر بالعكس فهو الذي افتراه وتابعته عليه عائشة وصاحبتها والأعرابي.

(٢) أقول: كيف عرف هؤلاء أنّ الإمام لم يستردّها ؟ بل استردّها فيما استردّ من القطائع والضياع التي نهبت في زمن الثلاثة لاسيّما في زمن عثمان، وكانت الدنيا كلّها تحت تصرّفه وهو الخليفة وبيده أمر فدك وغيرها فما صنعه في خلافته فيها يعتبر استرداداً لها.

يذهب إلى مقاضاة الخصم دون طلب من أصحاب القضيّة، نعم أجاب الإمام زين العابدين عليه السلام عن هذه المسألة فقال:

فمن غاصبنا حقّنا   فيوم القيامة ميعاده

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام عجز عن تغيير بدع الثلاثة ومحدثاتهم غير الشرعيّة، وكان يخشى عدوّه فيتّقيه فلم يقدر على محو بدعهم، ولمّا نهى عن صلاة التراويح جماعة، ارتفع ضجيج العامّة والغوغاء، وقالوا: نهينا عن سنّة عمر.

وأيضاً كان ذلك منه استدراجاً للناس لئلّا يحملوه على طلب النفع في شهادته للزهراء يوم الغصب وتكذيباً لعدوّه.

تنبيه:

روى أبو سعيد الخدري السبب الذي من أجله أعطى رسول الله فدكاً لفاطمة عليها السلام نحلة، وصدّقه المخالفون والمؤالفون، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[1] دعا رسول الله فاطمة وأعطاها فدكاً، فقال: هي لك... واستلمتها وتصرّفت فيها تصرّف المالك، وكانت يدها أمارة ملكيّتها، فتكون طلب البيّنة منها غاية في الجهل أو التجاهل.

سلّمنا أنّ طلب البيّنة منها لتصحيح دعوى النحلة ولكن أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام وأُمّ أيمن رضي الله عنها أقاموا الشهادة لها، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[2]، وقال: ﴿فَإِن لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾[3] وظاهر الآية يدلّ على وجوب قبول الشهادة ولا تخصّص لها بآية أُخرى بالولد والزوج، ولم يستثنها

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الطلاق: ٢.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

الله تعالى، وإنّما اشترط العدالة وحدها ومن أعدل من المعصوم ليت شعري، وإذا كانت نحلة فلا تعود إلى الأولاد لاسيّما بعد الموت وآية الميراث عامّة.

ويقول المخالفون: إنّ زكريّا طلب من الله وارثاً للنبوّة وليس للدنياويّات.

الجواب: وهذا القول قدح بنبوّة زكريّا وحاشاه من ذلك، ويجرّ إلى كفره لأنّه قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾[1] أجمع المفسّرون على أنّ المقصود من الموالي أولاد العمّ فلو أنّه طلب وارثاً للنبوّة يكون قد خاف من أولاد عمّه أن يكونوا ورّاثاً لها والنبوّة لا تكون بالمشورة ولا بالطلب بل بالاستحقاق والأهليّة، ويكون زكريّا قد دفعها عن أولاد عمّه حسداً من عند نفسه، فيؤدّي ذلك إلى كفره، وحاشاه لعدم رضاه بقضاء الله وتقديره، وهو بريء من هذا التصوّر إلى أن قال: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾[2] والنبيّ لابدّ وأن يكون رضيّاً فلو كان مراده وراثة النبوّة تكون الجملة مكرّرة وهي لغو لا فائدة منها، ولا يجوز العدول من ظاهر اللفظ إلى التأويل.

ونهاية الأمر لو قال المخالف أنّ النحلة لم تثبت بل تثبت وراثتها لفدك والوراثة يردّها حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» والترجيح له مِنْ ثَمّ أخذها الشيخ.

فالجواب: اتفق المسلمون على حديث أبي سعيد الخدري وتلقّاه الناس بالقبول بأنّ النبيّ أعطى الزهراء فدكاً في حياته والحديث الذي رواه أبوبكر مطعون فيه ومردود من قِبل المهاجرين والأنصار جميعاً، سلّمنا به جدلاً ولكنّه معارض بحديث آخر مثله وهو حديث أبي سعيد، فتبقى آية الميراث ثابتة وهي

---

(١) مريم: ٥.

(٢) مريم: ٦.

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[1] وأمثالها.

والاتفاق حاصل على أنّ ذا الفقار كان مبتدئاً للنبيّ ﷺ وكان وهبه لعليّ عليه السلام فأخذ فدكاً من فاطمة مع كونها هبة وترك ذي الفقار عند عليّ وهو مثلها في الحكم ليس إلّا لعناد متحكّم في القوم وعداوة لرسول الله وردّ على قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾.

وكذلك ادّعت عائشة وراثة حجرتها وتشهد على فاطمة بأنّها لا إرث لها، إنّها من مفارقات أُمّ المؤمنين، قال الصادق عليه السلام: كان لرسول الله قطائع عدّة: الأوّل: فدك، والثاني: حسى، والثالث: مشربة أُمّ إبراهيم، والرابع: الزلال، والخامس: الميثم، والسادس: الصافية، والسابع: العواف[2]، وقد أعطاها رسول الله إلى فاطمة عليها السلام فانتزعها أبوبكر منها وتابعه بقيّة الشيوخ وشهد له عمر وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة.

وجائت عائشة بعد مضي زمن طويل إلى عثمان تطلب ميراثها من رسول الله، فقال لها عثمان: كما أمضى أبوك شهادتك على فاطمة فإنّي أمضي شهادتك على نفسك أي لا أدفع إليك شيئاً ممّا تدّعين.

---

(١) النساء: ١١.

(٢) بذلت جهداً للوصول إلى الرواية فلم أوفّق، ويا للأسف لذلك لم أضبط الأسماء الواردة فيها ضبطاً يرفع الشكّ، فأعتذر إلى سيّدي القارئ من ذلك.

الفصل الثاني
في أُمورٍ وضعها الخلفاء خلافاً لأميرالمؤمنين وبني هاشم

روى المخالف عن رسول الله ﷺ أنّه قال: الوقت الأوّل رضوان الله، والوقت الآخر عفو الله، ولا يختاره المسلم إلّا لعذرٍ من مرض وغيره، ولمّا علموا أنّ بني هاشم يصلّون الصلاة في أوّل الوقت وهو الرضوان حوّلوه إلى وقت العفو وجعلوه مختارهم.

وكذلك المسح على الخفّين وضعوه مخالفة لعليّ وبني هاشم لأنّهم علموا أنّ بني هاشم عند المسح ينزعون أخفافهم.

ومثله الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، فقد تركوه مضادّة لبني هاشم مع أنّ الجهر عندهم لا يفسد الصلاة.

وعمّموا السجود على ما يُؤكل ويُلبس لأنّهم علموا بأنّ عليّاً يسجد على الأرض.

وكان أميرالمؤمنين اقتداءاً بالنبيّ يكبّر على الجنازة خمس تكبيرات لذلك نقصوها واحدة وكبّروا أربعاً عناداً له.

وقال أميرالمؤمنين: الجنازة متبوعة وليست بتابعة لأنّ من كان أمامها فالجنازة تتبعه، فوضعوا بدعة المشي أمام الجنازة خلافاً له. وروى أتباعهم بأنّ عليّاً عليه السلام قال: لقد علم أبوبكر أنّ المشي خلف الجنازة أفضل من المشي أمامها.

ومثله فعلوا في إباحة ذبائح أهل الذمّة وإباحة الأرانب وأمثالها خلافاً لأميرالمؤمنين عليه السلام، وقيل: إنّه من قاطني الجنّة.

وشرع أميرالمؤمنين بتغيير بدعهم بالهوينى والرفق وما عجز عن تغييره تركه

على حاله وكان حذراً من الفتنة والبلبلة التي يثيرها الجهّال عليه من هذا الباب وعمل بالتقيّه طيلة هذه المدّة كما قال تعالى تنبيهاً عليه من موسى : ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ [٢] .

الفصل الثالث
في أنّ علياً لم يقدر على تبديل ما غيّروا عن أصله لخوفه من أصحابه وترك محاربتهم

اعلم أنّه لا يُسئل عن نفي العلّة لانتفاء المعلول وإنّما يُسئل عن العلّة في إثبات المعلول ، مضافاً إلى أنّ الاعتراض على الإمام من سوء أدب الرعيّة ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [٣] فلا يجوز أن يقال عن الإمام لماذا حارب معاوية ولم يحاربهم ؟ ثمّ إنّ في حربه مع معاوية كان معه من الجيش مائة ألف جندي يحاربون معه ولم يكن معه يومذاك إلّا نفر يسير ومع قلّتهم فإنّ مذاهبهم مختلفة ولكنّهم كانوا معه في حرب معاوية على رأي واحد مِن ثَمّ لم يكن هناك مجال للتقيّة ، وتأسّس بما فعله رسول الله مع المشركين حين حشّد المنافقين لقتالهم ، وكان أكثر الصحابة على هذا الرأي وهو أنّه الخليفة الرابع وأنّ شرعيّة خلافته نظير خلافة أبي بكر وعمر ، وينظرون إليه كما ينظرون إليهما ويعتبرونه بمثابتهم ، ويسير بسيرتهما ، ولو علموا منه أيّ اتجاه مخالف لخرجوا عليه وحاربوه كما فعلوا معه في صلاة التراويح حين أمر بأدائها فرادى فكانوا يصيحون «نهينا عن سنّة عمر» وراحوا يشنّعون عليه

---

(١) الشعراء : ٢١.

(٢) طه : ٦٧.

(٣) الأنبياء : ٢٣.

ويؤلّبون الرعيّة، وأوشكت الغوغاء أن تحدث شغباً لولا أنّه قال: اذهبوا وافعلوا ما شئتم.

وما حارب طلحة والزبير ومعاوية حتّى بدى للناس أنّهم ناكثون وقاسطون، واعتبروا عدّوه يحبّب قتاله كعدوّ من تقدّمه، مع أنّ أصحابه لا يطيعونه إلاّ في القليل حتّى أعلنها على المنبر مراراً وتكراراً وعبّر عن نقمته عليهم وشهد بذلك العدوّ والصديق، وخطبته في هذا المعنى شاهد عدل على ذلك.

وقال ذات يوم لبني هاشم وخواصّ شيعته: لقد علمت الولاة قبلي أنّهم خالفوا رسول الله متعمّدين خلافه، ناقضين لعهده، متغيّرين لسنّته، ولو أحمل الناس على تركها وأحملها على مواضعها وإلى ما كانت على عهد رسول الله، لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي، وفي قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله وسنّة نبيّه[1] (وسنّة رسول الله ـ الكافي) صلى الله عليه وآله، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ورددت فدكاً إلى ورثة فاطمة عليها السلام ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله كما كان وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضى بها ونزعت نساءاً تحت رجال بغير حقّ ورددتهنّ إلى أزواجهنّ[2] واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأرحام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسّم من أرض خيبر، ومحوت دواوين

---

(١) رجعت إلى كتاب الكافي ولم أتّبع المؤلّف في السياق لأنّ رواية الكافي تحتوي على جميع ما ذكره المؤلّف رحمه الله.

(٢) في الهامش: كنّ طلّقن بغير شهود وعلى غير طهر كما أبدعوه ونفذوه وغير ذلك، الخ، ولا يبعد أن يكون الإمام يشير إلى سبيّات ما يسمّى بحرب الردّة كأُمّ تميم التي نكحها خالد في الليلة التي قتل بها زوجها، وهذا يدلّنا على فصل مطمور وراء الأحداث ينبغي كشفه للأُمّة.

العطايا وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ بالسويّة ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألقيت المساحة وسردت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سُدّ منه وحرّمت المسح على الخفّين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل رسول الله ﷺ في مسجده ممّن كان رسول الله ﷺ أخرجه، وأدخلت من أخرج مع رسول الله ﷺ ممّن كان رسول الله ﷺ أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأُمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ إذاً لتفرّقوا عنّي، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً، إلى آخر الرواية(١).

وقال له شريح القاضي وعبيدة السلماني ومسروق وأبو وائل ـ وكانوا من أهل عسكره ـ مرّات عدّة: لئن فارقت سيرة الشيخين لنفارقنّك، وخذله مسروق وسار إلى معاوية يحرّضه على حربه، وردّ عليه عبيدة السلماني حكمه في الأُمّهات وأولادهنّ وغيره من اللعناء ينطوون على الفتنة ويتحيّنون الفرص لإحداث الشغب، ولمّا اعترضه عبيدة سكت أميرالمؤمنين عليه السلام ولم يقدر على إظهار مذهبه أمام عسكره كما لم يقدر على بيان بدعهم وإظهار البرائة منهم إلّا بحضرة الخواصّ من شيعته وأهل بيته.

---

(١) الكافي ٨: ٥٩، وارجع إلى الهوامش ففيها تعاليق نافعة تتضمّن شروحاً للحوادث الغامضة الواردة في الرواية ومنعنا من ذكرها خشية الإطالة.

وكذلك لم يطعه الناس في أشياء خالف بها عمر الإسلام وردّها الإمام إلى واقعها، وكذّبوه إلى أن قال ذات يوم على المنبر: زعم قوم أنّي أكذب، فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من عبده، أم على رسوله؟ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه.

وكانت الجواسيس تراوح عسكره وتغاديه، تتجسّس عليه وتسرب أخبار عسكره إلى العدوّ، وطالما سألوه عن الشيخين لعلّهم يظفرون منه بكلمة يستبيحون بها دمه وأخيراً اتّهموه وأولاده بقتل عثمان بن عفّان، ولمّا كان عثمان قد أظهر الظلم والجور واتّفقت الأُمّة على قتله ومنهم المهاجرون والأنصار وأزواج النبيّ ﷺ فإنّهم بأجمعهم أفتوا بقتل عثمان بن عفّان، لذلك أمكن الإمام في هذه الحال أن يظهر جانباً من ظلمه ويمثّل للناس ما كان يرتكبه من المنكرات والغشم والجور، وهذا بعكس ما كان عليه الشيخان فقد سخط عليهما بعض الأُمّة ولم يحصل إجماع الأُمّة ضدّهما فما كان باستطاعة الإمام إلّا التفاعل مع الوضع القائم في دولته بل وعسكره خاصّة تجاه الشيخين.

ويمكن أن يقال أيضاً: أنّ الله تعالى أمرنا بالجهاد ولم يفصل لنا العلّة، اللهمّ إلّا جانباً منها وهو صلاح الدين، وهنا يمكن أن نقنع بالإجمال من سكوت عليّ عليه السلام بأنّه لصلاح الدين وأهل الإسلام.

ثمّ إنّ النبيّ كفّ عن القتال في أيّام الحصار بالشعب وما تلاه من الزمن قبل الهجرة ولمّا هاجر ووجد الأنصار والأعوان قاتل وجاهد في الله حقّ جهاده.

ولقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لولا قرب عهد الناس بالكفر لجاهدتهم، وكانت الأكثريّة من الأُمّة مقلّدة وليس في وسعها دفع الشبهة لو حدثت، وربّما داهمهم

الفكر بإعلان الردّة، فقد ظهر في بني حنيفة «ابن طيّاش»[1] ومسيلمة الكذّاب وادّعيا النبوّة، وكان بعض الناس يشكّ في صدق دعوى أميرالمؤمنين عليه السلام لذلك كفّ عن الحرب.

ولمّا كانت أيّام معاوية اختلفت معها الحال حيث استحكم الإسلام في القلوب وثبتت الحقيقة في الأفئدة، والدليل على ذلك ما كتبه أميرالمؤمنين إلى معاوية وفيه: وقد كان أبوك أتاني حين شرع أبوبكر في عقد الأمر لنفسه، فقال: أنت أحقّ بهذا الأمر بعد النبيّ فهلمّ أُبايعك، فكرهت ذلك لمخالفة الفرقة من الإسلام ولقرب عهد الناس بالكفر.

وقال المخالفون: إنّ عليّاً وتر الأحياء بقتل أمواتهم فاستحكمت الضغائن في القلوب وتلظّت الأكباد عليه وصار هذا الأمر مانعاً من تقديمه.

والجواب: إن كان هذا القتل بإذن الله ورسوله فلا موضع للأحقاد بل ربّما كان ببركة رسول الله أدعى إلى تأليف القلوب، ولقد فعل الله ذلك بناءاً على قوله تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾[2] ولمّا مضى رسول الله صلى الله عليه وآله عادت القلوب إلى ما كانت عليه ورجعت ضغائنها وأحقادها كما كانت، وثاروا ضدّ خليفة رسول الله وحاربوه، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الأُمّة ستغدر بك، وقال أيضاً: إن قاتلت فلك وإن تركت فهو خير لك (بعدي)[3].

---

(١) لم أجد في تاريخ المدّعين أحداً بهذا الاسم.

(٢) الأنفال: ٦٣.

(٣) كشف الغطاء ١: ١٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٢، الخصال: ٤٦٢، الغارات ٢: ٤٤٤ و٤٨٧، مناقب أميرالمؤمنين ٢: ٥٣٣ و٥٤٥، المسترشد: ٣٦٣، شرح الأخبار ١: ١٥٢ و٤٣٦، و٢: ٤٤٦، الإرشاد للمفيد ١: ٢٨٥، كنز الفوائد: ٧٩، الأمالي: ٤٧٦، الاحتجاج ١: ٩٨ و٢٨٠، مناقب ابن ←

وحاله كحالة هارون الذي قال: ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾(١) ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله، قال: أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحا؛ ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، وأمّا لوط فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾(٢)، وقال موسى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾(٣)، وقوله: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾(٤)، وقوله: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾(٥)، وقال هارون: ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(٦)، ومن هنا امتنع عن البيعة.

وقال أبوبكر لخالد: اضرب عنقه، ثمّ ندم وقال: «يا خالد لا تفعل ما أمرتك».

وقال عمر لعنه الله لفاطمة: يا فاطمة، ما هذا المجموع الذي يجتمع بين يديك لئن انتهيت عن هذا وإلّا لأحرقنّ البيت.

وكان إسحاق بن راهويه قد ذكر هذا الحديث وقال في ختامه: إنّما كان هذه تغليظاً من عمر.

وكما لا يلام الرسول على ترك الجهاد في مكّة كذلك لا يلام عليّ على تركه لأنّ الأسباب الحاكمة على كليهما واحدة.

← شهرآشوب ٣: ١٧، اليقين لابن طاووس: ٣٣٧، الطرائف: ٤٢٧، وصول الأخيار للبهائي: ٦٨، الجمل لضامر بن شدقم: ١٣، الأربعين للقمّي: ٢٣٨، بحار الأنوار ١٨: ١٢٤ و٢٨: ٤٥ و٥٠ و٦٥ و٧٦ و١٩١ و٢١٠ و٣٧٥، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٧، و٢٠: ٣٢٦، كنز العمّال ١١: ٢٩٧ و٦١٧ رقم ٣١٥٦٢ و٣٢٩٩٧، التاريخ الكبير ٢: ١٧٤.

(١) طه: ٩٠.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) الشعراء: ٢١.

(٤) المائدة: ٢٥.

(٥) الشعراء: ١٤.

(٦) طه: ٩٤.

وأمّا ما كان يقبضه عليّ من العطايا منهم فإنّها بمثابة ما كان يقبضه يحيى بن زكريّا من جبّار زمانه ولعلّ ما كان يأخذه عليّ منهم إنّما كان سهمه من الخمس ولا دليل في ذلك على رضاه بإمامة الأوّل.

وأمّا عن اقتدائه بهم في الصلاة فإنّه يجعل بينه وبينهم حجاباً اعتباريّاً بمثابة الحائط ويصلّي لنفسه وكذلك كان أولاده يفعلون حين اقتدائهم بمن لا يقتدى به إلّا أنّ الخوف والتقيّة يقتضيان ائتمامهم بهم، ولعلّه يصلّي الفرائض في بيته ويصلّي النوافل في المسجد، والنافلة لا تُصلّى جماعة لكونها بدعة وحراماً، وفي مذاهبنا أنّه ترك الحضور في المسجد بعد محاولة اغتياله على يد خالد بن الوليد وإن خرج معهم في سفر فإنّما كان لغرض التعليم لأنّه كان مرجعهم في الفتوى وحلّ المشاكل والمعضلات والمعاضل التي تحدث بينهم لا تخصّهم، وإنّما تتوجّه رأساً إلى حريم الإسلام فيصبح عرضة لتقوّل المنافقين وطعناتهم ثمّ استهزائهم بالرسالة وصاحبها من هنا كان الأصحاب يحملون عليّاً عليه السلام على السفر معهم من أجل حفظ بيضة الدين ... .

والقوم يروون روايات ليس لها صحّة في مذهبنا ولا تعرف من طريقنا اللهمّ إلّا رواية واحدة وهي أنّ أبابكر غاضبه أحدهم فغضب وخرج خارج المدينة فتبعه الإمام وأرضاه مع من غاضبه وعاد إلى المدينة ثانية.

وأمّا ما قالوه من ضربه الوليد بن عقبة الحدّ بحضرة عثمان فهذا لا يدلّ على أحقّيّة عثمان لأنّ إقامة الحدود بعهدة إمام الزمان بأيّ صفة كان فإنّه يجب عليه إقامتها وكان عليّ إماماً في ذلك الزمان ولا يستقيم الأثر إلّا بهذا كما فعل النبيّ دانيال حين كان يقيم الحدود في مملكته ويؤدّي الأحكام الشرعيّة وأعطى الطاغية الوسيلة لفعل ذلك، وكان ابن مسعود يقيم الصلاة في بيته مع الأسود وعلقمة ثمّ يخرج إلى المسجد يصلّيها مع الجماعة، والمشهور بين الأصحاب أنّ عثمان (لعنه الله -

المترجم) لا شأن له في الأمر ولا يستحقّ من الخلافة شيئاً وعلى هذا الأساس بني إجماع الأُمّة على قتله.

ثمّ إنّ الكثير من الصحابة صلّوا خلف معاوية ويزيد وملوك بني أُميّة وهذا لا يدلّ على إمامة الظالمين الحقّة.

واتّفقوا على انّ عبدالرحمان بن عوف قال يوم الشورى: تأخذها بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر (لعنهما الله ـ المترجم) فقال عليّ عليه السلام: بكتاب الله وسنّة رسوله، أمّا سنّة أبي بكر وعمر فلا.

ويقول المخالف أيضاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله اقتدى بعبدالرحمان بن عوف في الصلاة فلم تثبت لعبدالرحمان الإمامة ولا النبوّة.

وقال: صلّى رسول الله وراء أبي بكر فعلى هذا ينغي أن يكون أبوبكر الرسول والنبيّ تابع له.

حكاية:

خرج عمر مع العبّاس إلى الشام وكانت فرسه سابقة لفرس العبّاس، تمشي أمامه، فكان أهل الشام يخضعون لعمر، حتّى أرادوا السجود له كما قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللّهِ﴾[1] كما يفعل اليوم أتباع المشايخ وأحبّائهم، وكانوا ينادون عمر بأميرالمؤمنين، فقال العبّاس: إنّه ليس أميرالمؤمنين وأنا أولى بها منه، فسمعه عمر، فحزّ كلامه في نفسه وقال: ألا أُخبرك بمن هو أحقّ بها منّي ومنك؟ فقال: نعم، قال عمر: رجل خلّفناه بالمدينة ـ يعني عليّاً عليه السلام ـ. فقال العبّاس: فما منعك وصاحبك من ذلك؟ فقال عمر: نحن نقرّ بفضله ونعترف به إلّا أنّنا ما قدّمناه لأنّ قريشاً تحمل له الحقد في قلوبها فخفنا أن لا يجتمع عليه

(١) التوبة: ٣١.

العرب فيخرج الأمر من أيدينا وكان تقدّمنا عليه وتأخّره عنّا لهذا السبب، ثمّ قال: وكانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، والله أعلم أصبنا أم أخطأنا[١].

الجواب:

لقد كان حقد قريش على رسول الله أكثر وأكبر من حقدها على أميرالمؤمنين، فيكون بناءاً على قول عمر أن لا يمكن من تحقيق رسالته، ويقدّم عليه أبولهب وأبوجهل وأبو سفيان، لأنّ قريشاً كانت توالي هؤلاء ولا تواليه، نعوذ بالله من هذا الكلام[٢].

ثمّ إنّ هذا القتال من عليّ كان بأمر الله ورسوله فعداوته عداوة للّه ورسوله، واجتمع العرب على معاوية وعلى ابنه يزيد (لعنهما الله) فينبغي على قول عمر أن يكونا إمامين في زمانهما.

تنبيه:

روي أنّه عليه السلام قال: «إنّ هذا الأمر لا يكون في عليّ ولا في أحد من ولده» عنى بالأمر الخلافة.

وأورد أبو جعفر ابن بابويه القمّي هذا الحديث على طريق الاعتراض، وقال: ولعلّه لهذا السبب زعموا أنّ النبوّة والإمامة لا يجتمعان في بيت واحد، ثمّ واصل الجواب، فقال: ولو صحّ هذا الحديث لما جعل عمر عليّاً واحداً من أصحاب

---

(١) ورد الحديث في الإيضاح طويلاً وفيه قول عمر لابن عبّاس: وما كفى ما قال لي أبوك: قال - الراوي - فقلت لابن عبّاس: وما قال له أبوك؟ قال: لقيه رجل من أهل الشام، فقال: السلام عليك يا أميرالمؤمنين، فقال العبّاس: لست والله للمؤمنين بأمير هو ذاك وأنا والله أحقّ بها منه، فسمعه عمر فقال: أحقّ والله بها منّي ومنك رجل خلّفناه بالمدينة أمس - يعني عليّاً - (الإيضاح: ١٧٣، الصراط المستقيم ٢: ٥٦، مواقف الشيعة ١: ٢٢١).

(٢) هذا يا شيخ كلام من لا يؤمن بالله ولا بنبوّة رسوله صلى الله عليه وآله.

الشورى، وكذلك لم يفوّض الإمام أمر الخلافة إلى الحسن ولم يبايع المهاجرون والأنصار عليّاً ولم يجمع أهل القبلة ومعهم العالم على إمامته.

فتبيّن ممّا تقدّم أنّ إجماع المسلمين حاصل هنا والإجماع حجّة مع أنّ مخالفينا يروون أنّ النبيّ ﷺ قال: «المهدي من ولد فاطمة» واستخلف عليّ خمس سنوات واتّخذه أهل القبلة إماماً لهم وخليفة عليهم فإجماعهم مبطل لهذه الرواية وثبت كذبها.

وقال النبيّ ﷺ: لا تجتمع أُمّتي على ضلال، مع أنّ واضع هذا الحديث هم بنو أُميّة وأرادوا بالشبهة الملبسة بلباس الدليل صرف الخلافة عن أهل بيت رسول الله ﷺ.

ورووا أيضاً بأنّ العبّاس قال لعليّ عليه السلام: هلمّ أُبايعك، فيقال عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله. وينبغي على ما ذهبوا إليه أنّ العبّاس خالف رسول الله ﷺ.

سؤال:

من الجائز أن لا يكون العبّاس لم يسمعه من النبيّ أو سمعه ونسيه.

الجواب:

فلم لا يكون جائزاً حينئذٍ أن ينسى الصحابة من ذلك الجمع وفيهم المحبّ الصادق أحاديث إمامة عليّ وكتمها الأعداء.

تنبيه:

مذهب العلماء على أنّ الخلفاء لم يحضروا جهاز النبيّ ولا الصلاة عليه، بل كانا يتحيّنون الفرصة هناك وقد علموا أنّهم إذا شاركوا في تجهيز النبيّ خرجت الخلافة من أيديهم وكان أبوبكر وعمر يشكّان في موت النبيّ[1]، قال: أيّها الناس، كفّوا

(١) وهذه لا أرضاها من المؤلّف فقد مثّل عمر دور الجاهل انتظاراً لصاحبه حتّى يعود فلمّا عاد ختمت التمثيليّة.

ألسنتكم عن نبيّ الله فإنّ نبي الله لم يمت ولكن الله واعده كما واعد موسى، وهو آتيكم، والله لا نسمع أحداً يذكر النبيّ توفّي إلّا علوته بسيفي هذا ولكن أميرالمؤمنين سارع إلى دفع هذه الشبهة من أذهان الناس.

وأيضاً أتظنّ أنّ عمر لم يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1] وقد نزلت قبل وفاة النبيّ بأحد عشر سنة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[3] وكان النبيّ يقول على رؤوس الأشهاد: «نعيت إليّ نفسي»، والعجيب في أمر عمر أنّه يرى أو يسمع بغسل النبيّ وكفنه ودفنه ثمّ يقول: أضرب بسيفي من يقول أنّ رسول الله مات.

قال عبدالله بن عبّاس عن عمر بأنّه قال: لو مات رسول الله كيف يكون علينا شهيداً، يموت الرسول ولم يظهر على الناس، فإيّاكم أن تفتتنوا أيّها الناس كما افتتن قوم موسى حين غاب منهم إلى الطور فرجع إليهم فعاقبهم.

فقبل قوله جهّال الصحابة واجتمعوا على باب بيت النبيّ وشرعوا في إحداث الشغب قائلين: لا تحرّكوا رسول الله ولا تغسّلوه ولا تكفّنوه لأنّه حيّ قائم.

فخرج عليهم العبّاس وطالبهم بإثبات ما يقولون وسأل عمر والمنادين معه: متى قال النبيّ أنا لا أموت ؟! فصاحوا بأجمعهم: لا علم لنا بذلك، فأقسم العبّاس أنّه مات وقرأ الآيات الدالّة على موته، فقبل الصحابة ذلك، ولكن كان لعمر غاية وراء هذا القول وهو أنّ الحزن لابدّ وأن يعمّ الأصحاب بموت النبيّ ﷺ ولابدّ من

---

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) الأنبياء: ٣٤ـ٣٥.

بكائهم ساعة علمهم بموته، وعمر مقبل على ملك عضوض وهو فرح به مستبشر، وطالب من القوم تهنئته على هذا النصر العظيم وهي لا تجامع الحزن فمن الحزم الحيلولة بينهم وبين البكاء لئلّا تفوته فرحة النصر على العدوّ والفوز بالملك العقيم، وكان يستحي من الظهور بمظهر الجذل والفرح فلابدّ من افتعال هذه الزوبعة لتمرير غابته(١).

وأيضاً إنّ أرذل القبائل قبيلة أبي بكر وعمر وكان قبل الإسلام بطّالاً إذا أصاب طعاماً أو شراباً على خوان أحدهم قصفه، أمّا أبوبكر فكان أحياناً عضروطاً أو سمساراً أو معلّم فتيان عبادة الأصنام وأحياناً يبيع البزّ. فلمّا رفع من الرفش إلى العرش فلابدّ من أن تعمّه الفرحة التي لا حدود لها، وهم يقولون: إنّ أبابكر ألفت ذهن عمر إلى موت رسول الله بقرائة الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾(٢) فأقسم عمر كأنّه لم يسمعها قبل اليوم، والعجب من القوم أنّهم يقولن كان عمر معلّماً لأبي بكر وكان أعلم منه وكان حلّ المعضلات التي تعترض أبابكر على يديه ثمّ هو يجهل هذه الآية مع ادّعائهم أنّه كتب القرآن وجمعه وحين هلك ذهب تسعة أعشار العلم بهذه العبارة: «لمّا مات عمر ذهب تسعة أعشار العلم».

وقوله: إنّ رسول الله شهيد علينا ألا يعلم أنّ هذه الشهادة في الآخرة لا في الدنيا.

---

(١) رحم الله المؤلّف حين يطمئنّ إلى هذا التوجيه البارد والواقع أنّ موت النبيّ فاجأ عمر وأبوبكر صاحبه بالسنح فخاف أن يطول مكثه هناك فأراد أن يشغل الناس بهذه الفرية حتّى يعود صاحبه ولذلك لمّا عاد ابوبكر وتلا عليه آية «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون» سكت عمر من تهديده وقال: كأنّي لم أسمع، نعم كان أعمى أصمّ وصاحبه في السنح أمّا الآن فقد عاد سميعاً بصيراً، ألا لعنه الله ولعن صاحبه.

(٢) الزمر: ٣٠.

الفصل الرابع

ولمّا انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى أمر عليّاً والعبّاس بإلباسه حلّة يمنيّة، ويغسل فيها، فكان العبّاس يسكب الماء والفضل يقوم بنقله إليه والإمام يقلّب رسول الله ويدلّكه، واحتاج الفضل إلى الخروج من مكان الغسل لقضاء مهمّة عرضت، فانتدب مكانه أبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطّلب من بني هاشم ومن الأنصار أُبيّ بن كعب وأوسى بن خولّى كانا مع بني هاشم خارج موضع الغسل، وكان السبب في دخولهما مع عليّ عليه السلام وبني هاشم أنّ الأنصار قالوا لعليّ: ناشدناك الله وحقّنا من رسول الله صلى الله عليه وآله فأشركنا معكم في غسل رسول الله، ففعل عليه السلام، هذا ما في روايات القوم.

وأمّا عندنا فإنّ عليّاً لم يشركه أحد في غسل رسول الله إلّا الفضل بن العبّاس حيث كان ينقل الماء والملائكة أعوان عليّ عليه السلام ومعهم جبرئيل في فوج من الملائكة المقرّبين.

ويقول ابن بابويه: لم يحضر الأنصار إلّا في الصلاة، وهذه مسألة قطعيّة عنده لا تقبل النقاش، وهي متّفق عليها عندنا إلّا أنّ الإجماع حاصل من أنّ عليّاً عليه السلام بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله «يا عليّ، أنت أوّل من آمن بي وآخر من يسلّمني إلى ربّي» أمّا مخالفونا فلقد افتروا فرًى ليس لها واقع أصلاً من قبيل مشاركة العبّاس وأُسامة والفضل وأبي سفيان ابن الحرث وغرضهم من ذلك الوضع من مرتبة عليّ وفضله وليس مع عليّ غير الفضل يأتيه بالماء وباقي أعوانه من الملائكة، ولم يصلّ في مسجد النبيّ ذلك اليوم أحد سوى بني هاشم فقد كانوا في شغل شاغل عن كلّ شيء إلّا عن مصيبتهم وعن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه، وكان أبوبكر في

سقيفة بني ساعدة يلاطم على الملك حتّى إذا فرغ بنو هاشم من مأتمهم على النبيّ يكون قد أحكم السيطرة على الملك.

الفصل الخامس

روى يوسف بن كليب المسعودي السنّي عن إبراهيم بن إسحاق الأزدي، عن عبدالله بن لهيعة المصري، عن أسود بن عروة بن الزبير (الزهر) أنّه قال: أوّل من قطع سهم ذوي القربى وسهم المؤلّفة قلوبهم أبوبكر، ويوسف هذا من قطيع السنّة النواصب، ثمّ قال: وما أخذه منهم أنفقه على العسكر في عُدّته وعدده.

الجواب:

إنّ الله سبحانه ورسوله أعلم بترتيب الشريعة والنظر لصلاح الناس من هؤلاء القوم وأمر الله ورسوله لأهل البيت بحقّهم في هذه الآية ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[1] وأمثالها، وأمر الله بإكرام أهل البيت ومحبّتهم بهذه الآية ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[2] وكيف يستلب منهم ما جعله الله حقّاً لهم وتحيّة لجنابهم دون سائر الناس ثمّ يعطي إلى قوم غيرهم؟

وذكر مسلم الأصمّ والجاحظ وحفص وهؤلاء من أعلام النواصب: كان في ذمّة أبي بكر عند موته أربعون ألف دينار من بيت مال المسلمين، ومات وهي في ذمّته لم تؤدّ عنه، وأمر في وصيّته بأدائها عنه ولكن الخليفة من بعده لم يردّ حقوق أحد من المسلمين حتّى يؤدّيها عنه، وأخذوا حقّ أهل بيت الرسول وتركوهم جياعاً عراة وقضموا حقوقهم: يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع.

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الشورى: ٢٣.

حكاية:

يقال: إنّه كان في الريّ حاكم ظالم جدّاً، فقبض يوماً على أحد الدهاقين وصادر أمواله كلّها، وحدث ذات يوم أنّ مغنّياً كان يردّد رجزاً جميلاً وفيه: إنّ الوالي الذي صادر الدهقان أعطاه مال المصادرة، ولمّا بلغ الخبر الدهقان بكى وقال: يأخذ ممّن ليس عليه شيء ويعطيه من ليس له عنده شيء.

وهذا الخبر منطبق على أبي بكر تمام الانطباق، لأنّه أخذ مال من لا يجوز أخذ ماله وأنفقه على من لا ينبغي أن ينفقه عليه: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾(١).

وكان مذهب الشافعي على هذا وهو أنّه في آخر عهد عمر قدم بمال كثير من فارس وكرمان والأهواز وتستر إلى المدينة، فقال عمر: إنّ حصّة بني هاشم من هذا المال الخمس وأنا أرجوهم أن يقرضوه لي لأصلح به حال المسلمين على أنّي سوف أُعوّضهم عنه في فرصة قادمة من مال آخر، فأقرضه أميرالمؤمنين إيّاه وفعل بنو هاشم فعله، فطالت المدّة ولم يعوّضهم عمر عنه حتّى هلك، ولمّا جاءت نوبة عثمان بقيت الحال على ما هي عليه من سنّة عمر، وجاء الخلفاء وقد تنوسي الخمس فلم يعطوا أهل البيت شيئاً.

وفي رواية أُخرى عن الشافعيّ عن أبي ليلى أنّه روى عن عليّ قال: ذهبت أنا وفاطمة والعبّاس وزيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ وقلنا: يا رسول الله، إنّنا نخشى أن لا نُعطى حقّنا من الخمس بعدك، فأعطناه في حياتك لكي لا يعترض علينا أحد أو يعارضنا، فرضي النبيّ بذلك ودفع إلينا الخمس وبقي في أيدينا أيّام أبي بكر حتّى إذا كانت أيّام عمر جائه مال كثير فأخرج خمسه ودفعه لنا، فقلت

---

(١) المنافقون: ٧.

لبني هاشم: ما حاجتنا بهذا المال ادفعوه إلى المسلمين لإصلاح حالهم، لعلّهم يعطونا عوضه في فرصة أُخرى مؤاتية، فقبضه عمر على أنّه قرض وأعمل فيه يده بالتصرّف فأنكر العبّاس على عليّ هذا الموقف وقال: لا ينبغي لك أن تفعل هذا لأنّي أخاف أن يحلو المال بأعينهم فلا يعطوننا شيئاً بعده، وكان كذلك فعلاً فقد هلك عمر ولم يؤدِّ إلى بني هاشم قرضهم كما سلف وبقي هذا الدين عالقاً في ذمّة عمر.. وهاتان الروايتان من الشافعي.

تنبيه:

لقد تمّت الصيغة الكاملة للصلاة والزكاة والخمس بنصّ القرآن الكريم فمن أنكر واحدة منها أو امتنع عن أدائها عُدّ كافراً بالقرآن وبمنزله ورسوله.

قال الحارث بن المغيرة: طلب «نجية» الإذن على الإمام الصادق فأذن له ودخل عليه يسأله عن قضيّة الخمس ومنعه، فقال ذلك الإمام: يا نجية، إنّ الخمس لنا في كتاب الله ولنا الأنفال وصفوة الأموال وهما والله أوّل من ظلمنا ومنعنا حقّنا وكانا أوّل من ركب أعناقنا ـ إلى أن قال: ـ وسوف يكشف أحوالهما قائمنا كما يستحقّون.

ووردت أخبار نظير هذا لا تقبل الحصر.

الفصل السادس
في مثالب بني تيم

ذكر أصحاب السير والمؤرّخون عن بني تيم بأنّهم كانوا أهل مسكنة وفقر، وأخمل وأجهل بطون العرب، وسقطوا في الجاهليّة فليس لهم قدر ولا جاه، وقد ذمّهم دغفل النسّابة عند معاوية، وقال فيهم جرير:

ويقضي الأمر دون رجال تيم[١] ولا يستأذنون وهم شهود
وإنّك لو رأيت عبيد تيم وتيماً قلت أيّها العبيد

ولم يكن فيهم لا سيّد مشهور ولا تاجر معروف ولا جواد مذكور، وكان دغفل النسّابة عربيّاً عارفاً بأنساب العرب وسأله معاوية ذات يوم عن القبائل، فقال بعد أن ذكر عدداً منها وسأله معاوية عن بني تيم:

أهل فحش فاش، أحلام الفراش! إن شبعوا بخلوا، وإن افتقروا ألحفوا (ألحّوا ـ المؤلّف).

وقال أبوالعبّاس ـ لعلّه المبرّد ـ المترجم ـ قال حجر ابن جوين لأبيه: هجوت قبائل العرب وتركت تيماً فما هو سبب تركك هجائهم؟ فقال: يا بني، لم أجد لهم حسباً أضعه ولا بيتاً أهدمه.

واسم أبي قحافة عثمان بن عامر وكان يُعرف في قريش بـ«لواطة» وكان من لؤمه ينادي على طعام عبدالله بن جدعان[٢] وكان يعطيه عبدالله على فعله هذا في كلّ يوم درهماً وحداً، ويملأ جوفه من فضلات طعام الأضياف ويذكر ذلك أُمّية ابن أبي الصلت عن ابن جدعان، فيقول:

له داعٍ بمكّة مشمعلّ وآخر فوق دارته ينادي

إلى آخر الشعر، والمنادي هنا أبو قحافة.

وكان صائداً يصيد الطيور فصاد طيراً في الصحراء وباعه بذي الحليفة.

وكان له شريك يقطن بذي الحليفة ويدعى سعد الغاري من الغارة بن الهون بن

---

(١) في العيون والمحاسن للشيخ المفيد: ويقضي الأمر حين تغيب تيم ـ وهو أبلغ وفيه الطباق: غياب وشهود.

(٢) ومن يفعل ذلك يسمّونه «عضروط» وليس «لواطه».

خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر[١] وقال بعضهم اسمه سعيد.

وحاصل الكلام أنّ سعيداً هذا خان أبا قحافة حين أخذ طائره الذي اصطاده فكتمها أبو قحافة في نفسه ولم يبدها لأحد وصبر على مضض وكان يبالغ في التكتّم، فدعاه شريكه ذات يوم إلى بيته فأجلسه فيه وخرج لحاجة عرضت له، فعمد أبو قحافة إلى بيته في غيابه فانتهبه وأخذ منه ما قدر على أخذه، ومن هذه الجهة سمّي أبا قحافة، يقال: اقتحف اقتحافاً أي شرب شرباً شديداً، جمع ما في الإناء من الماء. وكان لا يقول الشعر ولكنّه قال شعراً في هذه الواقعة:

أسعدٌ جزاك الله شرّ جزائه — بما نلت منّي في الخيانة والظلم
وثقت به حيّاً وقلت لعلّه — يكون على أمر بعيد من الظلم
فلمّا رأيت المرء ينوي خيانتي — شددت عليه شدّة الليث ذي الضغم
وقلت له هذا جزاءك ظالماً — لما قدّمت منك اليدان مع الفم

وتظهر مروئة أبي قحافة وكرمه وسخائه من هنا حيث سرق بيت شريكه ومضيّفه وهجاه من أجل طائر، ولابدّ أن ينعكس شرفه هذا على أهل بيته فيكونون على مثل مروئته وشرفه، وكلماتنا هذه تنبيه على أباطيل من ينسبون إليه الفضائل، إذ قلّت الخبرة ـ خبرة ـ بأحواله.

قال أهل السير من الأسلاف: كان جماعة يذكرون مناقب معاوية في أحد المجالس، فقال أحدهم: كان معاوية بدريّاً أي أنّه حضر موقعة بدر، وكان هشام ابن الحكم حاضراً، فقال: نعم كان بدريّاً ولكنّه من جانب المشركين.

---

(١) أُحيط القارئ علماً بأنّي عاجز عن التأكّد من أسماء الأعلام الواردة في هذا الكتاب لأنّ نصوصه العربيّة أكثرها دخلها التصحيف والتحريف ولا أملك إلّا نسخة واحدة هي التي أقوم بترجمتها مِن ثَمّ أكل الأمر إلى القاري في تحقيق ما يراه خطأً أو مصحّفاً أو محرّفاً.

إنّ الجماعة الذين يوالون هؤلاء ينسبون إليهم المناقب على مثل طريقة العرب في التفاؤل حيث يسمّون الأشياء بأضدادها فيسمّون الأعمى بصيراً، واللديغ سليماً، والصحراء المهلكة مفازة «حبّك الشيء يعمي ويصمّ».

والدليل على خساسة طبعهم أنّه لمّا بايع القوم أبابكر بعد وفاة النبيّ سأل أبو قحافة: من بايعه الناس؟! قالوا: ابنك، فقال: كيف رضي بنو عبد مناف بذلك؟ ـ لأنّه علم أنّ الأشراف وعلية القوم لا يقرّون له اختياراً لذلك تملكه العجب من هذه المهزلة ـ فقالوا له: رضى المسلمون به، فقال: لا مانع لما أعطى الله، وكأنّه كان جبريّاً ومِن ثَمّ اعتقد بأنّ خلافة ولده كانت بقدر من الله تعالى ولم يدر أنّها تمّت بالقهر والغلبة والحيلة والغدر، فإن كانت خلافته قدراً من الله وهبة منه سبحانه فإنّ ملك معاوية ويزيد وسائر بني أُميّة وملك الأكاسرة والقياصرة بقدر من الله كذلك «نعوذ بالله منه».

قال أبوبكر لأبيه يوماً: ترى صلاتنا متعبة مقيمة مقعدة والعجب أنّه لا يرى عمل الصائد بأقدامه الحافية راكضاً في صحراء مترامية الأطراف وراء الطيور عملاً متعباً ومقيماً مقعداً، ويرى الصلاة كذلك، وهي تؤدّى في محلّ واحد!

حكاية:

كان رسول الله ﷺ مابين مكّة والمدينة وقد مرّ على قبر أبي سعيد بن العاص، فقال ابوبكر: لعن الله صاحب هذا القبر فإنّه كان يكذّب الله ورسوله ـ وكان ابنه سعيد حاضراً ـ فقال: بل لعن الله أبا قحافة لأنّه لا يقري الضيف ولا يدفع الضيم ولا يقاتل عن رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: إذا سببتم المشركين فعمّوهم بالسبّ ولا تسبّوا الأموات فإنّ سبّهم يغضب الأحياء، وذكر أصحاب السير والتواريخ أيضاً[1].

---

(١) إلى هنا وانتهى الفصل ولم يذكر ما قاله أصحاب السير والتورايخ.

الفصل السابع

اعلم أنّ أبابكر لم يثبت له قتال في الإسلام ولم ينقل عنه أنّه قتل مشركاً واحداً ولم يذكر ذلك أهل المغازي، نعم، قيل أنّه استأذن من رسول الله يوم الخندق أن يبارز ولده فلمّا خرج إليه ودنا منه، قال له: ويحك، مابقي من مالي؟ فقال ابنه: لم يبق إلّا شكّة ويعيبوب وفارس يضرب ضلال الشيب، واليعبوب اسم فرس.

قال الجاحظ الناصبي اليزيدي في كتابه «العثمانيّة»: إنّ أبابكر لمّا أسلم أسلم معه أهل بيته كلّهم، وهذا قول باطل بعبدالرحمان ابنه الذي كان كافراً يوم الخندق.

وقيل عنه: أنفق ماله بعد إسلامه ولم يبق منه درهم واحد، وهذه الدعوى الباطلة يكذّبها قوله لولده: «ويحك ما بقي من مالي».

والمشهور عنه وعن صاحبه عمر أنّهما كانا أوّل المنهزمين في وقعة خيبر وحنين.

وكان يخجل من الذهاب إلى ولده ظاهراً ليسأله عن ماله فجاء النبيّ واستأذنه في البراز ﴿يُخادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1] ومع هذا فقد ظهرت الفرحة على بعض المسلمين أنّ فلاناً الذي لم يعرف الصحور في الحرب ولم يقاتل بمقدار جناح بعوضة سوف يخرج اليوم للمبارزة فينبغي أن يكتب له حرز عن العيون: «إنّ العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» ولمّا علم أبوبكر بما جرى لماله من ابنه رجع من ميدان القتال.

---

(١) البقرة: ٩.

الفصل الثامن

يقول المخالفون: إنّ الأصحاب هم الذين نطق القرآن بفضلهم ونوّهت السنّة بهم، وكلّ الذي عليه أهل القبلة من الدين والديانة والعقيدة وصل إليهم منهم فكيف يجتمعون على الكذب وينكرون نصّ رسول الله مع أنّهم يدركون رفعة مقام عليّ وفاطمة ويقرّون بفضلهما. وأهل السنّة اليوم في مجالسهم ونوادي وعظهم مشغولون بالحديث عن فضلهما وصالح أعمالهما، فكيف يتصوّر على هؤلاء إنكار النصّ فيكفرون من أجل غيرهم؟

الجواب: إذا كانت المناظرة من جهة الأخبار احتاجت إلى التصادق، وإن كانت من جهة العقل احتاجت إلى التناصف، وما ورد من القرآن والسنّة في فضل الصحابة فإنّهم أولئك الذين لم ينكروا فضل أهل بيت النبيّ ﷺ ولا جحدوا فضائلهم ومناقبهم أبداً نظير بني هاشم وأبي ذر وعمّار وغيرهم، لم يأت القرآن والسنّة الموثوق بها بالتخصيص وإنّما أتت بطريق العموم، ووردت مجملة ومع هذا فقد ورد مثله آيات في ارتداد القوم كما سنقصّ عليك زمرة منها.

ثمّ إنّ الصحابة كانوا هم على الشرك ومن سلالة مشركين وكان أولاد يعقوب من سلالة الأنبياء ويعرفون مناقب أخيهم يوسف فأرادوا قتله ـ كما هو مشهور في التاريخ ومذكور في سورة يوسف ـ من الحسد والعداوة مع أنّهم يعرفون منزلة يوسف وعلوّ درجته.

وكذلك فعل قابيل فإنّه لم يقتل أخاه بناءاً على الجبلّة الإنسانيّة والغيرة الأخويّة وإنّما قتله لعلمه بعلوّ رتبته «عند الله وعند أبيه آدم».

وكان رسول الله في الوهلة الأُولى لم يعاده أحد ولكن حين ظهرت بوادر شرفه

ومنصبه وجاهه ورفعته حسدوه وناصبوه العداء وكان في مراحله الأُولى ساكتاً حتّى إذا وجد المعين والناصر خرج بالسيف، ثمّ إنّ عدوّ محمّد ﷺ ظاهروا الشرك، وعدوّ عليّ ظاهروا الصلاح والعدالة، والشرك والمعصية مقيمان في الباطن منهم فلم يدرك الجهّال حقيقتهم لتسترّهم بقناع الإسلام وكانوا يموّهون على الناس في ظلمهم لأهل البيت بظاهر الشرع والإسلام فلم يتيسّر لكلّ أحد معرفتهم أو الاطّلاع على حقيقتهم وكان عدوّ محمّد مشركاً وعدوّ عليّ منافقاً.

لقد كان النمرود وفرعون يرون المعجزات رأي العين فلم يكونوا يجهلون رتبة موسى وإبراهيم، وكان بنو إسرائيل يعرفون منذو البداية ما لزكريّا وعيسى من رفيع الدرجة وعلوّ المنزلة وغيرهما من الأنبياء كما جاء في كتب السلف وقد ذكر الماضون أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون في كلّ يوم مائة واثني عشر نبيّاً، ولا تنس أهل العقبة فما كانوا يجهلون فضل رسول الله بل عرفوه على حقيقته.

أمّا الشريعة فهي مبنيّة بالقرآن الكريم وإجماع أهل القبلة ونحن شيعة أئمّه أهل بيت رسول الله ﷺ عرفنا المجمل من القرآن وما يحتاج إلى تفيسر وبيان من أقوال المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ومن الصحابة الذين لم يخالفوهم ولم يختلفوا معهم مثل أبي ذر وسلمان وعمّار وأمثالهم من بني هاشم.

وأمّا خصومنا فقد ارتدّوا والنبيّ ﷺ على قيد الحياة وكان وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يقول: «نفّذوا جيش أُسامة» إلى أن قال: لعن الله من تخلّف عن جيش أُسامة، وقد أخبر الله تعالى عن هذا الارتداد بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾[1] ومن الواضح أنّ أُولئك الذين تجمهروا في سقيفة بني ساعدة لم يكن اجتماعهم مجرّد صفاء واتفاق بل كانت المجادلات والمشاحنات بينهم على أشدّها فما أكثر ما تسابّوا

(١) آل عمران: ١٤٤.

وتشاتموا وتضاربوا بالنعال وكفّر بعضهم البعض الآخر وصدرت أوامر من بعضهم بقتل البعض الآخر ومناديهم ينادي: منّا أمير ومنكم أمير، والذين بايعوا أبابكر سلّوا السيوف بينهم.

وهؤلاء قوم موسى عرفوا نبوّة موسى وعلموا بمناجاته الله تعالى وآمنوا بنبوّة هارون وعرفوا قدره ومع ذلك فقد عبدوا العجل وحينئذٍ تكون حال على حال هؤلاء الأنبياء.

وسؤال السائل مردود عليه بإجماع الصحابة على قتل عثمان والخصم يزعم لعثمان الفضل والمنازل العالية، والأصحاب كانوا جميعاً حضروا في المدينة، فلم يذكر لأحد منهم مشاركة في الدفاع عن عثمان وما يقوله الخصم من حجّة في توجيه تصرّفهم نقوله نحن في دفع شبهته لاسيّما على مذهب الخواجة الذي يرى الإيمان عطاءاً وهبة وعسى أن يسلب الله العبد ما وهبه في خاتمته كما جرى لبلعم بن باعورا وبرصيصا الراهب.

وطبقاً لما يعتقده القوم في طلحة والزبير وعائشة ومعاوية أنّهم من أعلامهم من العشرة المبشّرة ولكنّهم خرجوا على الخليفة الرابع وبغوا عليه وهو إمام زمانهم فهم بغاة بناءاً على مذهب الخصوم، وكفرة بناءاً على مذهب الشيعة وقد أحدثوا في الدين أحداثاً لاسيّما طلحة والزبير ومعاوية، وأجّجوا نار الفتنة في الدين، وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «أُقاتلهم وهم مشركون».

ومن المعلوم عند الأُمّة أنّ عثمان ارتكب مظالم كثيرة ضدّ المسلمين حتّى قام الإجماع من المهاجرين والأنصار على استباحة دمه، وقدامة بن مظعون شرب الخمر وأجروا عليه الحدّ فجلدوا ظهره، وزنى المغيرة وشهد عليه الشهود ولكن عمر درأ عنه الحدّ بحيلة واضحة عرفها الخاصّ والعام، وحدّوا حسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة في القذف، وأقرّ النعمان بن بشير على نفسه في حربه مع معاوية

وقال: أبصرت (رشد) نفسي ثمّ تركته وأنّه إن حرم عليَّ الجنّة وزيتونها فإنّه يقاتل على الغوطة وزيتونها.

ويقول خصومنا أنّ سعداً بن أبي وقّاص والد عمر لعنه الله ومحمّداً بن مسلمة وحسّان بن ثابت لم يبايعوا عليّاً وبايعه طلحة والزبير، وأظهر المغيرة الطعن على عليّ عليه السلام كثيراً وأظهر له العداوة وأغرى عائشة بالخروج عليه وقتاله وقال لها: تموتين بأجلك وتدخلين الجنّة ونشنع بك على عليّ إن قتلك.. يعني عليّاً[1].

وأشهر منه في الخبث والعداوة أبو موسى الأشعري لعنه الله الذي خان إمام المسلمين وعزله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، إنّ الضغائن في أنفس قوم لا يبدونها إلّا بعدي[2].

---

(١) الذي أعهده من هذا الكلام أنّه لعمرو بن العاص وليس للمغيرة.

(٢) هذا الحديث روي هكذا: عن أبي عثمان النهدي قوله: أخذ عليّ يحدّثنا إلى أن قال: جذبني رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور قوم لن يبدوها لك إلّا بعدي. فقلت: بسلامة من ديني؟ قال: نعم بسلامة من دينك (علي الشهرستاني، وضوء النبي، ٢: ٢٠٤).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا مِتُّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم يتمالئون ويمنعونك حقّك (٢: ٧٢).

وراجع للحديث بصيغه المختلفة الكتب التالية: كفاية الأثر: ١٢٤ و ١٥٨، كتاب سليم بن قيس تحقيق الأنصاري: ١٣٦ و ٣٠٥، الإيضاح لفضل بن شاذان: ٤٥٥، مناقب أمير المؤمنين للكوفي ١: ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٤٣ و ٢: ٥٥١؛ المسترشد للطبري الإمامي: ٣٤١، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢: ٤٦٤، الاحتجاج ١: ٢٠٩، الطرائف لابن طاووس: ٤٢٨، الصراط المستقيم للعاملي ٢: ١١٦، وصول الأخيار للبهائي: ٦٨، الصوارم المهرقة: ١٩٨، الجمل: ١٠، كتاب الأربعين: ٢٦٤، بحار الأنوار ٢٢: ٥٣٦ و ٢٦: ٣٥٠ و ٣١: ٣٤٣ و ٣٢: ١٥٤ و ٣٦: ٣٢٨ و ٣٣٧، الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١١٨، مسند أبي يعلى ١: ٤٢٧، المعجم الكبير ١١: ٦١، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٧، كنز

وقال ﷺ: إنّ قوماً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ويذهب بهم إلى النار، فأقول: أصحابي، فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنّهم مشوا القهقرى، فأقول لهم: بعداً وسحقاً[1].

وقال: إنّ من أصحابي من لا يراني بعد موتي[2].

وقال أيضاً: لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[3].

العمّال ١٣: ١٧٦ الرقم ٣٦٥٢٣، الكامل في الرجال ٧: ١٧٣، تاريخ بغداد ١٢: ٣٩٤، تاريخ دمشق ٤٢: ٣٢٢ و٣٢٣ و٣٢٤، ميزان الاعتدال ٤: ٤٨٠، المناقب للخوارزمي: ٦٥، كشف اليقين للحلّي: ٤٦٠، جواهر المطالب لابن الدمشقي ١: ٢٣٠.

(١) وأمّا هذا الحديث فقد روي بصيغ مختلفة وإليك الكتب التي أخرجته: الصراط المستقيم ٣: ١٠٧ وقال: أخرجه البخاري، بحار الأنوار ٧: ٨٢ و٢٨: ٢٢، أجوبة مسائل جار الله للسيّد شرف الدين ﷺ: ١٣، النصّ والاجتهاد: ٥٢٥، الغدير للأميني ٢: ٢٩٦، أضواء على الصحيحين للنجمي:: ٤٣٢، دراسات في الحديث والمحدّثين للسيّد هاشم الحسيني: ٨٧.
ومن كتب العامّة والجماعة: صحيح البخاري ٤: ١١٠ و٥: ١٩٢، جزء بقي بن مخلد لابن بشكوال: ١٤٩، أضواء على السنّة المحمّديّة لأبي رية: ٣٥٤، جامع البيان للطبري ٢٧: ٢٢٠ و٢٤٩، تاريخ مدينة دمشق ٦: ٢٤٣ و٢٤٥، تهذيب الكمال ٢٨: ٤٠٦، سير أعلام النبلاء للذهبي ٧: ٢٧١.

(٢) الأمالي للصدوق: لا يراني بعد أن يفارقني، مجمع الزوائد ١: ١١٢، مسند ابن راهويه ٤: ١٤٠، المعجم الكبير ٢٣: ٣١٨ و٣١٩، كنز العمّال ١١: ١٩٧ رقم ٣١٢١١، النهاية لابن الأثير ١: ١٥٤، لسان العرب ١٤: ٨٣.

(٣) وهذا الحديث رواه كثير من الشيعة ولكنّنا نتجاوزه من كتبهم إلى كتب الخصوم: المجموع للنووي ١٤: ٢٣٠ و١٩: ١٥٥، المحلّى ١١: ٣٩٩، سبل السلام لابن حجر ٢: ٢١٤ وقال: أخرجه البخاري، نيل الأوطار للشوكاني ١: ٣٧٧ و٣: ٣٧٩ و٣٨١ و٥: ١٥٦ وقال: رواه أحمد والبخاري، مسند أحمد ١: ٢٣٠ و٤٠٢ و٢: ٨٥ و٨٧ و١٠٤ بطريقين.. و٤: ٣٥١ و٣٥٨ و٣٦٦ بطريقين.. و٥: ٣٩ و٤٤ و٤٥ و٤٩ و٦٨ و٧٣، سنن الدارمي ٢: ٦٩، صحيح البخاري ١: ٣٨ و٢: ١٩١ و١٩٢ و٥: ١٢٦ بطريقين.. و٧: ١١٢ و٨: ١٦ و٣٦ بطريقين.. و٩١ بأربع طرق، صحيح مسلم ١: ٥٨، سنن

ووقف يوماً على الشهداء وقال: أنا الشهيد على هؤلاء، فقال بعض الأصحاب: ونحن أسلمنا أيضاً وجاهدنا معك ورجوه أن يقول فيهمْ ما قاله في شهداء أُحد، فقال رسول الله ﷺ: إنّي لا أدري ما تفعلون بعدي، وقال في حقّهم تلك اللفظة.

قال أبوذر ﷺ: أصحاب العقبة قوم من أهل النار وإنّي لا آسى عليهم إنّما آسي

ابن ماجة ٢: ١٣٠٠، سنن أبي داود ٢: ٤٠٩، سنن الترمذي ٣: ٣٢٩ بطريقين، سنن النسائي ٧: ١٢٦ بطريقين.. و١٢٧ بطريقين.. و١٢٨ بطريقين، المستدرك للحاكم ١: ٩٣، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٤٠ و٦: ٩٢ و٩٧ و٨: ٢٠، مجمع الزوائد ١: ١٥٦ و٣: ٢٦٦ و ٢٧٠ و٢٧٣ و ٤: ١٧٢ و٦: ٢٨٣ بطريقين.. و٢٨٤ و٧: ٢٩٥ بطريقين.. و٢٩٦ بطريقين.. و١٠: ٣٦٥، مسند الطيالسي: ٩٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٦٠٢ بطريقين.. و٦٠٣، خلق أفعال العباد للبخاري: ٧٩، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٣، بغية الباحث لابن أبي أُسامة: ١٢٨ و٢٤٥، الآحاد والمثاني للضحّاك ٣: ٢٠٩ و٢١٠ و٣٠٢.

وراجع: السنن الكبرى للنسائي ج٢ و٣، ومسند أبي يعلى الموصلي ج٣ و٧ و٩ و١٢، المنتقى لابن الجارود، صحيح ابن حبّان ج١ و١٣، الحدّ الفاصل للرامهرمزي، المعجم الصغير للطبراني ج١، والأوسط ج٤ و٧ و٨، والكبير ج٢ و٤ و٦ و٨ و١٠ و١٢ و٢٢، ومسند الشاميين له أيضاً ج١، أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني، شرح ابن أبي الحديد ج١، الأذكار النوويّة، رياض الصالحين للنووي أيضاً، الجامع الصغير للسيوطي ج٢، كنز العمّال ج١ و٥ و١١ و١٤، تفسير ابن كثير ج٢، شواهد التنزيل للحسكاني ج٢، الدرّ المنثور للسيوطي ج٣، لباب النقول له، المحصول للرازي، الطبقات لابن سعد ج٢ و٣، ضعفاء العقيلي ج١ و٤، الثقات لابن حبّان، الكامل لابن عدي ج٤ و٧، علل الدارقطني ج٥، تاريخ بغداد ج٨، الإكمال لابن ماكولا ج١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥، الموضوعات لابن الجوزي ج١، أُسد الغابة ج٣، تهذيب الكمال للمزّي ج٢١، ميزان الاعتدال ج١، سير أعلام النبلاء ج١ و٩ و٤ من له رواية في مسند أحمد، لسان الميزان لابن حجر ج٢، تعجيل المنفعة له، كتاب الفتن للمروزي، البداية والنهاية لابن كثير ج٥، السيرة النبويّة لابن كثير ج٤، لسان العرب لابن منظور ج٥، تاج العروس للزبيدي ج٣، غريب الحديث لابن قتيبة ج١. كلّ هؤلاء أخرجوا الحديث وأمّا ابن الجوزي في الموضوعات فقد ذكره ضمن أقوال أميرالمؤمنين يوم الشورى، ومثل هؤلاء بل أكثر من الشيعة الذين أخرجوا الحديث.

على من يضلّ بهم من خلق الله تعالى وهم كثير.

وقال: لقد تعاهدوا فيما بينهم أنّه متى توفّي محمّد ﷺ لا ندع أهل بيته ينالون الخلافة من بعده ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ إلى قوله ﴿أَجْمَعِينَ﴾[1].

قال حبيب بن أبي ثابت: قوله تعالى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾[2] الآية، قال حذيفة: الذين نفّروا ناقة رسول الله ﷺ في العقبة لكي تلقيه عن ظهرها وهم يقتلونه إذا بلغوه هم أربعة عشر نفراً: طلحة والزبير وأبو سفيان وعتبة بن أبي سفيان وأبو الأعور والمغيرة وسعد بن أبي وقّاص وأبو قتادة وعمرو ابن العاص وأبو موسى الأشعري وعبدالرحمان بن عوف والخلفاء الثلاثة.

قال الواقدي ـوهو ناصبيّ ـ: لمّا طعن عمر بن الخطّاب رفعه عثمان من التراب، فقال عمر: دعني، وقال: ويلي ويلي من النار، الآن لو كانت لي الدنيا لافتديت بها من النار ولم أرها، ورواية الواقدي عن عمر حجّة.

وهذا دليل واضح على علم عمر بكونه من أهل النار وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أرى رجالاً يختلجون دوني فيذهب بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ، أصحابي أصحابي، إلى آخر الحديث[3].

ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ﴾[4]، ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[5] وسبب نزول الآية التالية هو أنّ طلحة والزير

---

(١) النمل: ٥٠ و٥١.

(٢) الفتح: ٦.

(٣) ذكرنا مصادر صيغ الحديث فيما تقدّم ونزيد عليها: كتاب السنّة: ٣٤٠، مسند أبي يعلى ٧: ٣٥، علل الدارقطني ٧: ٢٩٩.

(٤) التوبة: ٧٤.

(٥) التوبة: ١٢.

والثلاثة راسلوا اليهود أن يجيروهم إذا نزلت الهزيمة بمحمّد ﷺ، فأنزل الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾**(١).

وقال عثمان لطلحة يوماً ـ وقد جرى بينهما نزاع ـ: إنّك لأوّل أصحاب محمّد تزوّج يهوديّة، ونزل فيه: **﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِن بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾**(٢).

وكان عثمان قد اشترى أرضاً من أميرالمؤمنين عليه السلام ثمّ ندم وأراد ردّها عليه فأبى عليّ أن يقبلها وقال: ليس لك أن تردّها فقد بعتك أنا واشتريت أنت فهلمّ إلى رسول الله نحتكم عنده، فقال عثمان: كلّا، بل نذهب إلى قضاة اليهود، فأُنزل فيه: **﴿وَإِن يَكُن لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**(٣).

وقال طلحة وعثمان: أينكح محمّد نسائنا ولا ننكح نسائه! إنّ هذا أمر لا يكون، وكان يطمع طلحة بعائشة وعثمان بأُمّ سلمة(٤) فأنزل الله قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً﴾**(٥).

ونزل في عبدالرحمان بن عوف قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾** إلى قوله: **﴿الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾**(٦).

---

(١) المائدة: ٥١.

(٢) النور: ٤٧ و٤٨.

(٣) النور: ٤٩ و٥٠.

(٤) هذا التخرّص من المؤلّف فلم يذكر أحد ذلك عن عثمان واقتصروا على ذكر طلحة فقط.

(٥) الأحزاب: ٥٣.

(٦) النساء: ٧٧.

أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في مكّة أن يجلس كلّ واحد منهم إلى جنب مشرك فإذا ظفر المشركون بالمسلمين وقتلوا واحداً منهم فإنّه يقتله مكان أخيه المسلم، وكان عبدالرحمان يتمنّى القتال ويقول للنبيّ ﷺ: ليت أنّا أُمرنا بالقتال، فلمّا هاجروا إلى المدينة وأوجب الله الجهاد كان عبدالرحمان بن عوف يقول: لو تركنا نموت على فراشنا كان أحبّ إلينا.

روى أبو جعفر أنّ فاطمة عليها السلام ذهبت يوم الأربعاء ـ وهو اليوم الذي دفن فيه رسول الله ﷺ ـ إلى روضته، فقال لها أبوبكر: أصبح والله صباحك صباح السوء، وهذا القول شماتة منه بموت رسول الله ﷺ، لأنّ الأدب يقتضيه أن يقوم بتسليتها وإدخال العزاء على قلبها، وغرضه من هذا القول أنّ محمّداً ﷺ دفن بقبره في يوم نحس وهذا يدلّ على نحس حاله (نعوذ بالله من هذا القول).

أمّا ما يقال من أنّ أهل السنّة والجماعة يذكرون عليّاً وفاطمة في بلادهم فهذا صحيح إلّا أنّهم يرونهما دون أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة، فإذا فاه بمدحهم أحد دون أن يذكر أئمّة القوم أو أنّه مدح الزهراء دون عائشة فإنّه يُرمىٰ بالرفض فوراً.

وقد وضع بنو أُميّة نير العداوة والكفر على أعناق الأُمّة في الشرق والغرب، وجهدوا في إخفاء مناقب عليّ، وحضروا على أحد ذكره ما دام العالم، وحوّلوا اسم عليّ إلى أبي تراب حتّى يتلاشى اسمه ولقبه من ذاكرة الأُمّة، ولكنّ الله ردّ كيدهم في نحورهم ولم يتحقّق لهم ما أرادوا بمقتضى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

ولمّا علم أهل الخلاف بأنّ هذا عمل مستحيل عمدوا إلى ذكر مناقبه طوعاً

---

(١) التوبة: ٣٣.

وكرهاً، وكتبها علماؤهم في دفاترهم، وليس ذلك راجعاً إلى سرّ حبّهم أو خلوص اعتقادهم بل بتوفيق من الله وتيسير منه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (١) لأنّ المشركين لا يقدرون على إنكار ذلك.

وحرّف علماء اليهود من التوراة النصّ الخاصّ برسول الله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّواضِعِهِ﴾ (٢).

وإذا كان أبناء الشرك قد غيّروا نصّ رسول الله وحرّفوه وأخفوه فإنّ الأدهى من ذلك أنّهم عمدوا إلى مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام فحوّلوها إلى أبي بكر وعمر وعثمان افتراءاً منهم على النبيّ، وحشداً للأحاديث الواردة في غيرهم لهم وهم لا يعدلون عند الله شيئاً.

الفصل التاسع

قال محمّد بن أبي بكر: قال أبي: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي أرى الآن جعفراً في السفينة يجري في البحر، فقلت: يا رسول الله، أرنيه أنا، فمسح على عيني فأبصرته، فحدث في قلبي أن قلت: إنّ محمّداً ساحر عظيم.

قال الباقر عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (٣) أي بكلمة الشهادة ونبوّة محمّد ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ أي ولاية عليّ بن أبي طالب ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني الأئمّة ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ يعني أبابكر وعمر وعثمان، وهؤلاء الثلاثة ظلموا آل محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ (٤) الآية.

---

(١) لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

(٢) النساء: ٤٦.

(٣) النحل: ٩٠ إلى قوله «والبغي».

(٤) الفرقان: ٢٧.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (١) .

والناس في ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ (٢) .

وهؤلاء الثلاثة ظالمون ، ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣) وهما أبوبكر وعمر .

﴿هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٤) وهم المخاطبون بالآية .

والمشهور عن عمر أنّه قال لصاحبه أبي بكر يوم الحديبيّة : أتراه رسول الله وهو يردّ المؤمنين ، والنبيّ فعل ذلك في حال الضرورة وعمر يردّ عليه .

روى هشام بن حسّان البصري أنّه قال لعمر : لم جعلت الأمر في الخلافة إلى هؤلاء الستّة ؟ قال : لأنّي سمعت رسول الله يقول : لا أقف يوم القيامة إلّا ويد عليّ ابن أبي طالب في يدي .

وجاء أبوبكر وعمر لعيادة رسول الله في مرض موته وكان عليّ حاضراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يموت حتّى توسعاه غدراً وغيظاً ثمّ تجداه صابراً ، قال تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٥) وهذا هو جواب الخصم الذي يقول : لِمَ لَمْ يقاتل عليّ أهل الشورى لمّا أدخله عمر فيهم ؟ نقول : لأنّه فاقد للقدرة والنبيّ أمره بالصبر ، وكذلك الحسن صبر ومضى على ما مضى عليه أبوه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مروّتنا أهل البيت إعطاء من حرمنا والعفو عمّن ظلمنا .

قيل : إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام خرج ذات يوم من بيته ميمّماً مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الزخرف : ٣٦.

(٢) العنكبوت : ١ و٢.

(٣) الآية متكرّرة في سورة الرحمان.

(٤) يس : ٦٣.

(٥) فصّلت : ٣٤.

ومعه جماعة من أصحابه، فرآه شاميّ في الطريق، فقال: من هذا؟ قيل: الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: هذا الضالّ ابن الضالّ! فقال الحسن عليه السلام: لعلّك غريب! ولم يردّ عليه شيئاً واتّخذ طريقه إلى المسجد، فأقبل الشامي إلى المسجد وأعاد كلامه على الحسن عليه السلام، فأحسن إليه الإمام للطفه وكرمه، فخجل الشامي ووقع على يديه ورجليه يقبّلهما، فقال الحسن عليه السلام: استعملنا فيه أدب الله تعالى كما قال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

ذكر ابن الراوندي عن رجل من حمج (كذا) (ولعلّه مذحج ـ المترجم)[١] قال: قدمت المدينة بعد الحرب التي كانت بين أهل العراق والشام فرأيت رجلاً فسألت عنه، فقيل لي: هذا الحسن بن عليّ عليهما السلام، فحسدت عليّاً أن يكون له مثله، فقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: لا، أنا ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت له، شتمته وشتمت أباه، فلم يردّ عليَّ خلافاً، فلمّا فرغت أقبل عليَّ فقال: أظنّك غريباً، فلو استغثتنا أغثناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك.

قال الحمجي: فولّيت عنه وليس على الأرض أحبّ إليّ منه.

وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[٢] الآية.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[٣] «الوالد» رسول الله وأنا، «وما ولد» الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال: لا يجتمع إمامان إلّا وأحدهما صامت لا ينطق حتّى يهلك الأوّل كالحسن والحسين ابني عليّ عليهما السلام.

---

(١) الرواية يرويها السمعاني عن أبي المعافى الرجبي، حيّ من همدان عن صديق له من أهل الشام، ولم يسمّه ولم ينسبه. انظر: الأنساب للسمعاني ٣: ٤٧.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) البلد: ٣.

الباب الثالث عشر

في حالات الرسول ﷺ وما يتبعه

اعلم أنّ **حالته الأُولى** يوم كان طفلاً يتيماً في حضن أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد عليهما السلام، فقد تكفّلاه، وقاما بشأنه خير قيام، فأنزل الله فيه: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ**﴾[1] وهذا المأوى والمكان الآمن باتفاق المسلمين كان بيت عليّ عليه السلام.

الحالة الثانية: أيّام بعثته وتحزّب قريش ضدّه ومبالغته في أذاه وكان مدده عليّ والحمزة عمّه وأباطالب أباه عليهم السلام جميعاً، وكان في حمايتهم بعد عناية الله به حتّى استظهر بهم.

الحالة الثالثة: خطبته خديجة الكبرى عليها السلام وقام بهذا العمل الهام عمّه أبوطالب عليه السلام وهيّأ للنبيّ ﷺ مجال الخطبة والزواج.

الحالة الرابعة: حصار الشعب، وهنا احتاج النبيّ ومن معه إلى مدد عظيم، وقال مخالفونا: كان عليّ عليه السلام يوم ذاك يعمل في حوائط اليهود فيسقيها ماءاً من الآبار ويأخذ الأُجرة ويجعلها طعاماً لرسول الله ﷺ، وكان في حماية أبيه وأعمامه.

---

(١) الضحى: ٦.

الحالة الخامسة: يوم الهجرة فقد نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ وقال: يجمع أربعون شخصاً من قريش ليوقعوا بالنبيّ ﷺ فمُر عليّاً بالنوم على فراشك وبارتداء ردائك، وليتمثّل بشكلك، وهذا دليل على إمامته من وجوه عدّة جليّة:

الوجه الأوّل: أنّ النبيّ ﷺ أمره ينام في مكانه في حال غيابه ولم تكن لأبي بكر هذه المنزلة، وبحكم قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ (١) لابدّ من أن يقوم عليّ مقامه في غيابه الدائم.

الوجه الثاني الجلي: شبّه عليّ نفسه ليلتئذٍ برسول الله ولم تكن لأبي بكر تلكم المنزلة.

الوجه الثالث: إنّ الله تعالى حبى عليّاً عليه السلام الصبر العظيم وقوّة العزم والصلابة والجلاد المتناهي الشدّة وهذه هي درجة الأنبياء: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٢) وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (٣).

وكان أبوبكر مع رسول الله ﷺ في الغار بمأمن عظيم ومع ذلك فقد أخبره رسول الله بسلامتهم ونجاتهم من القتل وهو خائف مضطرب وقد أمر الله العنكبوت فنسجت بيتها على فم الغار ونبت يمامتان عشّهما على فم الغار أيضاً بوحي من الله تعالى، وكلا الأمرين لم يزيلا الخوف من قلب أبي بكر، فما زال يمزّق الهلع أحشائه وهو يضطرب، فتبيّن أنّ خوفه واضطرابه ناشئان من عدم ثقته بوعد الله ورسوله له، وكان عليّ آمناً لثقته بوعد الله له، وكان الخصم وهو أربعون كافراً بأيديهم السلاح على مقربة منه يراهم ويرونه، فلم يطرق له الخوف جوفاً، وبين

---

(١) الإسراء: ٧٧.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) السجدة: ٢٤.

أبي بكر والعدوّ مسافات بعيدة، إلى أن حمى الله عليّاً من القتل بما ألقاه في قلوب القرشيّين من الانصراف عن ذلك.

وقيل: إنّ أبا لهب حال بينهم وبينه للرحم فلم يفعلوا.

الوجه الرابع الجلي: في ساعات الحرب وشنّ الغارات والغزو اتّفق الرواة والمؤرّخون على أنّ أبابكر وعمر لم يهزما جيشاً ولم يدخلا حرباً وإنّما كانوا دائماً مثاراً للفتنة في الدين بسبب هزائمهم كما حدث ذلك في حنين وخيبر وذات السلاسل وبدر، وقد نزل في حقّهم: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[1].

الوجه الخامس الجلي: لم يكن غير عليّ حاضراً تجهيز رسول الله سواءاً غسله وكفنه ودفنه، فلم يشهد ذلك منهم أحد بل اغتنموها فرصة ذهبيّةً وذهبوا يلاطمون على الحكم ويبرمون عقد السلطان، وعلى هذا متى عمل أبوبكر للّه؟ وفي أيّ موضع نال رضا الله؟

بيّنة:

أعظم فتح جرى على يد عليّ عليه السلام في الجهاد هو يوم الأحزاب حتّى قال رسول الله فيه: «فضرب» لضربة عليّ يوم الخندق خير من عبادة الثقلين[2].

ويوم خيبر ويوم حنين ويوم أُحد ويوم بدر فقد قُتِل في هذا اليوم يوم بدرٍ

---

(١) القمر: ٤٥.

(٢) مجمع الفائدة للأردبيلي ٣: ٢١٦، كتاب الإجارة، الأوّل، للخوئي ١: ٢٤٣، شرح أُصول الكافي للمازندراني ١٢: ٤١٢، الطرائف لابن طاووس: ٥١٩، عوالي اللئالي للإحسائي ٤: ٨٦، الأربعين للقمّي: ٤٣٠، بحار الأنوار ٣٩: ٢، الغدير للأميني ٧: ٢٠٦، الإمام علي عليه السلام للرحماني: ٣٣٩ وله: الإمام علي (فارسي): ٣٦٩، مواقف الشيعة للأحمدي ٣: ١٢٣، المناظرات في الإمامة لعبدالله الحسن: ٥٠١، درر السمط لابن الآبار: ٨٦، موسوعة التاريخ الإسلامي لليوسفي ٢: ٤٩٢، كشف اليقين: ٨٣، وفيات الأئمّة: ١٢.

سبعون من المشركين قَتَل عليّ وحده منهم ثلاثين شخصاً وشرك الصحابة في الأربعين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وهذه الفضيلة باتفاق المسلمين ليست لغير عليّ عليه السلام من غير عليّ أولئك الذين يسمّيهم المخالفون العشرة المبشّرة لم يؤذ رسول الله والمؤمنين.

(1) النساء: 95.

الباب الرابع عشر

في الغار وصاحبه

لا فضل لأبي بكر في آية الغار لأنّ إبليساً كان مع نـوح في السـفينة، وكـذلك صاحبته في السفينة السباع والوحوش والبهائم، وكان الكلب مع أصحاب الكهف في الغار، وامرأة لوط وامرأة نوح صحبتا زوجيهما، ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[1] وجاء في سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[2] وعلى هذا فما هو الفضل في مجرّد الصحبة ؟

ولقد عدوت وصاحبي وحشيّة ... تحت الرداء بصيرة بالمشرف

ولقد دعوت الوحش فيه وصاحبي ... محض القوائم من هجان هيكل

الصاحب هنا: الفرس.

وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3] فأيّ فضل فيها للرجل والله تعالى مع البرّ

---

(١) عبس: ٣٤ـ٣٦.

(٢) الكهف: ٣٧.

(٣) التوبة: ٤٠.

والفاجر كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾(١) فتبيّن أنّ هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ لا فضل فيها.

وأمّا قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾(٢) فإنّها عائدة على النبيّ ﷺ بوجوه:

الوجه الأوّل: بدليل عطف الملائكة على الجملة ومن الواضح البيّن أنّ الملائكة تتنزّل على رسول الله ﷺ لا على أبي بكر.

الوجه الثاني: جاء في الحديث أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، فقد فرّ الأصحاب يوم حنين إلّا سبعة من بني هاشم: الأوّل العبّاس الذي أخذ بلجام البغلة، وخمسة من المقاتلين الذين شهروا سلاحهم بين يدي النبيّ ﷺ وتقدّموا بين يديه يحمونه من الرماة، وكان أميرالمؤمنين في القلب، فمرّة يحمل على القوم يقاتلهم من كلّ جانب ويحمل عليهم ويهزمهم ليحمي بيضة الإسلام ويخلّص رسول الله من بين المشركين، فقصّ الله قصّتهم فقال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) والمؤمنون هم عليّ والأشخاص السبعة من بني هاشم، وهنا يظهر جليّاً أنّ السكينة نزلت عليهم وعلى رسول الله، وكان عليّ كلّما هزم فوجاً من المشركين تجمهروا مع أصحابهم وتقوّوا بهم فأمدّ الله رسوله بالمعجزة وهم الملائكة الذين قاتلوا معه بنصّ القرآن الكريم، وضاقت الأرض بما رحبت على أبي بكر وعمر حيث سلّموا رسول الله في هذا الموضع المخيف للعدوّ وهربوا لا يلوون على شيء.

---

(١) المجادلة: ٧.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

ولو سلّمنا بنزول السكينة على أبي بكر فليس فيها مدح له حيث أنّه لم يكن واثقاً بقول رسول الله ﷺ ولم يصدّقه بما قال، وكان ينوي الصراخ من شدّة خوفه في الغار لكي يسمع طالبي رسول الله ﷺ، فأنزل الله السكينة عليه حماية لرسول الله ﷺ، ولمّا كان حزنه خطأ كان معصية للّه لأنّ النبيّ لا ينهى عن الطاعة بل عن المعصية.

وفي صورة جواز الخطأ لو قال الخصم أنّ الله خاطب موسى بقوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَاتَخَفْ﴾[1] فإنّنا نقول في جوابه: الخصم يجيز صغائر الذنوب على الأنبياء وبعض المجبّرة يجيزون حتّى الكبيرة، وبناءاً على مذهبهم فإنّ الله منع عن المعصية وهم لا يجيزون ذلك، أمّا على مذهبنا فإنّ مؤلّف هذا الكتاب يقول: إنّ المعنى يشير إلى أنّ القضيّة وقعت على وجه الإعجاز والغيب وما تحقّق في العصا واليد البيضاء إشارة إلى أنّها من تدبير الله تعالى لا من فعل الشيطان أو الخيال، آمنك الله.

وفي مذهبنا أنّ النبيّ ﷺ لم يصطحبه معه اختياراً وإنّما خرج بمهجته الشريفة ورآه قادماً في الطريق فاصطحبه معه لئلّا يشي به، ولقد قال المتنبّي:

* *ويستصحب الإنسان من لا يلائمه* *

لأنّه لو تخلّى عنه وتركه ينساب كالأرقط حيث يقصد لأخبر المشركين عنه وصار سبباً للقبض عليه، لأنّه كما يزعم أنصاره صدّيق والصدّيق كيف يكذب، فلو سأله أحد: أين خلّفت النبيّ لدلّ على مكانه وصار سبباً لهلاكه.

والعجب من القوم أنّه مع وجود هذي العيوب تراهم يتباهون بيوم الغار ولا يذكرون عليّاً الباذل لمجهته في سبيل الله والبائت على فراش رسول الله ﷺ حتّى نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[2].

---

(١) القصص: ٣١.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

يقول السيّد المرتضى علم الهدى: وكما أنّ إسماعيل استسلم لذبح إبراهيم الخليل فقد استسلم عليّ لسيوف المشركين، مع أنّ العادت جرت بعلم الولد برحمة أبيه إيّاه فلن يقتله لاسيّما إذا كان هذا الأب نبيّاً وله رتبة الخلّة مع ثقته بأنّه لم يجن ذنباً ولم يقترف إثماً يستحقّ عليه القتل. وعدوّ أميرالمؤمنين المشركون والكافرون وهم غلاظ شداد لا دين لهم ولا اعتقاد، ويرون النبيّ والوصيّ يستحقّان القتل بسبّهما لآلهتهم، لاسيّما عليّ وقد أثار حميّتهم الجاهليّة لمكره بهم وتغريره لهم، وتقويته النبيّ الذي أفلت من أيديهم.

قال السيّد المرتضى ﵀: فقام عليّ ﵇ يجالدهم وقد ظهر عليهم وأخذ يضربهم بكلّ قوّته وهم يضربونه حتّى نجى من شرّهم، إذن فالإمام ﵇ قام بأمرين عظيمين: فدى رسول الله بنفسه، وقام مقامه في الرقاد على فراشه، وكان الإمام يردّد ذلك متباهياً به:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله الخلق قد مكروا به ... فنجّاه ذوالطول الكريم من المكر

فبتُّ أُراعيهم وما يثبتونني ... وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

وقال أبوبكر في معنى هجرته أبياتاً ذكرهنّ أبو إسحاق في كتاب السير من تأليفاته:

فلمّا ولجت الغار قال محمّد ... أمنت فثق في كلّ ممس ومدلج

بربّك إنّ الله ثالثنا الذي ... وثقنا به في كلّ مثوى ومفرج

ولا تحزنن فالحزن لا شكّ فتنة ... وإثم على ذي اللهجة المتحرّج(١)

---

(١) الصراط المستقيم ٣: ١٣٩. ومدلج ـ بضمّ الميم ـ قبيلة من كنانة ومنهم القافة وأبو دليجة كنية.. ولم نعثر على الأبيات إلّا في الصراط المستقيم ونقلناها منه لأنّ أبيات المؤلّف مغلوطة غلطاً يغيّر المعنى.

فقد شهد على نفسه في شعره أنّ النبيّ جعل حزنه فتنة وهي أكبر من القتل ولم يصدّقه عليه.

الثاني: ظهر أنّ حزنه فتنة وهي إثم وخطيئة عظمى فتبيّن أن لا فخر له في هذه الآية مع أنّ النبيّ قال: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[١] والشيطان ذلك الملعون والإنسان هو المكرَّم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٢] والعجيب من أمرهم أنّهم يرون آية الغار أشرف آية في القرآن ونسوا الآية التي نزلت في أميرالمؤمنين يوم بات على فراش رسول الله وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾[٣] لبغضهم الشديد وعداوتهم له ولأولاده الطاهرين.

وآية الختم التي أعطاه فيهاالولاية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ..﴾[٤] وآية المباهلة التي جعل الله فيها عليّاً نفس رسول الله ﷺ كما قال: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٥] وسورة هل أتى التي أظهر الله فيها صفاته وصفات أهل بيته بالوفاء والسخاء والصبر والشكر والخوف والإخلاص والإسلام والإيمان كما عبّر عن عميق اعتقادهم الثابت الوطيد.

وهم يعلمون أنّه ما من آية في القرآن وفيها «يا أيّها الذين آمنوا» إلّا ولعليّ عليه السلام نصيب فيها بل سيّدهم ورئيسهم.

---

(١) نيل الأوطار ٦: ٣٦٧ و٣٦٨ عن أحمد والترمذي، فقه السنّة للسيّد سابق ١: ٤٦٤، مسند أحمد ٣: ١٥٦ و٢٨٥ و٣٠٩ و٦: ٣٣٧، سنن الدارمي ٢: ٣٢٠ بطريقين، صحيح البخاري ٢: ٢٥٨ و٢٥٩ و٤: ٩٣ و٨: ١١٤، صحيح مسلم ٧: ٨ بطريقين، سنن ابن ماجة ١: ٥٦٦، سنن أبي داود ١: ٥٥٢ و٢: ٤١٧ و٤٧٦، سنن الترمذي ٢: ٣١٩، مجمع الزوائد ١٠: ٢٢٢ وكتب أُخرى كثيرة ولا أرى وجهاً لذكره هنا إلّا أن يشير المؤلّف إلى قول أبي بكر: إنّ لي شيطاناً.. الخ، ولكن من دون تمهيد.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) آل عمران: ٦١.

ولا يذكر الجهاد والمجاهدين إلّا وجدت عليّاً في الطليعة.

ولا يذكر الصالحون في القرآن إلّا وعليّ منهم.

ولا تذكر عبادة فيه إلّا وعليّ القائم بها على أنّه انفرد بآيات لم يشركه فيها أحد كآية الخاتم وآية المباهلة وآية الغدير وآية المناجات، ولكن منعهم من إظهار ذلك شديد عداوتهم له ولأهل بيته.

قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة الإخلاص ثلاث مرّات فكأنّما قرأ جميع القرآن[1]، وقال في فاتحة الكتاب: كلّ صلاة بغير الفاتحة خداج[2].

وغير هذه الآيات، فقد جاء بفضلها أحاديث كثيرة ونوّهت هذه الأحاديث بعلوّ شأن الكثير من الآيات والسور وكثرة ثواب قارئها، فلم يذكروا شيئاً من ذلك ولكن لآية الغار شأناً عندهم فهي يرونها أشرف آيات الكتاب[3].

وقالوا: إنّ النبيّ ﷺ اصطحبه ليأنس به، حاشا للّه ولرسوله أن يفعل ذلك بل أخذه معه خوفاً من وشايته ولئلّا تكون نفس رسول الله في خطر، وإلّا فمؤنس النبيّ الملائكة والوحي الإلهي[4].

---

(١) المبسوط للسرخسي ٣٠: ٣١١.

(٢) المسائل الصاغانيّة للمفيد: ١١٩، الناصريّات للمرتضى: ٢١٩، الرسالة السعديّة للحلّي: ١٠٢، ذخيرة المعاد للسبزواري ٢: ٢٧٢، كشف اللثام للفاضل الهندي ١: ٢١٦، الحدائق الناضرة للبحراني ٨: ٩٤ و ٤٠٠، كتاب الأُمّ للشافعي ١: ١٢٩، المجموع للنووي ٣: ٣٢٨، موطّا مالك (لعنه الله) ١: ٨٤، المدوّنة الكبرى ١: ٦٨ له أيضاً، تنوير الحوالك للسيوطي: ١٠٥، الجوهر النقي للمارديني ٢: ١٥٩، المغني لابن قدامة ١: ٦٠١.

(٣) أقول لشيخنا المؤلّف رحمه الله: بغضنا لأبي بكر لعنه الله لا يحملنا على معاداة كتاب الله نعوذ بالله من هذه الوسوسات الباطلة.

(٤) أقول: ماذا في هجرته من الفضل حتّى يبذل المؤلّف هذا الجهد في التقليل من شأنها، ويكفي أن نقول فيها: ولابدّ للصيّاد من صحبة الكلب.

مسألة:

يقول الشيعة: يكفي في الدلالة على إمامة أميرالمؤمنين آية الغدير ولكنّ جلّ المخالفين لا كلّهم يقولون أنّها نزلت في زيد بن حارثة.

ولكن هؤلاء الجهّال نسوا بأنّ زيداً بن حارثة استشهد في مؤتة قبل نزولها بمدّة طويلة ونزلت آية الغدير: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1] في حجّة الوداع وهي ختام رسالة النبيّ ﷺ.

وقال أبوبكر بن مردويه المحدّث والمفسّر الأصفهاني في كتاب المناقب: كان بين نزول آية الغدير وموت النبيّ مائة يوم لا زائد ولا ناقص مع أنّه علّق على الآية قائلاً: في هذه الآية جمع قوله تعالى في «ما بلّغت» الرسالة كلّها فينبغي أن يكون ما يقابلها مثلها وهي الإمامة وحفظ الشرع وضبط الدين على طريقة العموم.

مسألة:

إمامة عليّ عليه السلام ثبتت بالنصّ من قبل الله ورسوله كالنصّ على الصلاة والزكاة والصيام إلّا أنّ في هذا الواجبات لم يحدث خلاف ولكن حدث الخلاف هنا من أجل الخلافة فقد للناس رغباتهم فيها وميولهم الخاصّة مِن ثَمّ حدث الاختلاف وليس بسبب أمر آخر.

سؤال:

يقولون بأنّ النبيّ ﷺ لم ينصّ على أحد رحمة بالأُمّة لئلّا تخالفه فتكفر: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[2].

الجواب:

إنّ رحمة الله بالخلق أكثر من رحمة رسوله ومع هذا فقد أرسل رسلاً وأنبياء

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) التوبة: ١٢٨.

فكفر أكثر الناس بمخالفتهم وكذلك النبيّ ﷺ دعا الناس إلى الشرائع مع علمه بأنّ أكثر الخلق لا يعملون بها كما هو الظاهر من تركهم الصلاة والصيام.

مسألة:

ورووا أنّه: كلّ ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح(١).

الجواب:

ومراده الإجماع على إمامة أبي بكر وهذا باطل لأنّ أميرالمؤمنين وجماعة بني‌هاشم وطائفة من أكابر الصحابة لم يقبلوها بل قبّحوها وكذلك الشيعة في الشرق والغرب فكيف تتمّ هذه الدعوى بأنّ المسلمين جميعاً رضوا بها وحسّنوها.

مسألة:

وقالوا بأنّ رسول الله قال: لا تجتمع أُمّتي على ضلالة(٢) فلا تجهل الأُمّة الفرض

---

(١) المبسوط للسرخسي ١٢: ٤٥ و١٣٨ و١٥: ١٦٠، مسند أحمد ١: ٣٧٩، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ٧٨، مجمع الزوائد ١: ١٧٧، مسند الطيالسي: ٣٣، المعجم الأوسط ٤: ٥٨، المعجم الكبير ٩: ١١٣، شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٩ و٨: ١٢٣ و١٢: ٨٦، نصب الراية للزيلعي ١: ٢٠ و٥: ٢٨٨ بطريقين، كنز العمّال ١٢: ٤٨٥ رقم ٣٥٥٩٠، تذكرة الموضوعات للفتني: ٩١ وقال: موقوف حسن على ابن مسعود، وقد رفعه ابن أبي الحديد والزيلعي أيضاً، فيض القدير ٥: ٥٧٧، كشف الخفاء ١: ١٦٩ مرفوعاً عن ابن مسعود و٢: ١٨٨ وقال: رواه أحمد في كتاب السنّة وليس في مسنده لعلّه يريد رواه مرفوعاً، أمّا المسند فقد ورد الحديث فيه عن ابن مسعود، تفسير ابن كثير ٢: ١٨٠، الدرّ المنثور للسيوطي ٣: ٤٤، الأحكام لابن حزم ٦: ٧٥٩، المستصفى للغزالي: ١٧٢ رفعه، المحصول للرازي ٢: ٧٩ رفعه و٣: ٢٢٠ مرفوع أيضاً و٤: ٨٠ و٩٨ و٥: ١١٨ و٢٤٧ و٣٢٦ و٣٩٨، الأحكام للآمدي ١: ٢١٩ و٤: ١٥٦ و١٥٩ بطريقين و٢٤٠ كلّ ذلك رفعه، علل الدارقطني ٥: ٦٦، تاريخ بغداد ٤: ٣٨٧ والحديث في الأصحاب عنده وقد رفعه، تاريخ مدينة دمشق ٣٠: ٢٩٤ بطريقين، البداية والنهاية ١٠: ٣٦١، سبل الهدى والرشاد ١٠: ٢٧٧.

(٢) المبسوط ١٢: ١٣٨، بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ٥: ٣ و٦: ٥٨، كشف القناع للبهيوتي ٥:

والسنّة لكي تجتمع على الخطأ.

الجواب:

الإمامة عندهم لا هي بالفرض ولا بالسنّة فاجتماع الأُمّة لا يعدّ خطأ لأنّ الخطأ في الفرض والسنّة هكذا يقولون، أو أن يكون الحديث خبراً بمعنى النهي كقوله تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[1].

أو أنّ الإمامة ليست عامّة وإنّما هي خاصّة بأهل البيت عليهم السلام، ولو كانت عامّة فإنّ الاجتماع عليها لم يكن عامّاً لأنّ أهل البيت وبني هاشم والخزرج شيعتهم لم يجتمعوا عليها أو أنّ عين «لا تجتمع» ساكنة والراوي نطقها بالضمّ عفواً أو أنّه لا يعرف علم الإعراب وعنده أنّ معنى السكون في العين والحركة واحد مِن ثَمّ ارتكب الخطأ المنهيّ عنه شأنه شأن النواهي الأُخرى[2].

مسألة:

لا يجب على عليّ عليه السلام الإعلان عن إمامته لأنّ الإمام عليه السلام كالبحر أو كالكعبة يأتيه الناس لا أنّه يأتي الناس، وكان على الله أن ينصب الإمام كما قال لإبراهيم عليه وعلى نبيّنا وآله السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3] فأوكل أمر الإمامة إلى نفسه سبحانه وأبان عن صفة الإمام من كونه غير ظالم، والمخطئ ظالم أي مرتكب الخطيئة، ومن يجوز عليه ارتكابها لاسيّما المشرك وعابد الوثن.

⮌ ٩، مسند أحمد ١: ٣٩٦، سنن الدارمي ١: ٢٩، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٣، سنن الترمذي ٣: ٣١٥، المستدرك ١: ١١٥ في طرق كثيرة، مجمع الزوائد ١: ١٧٧.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) يريد المؤلّف أنّ «لا» هنا ناهية وليست للنفي ولا الناهية تجزم الفعل المضارع وعلامته السكون.

(٣) البقرة: ١٢٤.

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾(١)، وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إنّ الله تعالى أوكل أمر الإمامة والخلافة إلى نفسه، وأهل السنّة والجماعة يردّون عليه حين يجعلونها موكولة إلى خلقه، ألا يرون أنّ الخلافة من آدم إلى الخاتم لم تكن موكولة إلّا إلى الله تعالى، ولا اختيار للناس فيها بل هي بمشيئة الله وإرادته ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾(٢) وهي سنّة بالغة.

مسألة:

وقالوا: لو كان القوم على غير الهدى لنازعهم عليّ عليه السلام ومنعهم من ذلك، وهذا أمر منفيّ، ولا يعلّل النفي، ولا يكون العدم علّة.

الثاني: صالح النبيّ صلى الله عليه وآله عام الحديبيّة بآية: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(٣) والصلح يحسن في حال عدم الناصر والعون وانقطاع المدد، ولكنّه حارب عندما تبدّلت الحال بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾(٤) وكذلك الإمام عليّ عليه السلام فقد سالم مع فقدان الناصر، ولمّا ثبت كونه إماماً منصوصاً عليه من الله ورسوله فالإنكار على ما فعل أو ما ترك إنكار على الله ورسوله وهو كفر محض.

ومن عجائبهم أنهم يروون عن رسول الله: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار(٥) وكذلك رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من عصى الله بمعصية؛ صغرت

---

(١) ص: ٢٦.

(٢) الإسراء: ٧٧.

(٣) الحجر: ٨٥.

(٤) التوبة: ٥.

(٥) المحلّى لابن حزم ٩: ١١١، سبل السلام لابن حجر ٣: ٢٢٣، نيل الأوطار ٨: ٨٥، ذخائر العقبى: ٧٦، مسند الشافعي: ٢٣٩ باختلاف في ألفاظ الحديث، مسند أحمد ١: ٤٧ و٧٨ و١٣٠ و١٦٥ و١٦٧ و٢٩٣ و٣٢٣ و٤٠١ و٤٠٢ و٤٠٥ و٤٥٤ و٢: ٤١٣ و٥١٩، ومثله الجزء الثالث والرابع ←

أم كبرت ثمّ اتّخذها ديناً ومضى مصرّاً عليها فهو مخلّد بين أطباق الجحيم[1]، ومع هذا فقد اتفقوا على أنّ أبابكر لم يكن خليفة رسول الله، وإنّما كانت إمامته بالبيعة واختيار الأُمّة وإلّا لكان قوله: «أقيلوني» كفراً ولم يقل رضيت لكم أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، وهم يسمّونه والحال هذه خليفة رسول الله ﷺ ولم يستخلفه النبيّ باعترافهم، وفتحوا له بسبب هذا الافتراء باباً على جهنّم، وهم يقولون: مات رسول الله ولم يستخلف، ومَثَلُهُمْ كمثل الذي اشترى مملوكاً وبعد شرائه صار حاكماً عليه فهم الذين اختاروا أبابكر وبايعوه بأيديهم فينبغي أن يكون الحكم لهم عليه لكن انعكست الآية فصار حاكماً عليهم.

والعجيب في الأمر أنّه خليفتهم ولكن نسبوه إلى رسول الله ﷺ، من أجل تخدير العامّة لئلّا يطعنوا عليهم عداوة منهم لآل البيت ومع ذلك يأبون اعتباره حاكماً فإذا غضبوا عليه عزلوه كما فعلوا بعثمان ويقولون عنه: إنّ الإمام وكيل عن المسلمين ما داموا رضاين بوكالته فإذا لم يرضهم نحّوه عن وكالته.

ولا يقولون ولاية عباد الله بيد الله سبحانه وهو أولى بالتصرّف في ملكه وأعلم بما يصلح عباده ولا يعلمون أنّ التصرّف بملك الغير بدون إذنه لا يستساغ، وكذلك التصرّف في عبيده تصرّف بغير إذنه ولا ترخيص منه، ومن فعل لك فهو غاصب وضامن وآثم.

قال الله تعالى: ﴿قُل لِمَن مَا فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلَّهِ﴾[2] ويقرؤون هذه الآية:

⬅ والخامس فقد أخرجه فيها بعدّة طرق، صحيح البخاري ١: ٣٥ بثلاثه طرق.. و٢: ٨١، صحيح مسلم ١: ٨، والحديث متواتر ولم يبق حافظ أو صاحب دراية إلّا أخرجه سوى النزر اليسير منهم وقد تلقّته الأُمّة بالقبول وأجمعت على صحّته.

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام للقرشي ٢: ٢٧٢.

(٢) الأنعام: ١٢.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[١] ومن الواضح أنّ الخليفة الذي لم ينصبه النبيّ وإنّما اختاره جماعة من الأُمّة فينبغي أن يكون على باطل.

سؤال:

وأقوى حجّة قال بها القوم: إنّ النبيّ لو كان نصّ على عليّ عليه السلام لما خالفته الأُمّة برمّتها.

الجواب:

وما أكثر النصوص التي خالفتها الأُمّة خلافاً من بعد خلاف، ثمّ إنّ موسى استخلف أخاه هارون كما نطق بذلك كتاب الله ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾[٢] وكان موسى تُرجى عودته بعد استخلافه أخاه وكان هارون عذب الحديث، فصيحاً، مدرهاً، والقوم عبدوا العجل مع وجود هذين النبيّين بين أظهرهم فلا عجب من ترك أُمّة نبيّ لا تُرجى عودته خليفته والميل إلى السامري وعجله، وهناك: ﴿عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾[٣] أي أنّه صنع أيديهم وليس فيه إلّا خروج الصوت منه على غير ما جرت به العادة وهنا «عجلاً جسداً له كلام» وهناك سامريّ واحد قام بالالمر وهنا مائة سامريّ.

اعلم بأنّ عليّاً عليه السلام جاهد في سبيل الله بين يدي رسول الله فلم يترك بيتاً ليس فيه واعية على واحد أو اثنين قتلهم عليّ بسيفه مِنْ ثَمّ قاموا ضدّه انتقاماً لقتلاهم وخالفوا النصّ مع أنّ النصّ هنا منقول شفاهاً ولا يحتاج إلّا إلى دقّة النظر وفي مسألة موسى وهارون خالفوا العقل والنقل وردّوا نبوّة النبيّ وتركوا أقواله وكان

(١) يونس: ٣٢.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) الأعراف: ١٤٨.

النبيّان يومئذٍ حيّين ومع وجود هذه الحجج المتعدّدة فقد ارتدّ قوم موسى ولم يستحل ذلك عليهم فيكون ارتداد قوم لا يرون إلّا حجّة واحدة من طريق أولى.

مسألة:

يقول المخالفون: لو كان النصّ على عليّ متواتراً لكان العلم به ضروريّاً لكلّ سامع كالصوم والصلاة، وهذا باطل إذ لم يحصل به العلم الضروري.

الجواب:

اعلم بأنّ منكري نبوّة النبيّ ﷺ يقولون: لو كانت معجزات محمّد متواترة لحصل العلم بها من السامع بالضرورة وليست كذلك هي، وقالوا: وهي وإن صارت اليوم متواترة لكنّها لم تستو أطرافها فقد رواها في أوّل وقوعها فئة قليلة من الناس.

الجواب:

وهذا نفس ما يقوله اليهود والنصارى أنّ معجزات النبيّ وإن تواترت اليوم إلّا أنّ رواتها فئة قليلة في أوّل وهلة، وجوابهم جوابنا لأنّ شبهة القوم واحدة.

مسألة:

وقالوا: لماذا خصّ عليّ بالنصّ دون غيره؟

الجواب:

وهذا الكلام باطل ومنقوض بالأنبياء، فإنّ تخصيص محمّد بالرسالة كتخصيص عليّ بالولاية، فبماذا امتازا عن سائر خلق الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[1] إنّ النبوّة والإمامة فضل من الله ومنّة منه على عباده يؤتيها من يشاء والله أعلم.

---

(١) البقرة: ١٠٥.

الباب الخامس عشر

في اختيار الإمام

أجمعت الأُمّة على أنّ النبيّ لم يعهد إلى أحد اختيار رئيس أو أمير من أُمرائه بل كان يتولّى ذلك بنفسه فيرسلهم إلى المدائن وعلى القبائل، فهو الذي يجيّش الجيوش ويختار الأُمراء، كما اختار جعفراً قائداً حين بعث سريّة إلى مؤتة، وقال: إن قُتل فأميركم زيد بن حارثة، فإن قُتل فأميركم عبدالله بن رواحة، فكيف يسوغ عدم نصبه إماماً بعد موته ويترك الأُمّة هملاً؟

ثمّ إنّ رحمته بالأُمّة كرحمة الوالد بولده كما قال ﷺ: إنّما أنا لكم كالوالد[1]، وجاء في القرآن الكريم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2] وعلى هذا فكيف يترك أُمّته بمضيعة دون أن يقيم عليها إماماً بعد موته مع شديد عنايته بها وحبّه لها ومع حكمته ورأيه الوثيق؟

وهو بالضرورة أعلم بمن يليق لهذا المنصب بواسطة الوحي، ويصلح به أمر

---

(١) الغدير للأميني ٧: ٢٤٢ نقلاً عن تفسير الخازن ٣: ٣١٤، تفسير النسفي في هامش الخازن ٣: ٣١٤، كنز العمّال ٩: ٥١٢ رقم ٢٧٢٠٨، الكامل لابن عدي ٦: ٤٦٥.

(٢) التوبة: ١٢٨.

الأُمّة، وتنتظم شئون حياتها، وهو مؤهّل لحمل هذا العبأ الباهض، هذا مع علمه بما يجري في الأُمّة من النزاع والاختلاف لاسيّما وقد أخبر الأُمّة بذلك حين قال: ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة[1]، فلو لم يبيّن موقع النجاة لعُدّ مقصّراً وحاشاه من ذلك في أمر الدين، وتكون آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] كذباً، وفساد هذا الاعتقاد لا يخفى على العقلاء.

فتبيّن ممّا تقدّم وجوب نصب الإمام على النبيّ لئلّا يقع الفساد الذي وقع، وأخبر عنه قبل وقوعه، ومَن قال: الإمام منصوص عليه، حصر الإمامة في عليّ وأولاده الأحد عشر إلى قائم آل محمّد عليهم السلام.

مسألة:

وقالوا: ليس على الأُمّة تنفيذ الأحكام الدينيّة من إقامة الحدود وتجهيز الفيالق والجيوش لكنّهم يختارون واحداً منهم يكون ذلك بعهدته.

والعجب أنّ الإمام واحد منهم، وحكم عدم الجواز يشمله فمن أين أتته الرخصة في تنفيذ الأحكام؟ أمن اختيار الأُمّة له؟ وهو غير جائز.

مسألة:

وقالوا: يبقى عمل الأُمّة وتنفيذ الشرع معطّلاً حتّى يختار أهل الحلّ والعقد إماماً

---

(١) روى هذا الحديث غير الشيعة: أحمد في المسند ٢: ٣٣٢، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢١ و١٣٢٢، سنن أبي داود ٢: ٣٩٠، سنن الترمذي ٤: ١٣٤، المستدرك للحاكم ١: ٦ و١٢٨ بطريقين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، سنن البيهقي ١: ٢٠٨ بطريقين، مجمع الزوائد ١: ١٨٩ و٧: ٣٢٣، المذكّر والمؤنّث لابن أبي عاصم: ٨٦، وكتاب السنّة له: ٧ و٣٢ و٣٣ و٣٥، مسند أبي يعلى ١٠: ٣١٧ و٣٨٢ و٥٠٢، صحيح ابن حبّان ١٤: ١٤٠ و١٥: ١٢٥،، المعجم الصغير ١: ٢٥٦، الأوسط ٥: ١٣٧، الكبير ٨: ٢٧٣ و١٨: ٥١ و٧٠.

(٢) المائدة: ٣.

لهم، وقالوا: فإذا اختير في كلّ بلاد واحداً لا يبق أمر الشرع معطّلاً ولا مضطرب حبل الدين حتّى يختاروا واحداً من هذا المجموع ثمّ يعملون برأيه.

عجباً، إذا كان ذلك صحيحاً وسائغاً فما بال أصحاب السقيفة لم يصبروا حتّى يفرغ بنو هاشم من عزاء رسول الله ﷺ لعلّهم يشاركون في الاختيار ويدلّون برأيهم كغيرهم وهم أولى من غيرهم بهذا الاقتراع لو تحقّق بينما سارع القوم إلى خوض غمار هذه اللعبة بلا تمهّل أو انتظار، ولم يظهر على الأُمّة أيّة أعراض لفتنة مقبلة أو إحداث شغب أو خصومة لكي يجعلوا ذلك ذريعة لأعمالهم المرتجلة أو يقولوا إنّا عجّلنا لإطفاء نائرة الفتنة.

فظهر أنّ الغرض الوحيد من هذه المسارعة هو اهتبال الفتنة قبل فراغ بني هاشم كي لا تتغيّر الأحداث وتتبدّل وجوهها، فقد لا يرضى بنو هاشم إلّا باستخلافهم دون من عداهم وحينئذٍ تفلت الدنيا من أيدي أركان السقيفة، وأخيراً اعترف عمر بن الخطّاب بهذا الأمر الذي دلّت عليه قرائن الحال والمقال بقوله: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه...[1].

وأعجب من هذا كلّه قوله: إنّ اختيار الإمام بيد علماء الأُمّة فإنّ اختيار أبي بكر

---

(١) الاقتصاد للطوسي: ٢٠٨، السقيفة وفدك للجوهري: ٤٦ ونسب القول لأبي بكر بقوله: كانت بيعتي، مسند أحمد ١: ٥٥، صحيح البخاري ٨: ٢٥ و٢٦، مجمع الزوائد ٦: ٥ قال ابن حجر: والفلتة ما يُعْمَل بغير رويّة، مقدّمة فتح الباري: ١٦٤، المصنّف لعبدالرزّاق ٥: ٤٤١ و٤٤٥، مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٦١٥ و٨: ٥٧٠، سنن النسائي ٤: ٢٧٢ و٢٧٣، صحيح ابن حبّان ٢: ١٤٨ و١٥٥ و١٥٧ بطريقين وعقّب الثاني بقوله: يريد أنّ بيعة أبي بكر كابتدائها من غير ملأ، الخ، الفائق للزمخشري ٣: ٥٠، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٣ و٦: ٤٧ ونسبها لأبي بكر.. و٩: ٣١ و١٣: ٢٢٤، كنز العمّال ٥: ٦٤٩ رقم ١٤١٣٧.

من أبي عبيدة، وعمر من أبي بكر، وعثمان من عبدالرحمان بن عوف، وليس أحد من العلماء كان حاضراً يوم ذاك، فهل حصلت شروط الاختيار هنا؟

والأعجب من هذا أنّ الرجل في حياة النبيّ لم يكن ليستحقّ الصلاة في الناس جماعة، ولم تكن له أهليّة تبليغ آية من سورة براءة لأهل الموسم وقد عزله النبيّ صلى الله عليه وآله في كلا الحالين فكيف استحقّ بعد رسول الله إمامة الناس أجمعين؟ ما أشدّ وقاحة القوم!

مسألة:

وزعموا أنّ رسول الله قال: اختاروا وليّكم فإنّهم وفودكم إلى الله[1]، وكذلك قال: يؤمّكم أقرأكم، فقالوا: إن كانوا في القرائة سواء؟ قال: فأفقههم[2].

وبهذه الرواية التي رووها يعلمون بأنّ عليّاً كان حافظاً للقرآن ولم يكن أبوبكر كذلك، وعليّ أفقه منه في العلوم الدينيّة وحلّ المشاكل وكان مفتي الصحابة ومعهذا فقد قدّموا أبابكر لإمامة الصلاة وغيرها نقضاً للحديث المروي عنهم.

ويعلمون أنّ النبيّ سدّ جميع الأبواب الشارعة في المسجد إلّا باب عليّ عليه السلام[3]،

---

(١) عثرت على رواية ذكرها أبوالفتح الكراجكي رحمه الله: «وإنّ أئمّتكم وفودكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم» (ص١٥٢) أمّا الرواية التي ذكرها المؤلّف فلم أعثر عليها في مصدر وتركتها على حالها.

(٢) عثرت عليها عند الشيعة وفي السياق اختلاف في صياغة الحديث والمعنى واحد: تذكرة الفقهاء للحلّي ١: ١٧٩ وعزاه رحمه الله إلى ابن سيرين والثوري وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي وابن المنذر، الشهيد الأوّل في الذكرى: ٢٧٢، مجمع الفائدة ٣: ٢٥٢ وسمّاه طريق العامّة، مصباح الفقيه ج٢ ق٢ ص٦٨١ و٦٨٢، التعجّب للكراجكي: ١٠، الغدير للأميني ١٠: ٥٣. والظاهر أنّ الرواية عامية وفيها إضافات وفي قبالها رواية شيعيّة في معناها.

(٣) عثرت على هذا الكلام المتقدّم في كتاب التعجّب لأبي الفتح الكراجكي (ص١١ طبع سنة ١٤١١ ←

....

ثانية في مكتبة المصطفوي بقم) وأنا أنقله هنا لتعتاض به عن الترجمة، قال: ومن عجيب أمرهم أنّهم يعترفون بأنّ الأُمّة ليس لها أن تمضي حكماً ولا تقيم على أحد حدّاً ولا تنفّذ جيشاً ويزعمون أنّ لها أن تجعل هذه لأحدها وتردّ إليها ما لم يرد إليها، وتملّكه من الشريعة أشياء لا تملكها من غير أن يأذن لها في ذلك مالكها، وهذا من أطرف الأُمور وأعجبها.
ومن عجيب أمرهم أنّهم فيما ذهبوا إليه من الاختيار قد أجازوا إهمال أمر الأُمّة إلى أن يختار علمائها واحداً مع أنّه لو اختار أهل مدن مختلفة عدّة أئمّة وجب عندهم أن يقف أمرهم إلى أن ينظروا من الأولى منهم فيقدّموه ويبطلوا إمامة من سواه ويسقطوه، فإن كان قد عقد لهم في وقت واحد سقطت إمامتهم كلّهم فأباحوا بهذا ترك الناس في هذه المهلة بغير إمام، وربّما تراخت وطالت واضطرب فيها أمر الأُمّة وحدثت أُمور لا مدبّر لها، وتولّد مضارّ عامّة لا مصلح لفسادها.
وقيل لهم على هذا الرأي: لِمَ لَمْ يصبر أصحاب السقيفة عن المبادرة لإمام والمسارعة التي انفردوا بها عن الإمام ريثما يفرغ بنو هاشم من تجهيز النبيّ ﷺ ومواراته وقضاء مفترض حقّه في مراعاته حتّى إذا تنجّزت هذه الحال حضروا معهم العقد لشاركوهم في الرأي والأمر فإنّهم إن لم يكونوا أخصّ بهذا الأمر فيه شركائهم، ونصيبهم فيه على أقلّ الوجوه نصيبهم؟ فقالوا: إنّما فعلوا ذلك مبادرة بالأمر الذي يخشى فواته، ويخاف المضرّه بتأخيره مع العلم العام بأنّهم ما اضطرّوا في ذلك الوقت إلى هذا البدار ولم تختلف الكلمة لولا ما فعلوه اختلافاً يعظم به المضارّ ولا قصدهم من الأعداء قاصد ولا أحاط بهم عدوّ ومعاند، فما هذه العجلة والبدار مع ما جيناه عنهم في شرائط الاختيار لولا أنّ القوم اغتنموا الفرصة فانتهزوها وبادروا المكنة فاختلسوها وإنّ مصوّبتهم ناقضوا فعلهم وناصريهم أوضحوا زللهم مع أنّ رأيهم في الاختيار، وما ساقهم إليه أحكام التقيّة في هذا الزمان المخلّة بنصبة الإمام قد أدّاهم إلى إهمال أمر الأمّة وتركهم بغير إمام.
ومن عجيب أمرهم قولهم أنّ اختيار الأُمّة إلى العلماء وأنّ الجماعة يختارهم الذين لا يغلطون في اختيارهم ويعلمون مع هذا أنّ أبابكر اختاره أبو عبيدة، وأنّ عمر اختاره أبوبكر، وأنّ عثمان اختاره عبدالرحمان وليس فيهم من حصل الشرط الذي ذكروا.

فصل: في أغلاطهم في اختيارهم أبابكر

ومن عجيب أمرهم أنّهم قصدوا إلى رجل أمر الله بتأخيره ولم يره أهلاً للنيابة عن رسول الله ﷺ

وقال ﷺ: إنّ الله تعالى أمر موسى بن عمران أن يتّخذ بيتاً طهراً لا يجنب فيه إلّا هو وهارون وابناه شبّر وشبير، وإنّه أمرني أن اتّخذ بيتاً طهراً لا يجنب فيه إلّا أنا وعليّ وابناه الحسن والحسين عليهما السلام، فاجتمعت الخصال الموجبة لتقدّم أميرالمؤمنين عليه السلام فياليت شعري بأيّ فضّل قدّموا عليه أبابكر.

ولمّا سُئل هو وعمر عن قوله تعالى: ﴿وَأَبّاً﴾[1] فما أحارا جواباً ولم يعرفا لها معنًى.

وأبوبكر هو القائل: ولّيتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني ولست بخيركم؛

➲ في تأدية تسع آيات من سورة برائة إلى أهل مكّة وهم بعض الأُمّة ورسول الله حيّ موجود مع قوله ﷺ: المؤمنون أكفاء؛ تتساوى دمائهم ويسعى بذمّتهم أدناهم، ويجيز عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، فلا يراه الله مع ذلك أهلاً لتأدية ذمّة ولا منفّذاً لأمر فيه مصلحة للأُمّة، وعزله عن جيش ظهر فيه غوله وعجزه ومنعه، سكن المسجد وسدّ بابه وأخّره عن الصلاة التي قدّمه بلال إليها بأمر عائشة ابنته فقدّموه بعد رسول الله ﷺ رئيساً على جميع أُمّته وردّوا إليه أحكام ملّته حيث يكون تتميم تنفيذ الأُمم في يديه، وأحكام الشريعة مردودة كلّها إليه، ويكون القائم مقام خير خلق الله تعالى محمّد رسول الله ﷺ والمنفّذ لشرعه، إنّ هذا لشيء عجيب يحار فيه عقل اللبيب.

ومن عجيب أمرهم اعتقادهم أنّ النبيّ ﷺ أمر الناس أن يختاروا لأنفسهم إذا اجتمعوا إمام الصلاة ويروون عنه أنّه قال: اختاروا أئمّتكم فإنّهم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ، وقال: يؤمّكم أقرأكم، وفي خبر آخر: قالوا له: فإن كانوا في القرائة سواء؟ قال: فأفقههم، وصاحب المسجد أولى بمسجده، ثمّ يروون مع ذلك أنّ من الواجب تقديم أبي بكر على أميرالمؤمنين عليه السلام ويرون أنّه أولى منه بالتقديم على الناس في الصلاة مع علمهم بأنّ أبابكر لم يكن حافظاً لكتاب الله وأنّ أميرالمؤمنين كان حافظاً بغير خلاف. ومع علمهم بأنّ رسول الله سدّ جميع أبواب الصحابة التي كانت إلى المسجد حتّى سدّ باب عمّه وترك باب عليّ، وقال: إنّ الله أمر موسى بن عمران أن يتّخذ بيتاً طهراً لا يجنب فيه إلّا هو وهارون وابناه شبّر وشبير، وأنّه أمرني أن أتّخذ بيتاً طهراً لا يجنب فيه إلّا أنا وعليّ وابناه الحسن والحسين عليهما السلام.

(١) عبس: ٣١.

فإن استقمت فاتّبعوني، وإن اعوججت فقوّموني، وإنّ لي شيطاناً يعتريني عند غضبي فإذا رأيتموني مغضباً فتجنّبوني لا أُؤثر في أشعاركم وأبشاركم[١].

واختاروه مع قلّة علمه ونقصان فهمه وفقهه في الدين على عليّ الذي بسط الله يده على العالم كافّة مع كثرة العلم والقرابة من النبيّ ﷺ وزهده وطهارته كلّ ذلك يعلمونه منه كما يعرفون الجهل من صاحبهم، ولكنّهم أخّروه ردّاً على الله ورسوله حيث قال: ﴿لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾[٢].

مسألة:

وقال الأنصار: نحن أولى برسول الله ﷺ لنصرتنا إيّاه، وقال المهاجرون: بل نحن أولى به لقرابتنا وهجرتنا، ولم يدر بخلدهم أنّ عليّاً حوى الفصيلتين: فهو أنصاريّ مهاجريّ وقرشيّ هاشميّ، فقال عليّ عليه السلام: إنّ المهاجرين حاجّوا الأنصار بقرب قريش من رسول الله فإن كانت حجّتهم ثابتة فقد كنت إذن أحقّ بها لأنّي أقرب منهم، ولمّا بلغته بيعة أبي بكر قال هذين البيتين من الشعر:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

وإن كنت بالقربى حججت خصومهم ... فغيرك أولى بالنبيّ وأقرب[٣]

وقال عليه السلام: بم احتجّ المهاجرون على الأنصار؟ قالوا: بصحبة رسول الله ﷺ،

---

(١) راجع التعجّب أيضاً (ص٩) وليس فيه أقيلوني أقيلوني أثناء كلام الشيخ عن شيطانه، لا يعتريني الشكّ أنّ المؤلّف رحمه الله أخذ من الكراجكي لتقدّمه عليه فقد توفّي الكراجكي سنة ٤٤٩ (راجع الذريعة للطهراني) ولكنّه لم يشر إليه بل عمد إلى كلام الشيخ الكراجكي فقطع أوصاله وأفقده الوحدة وحشر في أثنائه كلاماً لا يبلغ مستواه ممّا أوقع المترجم بحيرة مدهشة، واستمرّ المؤلّف يكيل من كلام الكراجكي كلّما حلى له، وربّما أعرض عنه بكلام ينشأه من نفسه، ولو أنّه أشار إلى كتابه لأراح واستراح رحمه الله.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) وقيل إنّه قول قيس بن سعد، التعجّب: ٩.

فقال: يا عجباً! تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة!

ومن عجيب أمرهم دعواهم أنّ إمامة أبي بكر تثبت عن إذن من أهل الحلّ والعقد واختيار وتأمّل، هذا مع سماعهم قول عمر بن الخطّاب: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، وهذا القول يكذب مزاعمهم، لأنّ الفلتة التي هي العجلة والبدار تضادّ ما يدّعون من التأمّل والاختيار.

مسألة:

ومن عجيب أمرهم دعواهم أنّ الأُمّة اجتمعت على إمامة أبي بكر مع علمهم بقلّة عدد المعاقد لها وتأخّر من تأخّر عنها، وإنكار المنكرين لها، والخلف الواقع فيها في حال السقيفة وبعدها، فيقولون: إنّ من خالف من الأنصار وتأخّر من بني هاشم الأخيار[1] وما كان مع أبي بكر إلّا نفر من قريش وهم عمر وعثمان وعبدالرحمان بن عوف وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقّاص القرشي وسعيد بن العاص القرشي وسالم بن حذيفة الدعي، وجماعة من المجهولين حسباً ونسباً، وليس من قريش إلّا هؤلاء العشرة ومع ذلك يسمّونه الإجماع.

ثمّ ينكرون أن يكون الإجماع حصل على حصار عثمان وقلعه وتكفيره وقتله، ولم يكن بالمدينة من أهلها ولا ممّن كان بها من أهل مصر وغيرهم إلّا محارب أو خاذل، ولم يحفظ عليهم في الإنكار إلّا قول القلل، ويدّعون أنّه وعبيده المحاصرين معه في الدار ومروان ابن عمّه قادحون في الإجماع، هذا وقد رام قوم من بني أُميّة أن يصلّوا عليه فلم يتمكّنوا وهمّوا أن يدفنوه في مقابر المسلمين فلم يتركوه حتّى مضوا إلى حَشّ كوكب وهو بستان بقرب البقيع ثمّ أتوا ليجزّوا رأسه فصاح نسوة

---

(١) هذه عبارة الكراجكي في التعجّب (ص١٣) رأيناه أجدر بالعناية من عبارة الترجمة، حيث أنّ المؤلّف أخذها بالترجمة بعد التحوير والتغيير.

من أهله وضربن وجوههنّ فتركوه وداسه عمير بن أبي صابي فكسر ضلعاً من أضلاعه ...[١] فلم ينكر عليهم أحد، وهذا المعنى أولى باسم الإجماع، فظهر من هذا بأنّ إجماعهم ربّما بني على الباطل والظلم وغصب حقوق المسلمين[٢].

ومن عجيب أمرهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أرسله إلى خيبر وأرسل بعده عمر فرجعا منهزمين وكان على رأس الجيش، وأرسل النبيّ أبابكر مع جيش إلى وادٍ قريب من المدينة ليلاً فرجعوا منهزمين، فلم يحسن أن يدبّر الجيش بعقله ويرضي الله ورسوله فكيف يصحّ تحكيمه بالأُمّة وحكمه عليها ؟

وقاد الجيش عليٌّ بَعده فهزم أولئك اللعناء وفرّق جمعهم وبدّد شملهم وكفى الله المسلمين شرّهم به، وإنّ رجلاً بهذه الصفة من حسن القيادة والحكمة أولى بالتقديم.

(١) هذه عبارة صاحب التعجّب (ص١٣) وفيها عبارة المؤلّف وزيادة.

(٢) عبارة الكراجكي: وبقي مكانه مرمياً ثلاثة أيّام لم يستعظم في بابه مستعظم ولا أنكره منكر، ومن تأمّل هذا الحال علم أنّها أحقّ وأولى بالإجماع (ص١٣).

الباب السادس عشر

في صفات الإمام

وقالوا: إنّ الإمام قدوة في الشريعة مع جواز جهله بـبعضها، ولا يجـيزون أن يكون فيها مع جهله بجميعها وقولهم: إنّه يرجع في البعض الذي لا يعلمه إلى الأُمّة ولا يجيزون أن يرجع في الكلّ إذا لم يعلمه إلى أحد من الأُمّة ولسنا نجد فرقاً بـين حاجته إلى رعيّته في بعض ما لا يعلمه وبين حاجته إليهم في كلّ ما لا يعلمه.

بل من العجب ان يكون الإمام محتاجاً إلى من هو محتاج إليه، ومقتدياً بـرعيّة يقتدون به، لأنّ هذا عند العقلاء من المناقضة القبيحة وهو دور واضح.

ومن عجيب أمرهم أنّهم يروون عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من تولّى شيئاً من أُمور المسلمين فولّى رجلاً شيئاً من أُمورهم وهو يعلم مكان رجل هو أعلم مـنه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، أي إنّ من حكم المسلمين لزم عليه إسناد الحكم والرياسة إلى أعلمهم.

مع ذلك إنّ أبابكر وعمر لم يولّيا أيّامهما عليّاً عليه السلام مع مـعرفتهما بـكمال عـلمه، ويقدّمان الجهّال في الولايات عليه، ولا يستدلّون بذلك على خيانتهما للّه ولرسوله

وللمؤمنين[١] وإنّما نحّوه لئلّا يدرك الناس أنّه الأولى بالأمر، ولكن إذا نابتهم نائبة أو ألمت بهم مشكلة رجعوا إليه واعتمدوا عليه.. ولو أنّهم دعوه لتولّى شأن من شئونهم لما قبله وحاشاه من قبول ذلك إلّا أنّ هذا لا يمنع من نسبة الخيانة إليهم.

مسألة:

ومن عجيب أمرهم قولهم: إنّ علوم الشريعة متفرّقة في الأُمّة وأنّها قد أحاطت بها وهي الملجأ والمفزع فيها مع ما يدّعون من عصمتها، ويستعظمون قولنا أنّ الإمام هو المحيط بها والعالم بجميعها والملجأ والمفزع فيها، وهو المسدّد المعصوم دونها (وما انكروه منّا منكر منهم وما أوردوه علينا وارد عليهم في عصمة الأُمّة) ويقيمون أنفسهم في ذلك مقام المشركين الذين قالوا فيما تضمّنه الذكر المبين: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٢][٣].

مسألة:

ورووا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: خذوا ثلث دينكم عن عائشة، لا بل خذوا ثلثي دينكم من عائشة.

فيا عجباً كيف يثبت لعائشة هذا الكمال الذي تميّزت به عن الأنام واستحال مثله في الإمام[٤] (وهو مدينة علم النبي).

ومن العجب إنكارهم أن يكون خليفة رسول الله ﷺ على أُمّته والمنفّذ بعده

---

(١) التعجّب: ١٤.

(٢) ص: ٥.

(٣) لمّا ثبت عندي أنّ المؤلّف أخذ نصوصه من كتاب التعجّب ولكنّه حوّر العبارة وغيّرها بالحذف والإضافة لتكون له، رأيت نقل عبارة التعجّب أولى وإن كنت لا أهمل زيادات المؤلّف فأضعها بين قوسين.

(٤) نفسه (١٥).

أحكام شريعته حافظاً لعلوم الشريعة محيطاً بأحكام الملّة، مستغنياً في ذلك عن الرعيّة، ويدّعون أنّ شيخهم الجاحظ لعنه الله[١] على سخافته وهزله وخداعته وصلاعته وقبيح فعله ومشتهر فسقه قد عرف كلّ علم، وصنّف الرياضيّات ورسوم الأدبيّات إلّا وقد خاض فيه وعرف متصرّفاته وعجائبه ومعايبه[٢] الخ (لأنّ الجاحظ أظهر عداوة أميرالمؤمنين عليه السلام وعداوة أهل بيته وكتب في ذلك الكتب منتقصاً بها عليّاً وأهل بيته... وقد ذكر في عدّة مواضع أنّ النبيّ قال: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها[٣]) وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، اللهمّ أدر

---

(١) اللعنة التي أصابت الجاحظ من الكراجكي المؤلّف وأنا أقول: ألف ألف لعنة عليه.

(٢) نفسه: ١٥.

(٣) هذا الحديث أنكره أولاد الزواني والعواهر حتّى قال آخرهم وهو نكرة ظهر علينا في أحد مواقع الانترنت «البرهان» بصفحات تافهة جدّاً سمّاها مناظرة مجهولة الزمان والمكان والأطراف وكان لا يعبّر عن مناظريه بأسمائهم لئلا يفتضح طبعاً وإنّما يسمّيهم «سيّدهم» و«أحدهم» وهكذا، ولو كانت المناظرة صحيحة أو كان هو الغالب فيها كما يدّعي لما تردّد في ذكر أسماء مناظريه، وعلى كلّ حال اسم المناظرة «انتصار الحقّ» وصاحب القلم الذي خطّها خادم السنّة (طبعاً سنّة معاوية) مجدي محمّد علي محمّد... وفيها: أحدهم السائل: من أعلم الصحابة؟

العبد للّه: أبوبكر أعلم الصحابة.

السائل: ما دليلك على ذلك؟

العبد للّه: النبيّ قدّمه للصلاة بالناس عند مرضه الأخير ومعلوم في الفقه أنّ الذي يؤمّ القوم أعلمهم وتقديم أبي بكر للصلاة بالمسلمين أعظم شهادة من الرسول المعصوم بأنّه أعلم الناس وأفضلهم.

السائل: أليس الرسول صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعليّ بابها وهذا أدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام هو أعلم الصحابة؟

العبد للّه: هذا الحديث لا يثبت عندنا فلا يصحّ الاحتجاج به.

السائل: لكن هذا الحديث موجود في كتبكم!

←

....

العبد لله: علم الحديث عندنا ليس بالسطحيّة التي هي عليها الآخرون بل هو علم واسع أُلّفت فيه كتب ومؤلّفات لا تحصى لكثرتها، وأفنى فيه علماء كثيرون أعمارهم لجمع الحديث - إلى أن يقول: - وحديثك هذا غير ثابت.. الخ، ثمّ يعلّق عليه في الهامش: بل هو مكذوب موضوع وعند رجوعي إلى منزلي بحثت فيه فوجدته قد أورده ابن الجوزي في الموضوعات... الخ (ص ٤٠ و ٤١ و ٤٢).

صحّة الحديث:

أقول: مجدي محمّد هذا قد طبع الله على قلبه فلا حاجة إلى تذكيره لأنّه من الذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، فالحديث معه ضرب على حديد بارد، ولكنّي أُخاطب أصحاب القلوب الواعية، فأقول: الرواية أخرجها الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقّبه الذهبي في التلخيص فقال: بل موضوع، قال: وأبو الصلت ثقة، قلت: لا والله لا ثقة ولا مأمون (اه). وإنّما ضعّفوا الحديث ورموه بالوضع نظراً لرواية أبي الصلت له، وتكلّموا فيه بغير هذا الحديث وكذلك فعل ابن الجوزي فإنّه لم يورد له في الموضوعات سوى حديثين وهو منهم تحامل لا دليل عليه ولا موجب له سوى موالاته لأهل البيت كعادتهم مع غيره، فإنّه لم ينفرد بهذين الحديثين حتّى يتّهم بهما ويتحامل عليه من أجلهما.

قال السيّد الغماري: وأمّا ابن الجوزي فهو مقلّد لمن سبقه فلا ينبغي أن يعدّ في الحاكمين على الحديث بالوضع لأنّه لم يقل ذلك عن اجتهاد فهو بمنزلة العدم كحال كلّ مقلّد، ولو فرضنا أنّه حكم بذلك اجتهاداً فتساهله وتهوّره معلوم حتّى قال الحافظ فيه: إنّه حاطب ليل لا يدري ما يخرج من رأسه، وقد كثر اعتراض الناس عليه وتعقّبه فيما حكم عليه بالوضع والتحذير من الاغترار به كما بسطته في غير هذا الموضع وقد تعقّبوه على هذا الحديث كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

وأمّا الذهبي فلا ينبغي أن يقبل قوله في الأحاديث الواردة بفضل عليّ عليه السلام فإنّه سامحه الله (بل لعنه وأخزاه - المترجم) كان إذا وقع نظره عليها اعترته حدّة أتلفت شعوره وغضب أذهب وجدانه حتّى لا يدري ما يقول، وربّما سبّ ولعن من روى فضائل عليّ عليه السلام كما وقع منه في غير موضع

. . . .

⬅ من الميزان، وطبقات الحفّاظ تحت ستارة أنّ الحديث موضوع، ولكنّه لا يفعل ذلك فيمن يروي الأحاديث الموضوعة في مناقب أعدائه، ولو بسطت المقام في هذا لذكرت لك ما تقضي منه بالعجب من الذهبي ﷺ (بل لعنه الله ـ المترجم) ويكفي في ردّ كلامه أنّه قال في الميزان: عبدالسلام بن صالح الهروي، الرجل الصالح إلّا أنّه شيعيّ جلد، انتهى، فما وصفه بضعف ولا رماه بكذب ثمّ ذكر عند ذكر هذا الحديث في المستدرك: أُقسم بالله أنّ عبدالسلام بن صالح ما هو ثقة ولا هو مأمون، فكيف الجمع بين هذا وذاك ؟! وقد تعقّبه الحافظ في حكمه على هذا الحديث بالوضع في ترجمة جعفر بن محمّد الفقيه فإنّه أورد له هذا الحديث، وقال: موضوع، فتعقّبه الحافظ في اللسان بقوله: وهذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرك الحاكم أقلّ أحوالها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغي أن يطلق عليه القول بالوضع، انتهى.
وقد سبق قول الحافظ السيوطي في الجامع الكبير: كنت أُجيب دهراً عن هذا الحديث بأنّه حسن إلى أن وقفت على تصحيح ابن جرير لحديث عليّ في تهذيب الآثار مع تصحيح الحاكم لحديث ابن عبّاس فاستخرت الله تعالى وجزمت بارتقاء الحديث من مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحيح (اه).
ونقل في اللئالي المصنوعة عن الحافظ العلائي أنّه قال في أجوبته عن الأحاديث التي تعقّبها السراج القزويني على مصابيح البغوي وادّعى أنّها موضوعة، ما نصّه: حديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» قد ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات من طرق عدّة وجزم ببطلان الكلّ وكذلك قال بعده جماعة منهم الذهبي في الميزان وغيره، والمشهور به رواية أبي الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي عن أبي معاوية عن الأعمش عن ابن عبّاس، وأبوالصلت مختلف فيه لكنّه توبع فبرئ من عهدته، وأبو معاوية ثقة مأمون من كبار الشيوخ وحفّاظهم المتّفق عليهم وقد تفرّد به الأعمش فكان ماذا؟ وأيّ استحالة في أن يقول النبيّ ﷺ مثل هذا في حقّ عليّ ﷺ ولم يأت كلّ من تكلّم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب عن الروايات الصحيحة عن ابن معين في توثيقه وتصحيح حديثه ومع ذلك فله شاهد: رواه الترمذي في جامعه وسنده حسن فكيف إذا انضمّ إلى حديث أبي معاوية، ولم يأت أبوالفرج ولا غيره بعلّة قادحة سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر (اه) باختصار. راجع: أحمد بن محمّد بن الصدّيق الغماري، فتح الملك العلي، وهو كتاب جدير القرائة والحفظ، هذا ما يقوله العلماء أصحاب الدين والاجتهاد، ⬅

الحقّ معه حيثما دار.

واتفقوا على أنّ عليّاً أعلمهم، وعبدالله بن عبّاس واحد من تلامذته، فقد كان عمر مع ما هو عليه من جاه الخلافة يفتقر إليه في المسائل ويقول: «غص يا غوّاص»، واعتبر برجل تلميذه غوّاص فإنّه بالأعلميّة أولى.

وقال له عمر بغير خلاف لمّا ردّه أميرالمؤمنين عليه‌السلام عن مواضع ظهر منه فيه الأغلاط: لولا عليّ لهلك عمر.

مسألة:

قالوا عن عليّ وأهل بيته المعصومين: إنّ هذه العصمة إن كانت منهم جاز أن يقع في غيرهم فيساويهم في منزلتهم، وإن كانت من الله سبحانه فجبرهم واضطرّهم ولم يستحقّوا ثواباً على عصمتهم.

والجواب:

إنّ هذا قول باطل، لأنّها مساوية لعصمة النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وهم مع ذلك معترفون بأنّ النبيّ معصوم في التأدية والتبليغ ومعصوم عمّا سوى ذلك من جميع كبائر الذنوب في حال نبوّته وقبلها، وما يجيبون به عن عصمة النبيّ فإنّه جوابنا بعينه بلا أدنى فرق.

الجواب:

ومن العجب قولهم أنّ العصمة ثابتة لجميع الأُمّة منتفية عن كلّ واحد منها مع علمهم بأنّ آحادهم جماعتها وأنّها إذا كانت مؤمنة بأجمعها كان الإيمان حاصلاً لا حارباً، ولو كفر جميعها لكان الكفر حاصلاً مع كلّ واحد منها.

وقد قال أحد المعتزلة يوماً وقد سمع هذا الكلام: فرق بين العصمة وما ذكرت

⊃ الباحثون عن الحقّ، أمّا أعراب نجد وأتباعهم من أهل العناد كصاحب المناظرة فهم أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله.

من الكفر والإيمان، وذلك أنّ ما ثبت لكلّ واحد منها فهو ثابت لجماعتها، وليس كلّ ما ثبت لجماعتها ثابت لكلّ واحد منها، فلذلك إذا آمن آحادها كان جميعها مؤمنين، وإذا كفر آحادها كان جميعها كافرين، وليست إذا ثبت العصمة لجماعتها يكون آحادها معصومين.

فقلت له ـ الكراجكي ـ: ما رأيت أعجب من أمرك وانصرافك عن مقتضى قضيّتك إذا كان ما ثبت لكلّ واحد من الأُمّة ثابتاً لجميعها فقد ثبت عندي وعندكم الحكم على كلّ واحد منها بجواز الخطأ والنسيان وتعمّد الغلط في الأفعال والأقوال فاحكم بثبوت ذلك بجميعها وأسقط ما ادّعيت من عصمتها، فلم يدر ما يقول بعدها ...[1].

ومع هذا يجيزون الخطأ على الآحاد ويدّعون العصمة للمجموع، وما الفرق بين الآحاد في جواز اجتماعهم على الكفر وتبرئة الأُمّة من ذلك بادّعاء عصمتها ؟ وهل هذا إلّا محض عنادٍ.

ومثال ذلك الماء فإنّ النقطة منه إن كانت رطبة فينبغي أن يكون المجموع كذلك، وكذلك الزنج فإذا كان أحدهم أسود فإنّ المجموع كذلك، وهذا من صور البسائط كون حكم الجزء والكلّ واحداً بخلاف المركّب، ولمّا كان آحاد الأُمّة يجوز عليهم الخطأ فجوازه على الأُمّة كذلك وهي محتاجة إلى الإمام كآحادها، ولمّا كان جواز الخطأ في الكلّ قديماً احتاج الكلّ إلى إمام معصوم، فإن لم نفترض عصمته احتاج إلى إمام معصوم يكون عليه يردّه عن الخطأ وإلّا لاحتاج إلى إمام آخر لا يخطأ وهكذا يؤدّي الحال إلى التسلسل.

---

(١) التعجّب: ١٦. وهذا الكلام حاوٍ لكلام المؤلّف وزيادة، وإنّما نقلته بالتفصيل فلأنّ المؤلّف أخذ منه كلّ أقواله ولم يشر إلى ذلك، ورأيت ما اختزله المؤلّف لا يؤدّي المعنى المراد لصاحب الكتاب.

وإنّهم جعلوا حجّتهم في عصمة الأُمّة وفي أنّ إجماعها صواب وحـجّتهم خـبر نسبوه إلى رسول الله ﷺ وهو أنّه لا تجتمع أُمّتي على ضلال، وهذا الخبر لا يمكنهم على أصلهم أن يدّعوا فيه التواتر إذا كان غـير مـوجب لسـامعيه عـلى الضرورة بصحّته فهو لا محالة من أخبار الآحاد فهم إذاً قد جعلوا دليل الدعوى بأنّ الأُمّة لا تجتمع على ضلال قول بعضها والحجّة على عصمتها شهادة واحد منها ولم يعلموا أنّ الخلاف في قول جميعها يتضمّن الخلاف في قـول بـعضها والتـخطئة بسـائرها يدخل في التخطئة بواحدها ...[1]. ويمكن أن يكون قول هذا الراوي واجد الخطأ وكذباً فيكون إجماع الأُمّة على الكذب.

ومن عجيب أمرهم أنّهم لا يجيزون إمامة الفاسق ويجوّزون أن يكون الإمـام باطنه فاسقاً، ويحتجّون في نفي من ظهر فسقه بأنّهم لا يأمنونه على إقامة الحدود ولا يثقون به في حفظ الأموال وصرفها في الواجبات ثمّ يأتمنون على هذه الأُمور من يجوّزون عليه الفسق والفجور وارتكاب كبائر الذنـوب ومـن لا يخـيّلون أن يكون في باطن أمره على ضلال وكفر وإشراك[2].

والعجب منهم أن لا يجيزوا إمامة الفاسق معلن الفسق ويجيزون إمامة الكافر في الباطن وبناءاً على هذا لا يبعد أن يكون أئمّـتهم كافرين بـاطناً وإذا لم تجز إمـامة الفاسق فكيف تجوز إمامة الكافر[3]!

مسألة:

وقالوا: يجوز تقديم المـفضول على الفاضل، وهذا يستنكره العقلاء ويـقبّحونه

(١) التعجّب: ١٧.

(٢) التعجّب: ١٧.

(٣) وعبارة صاحب التعجّب هكذا: ومن عجيب العجيب امتناعهم مـن إمـامة مـن عـلموه فـاسقاً وتجويزهم أن يكون في باطنه كافراً... الخ (ص١٧).

وغرضهم من هذا الأمر المخالف للعقل والشرع تقديم أبي بكر الفاقد لكلّ خصلة حميدة ومزيّة مجيدة على عليٍّ وهو الأعلم والأشجع والأكمل والأكثر عملاً والأشدّ خوضاً في ميدان الجهاد ونصر دين الله[١] ومع ذلك قدّموه عليه على أنّه لا نسبة بينه وبين الإمامة، ويلزم أن يكون رعيّة فصيّروه راعياً، ومن له التقدّم جعلوه رعيّة، ومنعوه من أجل مراتبه وهي الإمامة، ولم يقبلوا أمره ونهيه، وصيّروه تابعاً للجهّال، ومَثَلُهم كَمَثَلِ الذي أعطى المعلّم للمتعلّمين يعلّمونه، والنبيّ جعله تابعاً للموالي والعبيد، وهذا شأن ينكره العقل ويقبّحه العقلاء[٢] وقد استغاث فيهم أميرالمؤمنين عليه السلام متظلّماً وشكاهم إلى الله مستعدياً فقال: اللهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم قطعوا رحمي واكفوا أثاثي وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه وفي الحقّ أن تمنعه فاصبر مغموماً أو مِتْ متأسّفاً.

ومن عجيب أمرهم تمحّلهم الباطل في الاعتذار لتقديم المفضول على الفاضل، قولهم: إنّ العاقدين خافوا أن يلي الفاضل عليهم فيرتدّ إلى الكفر قوم منهم لما في نفوسهم عليه من الأحقاد وما بينه وبينهم من الغائل والترات فوجب تأخيره وتقديم من دونه ليؤمن من وقوع هذه الحال وتسكن نفس من يخاف منهم الارتداد[٣].

---

(١) وجاء في كتاب التعجّب: «فصلٌ في أغلاطهم في إمامة المفضول»: فمن عجيب أمر القائلين بإمامة المفضول... الخ، وهو كلام نفيس جدّاً أخذ منه المؤلّف بعض عباراته ومعناه وأضاف إليه كلاماً دون مستواه (ص١٧).

(٢) أخذ المؤلّف عبارة التعجّب الجزلة الحاوية للمعنى الدقيق فتصرّف فيها تصرّفاً غير محمود حتّى مثال المعلّم والمتعلّمين فقد جاء عند الكراجكي هكذا: وما زلنا نسمع العامّة تقول: يأتي على الناس زمان يسلم فيه المعلّم إلى الصبيان ويسوق فيه البغل على الطحّان... الخ (ص١٨).

(٣) التعجّب: ١٨ ـ ١٩.

الجواب:

وهذا باطل بإرسال الرسل[1] فقد نسوا ما قد أجمعوا عليه معنا ولم يخالفونا فيه من أنّ الحكيم يجب أن يفعل أفضل الأُمور وأعلاها وأشرفها وأولاها، وإن ضلّ من ضلّ وكفر من كفر كإرساله سبحانه الأنبياء إلى من يعلم أنّهم يقتلونهم ويزدادون في غيّهم، وتبليغه أطفالاً يعلم من حالهم أنّهم يكونون كفّاراً إذا بلغهم وتكليفه قوماً قد علم انّهم يضلّون إذا كلّفهم فكيف صار من الحكمة والعدل فعل هذه الأُمور وإن ضلّ معها الجمهور، ومن الظلم والجور تقديم المفضول على الفاضل خوفاً من ضلال قليل من كثير ولا انقادوا إلى هذا الفاضل واتّبعوا في ذلك الواجب، فيكون الحجّة من خالف وعاند.

(**قال المؤلّف**[2]:) وعلى هذا ينبغي أن لا يكلّف الله عباده بطاعة أمر رسله، لأنّه عند إرسال الرسل عاندهم الناس وكفروا وارتدّوا ومع هذا فقد أرسل الله إليهم أفضل الناس.

وكذلك نقول: لولا التكليف لكان الناس في بال من الأوامر والنواهي ومثله العقل إذ لولاه لكان الناس مجانين وعاشوا في أمن من التكاليف وكان الناس جميعاً من أهل الجنّة...

جواب آخر:

إنّ الذي يدرأ الشرّ والخبث والنفاق هو اتّباع الفاضل والانقياد لأوامره ونواهيه، لكي يمتنع الفساد والارتداد، ألا ترى أنّ موسى حين أزمع الغيبة نصب

---

(١) وهنا ينبغي علينا نقل عبارة «التعجّب» لأنّها أكمل من عبارة المؤلّف وأوصل للمعنى، انظر ص١٩.

(٢) قارن بين العبارتين.

أخاه هارون على بني إسرائيل مع علمه أنّ بني إسرائيل سوف يرتدّون ويعبدون العجل واختار هارون لأنّه الأفضل لا واحداً من بني إسرائيل[١].

ويزعم الخصم: أنّ الأُمّة لو قالت لا نؤمن حتّى تخرجوا هذا المؤمن من بيننا وجب حينئذٍ إخراجه كما فعل عثمان بأبي ذر الغفاري من بين الصحابة من أجل تسلية خاطره وهو حبيب رسول الله وردّ طريد رسول الله من النفي لكي لا يضلّ الناس بزعمهم «نعوذ بالله من هذه الضلالة»:

لو سلّموا لوليّ الأمر أمرهم   يأسل[٢] بينهم في الأرض سيفان

مسألة:

ومن عجيب أمرهم اعتمادهم على هذا الاعتذار مع علمهم باختلاف الناس بأبي بكر لما تقدّم وكراهيّتهم له مع علمهم ومعرفته بما كان من أهل اليمامة لخالد بن الوليد: والله لا أطعنا لأبي فصيل أبداً، وقول خالد: والله لأرفعت السيف عنكم حتّى تتأمّروا بالفحل لالأكبر، فكان من أمرهم معه ما قد اشتهر من الحرب المبيرة والفتنة العظيمة وسفك الدم وسبي الحريم وهلاك من لا يحصى[٣].

وقالوا: السبي غنيمة وهذا الارتداد ما كان لولا تقديم أبي بكر على الناس،

---

(١) إليك عبارة التعجّب التي أغار عليها المؤلّف: أوليسوا مقرّين بأنّ الله تعالى قد علم من قوم موسى أنّهم يكفرون إذا قدّم عليهم أخاه هارون ويتّخذون العجل إلهاً من دون الله تعالى ولم ينهه عن تقديمه ولا منعه من اسستخلافه وتركه فعل الأفضل في حكمته وليس لهم أن يقولوا بأنة هو إي الله دون العباد وتقديمهم الفاضل (ص١٩) والبيت الذي ذكره المؤلّف مأخوذ من التعجّب أيضاً وهو كما يلي:

لو سلّموا لوليّ الله أمرهم   ما سلّ بينهم في الناس سيفان

(٢) كذا. والصحيح: ما سلّ.

(٣) التعجّب: ٢٠.

ومن العجب نسيانهم عند هذا الاعتذار كراهيّة الناس تقديم أبي بكر عمر عليهم، ونفورهم من نصبه عليهم حتّى حلّفوه الله عزّ وجلّ وقالوا له: ما أنت قائل إذا لقيته وقد ولّيت علينا فظّاً غليظاً، والله ما كنّا نطيقه وهو رعيّة فكيف إذا ملك الأمر فاتّق الله ولا تُسلِّطْه على الناس، فغضب وقال: أبالله تخوّفوني ؟!! أقول: يا ربّ، ولّيت عليهم خير أهلك[1]!

وهذا من العجب أن يكون تقديم هذين مع كراهة الأُمّة لهما لا يقتضي تأخيرهما وكراهيّة بعضهم لعليّ تقتضي تأخيره ...[2].

ومن العجب اعتذارهم في تأخير الفاضل بما قد اعتذروا به مع سماعهم قصّة طالوت المذكورة في القرآن وتلاوتها عليهم ما اتّصلت الأيّام ولا ينتهون بها من رقدة الضلال حيث كرهه الناس وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾[3] فلم يمنع كراهتهم له من تقديمه، وأخبر الله سبحانه بما أوجب رياسته عليهم وتقدّمه، فقال: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[4] فأخبرهم أنّ الله آتاه من علمه وقوّته اقتضى تقديمه في حكمته فكيف لم يعتبروا بهذا من قول الله سبحانه فيعلموا أنّهم على ضلال في تقديم من عرف ضعفه في علمه وجسمه على من حصل الاجتماع على أنّ الله تعالى قد جعله في

---

(١) التعجّب: ٢٠.

(٢) عبارة التعجّب: ومن العجب فضل عمر بن الخطّاب عند أبي بكر يقتضي تقديمه مع العلم بكراهيّة الناس له ولا يكون فضل أمير المؤمنين عليه السلام عند جميع الأُمّة تقتضي تقديمه عليهم وإن ظنّ كراهيّة بعضهم، الخ (ص٢٠).

(٣) البقرة: ٢٤٧.

(٤) تتمّة الآية ٢٤٧.

بسطة من العلم والجسم كطالوت في قومه[١].

مسألة:

ومن عجيب أمرهم أنّهم اعترفوا بأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام الفاضل بحكم الله أعلى الناس قدراً وأرفعهم محلّاً وذِكْراً، وأزكاهم عملاً وأولاهم بالمدح والثناء، وأنّه لا يحلّ استنقاصه ولا يسوغ ذمّه ثمّ أجمعوا مع ذلك على كفر الخارجين من طاعة أبي‌بكر واستحلال دم ما يعتد (كذا) الزكاة وسبي حريمهم ولم يقيموا للشاكّ في إمامتهم عذراً، ثمّ بسطوا عذراً للشاكّ في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام والممتنعين عن نصرته الخارجين عن وجوب طاعته كسعد بن أبي وقّاص وحسّان بن ثابت وعبدالله بن عمر ومحمّد بن مسلم وأُسامة بن زيد القاعدين عن إمامته والخاذلين الناس عن نصرته[٢].

هؤلاء الذين خرجوا على عليّ الأفضل عليه السلام نحتوا لهم الأعذار وأقاموا لهم البيّنات على أنّهم مصيبون وتابوا، نعم إنّهم تابوا ولكن في نار جهنّم كما قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ﴾[٣] وقال: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي

---

(١) التعجّب: ٢١. والعبارة التي أنقلها تزيد على عبارة المؤلّف وقد يكون المؤلّف اختصرها بسطرين ولكنّهما لا ينقعان غلّة بل ربّما أدّيا إلى تغيير المعنى وتشويهه، اللهمّ إلّا بعض العبارات التي يضيفها من عنده ربّما كانت ذات دلالة قويّة ولست أرى مانعاً في نقل العبارة التي اعتمد عليها المؤلّف واقتطع أجزاءاً منها وإن لم ترد في كتابه لأنّها أمانة في عنقي وجدت لزاماً على ردّها إلى أهلها والمؤلّف أهمل الإشارة إلى المصدر. وكأنّه هو صاحب هذه المعاني التي ألبسها ثياباً فارسيّة فقط فقد تطول وقد تقصر ونسبها إلى نفسه رحمة الله عليه.

(٢) التعجّب: ٢٣.

(٣) المؤمن: ١١.

كُنَّا نَعْمَلُ﴾(١) وقالوا: إنّ الذين قاتلوا علياً هم وإيّاه في الجنّة ومن أعدائه عـائشة وطلحة والزبير وحسّان بن ثابت ومحـمّد بن مسلمة وأُسامة بن زيد وعبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقّاص، ويعتبرون هؤلاء من أهل الجنّة وهم مجتهدون في قتالهم لعليّ وتطلّبهم لقتله وقتل أهله وبنيه وهم مصيبون أيضاً.

والعجب أنّ الشاكّ في خلافة المفضول يوجب الكفر وإباحة دم الفاضل والشكّ في خلافة الفاضل وإعلان الحرب عليه شرع ودين «فاعتبروا يا أُولي الأبصار من خرافات الأشرار» ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

(١) فاطر: ٣٧.

الباب السابع عشر

في إمامة أبي بكر على عهد رسول الله ﷺ

قال بعض المخالفين عن عائشة أنّها قالت: لمّا ثقل رسول الله ﷺ وعجز عن الخروج إلى الصلاة أمر أبابكر بأن يصلّي بالناس، فلمّا كبّر تكبيرة الإحرام سمعه النبيّ ﷺ فقام ورجلاه تخطّان في الأرض وهو متّكئ على رجلين أحدهما الفضل ابن العبّاس، فأخّر أبابكر عن المحراب.

وقال بعضهم: أتمّ أبوبكر صلاته.

وهذا غير جائز بعدد من الحُجج الجليّة:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] فإذا كان أبوبكر قد تقدّم فعلاً فإنّه خالف قوله تعالى.

الثاني: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾[2] فإذا كان أبوبكر إماماً فلابدّ من رفع صوته فوق صوت النبيّ ﷺ وهو مخالف لقول الله تعالى وذلك كفر.

---

(١) الحجرات: ١.

(٢) الحجرات: ٢.

ويقول خصومنا: إنّها كانت صلاة الصبح.

الثالث: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾(١) ولمّا كان النبيّ ﷺ عازماً على الخروج فقد كان الأجدر بأبي بكر الصبر حتّى يخرج النبيّ إليهم ولكنّه عمل على خلاف قول الله تعالى.

روي أنّ رسول الله قال: إنّ الصلاة جائزة خلف البرّ والفاجر ومع هذا لا يجيزون للفاجر أن يتولّى الإمامة العامّة وإمامة الصلاة داخلة في الإمامة العامّة إذن بالنسبة إلى إمامة الصلاة يجوز أن يكون الإمام فاجراً، وبناءاً على هذا المذهب يقتضي أن يكون هذا الشخص فاجراً وغير فاجر في نفس الوقت، وحينئذٍ يجب أن يكون الإمام العام غير مقيم لصلاة الجماعة.

قالت عائشة: ولمّا سمع رسول الله صوت أبي بكر في المسجد يصلّي بالناس جماعة قام وهو مريض واتّكأ على منكب عليّ والفضل ورجلاه يخطّان في الأرض حتّى بلغ المسجد وتقدّم وصلّى بالناس وحينئذٍ لمّا عزله الرسول في آخر أيّامه عن صلاة الجماعة فلا تكون إمامته عامّة ولا يعلمون بأنّ النبيّ حين استأنف الصلاة بعد تنحيته أبابكر دلّ ذلك على بطلان صلاته وصلاة من اقتدى به.

وقول عائشة هنا يدلّ على أنّه تقدّم للصلاة من دون إذن النبيّ وإلّا لما عزله. وحينئذٍ يمكننا الجزم بأنّه تقدّم للصلاة بتدبير عائشة حيث أرسلت إليه بلال وآذنه بالصلاة.

مسألة:

روى هؤلاء أنّه وقع تنازع بين قبيلتين من قبائل الأنصار فذهب النبيّ ﷺ ليصلح بينهما فتأخّر عن صلاة العشاء، فقدّموا عبدالرحمان بن عوف ليأمّهم في

---

(١) الحجرات: ٥.

الصلاة فجاء النبيّ واقتدى بعبدالرحمان بن عوف ولمّا سلّم لم يرض المسلمون أن يأتمّ النبيّ بواحد من أُمّته فلمّا فرغ، قالوا: يا رسول الله، أتصلّي خلف رجل من أُمّتك؟ فقال: ما يموت نبيّ من الأنبياء حتّى يصلّي خلف رجل من أُمّته ...[١].

فإن صحّت هذه الرواية كان عبدالرحمان أولى بالإمامة والخلافة من أبي بكر، لأنّه لم يعزل عبدالرحمان هنا باتفاقهم واقتدى به في الصلاة وأتمّ صلاته وهنا لم يقتد بأبي بكر وقطع صلاته. وهناك أجمعت الأُمّة على إمامة عبدالرحمان ورضيه رسول الله إماماً، وهنا اختيار عائشة وعزل رسول الله وعبدالرحمان بزعمهم مرضيّ رسول الله ﷺ، وأبوبكر صلّى صلاة متنازعاً فيها ولم يتمّها، وعبدالرحمان إمام النبيّ والأُمّة ولا شيء من هذا لأبي بكر.

مسألة:

قال الخصم: كان عليّ يعظّم الصحابة وهذا دليل على صحّة إمامتهم.

الجواب:

من الظاهر المعلوم بأنّ الحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد بن الحنفيّة وعبدالله بن عبّاس وعبدالله بن جعفر وجابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهم وغيرهم يعظّمون معاوية من أجل التقيّة وهذا لا يدلّ على صحّة إمامة معاوية، وحال عليّ مع القوم كحال هؤلاء مع معاوية ..[٢].

---

(١) أبو الفتح الكراجكي، التعجّب: ٢٢.

(٢) من المؤسف حقّاً أن يأخذ الشيخ هذا الكلام من كتاب التعجّب ويوجزه إيجازاً مخلّاً ثمّ لا يشير إلى الكتاب بكثيرٍ أو قليل، ونحن إثباتاً لما نقول ننقل لك جانباً من هذا الكلام من كتاب التعجّب: فمن عجيب أمر المعتزلة وظاهر ظلمهم ودعواهم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يمدح أبابكر وعمر في وقتهما وبعدهما، وأنّ ولده وشيعته كانوا يعظّمونهما ويثنون عليهما، ويجعلون هذه ←

ولمّا نال عليّ الحكم غيّر كثيراً من الأحكام التي ابتدعوها في الإسلام وما عجز عنه تركه على حاله كشأن نوافل شهر رمضان وكانوا يصلّونها جماعة فمنعهم عليّ عليه السلام من ذلك فصاحوا صيحة واحدة (وا عمراه نهينا من سنّة عمر) وسمّوا البدعة سنّة.

وقال عليّ عليه السلام: لو تشبّثت قدماي لغيّرت أُموراً كثيرة[1].

الدعوى دليلاً على صوابهما، ورضاء أمير المؤمنين عليه السلام وذرّيّته بتقديمهم هذا مع المروي المشتهر من ضدّ هذا، فإذا قيل لهم على وجه تسليم الدعوى: ما ننكر أن يكون ما ذكرتموه ورد على سبيل التقيّة منهم مداراة لهما في وقتهما واستعظاماً لشيعتهم من بعدهم استعظموا هذا القول واستبعدوه وأنكروه وجحدوه، فإذا سمعوا من سواهم من الحشويّة أنّ الدليل على صواب معاوية بن أبي سفيان بعد صلح الحسن عليه السلام ما ظهر من الحسن والحسين ومحمّد بن عليّ عليهم السلام وعبدالله بن العبّاس وعبدالله بن جعفر وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبي ذر الغفاري وأبي أيّوب الأنصاري وغيرهم من التعظيم له والإجلال وإظهار الاتّباع وترك الإنكار، قالوا لهم: إن كان هذا ممّن ذكرتموه على وجه التقيّة من معاوية لما كانوا عليه في أيّامه من أحكام الضرورة الملجئة إلى الاستعطاف والاستمالة ولما علموه من المصلحة في ترك المشاقّة والمخالفة فيعتمدون نظير ما ينكرون ويستعملون الاحتجاج الذي يجحدون قلّة تأمّل بوجه المناقضة وعدم انصاف وديانة.. الخ.

انظر كيف أخذ المؤلّف بعضاً من هذا الكلام الفاخر النفيس الذي ردّ به المؤلّف على المعتزلة وليس أهل السنّة والجماعة، لأنّ رأي هؤلاء في معاوية كرأيهم في الثلاثة بخلاف المعتزلة الذين يكفّرون معاوية ومِن ثَمّ صحّ احتجاجه عليهم.

(١) وهذا أيضاً أخذه من كتاب التعجّب وإليك العبارة التي اقتطف منها المصنّف عبارته: ومن العجب قولهم: إذا كان أبوبكر وعمر وعثمان قد تركوا كثيراً من الأحكام وأظهروا البدع في الإسلام فَلِمَ لَمْ يغيّر ذلك أمير المؤمنين لمّا انتهى الأمر إليه بعد عثمان ولا يطلعون أنّهم نهاهم عن الجماعة في صلاة نوافل شهر رمضان فتفرّقوا عنه وصاحوا: واعمراه نهينا عن سنّة عمر بن الخطّاب، فإذا كانت هذه حاله معهم في النهي عن أمر يعلمون أنّ عمر ابتدعه يتحقّقون أنّ النبيّ ﷺ نهى عنه وأنكره ويجعلون البدعة من عمر سنّة فكيف لو غيّر أكثر من هذا بل لو غيّر بدعهم كلّها ... الخ (التعجّب: ٢٤).

وكذلك قال: فإن ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأُخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون[١] (ولا تأس على القوم الفاسقين ـ المؤلّف).

ويظهر من هذه الأخبار أنّه عليه السلام لم يتمكّن من التغيير وإنفاذ حكمه، والدليل الأشدّ وضوحاً من هذا والأكثر صراحة من هذه الرواية الخاصّة والعامّة أنّ عليّاً عليه السلام قال: والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينطق (يزهد ـ المؤلّف) كلّ كتاب ويقول: يا ربّ، قضى عليٌّ فينا (في هذا ـ المؤلّف) بقضائك ...[٢].

ومن هنا يعلم جيّداً أنّه لم يكن قادراً على تنفيذ الأحكام الشرعيّة لذلك كان يقول لقضاته: اقضوا بما كنتم تقضون حتّى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي[٣].

مسألة:

وهم لا يجيزون التقيّة على الإمام ويقولون: هو حجّة في الحرام والحلال والخطأ والصواب والأمر والنهي، من هنا لا تجوز التقيّة عليه.

مسألة:

ويقولون: إنّ الأئمّة صفوة أخيار وطائفة أبرار والتقيّة عليهم جائزة إذا اعترضت الأسباب وإجماع الأُمّة حجّة، والأُمّة معصومة كالإمام عندنا، وما يقولونه في الجواب هنا فهو جواب لنا، ومع هذا وهم يعلمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استعمل

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٦٤ تحقيق محمّد عبده، نشر دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) نفسه: ٢٤.

(٣) رسائل المرتضى ١: ٣٩٣، تحقيق السيّد مهدي رجائي، ط دار القرآن ١٤٠٥ هـ ـ مطبعة سيّدالشهداء.

التقيّة في الشعب وفي الغار كما أنّ فرار موسى من فرعون كان محض تقيّة ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾(١) وقال تعالى: ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾(٢) كما أنّ الأنبياء مارسوا التقيّة كلّ بحسب ظروفه وما صاحبنه من قرائن الأحوال، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٣) و ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(٤) وهذه عين التقيّة، ولا تنس الصلح يوم الحديبيّة(٥).

---

(١) الشعراء: ٢١.

(٢) القصص: ٢٠.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤) الكافرون: ٦.

(٥) سبحان الله! أخذ المؤلّف هذا كلّه من كتاب التعجّب ونحن نذكر عبارة التعجّب هنا لتمكّنك المقارنة بين القولين، قال الكراجكي: ومن عجيب أمرهم قولهم كيف جازت التقيّة على الإمام وهو عندكم حجّة فيما فعل وقال به يقطع الخطأ من الصواب، وهم يعتقدون مع هذا أنّ في الأُمّة جماعة هم الصفوة الأخيار، والحجّة للّه على العباد، وبهم يعرف الحقّ والصواب، والتقيّة عليهم جائزة إذا اعترضت الأسباب، فقد أقاموهم في كونهم حجّة مع الإمام، وأجازوا عليهم من التقيّة ما لم يجيزوا على الإمام، وهذا هو جور الأحكام.

وربّما قالوا أيضاً: إذا جازت التقيّة على الإمام فلم لا تجوز على النبيّ ﷺ فإذا قرّبنا بينهما في هذا الباب قالوا ليس بصحيح لكم فرق لأنّ عندكم هما حجّتان.

إذا قيل لهم: أليس قد أجزتم التقيّة على الطائفة الأخيار والصفوة الأئمّة الأبرار الذين قولهم بعد النبيّ حجّة في الحلال والحرام فلم لا تجيزونها على النبيّ ﷺ وهما عندكم حجّتان إن تعاطوا الفرق الذي عابوا نظيره واضطرّوا للتشبّث بما أكروا إيراده.

ومن العجب إنكارهم جواز التقيّة على الأنبياء ﷺ في شيء من الأحوال مع علمهم أنّ النبيّ ﷺ استتر في الشعب والغار ومن قبله هرب موسى وأخبر الله تعالى أنّه قال: «فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ» وكلّ قد اتقى غيره من الأنبياء لكن القوم ليس من شأنهم الانصاف (التعجّب: ٢٤). فأنت ترى أنّ المؤلّف أخذ عبارات الكراجكي إلّا أنّه صاغها صياغة جديدة ونحى بها نحواً آخر فلم يحظ بإجادته ولا أفاد فائدته.

الباب الثامن عشر

فوائد تليق بهذا الكتاب

روى عبدالله بن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[1] قال: نزلت هذه الآية بشأن عليّ عليه السلام.

وروى مجاهد عن أبيه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾[2] محمّد ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ عليّ.

وروي أيضاً عن ابن عبّاس، والاتفاق حاصل على ذلك: الصدّيقون ثلاثة: حبيب بن مرّي النجّار وهو مؤمن آل يس، (مؤمن من الحواريّين ـ المؤلّف)[3] وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم.

وأجمع المحدّثون على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر[4].

---

(١) الحديد: ١٩.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) هذه الروايات الثلاث وردت تباعاً في التعجّب، وذكرها المؤلّف على التعاقب كما وردت في الكتاب المذكور إلّا أنّ المؤلّف خالفه في موضعين، قوله: «مؤمن من الحواريّين» وقوله: مجاهد عن أبيه (ص٣٤).

(٤) التعجّب: ٣٤.

ولا يسمّى أبوذر مع ذلك صدّيقاً، وجرت عادتهم على الاستهانة بأمر محبّي عليّ عليه السلام وردّ حديثه[1]، ويسمّون أبابكر خليفة رسول الله مع اعترافهم بأنّ رسول الله لم يستخلفه، فتبيّن على هذا أنّ في مذهبهم يسمّون من ليس بأمين ولا هو بقاضٍ أو عالم ولا رسولاً لرسول الله، أميناً وقاضياً وعالماً ورسولاً ....

ولمّا خرج النبيّ إلى تبوك، قال: يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، وقال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي[2].

ولم يختلفوا في هذا الحديث بشيء قطّ، ومع هذا لم يستخلف، وقد تعجّب أميرالمؤمنين عليه السلام من استقالة أبي بكر ونصّه على عمر حيث قال: فواعجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته (والغافل يعلم أنّ هذين الفعلين في غاية التناقض لأنّ الاستقالة تدلّ على التبرّي والكراهة، والنصّ على الرغبة) وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3] ... ﴿وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[4].

ومن العجب أن يؤمّر النبيّ صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد على جماعة من أصحابه فيهم

---

(١) أخذه من كتاب التعجّب: إنّ بغضهم لأميرالمؤمنين عليه السلام حملهم على تفضيل محاربيه وتبجيل أعاديه ومعانديه، وإهمال ذكر أوليائه والمنسوبين إليه من أصفيائه (ص٣٤).

(٢) سبل السلام ١: ٤٤، ذخائر العقبى: ١٢٠، فضائل الصحابة: ١٣ بثلاث طرق.. وص١٤ بثلاث طرق أيضاً، صحيح مسلم ٧: ١٢٠ بثلاث طرق.. وص١٢١، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢ و٣٠٤ بطريقين، المستدرك ٢: ٣٣٧ و٣: ١٠٩ و١٣٣، السنن الكبرى ٩: ٤٠، مجمع الزوائد ٩: ١٠٩ و١١٠ بطريقين.. وص١١١ بطريقين، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٨ و٢٩ بطريقين..، مسند الصنعاني ٥: ٤٠٦ و١١: ٢٢٦ بطريقين، مسند الحميدي ١: ٣٨، مسند ابن الجعد: ٣٠١، مصنّف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٦ بخمس طرق.. و٨: ٥٦٢، مسند ابن راهويه ٥: ٣٧، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٤ بطرق متعدّدة، خصائص أميرالمؤمنين له أيضاً: ٤٨ بطرق كثيرة، مسند أبي يعلى ١: ٢٨٦ وغير ذلك.

(٣) النحل: ٢٥.

(٤) العنكبوت: ١٣.

أبوبكر وعمر، ثمّ يموت ولم يعزله فلا يسمّى أمير رسول الله ... وقد روي أنّ أُسامة يوماً غضب على أبي بكر وقال: إنّ رسول الله ﷺ أمّرني عليك فمن استعملك عليّ، فمشى إليه هو وعمر حتّى استرضياه، فكانا يسمّيانه مدّة حياته أميراً[١].

وقال النبيّ ﷺ: هذا فاروق أُمّتي يفرق بين الحقّ والباطل[٢].

وجاءت الرواية عن النبيّ ﷺ في حقّ عليّ عليه السلام أنّ محبّته عَلَم على طيب الولادة وبغضه عَلَم على خبث الولادة[٣].

وروي في الصحيح عن رسول الله ﷺ: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلاة الخمس والبغض لعليّ بن أبي طالب[٤].

وطالما قال عليّ عليه السلام عن نفسه: «أنا الصدّيق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم».

ومن عجيب أمرهم مثل هذا قولهم أنّ عثمان بن عفّان ذو النورين واعتقادهم من نحله هذا بأنّه تزوّج بابنتين كانتا فيما زعموا لرسول الله من خديجة بنت خويلد، وقد اختلفت الأقوال فيهما: فمن قائل أنّهما ربيبتاه، وأنّهما ابنتا خديجة من سواه،

---

(١) هذا وما قبله أخذه من التعجّب: ٢٥.

(٢) اختزل المؤلّف هذا الحديث من كلام للمؤلّف نفيس نذكره لك لتكون على بصيرة من أمره: ومن عجيب أمرهم تسميتهم عمر بن الخطّاب بالفاروق وليس في نحله هذا الاسم لأحد منهم حجّة ولا لناصره شبهة، ولا ورد في رواية، ولا أوجبه لعمر دلالة، ولا هو مشتقّ من بعض أفعاله فيستحقّه على وجه الاستحقاق، ولم يسمّوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الفاروق وقد قال فيه النبيّ ويده في يده: هذا فاروق أُمّتي، يفرّق بين الحقّ والباطل (ص٢٥).

(٣) عبث المؤلّف بعبارة الكراجكي فأخذ جزءاً وأهمل أجزاء، وأضاف إليها جزءاً، وإليك العبارة من كتاب التعجّب: وروي عن ابن عمر أنّه ماكنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلّا ببغضهم عليّاً عليه السلام. وفي رواية أُخرى: إنّ محبّته عَلَم لطيب المولد، وبغضه عَلَم على خبث المولد (ص٢٥).

(٤) وهذا الحديث تناوله المؤلّف من كتاب التعجّب، وأضاف إليه الجزء الأخير من كتاب آخر، انظر (ص٢٥) أوّل الصفحة.

ومن قائل أنّهما ابنتا أُخت خديجة من أُمّها وأنّ خديجة ربّتهما لمّا ماتت أُختها في حياتها[١] ... (ولا يقولون أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ذوالنورين وهو أبو السبطين[٢].

وسمّى الله نساء النبيّ جميعاً أُمّهات المؤمنين وهم خصّوا عائشة بهذا الاسم؛ لأنّ باقي النساء لم يحاربن عليّاً عليه السلام، بينما خديجة أوّل الناس إسلاماً وأنفقت أُلوف الدنانير وجملة من الجواهر الثمينة في سبيل الله، وقال رسول الله: ما نفعني مال كمالها، ورزقني الله الولد منها، ولم يتزوّج في حياتها إكراماً لها، وكان يكثر من ذكرها والثناء عليها، ولكثرة ما كان يذكرها قالت له عائشة يوماً: تكثر من ذكر خديجة وقد أبدلك الله من هو خير منها، فقال: كلّا، والله ما بدّلت بها من هو خير منها؛ صدّقتني إذ كذّبني الناس، وآوتني إذ طردني الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقني الله منها الولد ولم أُرزق (الولد) من غيرها[٣].

---

(١) نفس عبارة التعجّب (ص٣٤) إلّا بتقديم بعض العبارات وتأخير البعض الآخر، وكلامي هنا مع الكركي حيث يقول: «قد اختلفت فيهما الأقوال... الخ» كلّا، لم تختلف فيهما الأقوال وإنّما هي فرية ظالمة أطلقها صاحب كتاب الإستغاثة وأنا أتحدّى اليوم من يأتيني بقول لعالم أو ظالم أو حتّى سوقيّ قبل صاحب الاستغاثة يقول هذا القول، ولو تبصّروا قليلاً لعلموا أنّه قول واه يحرم على أحد أن يقوله لاسيّما من نسبهما إلى هالة أُخت خديجة، فإنّ زينب عليها السلام كبراهنّ تزوّجت أبا العاص بن الربيع وهو ابن هالة أُخت خديجة فهل يجوز أن تتزوّج ابنة رسول الله أخاها من أُمّها على شريعة المجوس، وقد عالجت هذه المسألة في كتابي «فاطمة الزهراء» علاجاً كافياً شافياً وبإسهاب أيضاً، فمن أراد فليرجع إليه ليزداد علماً بالموضوع.

(٢) هذه عبارة التعجّب (ص٣٧) والمؤلّف لم ينقلها إنّما نقل جزءاً منها مسخ المعنى، فقال في ختام قوله: ومن قائل: أنّهما ابنتا خديجة من زوج آخر ويسمّون عليّاً أبا السبطين .. الخ، ولا شكّ أنّه خطأ من الناسخ أمّا إن كان من المؤلّف فقد جاء بجملة من كلام الكراجكيّ ووضعها في غير موضعها فصارت بلا معنى.

(٣) الحديث موجود في التعجّب (ص٣٦) كما أنّ معنى الكلام بجملته مأخوذ منه ولكن الاختلاف

وعائشة (وحفصة ـ المؤلّف) مذيعة سرّ رسول الله ﷺ التي شهد القرآن بأنّها وصاحبتها قد صغت قلوبهما وأنّهما تظاهرتا عليه وتحاملتا[1] ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وهو عليّ بن أبي طالب ﷺ، وقال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾[3] ويظهر من مفهوم الآية أنّهما ما كانتا مؤمنتين، ولا مؤتمنتين، ولم يكن عندهما إيمان وتوبة.

ولمّا قال لها رسول الله ﷺ: لتقاتلين عليّاً وأنت ظالمة له (مع قول الله تعالى ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[4] وكيف استحقّت هذه أن يعلن القول بأنّها أمّ المؤمنين وينادى بتفضيلها على رؤوس العالمين، فإنّا لا نعرف فعلاً استحقّت به هذا التمييز) اللهمّ إلّا أن تكون استحقّت بذلك بحربها أمير المؤمنين ﷺ ومجاهرتها بعداوته والقدح فيه[5] [وعداوتها لفاطمة ﷺ].

وإنّهم يقولون إنّ معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، ويقولون إنّه استحق بذلك بسبب أنّ أُخته أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان إحدى أزواج النبيّ الذين هنّ بنصّ القرآن للمؤمنين أُمّهات ولا يسمّون محمّد بن أبي بكر[6] ولا عبدالله بن عمر،

➲ بين المؤلّف وصاحب التعجّب في الجزء الأخير من الحديث فهو عند الكراجكي: «ورزقه الله الولد منها».

(١) عبارة التعجّب نفسها: ٣٧.

(٢) التحريم: ٤.

(٣) التحريم: ٥.

(٤) هود: ١٨.

(٥) حصرنا كلام التعجّب بالقوسين وما كان مشتركاً بينهما تركناه بلا حصر، وما جعلناه بين حاصرتين للمؤلّف وحده، وراجع ص٣٧ من التعجّب.

(٦) التعجّب: ٣٧.

والسبب في ذلك أنّ معاوية شهر السيف في وجه عليّ وأنّه قاتله.

وقال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، وبعد ظهور الإسلام استسلم معاوية قبل وفاة النبيّ بخمسة أشهر أو ستّة أشهر، وقد هرب يوم فتح مكّة إلى اليمن، يطعن على رسول الله ﷺ ويكتب إلى أبيه صخر يعيّره بإسلامه[1] بعد أن كتب إليه أبوه يستقدمه ويطلب منه أن يسلم، فكان جوابه يذكر فيه أُموراً منكرة في حقّ النبيّ[2] وطرح نفسه على العبّاس بن عبدالمطّلب فسأل فيه رسول الله ﷺ فعفا عنه ثمّ شفع له أن يشرّفه ويضيفه إلى جملة الكتاب فأجابه، وكان أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وغيره كاتباً للوحي ثلاثاً وعشرين سنة فما سمّوه كاتب الوحي وسمّوا معاوية كاتب الوحي، ولم يمرّ عليه في الكتابة إلّا ستّة أشهر، وكان كتّاب الوحي أربعة عشر كاتباً أقربهم من رسول الله وأحبّهم إليه أميرالمؤمنين عليه السلام، وقضى معاوية عمره منافقاً ناقماً على الإسلام.

إنّ مجرّد الكتابة لا يحصل بها الفضل ما لم يقارنها صحيح الإيمان لأنّه قد كتب لرسول الله عبدالله بن أبي سرح ثمّ ارتدّ مشركاً، وفيه نزل: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]، ومثله النصراني الذي كان كاتب الوحي فارتدّ من الإسلام ومات على الكفر ودفن فلم تقبله الأرض... فعل به ذلك ثلاث مرّات، ولمّا طلع الصباح وأقبلوا على قبره وجدوه مرمياً في الصحراء، فقال إخوانه النصارى: هذا من عمل محمّد وأصحابه، ولكنّهم علموا أنّ ذلك عملى دنيء لا يفعله النبيّ ولا الأصحاب بل كان على أثر ارتداده وكفره، وتركوه

---

(١) التعجّب: ٢٤.

(٢) وقد ذكر الكراجكي (ص٣٩) هذه الأُمور ومنها أبيات من الشعر أوّلها:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدرٍ أصبحوا مزقا

(٣) النحل: ١٠٦.

بلا دفن حتّى أكلته السباع، وكان معاوية واحداً من هؤلاء[١].

(والمأثور أنّ رسول الله لعنه على منبره) وأخبر أنّه يموت على غير ملّته.

وروي عن عبدالله بن عمر أنّه قال: أتيت النبيّ ﷺ فسمعته يقول: (يطلع عليكم رجل يموت على غير سنّتي) يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل من أهل النار، فطلع معاوية[٢]. [٣]

وأخذ معاوية بيد أبيه يوماً والنبيّ يخطب، فقال: لعن الله القائد والمقود...

والمشهور أنّه هلك على حالة السكر وشربه سبع سنين، ووضع الصليب في عنقه يتداوى به وكان قد طلبه من يوحنّا (كنيسة يوحنّا ـ التعجّب ٣٩) وعلّقه في عنقه.

وروي أيضاً أنّه تشافى بلحم الخنزير فأكله قبل موته، وغير ذلك.

وإذا شككت بهذه الأخبار فاعلم يقيناً أنّه قتل في يوم من أيّام صفّين سبعين صحابيّاً أحدهم عمّار بن ياسر الذي قال في حقّه رسول الله: خالط الإيمان لحمه ودمه، وقال: يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية[٤].

---

(١) هذا كلّه أخذه المؤلّف من الكراجكي وزاد عليه، وزاد في العبارة ونقص منها، ولست أدري السبب الداعي لذلك لحدّ الآن، راجع ص٣٩ من التعجّب.

(٢) نفس السياق تقريباً إلّا أنّه قدّم وأخّر في الأحاديث وخالف التعجّب في الثالث (ص٣٩).

(٣) مناقب أمير المؤمنين لمحمّد بن سليمان ٢: ٣١١، شرح الأخبار للنعماني ٢: ١٤٧، بحار الأنوار ٣٣: ١٩٠ و٢٠٩، مناقب أهل البيت للشيرواني: ٤٦٥، الغدير للأميني ١٠: ١٤١، مجمع الزوائد ١: ١١٢ وقد غيّروا في ألفاظ الحديث فجاء مكان لفظ «معاوية»، «فطلع غيره»، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦ «فطلع معاوية»، ضعفاء العقيلي ٣: ٣٧٩ وأشار إلى الحديث ولم يذكره، لسان الميزان، وأشار إلى الحديث وقال: في إسناده نظر.. ٤: ١٨٢، تاريخ الطبري ٨: ١٨٦، مؤسسة الأعلمي تحقيق نخبة من العلماء، وقعة صفّين لابن مزاحم المنقري: ٢٢٠، النصائح الكافية لمحمّد بن عقيل: ٢٦١، تقوية الإيمان: ١٣٧.

(٤) المعيار والموازنة: ٣٠٠، وأمّا الحديث الثاني فقد أخرجه عدد من الحفّاظ من الفريقين منها ⟵

وقتل أويس القرني في ذلك اليوم.

وسنّ سبّ عليّ على المنابر في المحافل، وبرأ من أهل بيت النبوّة، وحمل الناس على البراءة.

أليس شخص بهذه المثابة يكون التظلّم منه واجباً، وقال النبيّ ﷺ: عليّ سيف على أعداء الله، ورحمته لأوليائه.

وقال على المنبر: أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه(١).

وأمّا خالد فقد سمّاه أبوبكر سيف الله يوم قتل مالك بن نويرة وزنى بزوجته، ومن المعلوم عند العلماء أنّه كان السبب في قتل المسلمين في يوم أُحد، وما ابتلي به الرسول من الأذى حتّى كسرت رباعيّته وأُدمي فمه وشجّت جبهته، وقتل حمزة وسرى القتل في أنصاره، لأنّه هجم على المسلمين بمأتي راكب من ثغرة الجبل، وكمن للمسلمين حتّى إذا خلت الثغرة من الرماة ولم يبق إلّا قائدهم عبدالله بن جبير فقتله واستشهد معه جماعة من المسلمين على يد خالد بن الوليد، وما دخل على الإسلام من وهن كان من ذلك اليوم المشوم.

وكان سيفه يقتل المسلمين والنبيّ على قيد الحياة وبعد وفاته، ثمّ لمّا تظاهر بالإسلام بعثه النبيّ إلى بني خزيمة ليأخذ منهم صدقاتهم، وكان بينه وبينهم عداوة، وذحل في الجاهليّة، فخانه في عهده وخالفه على أمره، وقتل المسلمين واستعمل في ذلك ترة كانت بينه وبينهم في الجاهليّة حتّى قام النبيّ خطيباً بالإنكار عليه رافعاً إلى السماء يديه حتّى رُئي بياض إبطيه، وهو يقول: اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع

⮌ ذخائر العقبى: ٢٣٠، فضائل الصحابة: ٥١، مسند أحمد ٢: ١٦١ و ١٦٤، صحيح البخاري ٣: ٢٠٧، صحيح مسلم ٨: ١٨٦.

(١) التعجّب: ٤٠.

خالد، ثمّ أنفذ إليهم بأميرالمؤمنين عليه السلام ليلاً في فارطه وأمره أن يدني القوم ويسترضيهم، ففعل ذلك إليهم، وبلغ به مبلغاً سرى به عن رسول الله صلى الله عليه وآله[(١)].

ولمّا قبض النبيّ وأنفذه أبوبكر لقتال أهل اليمامة قتل منهم ألفاً ومأتي نفس (ألفين ومأتي نفس ـ المؤلّف) وهم على ظاهر الإسلام، وقتل مالكاً صبراً وهو مسلم[(٢)].

وأراد قتل أميرالمؤمنين بأمر أبي بكر حتّى كفاه الله شرّه.

ولمّا مضى بسوء عمله ورث ابنه عبدالرحمان عداوة أميرالمؤمنين عليه السلام وبارزه مع معاوية بالحرب وجاهر بسبّه.

والعجب من مخالفينا أنّهم يروون قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من لقي الله وفي قلبه مقت (بغض ـ المؤلّف) لعليّ بن أبي طالب لقي الله يهوديّاً (وهو يهوديّ ـ المؤلّف) وهم يعلمون بأنّ خالداً لعنه الله يبغض عليّاً عليه السلام ومع ذلك يسمّونه سيف الله.

ومن العجب أن تمنع بنو حنيفة من حمل الزكاة إلى أبي بكر ولم يصحّ عندهم إمامته فيسمّونهم أهل الردّة ويستحلّون دمائهم وأموالهم ونسائهم (ويفعل فيهم خالد ما قصصناه عليك وعلمته ـ المؤلّف) ثمّ ينكث طلحة والزبير بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام ويخرجان مع عائشة يستنفرون الخلق ويتناهون مع من تبعهم في حربه ولا يسمّون مع ذلك أهل الردّة (ولا يتحمّلون من فعلهم هذا أيّ غرم، وتصبح رممهم مشاهد تزار من أهل السنّة والجماعة، ويسمّونهم مؤمنين، وبنو حنيفة لمنعهم الزكاة عن أبي بكر يستحقّون أن ينزل بهم ما نزل) وقد بلغهم قول النبيّ صلى الله عليه وآله: حربك يا عليّ حربي، وسلمك سلمي، وقد علمنا أنّ من حارب

(١) التعجّب: ٤١، وطابقت عبارة المؤلّف ما في الكتاب إلّا ألفاظاً لم يذكرها المؤلّف لا تغيّر المعنى.

(٢) التعجّب: ٤١.

رسول الله ﷺ كافر [فيجب أنّ من حارب أميرالمؤمنين كافر كذلك][1].

والعجيب من أمرهم أنّهم يأخذون الدين وشريعة رسول الله بالقياس واجتهادات الرأي لآحاد الناس وبأهوائهم وفتاوى علمائهم متضادّة ومع ذلك يسمّون أنفسهم أهل السنّة والجماعة، والشيعة العاملون بنصوص الأئمّة المعصومين وبها يفتون ويرفضون القياس واجتهاد أهل السنّة والجماعة[2].

مسألة:

لماذا لم يدعُ عليّ إلى نفسه في خلافتهم وقد كان الدين والأُمّة معه ؟

الجواب:

لقد جاءه العبّاس، فقال: يابن أخي، ابسط يدك حتّى أُبايعك فيقول الناس عمّ رسول الله بايع ابن عمّه فلا يختلف عليك اثنان، فأجابه عليّ عليه السلام: إنّ رسول الله عهد إليّ أن لا أدعو أحداً حتّى يأتوني، ولا أُجرّد سيفاً حتّى يبايعوني، فإنّما أنا

---

(١) العبارات كلّها لصاحب التعجّب، وقد أدخل بينها المؤلّف عباراته فوضعناها بين قوسين، وما انفرد به صاحب التعجّب جعلناه بين حاصرتين، وإليك الكتب التي خرّجت الحديث (حربك حربي): رياض المسائل ١: ٤٨١، الأمالي للصدوق: ١٥٦ و٦٥٦، تهذيب الأحكام للطوسي ١: ١٠، شرح أُصول الكافي للمازندراني ٧: ١٣٤ و٨: ٣٥٣ و٣٥٤، مستدرك الوسائل ١: ١٩، الغارات ١: ٦٢، مناقب أميرالمؤمنين ١: ٢٥٠، المسترشد للطبري: ٦٢١، شرح الأخبار للقاضي نعمان ١: ٢١٦ و٣٠٦ و٢: ١٠٢ و٣٨٢ و٣٩٧، تفضيل أميرالمؤمنين: ٢٤ وقال المحقّق: انظر سنن الترمذي ٥: ٦٩٩ رقم ٣٨٧، وسنن ابن ماجة ١: ٤٥ رقم ١٥٢، ومسند أحمد ٢: ٤٤٢، والمستدرك ٣: ١٤٩.

(٢) عبارة صاحب التعجّب في هذا المعنى أفضل والمؤلّف ألمّ بالمعنى وخالف باللفظ، قال (ص٤١): ومن عجيب أمرهم أنّهم يسمّون أنفسهم بالسنّة وقد غيّروها وبدّلوها واستحدثوها بآرائهم وعقولهم ما ليس منها، ويدّعون أنّهم أهل الجماعة مع أقوالهم المختلفة وقياساتهم المتضادّة، وتكون الشيعة عندهم أهل بدعة وأقوالهم متّفقة ومعهم النصّ في كلّ حاجة.

كالكعبة أُقصَد ولا أقصد، ومع هذا فلي برسول الله أُسوة حسنة(١).

ونقول أيضاً: لمّا علم عليه السلام أنّ القوم بغاة فلا تؤثّر فيهم الدعوة لزمه حينئذٍ ترك الدعوة كما فعل هارون في قوم موسى أي بني إسرائيل، والدليل على ذلك أنّه عليه السلام لمّا وجد أنصاراً بعد مقتل عثمان دعا إلى نفسه وحاربهم.

مسألة:

أمّا كونه لم يغيّر أحكامهم فإنّه بسبب عجزه عن ذلك وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وآله المشركين في الحديبيّة لوم يختلف معهم ولم يخالفهم.

وفي يوم قتل فيه عثمان استخفى الإمام عن الناس في حائط بالمدينة لئلّا يقول الناس أنّه راغب في الأمر وطلبه لنفسه، فلمّا فرغ الثائرون من أمر عثمان أقبلوا إليه يطلبونه وغلبوه على أمره فأظهر الامتناع من القبول، فهدّدوه بالقتل إن أبى، وعبّر الإمام عن ذلك بهذه العبارة: حتّى أتى الحسنان وشققت أعطافهم وقيل لي: إن لم تجبنا ألحقناك بابن عفّان، والحقّ أنّ عليّاً لم يزل خائفاً حتّى وافاه الأجل(٢).

مسألة:

حكم عمر في قضيّة واحدة أحكاماً عدّة لا يشبه الواحد منها الآخر، وقال له

---

(١) روي هذا القول بسياقات مختلفة وإليك الكتب التي أخرجته من الفريقين: بحار الأنوار ٢٨: ٢٨٩ و٣٢٩، الغدير ٥: ٣٤٣، شرح نهج البلاغة ١: ١٦٠ و٩: ١٩٦، الدرجات الرفيعة لابن معصوم: ٨٤ وفيه بعض سياق المؤلّف ونسبه السيّد للخاصّة، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢١ و١: ١٢ الأوّل تحقيق الشري، والثاني تحقيق الزيني، الجمل للشيخ المفيد، النزاع والتخاصم للمقريزي: ٧٨، تقوية الإيمان لمحمّد بن عقيل: ٢٠٥، وبالطبع اختلفت ألفاظ هذه الرواية ولم يرد سياق المؤلّف إلّا بعض منه عند ابن معصوم.

(٢) المذكور في نهج البلاغة: فما راعني إلّا والناس عليّ كعرف الضبع حتّى لقد وطأ الحسنان وشقّ عطفاي، والمؤلّف هنا غيّر الكلام ولم نعلم من أين أخذه فصيّر الشقّ إشفاق وترجمه بـ«ترسيدم» والعطف لم يترجمه بل صيّر الجملة هكذا «وترسيدم از اعطاف ايشان» ولا أعرف ماذا يقصد بها.

يوماً رجل وقد حكم في قضيّة: أصبت والله يا أميرالمـؤمنين، فـقال عـمر: ومـا يدريك أنّني أصبت فوالله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ[١].

وقال عمر: إنّي أستحيي من الله أن أُخالف أبابكر، قال عمر هذه الجملة بعد أن أفتى في الكلالة وقال: هم الورثة غير الأولاد والأبوين، وخالف أبابكر في ذلك، وخالفه في مأة قضيّة، كما أنّه في أهل الردّة كان على خلاف مع أبي بكر ولابدّ من كون أحدهما مصيباً والآخر مخطأ، لأنّ الحقّ لا يكون إلّا واحداً، ولا حياء في قول الحقّ أو فعله[٢].

ولمّا سُئل أبوبكر عن معنى الأب، قال: أيّ سماء تظلّني وأيّ أرض تقلّني أم أين أذهب أم كيف أصنع إذا قلت بآية من كتاب الله بغير ما أراد الله[٣].

ولمّا سُئل عن الكلالة، قال: أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمن قلبي، الكلالة ما دون الولد والوالدين[٤].

---

(١) جاءت الرواية في المسترشد للطبري الشيعي على النحو التالي: قدم نصر بن عبدالله الثقفي على عمر من الطائف ومعه ناس من أصحابه، فقال لهم: لا تبدؤوا أميرالمؤمنين بشيء حتّى يسألكم، فجائه رجلان يختصمان فحكم بينهما فقالا: أصبت أصاب الله بك، فقال عمر: ومـا يـدريكما فوالله ما يدري عمر أصاب أم أخطأ.. ص٥٤١.

(٢) لا حصر في هذين الأمرين إذ قد يكون كلاهما على باطل، كما لو قال زيد: العشرة تـنقسم إلى ثلاث خمسمات وقال الآخر لا بل إلى أربعة.

(٣) العين العبرة لابن طاووس: ٩، المستجاد من الإرشـاد للـحلّي: ١١٦، تـفسير القـرطبي ١: ٣٤، ونقل عن أبي بكر الأنباري قوله: وقد كان الأئمّة من السـلف المـاضي يـتورّعون عـن تـفسير المشكل من القرآن الخ، ثمّ ساق الخبر غير إشارة إلى أبي بكر وعمر، تذكرة الحفّاظ للذهبي ١: ٣ وصاغ الرواية صياغة أُخرى تحرز كرامة أبي بكر، كشف اليقين للعلّامة الحلّي: ٦٩.

(٤) الفصول المختارة للشيخ المفيد: ٢٠٦، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٣١٢، بحار الأنوار ٤: ١٤٩.

الباب التاسع عشر

في غلوّهم في حبّ الصحابة

اعلم بأنّ القوم نسبوا الكفر والزندقة إلى الله تعالى ووضعوا الأنبياء في مقام الفاسقين والفاجرين كآدم ويونس ونوح وإبراهيم ويوسف ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان وإدريس وأيّوب عليهم السلام، فقد نسبوا إلى كلّ واحد من هؤلاء الأنبياء ما قدروا عليه من المعاصي، لاسيّما ما نسبوه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله من الهوس الجنسيّ بالنساء وأشياء أُخرى لا يحلّ ذكرها وهي مستقبحة جدّاً، وقائلها من أهل السنّة والجماعة بجميع أبعاده، وينسبون الرفض إلى من نزّه الله سبحانه واعتقد العصمة للأنبياء، ويرونه عدوّاً لهم، وهذا من فرط محبّتهم للصحابة، ويبرؤونهم من الظلم الذي لحق بأهل البيت منهم، ولا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[2] وأمثال هذه الآيات، وذلك من أجل الصحابة لأنّهم أهل خطأ وعصيان، وكانوا مشركين فرجعوا عن الشرك إلى الإسلام

---

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) ص: ٤٧.

فينسبون المعصية إلى الأنبياء ليدرؤوا العيب عن الصحابة ويصحّحون أخطائهم، ويهوّنون معاصيهم وذنوبهم، ويتمسّكون بالمتشابه من القرآن لدفع غائلة الشيعة عنهم، وما علموا أنّ الله تعالى قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[1]، ولا يرون العقل حجّة ويتمسّكون بآراء الرجال وبالقياس لقصور علمهم وكثرة جهلهم، وقد قال رسول الله ﷺ في شأنهم: إنّ من أصحابي من لا يراني بعد ما يفارقني[2].

وهم الذين تركوا خطبة النبيّ أثناء صلاة الجمعة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾[3]، وكانوا يضحكون ويسخرون وراء رسول الله وهم في صلاة الجماعة.

وتقاعدوا عن حرب بدر وكرهوا القتال حتّى أنزل الله في حقّهم: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[4].

وكانوا بمكّة يستحثّون النبيّ على الحرب والرسول يأبى، ولمّا نزل الجهاد في المدينة كرهوه وأبوه حتّى نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْ لا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[5].

وكانوا مصداق الآية التالية فقد كانوا أمام رسول الله يظهرون بمظهر الأمانة

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث بصيغه المختلفة.

(٣) الجمعة: ١١.

(٤) الأنفال: ٥ و٦.

(٥) النساء: ٧٧.

ولكنّهم يخونونه في السرّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

وتركوا الجهاد وطمعوا بالغنائم كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿لَوْ لاَ كِتَابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وفي حرب الخندق كذّبوا بوعد رسول الله وشكّوا به، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلاَّ غُرُوراً﴾[٤].

وعاهدوا الله تحت الشجرة أن لا ينهزموا فكانت هزيمتهم أظهر من الشمس كما فعلوا في حرب خيبر: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْؤُولاً﴾[٥].

وهربوا عن رسول الله في حرب حنين وتركوه مع سبعة أو تسعة من أصحابه بيد العدوّ وولّوا الأدبار: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ﴾[٦].

وقال النبيّ ﷺ: لتتبعنّ سبيل الذين من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لاتّبعتموهم، فقالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمَن إذن[٧].

---

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) الأنفال: ٦٨.

(٤) الأحزاب: ١٠ ـ ١٢.

(٥) الأحزاب: ١٥.

(٦) التوبة: ٢٥.

(٧) للحديث صيغ متعدّدة وإليك تخريجه عند الفريقين: الاقتصاد للطوسي: ٢١٣، الرسائل العشر: ←

وقال في حقّهم أيضاً: سيجيء برجال من أُمّتي فيؤخذ ذات الشمال، فأقول: يا ربي أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، ومنه قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[1]، وقال: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[2] الآية.

وقال النبيّ ﷺ: بينا أنا على الحوض إذ مرّ منكم زمر فتفرّق بكم الطرق فأُناديكم: ألا هلمّوا إلى الطريق، فنادى منادٍ: إنّهم بدّلوا بعدك، فأقول: ألا سحقاً ألا سحقاً.

وقال قبل وفاته مراراً: جهّزوا جيش أُسامة، فلم يفعلوا لئلّا تفوتهم فرصة الخلافة.

وقال في مرضه: آتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي، فقال عمر: دعوه فإنّه يهجر في مرضه.

وهؤلاء الذين أظهروا الإيمان والإسلام لم يكونوا في الباطن كما هم عليه في الظاهر، ولمّا كان عذاب نساء النبيّ في حال ارتكابهنّ للفاحشة مضاعفاً لقربهنّ

⬅ ١٢٧، دعائم الإسلام للقاضي نعمان ١: ١، خاتمة المستدرك ١: ١٥٨، الإيضاح: ٢١٠، المسترشد للطبري الشيعي: ٢٢٩، مسألتان في النصّ على عليّ للمفيد ٢: ٣٠، سعد السعود لابن طاووس: ٦٤. ومن كتب السنّة: صحيح البخاري ٨: ١٥١، صحيح مسلم ٨: ٥٨، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٢، المستدرك للحاكم ١: ٣٧ و١٢٩ و٤: ٤٥٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٧: ٢٦٠ و٢٦١ بطريقين، مسند الطيالسي: ٢٨٩، المصنّف للصنعاني ١١: ٣٦٩، بغية الباحث للحارث بن أبي أُسامة، كتاب السنّة لابن عاصم: ٣٦ و٣٧، مسند أبي يعلى ١١: ١٨٢، صحيح ابن حبّان ١٥: ٩٥، المعجم الكبير ٦: ١٨٦ و١٧: ١٣، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٦، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٤٠١، كنز العمّال ١: ٢١١ رقم ١٠٥٩ وغيرها كثير.

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الآية نفسها.

من النبيّ كان عذاب الصحابة كعذابهنّ لأنّ سبب المضاعفة واحد، قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[١] ويقولون: إنّ بعضهنّ تُبْنَ ممّا جرى منهنّ، ولكن الكفر مشهور، والتوبة مظنونة، والمقطوع به لا يعارضه المظنون.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

ردّوا الجهّال إلى السنّة وعليكم بالمجمع عليه فإنّه لا ريب فيه[٤].

وينكرون العقل والشرع في الحكم بالجنّة لعائشة وحفصة بمجرّد إثبات الزوجيّة لهنّ، ألا يعلمون ما قاله الله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾[٥] واسم امرأة نوح والعة، واسم امرأة لوط والهة، ودخل كلاهما النار ولم تغن عنهما نبوّة زوجيهما.

وجائت هذه الآية في حقّ ابن نوح: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[٦].

---

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) الزخرف: ٨٦.

(٤) ورد الحديث في الكافي على النحو التالي: خذوا بالمجمع عليه فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه.
وهذا القول من المؤلّف مأخوذ من كلام للكراجكي في المعنى، قال: وأحسن أحوالها ـ ما ورد في توبة القوم ـ أن توجب الظنّ لسامعها من غير علم ويقين يحصل بها، وينتقلون بها من اليقين إلى الظنون، وينصرفون من المعلوم إلى المجهول، يوالون بالظنّ من عاداه باليقين (التعجّب: ٣٠).

(٥) التحريم: ١٠.

(٦) هود: ٤٦.

وقال النبيّ ﷺ: يا فاطمة بنت محمّد، اعملي فإنّي لا أغني عنك من الله شيئاً. يا عبّاس، يا عمّ رسول الله، اعمل فإنّي لا أغني عنك من الله شيئاً[١].

وخاطب الأُمم وهو على المنبر: أيّها الناس، لا يدّعِ مُدّع ولا يتمنّ متمنٍّ والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا ينجي عمل إلّا مع رحمة الله، ولو عصيت لهويت، اللهمّ هل بلّغت ـ قالها ثلاثاً ـ وهؤلاء لا تظلّهم هذه الآية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ ـ إلى ـ عَشِيرَتِهِمْ﴾[٢].

ومن عجب أنّهم يكرهون خروج فاطمة عليها السلام من بيتها إلى مسجد أبيها ولا تعدل المسافة خمسة أذرع، تطالب بحقّها في فدك، ويحسنون خروج عائشة مع عشرة آلاف مقاتل من الرجال من اقليم إلى اقليم، ويصوّبون فعلها، ويرون أنّها تائبة، فبُعداً للقوم الظالمين.

ومن العجب قول المعتزلة أنّ سلمان قبل ولاية المدائن من عمر وهذا دليل على صحّة إمامة عمر[٣].

---

(١) تجد صيغة لهذا الحديث فيها اختلاف مع صيغة المؤلّف؛ أحاديث عائشة ٢: ٢٩٥.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) ورد هذا القول في التعجّب بصورة أحلى وأجلى: ومن عجيب أمر المعتزلة وظاهر مناقضتهم أنّهم يجعلون تصرّف بعض وجوه الشيعة في الصدر الأوّل من قبل عمر بن الخطّاب في الظاهر دليلاً على موالاتهم القوم في الباطن كولاية سلمان المدائن وعمّاراً الكوفة، ويقولون: لو لم يتوالوهم ويعتقدوا صوابهم ما تصرّفوا تحت واحد منهم ولا تولّوْا عملاً من قِبَل من هو ظالم عندهم، ولا يلتفتون مع هذا إلى اعتقادهم أنّ الخيرة من أصحاب رسول الله ﷺ تصرّفوا من قِبَل معاوية بن أبي سفيان وأظهروا اتّباعه وسمّوه بإمرة المؤمنين وعظّموه وأجلّوه ومعاوية عند جميع المعتزلة ظالم فاسق يستحقّ الخلود في نار جهنّم، ويعلمون أنّه عقد لابنه يزيد الإمارة على وجوه الصحابة في حياته. وأنفذهم إلى قتال الروم تحت رايته حتّى بلغوا قسطنطنيّة ممتثلين أمره، منقادين إلى طاعته، متصرّفين تحت حكمه وتدبيره، منهم عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر .. الخ. (ص٣٢)

مسألة:

معاوية في مذهبنا كافر وفي مذهبهم فاسق، وكان الصحابة بأجمعهم يعظّمونه ويدعونه بأميرالمؤمنين، وكانوا يقبلون ولايته على الولايات والأقاليم، وذهبوا إلى قتال الروم تحت إمرة يزيد وبلغوا القسطنطينيّة منهم عبدالله بن العبّاس وعبدالله ابن عمر وعبدالله بن الزبير وأبو أيّوب الأنصاري وأبو هريرة وعمرو بن العاص وأمثالهم، وكان أبو هريرة قاضياً لمعاوية ووالياً على المدينة من قبله وغالب بن فضالة والياً على خراسان والمغيرة بن شعبة على الكوفة وسمرة من قِبَل عبيدالله بن زياد على البصرة[1]، والعجب أنّهم لا يقيمون العذر عن هؤلاء ولا يستدلّون بهم على إيمان معاوية وإسلامه لأنّه كافر عند جماعة من المعتزلة «وأنا أيضاً على ذلك من الشاهدين» ونستنتج من ذلك أنّ وضع سلمان مع عمر بن الخطّاب كوضع أولئك مع معاوية.

(١) تابع هذا الكلام عند الكركيّ ثمّ اعجب من المؤلّف الذي لم يشر إلى المصدر بحرف واحد وقد أخذ كلّ هذا منه: وكذلك جماعة ممّن يفضّلهم المعتزلة قد تصرّفوا من قبل معاوية مثل أبي هريرة في ولايته على المدينة، وغالب بن فضالة الذي تولّى إماره خراسان والمغيرة بن شعبة الذي كان أميراً على الكوفة وسمرة الذي كان أميراً من قِبل زياد على البصرة، وكلّ ما علم من تصرّف شيوخ المعتزلة من قبل الولاة الظلمة في قضاء وعمّاله بل يقيمون لهم المعاذير ويخرجون لهم الوجوه التي لا تجد مثلها في تولّي سلمان وعمّار من قِبَل عمر بن الخطّاب... الخ. (ص٣٢)

الباب العشرون

في أسمائهم وصفاتهم

وهم يدّعون بأنّ ولائهم لأهل البيت أكثر من ولاء الشيعة، ومودّتهم تزيد على مودّتهم لهم، ومع هذا فهم ينبزون بالرفض من يذكر منقبة من مناقب أهل البيت أو فضيلة من فضائلهم، وإذا نسبها إلى شيوخهم صدّقوه وقالوا: حرام ذكر تقديم ذكر عليّ على الشيوخ.

وروي أنّه قال رجل لعليّ عليه السلام: أُحبّك وأتولّى عثمان، فقال له: الآن أنت أعور فإمّا أن تعمى وإمّا أن تبصر[1].

وإذا سمعوا من يقول: اللهمّ العن ظالمي آل محمّد، يغضبون ويقولون: هذا تعريض ورفض وتشرّد وبغض والمسلم لا يكون لعّاناً، والأفضل من اللعن التسبيح، ومع ذلك يلعنون الشيعة اللعن الصريح..[2] (ويقولون اللعن حرام والتسبيح أولى من اللعن، ويلعنون الشيعة والمعتزلة.. المؤلّف).

ومن عجيب أمرهم وظاهر بغضهم لأهل البيت عليهم السلام أنّهم إذا ذكروا الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام الذي هو ولد رسول الله وريحانته وقرّة عينه والذي نحله

---

(١) الصوارم المهرقة: ٢٤٨.

(٢) التعجّب: ٤٢.

الإمامة وشهد له بالجنّة حذف من اسمه الألف واللام ويقال: حسن بن عليّ ولأولاده أولاد حسن استصغاراً له واحتقاراً لذكره، ثمّ يقولون مع ذلك: الحسن البصري، فيثبتون في اسمه الألف واللام إجلالاً له وإعظاماً وتفخيماً لذكره وإكراماً، وذلك أنّ هذا البصري كان متجاوزاً عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وهو القائل في عثمان قتله الكفّار وخذله المنافقون، ولم يكن في المدينة يوم قتله إلّا قاتل أو خاذل، فنسب جميع المهاجرين والأنصار إلى الكفر والنفاق[١].

وحاصل الكلام أنّهم لو كانوا يحبّون أهل البيت لم يحملوا في قلوبهم هذه العداوة لهم ولابدّ من أن يكون الصديق صديق الصديق وهنا نرى القضيّة بعكس ذلك «والحسن البصريّ تخلّف عن الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام (تخلّف عن عليّ والحسن والحسين ولمّا وقف على واقعة الحسين خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجّاج إلى خراسان.. ـ المؤلّف)[٢].

ويقال أنّ في ديار العرب مدينة تسمّى قرطبة يأخذ شبابها في ليلة العاشور رأس بقرة ميتة ويجعلونه على عصًى ويحمل ويطاف به في الشوارع وقد اجتمع حوله الصبيان يصفقون ويلعبون ويقفون به على أبواب البيوت (ويغنّون) ويقولون: يأمسه العروسة اطعمينا المطنفسة، يعنون القطائف، وأنّها تعد لهم

---

(١) لمّا أخذ المؤلّف محتوى كلامه كلّه من كتاب التعجّب آثرنا عبارة صاحب التعجّب لأنّها أكثر تأدية للمعنى، وعبارة المؤلّف قاصرة وإليكها: وإذا ذكروا الحسن والحسين حذفوا من اسميهما الألف واللام تحقيراً، فإذا ذكروا اسم الحسن البصريّ ألصقوا به الألف واللام لأنّ الحسن البصري من أعداء أهل بيت النبيّ.. الخ. راجع التعجّب ص٤٣ وقارن بعبارة المؤلّف.

(٢) التعجّب: ٤٣ ولم يذكر واقعة الحسين التي ذكرها المؤلّف وربط بها خروج الحسن مع قتيبة بل قال: ثمّ خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجّاج إلى خراسان... الخ وما الذي يقصده المؤلّف في واقعة الحسين: هل يريد واقعة كربلاء فأين هي من زمن الحجّاج، والذي أراه أنّ الخطأ من الناسخ وقد سقطت جملة أو جملتان من العبارة.

ويكرمون ويتبرّكون بما يفعلون... ويعنون به رأس الحسين[١]، والمشهور أنّ سنّة العراق وخراسان يكتحلون يوم عاشوراء ويطبخون الحبوب من سبعة أصناف ويطبخون الطعام الفاخر المتنوّع ويتزيّنون بألوان الزينة ويلبسون أفضل الثياب، وهذا هو الحبّ الذي حدّثونا عنه حيث يجعلون اليوم الذي قُتل فيه آل الرسول يوم فرح واستبشار ويسمّونه عيداً مع وجود آية: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢] في القرآن يتلونها ولكنّهم لا يعملون بها لأنّ أئمّتهم لشدّة عداوتهم لأهل البيت يزعمون أنّها من المنسوخ وهذه الآيه تكذب ما ادّعوه لأبي بكر من أنّه أنفق ماله على رسول الله وعلى أصحابه.

بيّنة:

لا يزال أولاد قتلة الحسين معروفين بالشام إلى اليوم وهم معظّمون ومكرّمون عندهم بمثابة سادات بني هاشم فمنهم في الشام بنو السراويل لأنّ جدّ جدّهم نهب سراويل الحسين عليه السلام.

وبنو السرج وهم أولاد الذين أسرجوا خيولهم وداسوا صدر الإمام وكسروا عظامه، ووصل بعض هذه الخيل إلى مصر فقلعت نعالها من حوافرها وسمّرت على أبواب الدور للتبرّك بها وجرت بذلك السنّة عندهم حتّى صاروا يتعمّدون على نظيرها على أبواب دور أكثرهم.

وبنو سنان وهم أولاد الذي حمل الرمح الذي على سنان رأس الحسين عليه السلام.

وبنو الملحي وهم الذين ذروا الملح على جسد الحسين.

وبنو الطشتي وهم الذين وضعوا رأس الإمام بالطشت.

---

(١) نفس عبارة التعجّب: ٤٤، والحقّ أنّي أدركني التعجّب من المؤلّف لعدم إشارته إلى الكتاب.

(٢) الشورى: ٢٣.

وبنو القضيبي وهم أولاد الذين أتوا بالسوط إلى يزيد لعنه الله ليضرب ثنايا الحسين وهي مقبل النبيّ ﷺ.

وبنو الدرجي فأولاد الذي ترك الرأس في درج جيرون.

وبنو المكبّري فهم أولاد الذي كان يكبّر خلف رأس الحسين وهو بدمشق مع بني الملحي معروفون. ونظم شاعر هذا المعنى فقال:

جاؤوا برأسك يابن بنت محمّد	*مترمّلاً بدمائه ترميلا*
وكأنّما بك يابن بنت محمّدٍ	*قتلوا جهاراً عامدين رسولا*
قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا	*في قتلك التنزيل والتأويلا*
ويكبّرون بأن قُتِلت وإنّما	*قتلوا بك التكبير والتهليلا*

وقد بلغنا أنّ رجلاً قال لزين العابدين عليه السلام: إنّا لنحبّكم أهل البيت، فقال عليه السلام: أنتم تحبّونا حبّ السنّورة من شدّة حبّها لولدها تأكله.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا أوّل من يجثو يوم القيامة للخصومة ..[1].

ولا يحاولون مسائلة أنفسهم عن هذا الحقد على عليّ وأهل بيته ما سببه؟ ومن أين أتاهم؟ وما هي دواعيه التي حملتهم على لعنه على منابرهم ألف سنة فلم ينكر عليهم مسلم واحد، ولم يردّ عليهم بقول أو عمل، ولم يسائلهم عن المبرّرات المبيحة للعنه وكيف استحقّها، وهنا من يلعن ظالمي عليّ أو ينطق به لسانه يهبّون فوراً لخصومته.

فصلٌ

ومن أعاجيبهم أنّهم زعموا أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ في جنبي عمر ملكين

---

(١) تجد هذا كلّه سوى الشعر موجوداً في التعجّب (ص٤٦) فما قبلها، وذكر ابن شهر آشوب أنّ الشعر لخالد بن معدان (المناقب ٣: ٣٦٣).

يسدّدانه ويتّقيه، وإنّ ملكاً ينطق على لسانه مع أنّهم ينسبون إلى رسول الله وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام ويبرؤون ساحة عمر من المعاصي لحبّهم إيّاه ولأنّهم غاية في الجهل، وتناسوا إسلامه يوم أسلم وهو سكران، وعبادته لثلاثمائة وستّين صنماً.

وفي يوم الحديبيّه شكّ في نبوّة محمّد ـ كما مرّ ـ حتّى آذى النبيّ فاستقبل عمر قائلاً له: أين كنتم يوم أُحد إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم (والرسول يدعوكم)[1] ويوم الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[2].

ولمّا راى عمر لعنه الله غضب رسول الله قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، والله يا رسول الله إنّ الشيطان ركب على عنقي، فكيف يركب الشيطان على عنق من بيني عينيه ملك (ملكان) يسدّده ؟!

فلمّا كان يوم الفتح أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله مفتاح الكعبة وقال: ادعوا لي عمر، فلمّا أتاه قال: أي عمر، هذا الذي كنت قلت لكم، وكذلك لمّا عرّف في حجّه الوداع أحضره وقال له مثل ذلك. وروي عن عمر أنّه قال: ما شككت مثل يومئذٍ[3] وهذا من العجب أنّ النبيّ يحتاج إلى الوحي وملكان يلازمان عمر.

(ومن عجيب أمرهم في مثل هذا دعواهم أنّ النبيّ قال:) إنّ الله ضرب الحقّ على لسان عمر وقلبه، فكيف يصحّ هذه الدعوى وقد تكلّم في إمارته في الحدّ بسبعين قضيّة يخالف بعضها بعضاً، وقال: لا تغلوا في مهور النساء فتجاوزوا أربعمائة درهم حتّى قامت إليه امرأة فقالت: كتاب الله أحقّ أن يُتّبع أم قولك ؟ قال:

---

(١) اقتباس من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

(٢) الأحزاب: ١٠.

(٣) التعجّب: ٥٩ و٦٠.

بل كتاب الله ، فتلت عليه قول الله تعالى : ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾[1] ، فقال لمّا استمع ذلك : ثكلتك أُمّك يا عمر ، كلّ أحد أفقه منك حتّى النساء[2] (وعند المؤلّف أنّ عمر قال) : ما علمت بهذا . فقالت المرأة : ثكلتك أُمّك يا عمر ، كلّ واحد أفقه منك حتّى النساء .

وحكم يوماً بين رجلين فقال أحدهما : أصبت يا عمر ، فقال : لا يعلم عمر أصاب أم أخطأ بل الله يعلم ذلك .

ورووا عن النبيّ أنّه قال : ما من أحد إلّا وله شيطانان يلازمانه[3] ، فاستبدلوا الملكين بالشيطانين الملازمين لعمر بن الخطّاب الحاضرين لدى عينيه ، ولكن أين كان هذان الملكان يوم كان مشركاً يعبد اللات والعزّى ؟!

مسألة :

وممّا يقدح في عمر ما قاله في أهل الشورى التي لا يقولها أحد في أحد «وقال لكلّ واحد قولاً لا يصحّ معه أن يرد إليه إمارة مدينة ولا تدبير ضيعة ..»[4]

---

(١) النساء : ٢٠.

(٢) التعجّب : ٦٠.

(٣) المروي عن النبيّ وجاء في عوالي اللئالي ٤ : ٩٧ : ما منكم أحد إلّا وله شيطان ، فقيل له : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : وأنا ولكن أعانني الله عليه فأسلم ، ونسبه محقّق الكتاب إلى أحمد بن حنبل ١ : ٢٥٧ س٢ وقال : قيل معناه : إنّ شيطاني أسلم أي صار مسلماً فلم يعارضني في شيء ، وقيل معناه : أنّي أسلم منه بإعانة الله تعالى لي عليه فلم يضرّني بشيء ، وكأنّه أراد بالشيطان هنا القوّة الوهميّة المخالفة لأحكام العقل كما تقوله أهل الإشارة ، لأنّهم يقولون أنّ المراد بآدم العقل وبإبليس هو الوهم والمراد بالملائكة باقي القوى الإنسانيّة الظاهره والباطنة ، والمراد بالسجود الإذعان والطاعة (ص٩٧) . وأقول : فات المحقّق عن أن يسأل أهل الإشارة عن حوّاء وما من شكّ سوف يقولون : إنّها النفس رجماً بالغيب ، إذ لا دليل على هذا إلّا الأوهام والتخرّصات .

(٤) التعجّب : ٦٠ . قارن بعبارة المؤلّف .

(لا يصحّ معه مع وجود هذه العيوب التي نسبها إليه أن يسند إليه إدارة بيت أو خوان طعام أو أتون حمّام، فما بالك بملك العالم ـ المؤلّف). ومع ذلك فقد عهد إليه بإدارة الحكم وإمامة الناس. فدعا طلحة ووصفه بالنخوة والكبر، والزبير بالجفاء، وقال عنه: مؤمن الرضا كافر الغضب، ووصف سعداً بأنّه صاحب مقنب وقتال، وأنّه لا يقوم بتدبير قرية[1] (وعبدالرحمان بضعفه ـ التعجّب) ووصف عثمان بأنّه يحمل أهله على رقاب الناس وقال: إنّ روثة خير منه، ووصف عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأنّه ذو لطافة وفكاهة (وبطالة) يقول هذه الجمله الخبيثة في إمام معصوم مفترض الطاعة على العالم، وكان يقول ـ وعليّ حاضر والحسنان والعبّاس ـ دائماً: لو كان سالم مولى حذيفة ا بن اليمان حيّاً ما يخالجني فيه الشك (وبحضرته أميرالمؤمنين والعبّاس فتخالجه الشكوك فيهما..) ولم يدركه الحياء من أهل بيت النبيّ مع عصمتهم وطهارتهم وجعل الأمر شورى بين المسلمين فلا هي من الله ولا من رسوله.

وأعجب من هذا ما قاله في مرشّحيه للخلافة: إن اختلفوا ثلاثة وثلاثة فالحقّ في الثلاثة التي فيها عبدالرحمان واقتلوا الثلاثة الأُخرى !! (لأنّه يعلم أنّ هوى عبدالرحمان مع عثمان وليس مع عليّ عليه السلام لأنّ بين الاثنين عبدالرحمان وعليّ عداوة، وبينه وبين عثمان صداقة وصهر، وقال: اقتلوا التي ليس فيهم عبدالرحمان، فهل هذا إلّا قصد لقتل عليّ...[2]).

---

(١) أخطأ المؤلّف في فهم العبارة فترجم المقنب بالمقت أي الكره، والقتال بسوء الأفعال هكذا: «وسعد را صفت كرد به مقت وافعال بد!!» راجع ص٨٩ من الكامل وص ٦٠ من التعجّب. والمقنب جماعة الخيل والفرسان، وقيل هي دون المائة، وتُقرأ بالكسر. لسان العرب ١: ٦٩٠ بتصرّف.

(٢) هذه عباره المؤلّف وهي نفس عبارة التعجّب لكن بإجراء شيء من التغيير، راجع ص٦٠ من التعجّب.

وأعجب منه حين يأمر بقتل جماعة يزعمون أنّهم من أهل الجنّة بدون ذنب جنوه ولا جريمة ارتكبوها: إنّها الجرأة على الدماء وعلى محظورات الدين.

ومن العجب قوله الحقّ في الثلاثة التي فيها عبدالرحمان مع سماعه قول النبيّ ﷺ: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور حيثما دار[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٨٨ و١٨: ٧٢.

الباب الواحد والعشرون

في بعض فوائد كتاب الفتوح لأبي محمّد أعثم الكوفي

اعلم: أنّ ابن الأعثم من علماء أهل السنّة وهو متعصّب لهم إلى الدرجة التي يقول فيها في كتاب الفتوح هذه رواية أهل السنّة ولا أروي الروايات الأُخرى لأنّي أخشى أن تقع بيد الشيعة فتكون حجّة علينا.

ويقول في أوّل كلام السقيفة إسناداً إلى الهيثم مالك بن التيّهان الأنصاريّ[1] أنّ رسول الله لمّا توفّي شمت فيه اليهود والنصارى وأظهر المنافقون الذين كانوا حول المدينة مردوا على النفاق نفاقهم وهبوا لإتلاف الدين ولكن لم يشر إلى هؤلاء المنافقين من أيّ فرقة هم، أمّا عبدالله بن سلول فقد هلك في عهد النبيّ وقد أخبر

(١) يبدأ كتاب الفتوح بقول المؤلّف: الحمد للّه ربّ العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلّا على الظالمين وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد خاتم النبيّين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين: إنّ رسول الله لمّا توفّي قام بالأمر بعده الإمام أبوبكر الصدّيق وقد بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه النبيّ بسقيفة بني ساعدة... الخ، ولم يذكر ابن التيّهان الأنصاريّ هذا. راجع الفتوح ١: ٣ط دار الكتب العلميّة ١٤٠٦ ـ أُولى، تقديم وتعليق نعيم زرزور، والكتاب طالته يد التحريف وغيّرت حتّى عباراته ووردت فيه كلمة مليون وهي كلمة لم تعرفها العربيّة إلّا في العصر الحديث.

الله تعالى عن هذا الوضع بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ -إلى قوله- فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ (١) ونظير هذه الآية فتبيّن من هذا أنّ ظهور النفاق لم يكن سوى أبي بكر وجماعته، فقال قال: أيّها الناس (من كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لم يمت، ومن كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات)... ألا وإنّ محمّد قد مضى لسبيله ولابدّ لهذا الأمر من قائم يقوم فدبّروا وانظروا وهاتوا رأيكم (رحمكم الله) فناداه الناس من كلّ جانب: نصبح ونظر في ذلك إن شاء الله.

فلمّا كان من الغد انحازت طائفة من المهاجرين إلى أبي بكر وانحازت طائفة من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وجلس عليّ بن أبي طالب مغموماً بأمر النبيّ ﷺ وعنده نفر من بني هاشم وفيهم الزبير بن العوام (٢).

ثمّ قال: وكان أوّل من تكلّم يومئذٍ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقال: يا معاشر الأنصار، إنّكم إذ قدّمتم اليوم... (٣) (قريشاً) صاروا مقدّمين عليكم إلى يوم القيامة (وأنتم الأنصار في كتاب الله تعالى وإليكم كانت الهجرة، وفيكم قبر النبيّ ﷺ) فأجمعوا أمركم على رجل تهابه قريش وتأمنه الأنصار. قال: فقالت الأنصار: صدقت يا خزيمة، إنّ القول لعلى ما تقول: رضينا بصاحبنا سعد بن عبادة....

ثمّ وثب أُسيد بن حضير الأنصاريّ الأوسيّ (ونصح نصائحه ثمّ قال:) إنّ هذا الأمر في قريش دونكم فمن قدّموه فقدّموه، ومن أخّروه فأخّروه، قال: فوثب إليه نفر من الأنصار فأغلظوا له في القول وسكّتوه فسكت.

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الفتوح ١: ٣ و٤.

(٣) قال الناشر: بياض في الأصل.

ثمّ وثب بشير بن سعد الأنصاريّ الأعور وكان أيضاً من أفاضل الأنصار ـ فقال: (إنّما أنتم بقريش وقريش بكم، ولو كان ما تدّعون حقّاً لما اعترض عليكم فيه، فإن قلتم بأنّا آوينا ونصرنا فما أعطاهم (الله) خير ممّا أعطيتم فلا تكونوا كالذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار جهنّم، الآية. (وكان يميل لتقديم قريش).

ثمّ وثب عويمر بن ساعدة الأنصاريّ ـ وهو من الذين أنزل الله فيهم في مسجد قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1] ـ فقال: يا معشر الأنصار، إنّكم أوّل من قاتل عن هذا الدين فلا تكونوا أوّل من قاتل أهله عليه، فإنّ الخلافة لا تكون إلّا لأهل النبوّة فاجعلوها حيث جعلها الله (جعلوها) فإنّ لهم دعوة إبراهيم.

قال: ثمّ وثب معن بن عدي الأنصاري فقال ـ وكان هواه في أبي بكر ـ: (يا معشر الأنصار، إن كان هذا الأمر لكم من دون قريش فخبّروهم بذلك حتّى يبايعوكم عليه، وإن كان لهم من دونكم فسلّموا لهم فوالله! ما مات رسول الله ﷺ حتّى صلّى بنا أبوبكر فعلمنا أنّه رضيه لنا لأنّ الصلاة عماد الدين[2]؟

فبينا الأنصار كذلك في المحاورة إذ أقبل أبوبكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجرّاح وجماعة من المهاجرين فإذا هم بسعد بن عبادة قد زمل بالثياب في سقيفة بني ساعدة من علّة كان يجدها في بدنه، قال: فقعد المهاجرون وسكتوا ساعة لا يتكلّمون بشيء، فتكلّم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ... فقال: يا معاشر

---

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) أعرض المؤلّف عن هذاالكلام ولقد أجاد في ذلك لأنّ أبابكر لم يأمره النبيّ بالصلاة وهذا كلام موضوع.

المهاجرين، لقد علمتم وعلمنا أنّ الله تبارك وتعالى بعث نبيّه محمّداً ﷺ وكان في بدء أمره مقيماً بمكّة على الأذى والتكذيب لا يأمره الله عزّ وجلّ إلّا بالكفّ والصفح الجميل، ثمّ أمره بعد ذلك بالهجرة وكتب عليه القتال، ونقله من داره، فكنّا أنصاره وكانت أرضنا مهاجره وقراره، ثمّ إنّكم قدمتم علينا فقاسمناكم الأموال، وكفيناكم الأعمال، وأنزلناكم الديار، وآثرناكم بالمرافق؛ فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام.

إلى أن قال: وقد خرج من الدنيا ولم يستخلف رجلاً بعينه وإنّما وكل الناس إلى ما وكلهم الله إليه من الكتاب والسنّة الجامعة، والله تبارك وتعالى لا يجمع هذه الأُمّة على الضلال ...[1].

جواب:

إذا كان النبيّ توفّي ولم يستخلف فكيف صار أبوبكر أولى بها من بني هاشم والأنصار؟! فإن كان قرشيّاً فإنّ عليّاً قرشيّ وهاشميّ وعالم. وأبوبكر ليس بهاشميّ.

جوابٌ آخر:

فمن دعاه خليفة رسول الله فقد كذب على رسول الله لأنّه خليفة الصحابة فينبغي أن يخاطب بهذا الاسم وإلّا فإنّه مسئول يوم القيامة عن هذه التسمية بالضرورة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسؤُولُونَ﴾[2].

نعود إلى قصّة السقيفة: فلمّا فرغ ثابت بن قيس من كلامه أقبل عليه أبوبكر فقال: يا ثابت، أنتم لعمري كما وصفت به قومكم لا يدفعهم عن ذلك دافع، ونحن الذين أنزل الله فينا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً

---

(١) الفتوح ١: ٤ و٥ و٦.

(٢) الصافّات: ٢٤.

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١) وقد أمركم الله في آية أُخرى أن تكونوا معنا حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢).

جواب:

وصف الله تعالى المهاجرين هنا بالفقراء ويزعم الخصوم أنّ أبابكر لم يكن فقيراً بل كان موسراً متمكّناً، ومثله عثمان؛ لأنّ أبابكر ـ كما يزعمون ـ أنفق أربعين ألف درهم في المدينة، وعثمان جهّز جيش العسره فهيّأ لهم عُدّة الحرب من الزاد والراحلة، وعلى هذا فمن يملك هذه الأُلوف من الدراهم وهذه القدرة على تجهيز جيش لا يعتبر من الفقراء، فعلم من هذا أنّ الآية لا تشملهما بناءاً على ما ادّعاه الخصم لهما.

عجب من هؤلاء ينقلبون عند المباهات والمفاخره إلى موسرين وعند طلب الخلافة إلى فقراء؛ إمّا شاكراً وإمّا كفورا. فينبغي عليهم أن يثبتوا على حالة واحدة لكي نجيبهم وإلّا فإنّ الترك للتناقض.

جواب:

قال: «وينصرون الله ورسوله» متى نصر أبوبكر رسول الله ﷺ؟ هل كان النبيّ يأوي إلى بيته مند الصغر حتّى بلغ الأربعين؟ وهل كان في زمن الحصار في الشعب عنده؟ وهل أعان على الحرب كبدر وحنين وأمثالها؟ حاشا وكلّا بل كان في كلّ الحروب عاجزاً مقهوراً مولّياً للدبر هارباً «يولّون الدبر». فإن عُدنا إلى طفولة

---

(١) الحشر: ٨.

(٢) التوبة: ١١٩.

النبيّ فإنّ كافليه والدا عليّ عليه السلام ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾[1] أي ـ والله أعلم ـ أنّ عمّك أباطالب آواك وخطب لك خديجة للتقوّى بمالها ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[2].

وفي حصار الشعب كان ناصره أباطالب وجعفراً الطيّار أخا عليّ عليه السلام ، وأغنى عليّ بنفسه في الحروب كلّها[3] ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[4] بعليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وإذا أراد بهذه النصرة ما كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه ذهب يلاطم على الملك وترك رسول الله على المغتسل ولم يشهد جنازته لئلّا تفوته الفرصة ، فمتى نصر رسول الله ؟ وأيّ يوم من هذه الأيّام نصره به ؟

جواب آخر :

وقال : إنّ لي شيطاناً يعتريني ، ومن كان بهذه الصفة فكيف يصنّف مع الصادقين مطلقاً ، والمراد من الصادق من صدّق محمّداً صلى الله عليه وآله وهذه صفة مشتركة بينه وبين الأُمّة ، والباري تعالى لا يأمر باتّباع الصادقين الذين يجوز عليهم الخطأ لعدم الثقة بقوله أو فعله لطروّ الخطأ عليهما ، إذ من الجائز أن يكون كلّ ما قاله أو فعله محض خطأ وانحراف ومعصية ، وعلى هذا لا يصحّ أن يكونوا معه دائماً فينبغي أن يكون هذا الحكم حكماً مقيّداً ـ أي كونوا مع الصادقين ـ ولا دليل على تقييده بل الدليل قائم على إطلاقه كما هو ظاهر الآية .

ودليل ما أثبتناه عن أبي بكر كلامه حيث يقول : فإن استقمت فاتّبعوني ، وإن اعوججت فقوّموني ، ولا جرم أن يكون على اعوجاج دائماً لوجود هذا الشيطان الذي يعتريه ، فتبيّن من هذا أنّ الصادقين هم المعصومون وهم عليّ وأهل بيته

---

(١) الضحى : ٦.

(٢) الضحى : ٨.

(٣) ذكر المؤلّف بأنّها أربع وثمانون حرباً.

(٤) الأحزاب : ٢٥.

بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

دليلٌ آخر:

الحديث الصحيح: من أراد أن يحيى حياتي ويموت موتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب فإنّه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة.

ومنه: إن ولّيتموها عليّاً فهادٍ مهتدٍ يقيمكم على الصراط المستقيم[2] وأمثال هذه الأحاديث المرويّة في كتب القوم التي تجلّ عن العدّ والحصر، المعبّرة عن عصمة عليّ وطُهره.

فلمّا ثبت أنّ الفقراء المذكورين في الآية ليسوا هم، ثبت أنّهم عليّ (وأولاده) عليهم السلام والدليل على ذلك ما ورد عن طريق الخصوم بأنّ عليّاً تصدّق بثلاثة أقراص من الشعير فأنزل الله تعالى سورة هل أتى في حقّه، وأعطى عشرة دراهم ونزلت آية النجوى فيه، وأعطى أربعة دراهم ونزل قوله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾[3] قيل: كان لعليّ أربعة دراهم فتصدّق بدرهم منها ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم علانيةً وبدرهم سرّاً فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الحاكم ٣: ١٢٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المعجم الكبير للطبراني ٥: ١٩٤، كنز العمّال ١١: ٦١١ رقم ٣٢٩٦٠، خصائص الوحي المبين لابن البطريق: ٣٠، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ٢: ٣٥٧.

وأمّا الحديث: «إن ولّيتموها عليّاً» فقد أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٢ وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والحسكانيّ في شواهد التنزيل ١: ٨٥ وليس فيه صدر الحديث بل اقتصر على الصحيح وهو: «إن ولّيتموها عليّاً فهادٍ مهتدٍ يقيمكم على صراط مستقيم».

(٣) البقرة: ٢٧٤.

يُنفِقُونَ﴾ الآية، في حقّه، ولئن كانت الدراهم التي أنفقها يسيرة ولكن الآيات النازلة فيه كثيرة، وكلّها مقبولة عند الله تعالى.

نعود إلى قصّة السقيفة: فقال أبوبكر: وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطّاب أو أبا عبيدة بن الجرّاح فبايعوا أيّهما شئتم. قال: فقال ثابت بن قيس: يا معشر المهاجرين، أرضيتم بما يقوله أبوبكر؟ فقالوا: قد رضينا، فقال: يا هؤلاء، ليس ينبغي لكم أن تنسبوا أبابكر لعصيان رسول الله ﷺ، فقالوا: وكيف ذلك؟ فقال: لأنّكم ذكرتم أنّ رسول الله ﷺ اختاره ورضيه لكم في حياته فقدّمه للصلاة ولم يفعل ذلك إلّا وقد استخلفه عليكم فقد عصى أبوبكر رسول الله ﷺ بإخراج نفسه من الخلافة وقوله: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر بن الخطّاب وأبا عبيدة بن الجرّاح «فكيف لكما قدوة اللتين»[1] وقد اختاره رسول الله ﷺ وفضّله عليهما، ولعلّكم يا معاشر المهاجرين أنتم الذين عصيتم الله في شهادتكم على نبيّكم أنّه استخلف أبابكر.

(فقال المهاجرون: لقد قدّمه رسول الله ﷺ في أصلاة وهي الإمامة أي إمامة الصلاة.. فقال ثابت: كان رسول الله مريضاً وأبوبكر يصلّي بالناس، فلمّا سمع النبيّ صوته قام من مكانه إلى المسجد وذهب إلى الصفّ الأوّل وتقدّم للصلاة وصلّى بالناس فكانت تلك الصلاة بإمامة رسول الله ﷺ وليس بإمامة أبي بكر، فصدّقه المهاجرون بأجمعهم)[2].

فقال ثابت أو المهاجرون: لقد علمتم يا معشر الأنصار أنّ أوّل من عبد الله على وجه الأرض وآمن برسول الله ﷺ أوليائه وعشيرته، وهم أحقّ الناس من بعده

---

(١) قال الناشر: كذا في الأصل.

(٢) هذه الفقرة محذوفة من الكتاب.

بهذا الأمر[١] (وأولى بالتقديم). وهذه القصّة مذكورة في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفيّ وهي حجّة ظاهرة على بطلان دعواهم.

قال: فوثب الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاريّ وصاح في بني عمّه صيحة ثمّ قال: يا معشر الأنصار، انظروا لا تخدعوا عن حقّكم، فوالله ما عبد الله علانية إلّا في بلادكم، ولا اجتمعت الصلاة إلّا في مساجدكم ـ إلى أن قال ـ فإن أبى هؤلاء القوم ما نقول، فمنّا أمير ومنكم أمير.

قال: فوثب أُسيد بن حضير وبشير بن سعد فقالا: بئس ما قلت يا حباب، وليس هذا برأي أن يكون أميران في بلد واحد... فقال الحباب: (والله يا أُسيد ويا بشير بن سعد ما أردت بذلك إلّا عزّكما... فقال عمر: «الله واحد، والدين واحد، والإسلام واحد، والكتاب واحد، والنبيّ واحد، فينبغي أن يكون الإمام واحداً..»[٢] لأنّه إن جرى اليوم إمامان جرى غداً إمامان ـ إلى أن قال عمر ـ لا يصلح لها إلّا أبوبكر، فأنكر عليه الحباب قوله وراح يحرّض الأنصار على أخذها وتقديم سعد بن عبادة الخزرجيّ، وجرى بين عمر وحباب مهاترات وشتائم، فكان عمر يميل إلى أبي بكر، وهوى حباب في سعد.

إل أن قال عمر: ألم تسمعوا ما قاله رسول الله لكم: الأئمّة من قريش، ولا يكون هذا الأمر إلّا فيهم[٣]؟ فقال بشير بن سعد: بلى والله قد سمعنا ذلك (ولا نخالفه).

فقال أبوبكر: أحسنت رحمك الله وجزاك عن الإسلام خيراً، إنّي لست أُريد هذا الأمر، هذا عمر بن الخطّاب (وهذا) عبيدة بن الجرّاح فأيّهما شئتم بايعوا (عمر أو أبا عبيدة).

---

(١) الفتوح ١: ٦ و٧.

(٢) لم يرد كلام عمر في الفتوح بل ورد معناه، راجع ١: ٨، ولذا وضعناه بين هلالين وأمّا الكلام بعده فهو للفتوح.

(٣) هذا القول قاله معن بن أبي عدي الأنصاريّ في الفتوح ١: ١٠، والمؤلّف نسبه إلى عمر.

فقال عمر وأبو عبيدة: لا يتولّى هذا الأمر أحد سواك، أنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، فمن ذا الذي يتقدّمك ويتولّى هذا الأمر عليك؟ ابسط يدك حتّى نبايعك.

فقال بشير بن سعد الأنصاري: والله ما يبايعه أحد قبلي، ثمّ تقدّم بشير فصفق على يدي أبي بكر بالبيعة، فقال له الحباب بن المنذر: يا بشير، ما الذي أحوجك إلى ما صنعت؟ أنفست على ابن عمّك سعد بن عبادة أن يكون أميراً؟ فقال بشير: لا والله ولكنّي كرهت أن أُنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم دوني. قال: فضرب الحباب ابن المنذر يده إلى سيفه فاستلّه من غمده وهمّ أن يفعل شيئاً، فبادرت إليه الأنصار فأخذوا بيده وسكّنوه، فقال: أتسكّنوني وقد فعلتم ما فعلتم؟ أما والله وكأنّي بأبنائكم وقد وقفوا على أبوابهم يسألون الناس الماء فلا يُسقَون.

قال: فقال أبوبكر: ومنّي تخاف ذلك يا حباب؟ فقال: إنّي لست أخاف منك ولكنّي أخاف من يأتي بعدك. فقال أبوبكر: فإذا كان ذلك ورأيت ما لا تحبّ فالأمر في ذلك الوقت إليك. فقال الحباب: هيهات ذلك يا أبابكر من أن يكون ذلك، إذا مضيت أنا وأنت وجاءنا قوم من بعد يسومون أبنائنا سوء العذاب والله المستعان.

قال: وتابعه الأنصار بالبيعة لأبي بكر وانكسرت الخزرج خاصّة لما كانوا عزموا عليه من أمر صاحبهم سعد بن عبادة. قال: فازدحم الناس بالبيعة على أبي‌بكر حتّى كادوا أن يطئوا سعد بن عبادة بأرجلهم، فقال رجل من الأنصار: يا هؤلاء، اتّقوا سعداً فإنّه عليل شديد العلّة (وحمل سعد من السقيفة إلى بيته. قال: وأقبل عبدالرحمان بن عوف الزهريّ حتّى وقف على جماعة من الأنصار فقال: يا معشر الأنصار، إنّكم إن كنتم ما ذكرتم من الفضل والشرف والنصرة فوالله لا ينكر لكم ذلك.. الخ.

فقال له زيد بن أرقم الأنصاري : يابن عوف ! إنّا لا ننكر فضل من ذكرت وإنّ منّا لسيّد الخزرج سعد بن عبادة .. الخ . يابن عوف ، لولا أنّ عليّاً بن أبي طالب ﷺ وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبيّ ﷺ وبحزنهم عليه فجلسوا في منازلهم ما طمع فيها ، فانصرف ولا تهيّج على أصحابك ما لا تقوم له .

قال : فانصرف إلى أبي بكر فخبّره بما كان من مقالته للأنصار وبردّهم عليه ، فقال أبوبكر : لقد كنت غنيّاً عن هذا ، أن تأتي قوماً قد بايعوا وسكتوا فتذكر لهم ما قد مضى[1] .

جواب :

هذا الذي قدّمناه هو رواية ابن أعثم الكوفي حرفاً بحرف ، وهو مخالف للإجماع المدّعى على خلافة أبي بكر ، ومع هذا الجدال العنيف كيف يكون الإجماع حاصلاً ، مع أنّ الخزرج أنكروا خلافة أبي بكر حتّى موته ولم يكونوا حاضرين ، وحال من حضر قد كشفه ابن الأعثم وقد سمعته وقرأته وحينئذٍ كيف يحصل الإجماع مع كثرة المخالفين .

ودلّ كلام زيد بن أرقم على رجوع الأمر إلى بني هاشم والذين غلبوا الأنصار بدعوى القرب من النبيّ بالقرشيّة لم ينصفوا بني هاشم ، ولم يراعوا كونهم أقرب منهم إلى النبيّ ﷺ .

والذي عليه الشيعة أنّ القوم ائتمروا بينهم متى توفّي النبيّ فإنّهم يغتنمون اشتغال بني هاشم فرصة ويثبون على الخلافة ، وما قاله أبوبكر من رضاه بأحد اثنين : عمر وأبي عبيدة للأُمّة فإنّه لم يكن رضاً بالمعنى الحقيقيّ بل القلب كاره لما قاله مع أنّ رضاه لم يرتض لأنّ أبا عبيدة لم ينل الحكم ، اللهمّ إلّا أن نقول بأنّه الرضا لجلب

---

(١) ابن أعثم ، الفتوح ١ : ١١ و١٢ .

الأتباع وتكثير السواد وتطييب الخاطر، وغصب حقّ بني هاشم، أو أنّـه التزوّد للآخرة بهذا الزاد الوبيء. وصدق الله حيث قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ (١).

الفصل الأوّل

يقول ابن الأعثم: ثمّ أرسل أبوبكر إلى عليّ فدعاه فأقبل والناس حضور، فسلّم وجلس ثمّ أقبل على الناس فقال لهم: دعوتموني؟ فقال عمر: دعوناك للبيعة التي قد أجمع عليها المسلمون. فقال عليّ: يا هؤلاء، إنّما أخذتم هذا الأمر من الأنصار بالحجّة عليهم والقرابة (من رسول الله (الأئمّة من قريش) فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الأمر (وتركوا اللجاج) وأنا أحتجّ عليكم بالذي احتججتم به على الأنصار: نحن أولى بمحمّد ﷺ حيّاً وميّتاً لأنّا أهل بيته وأقرب الخلق إليه، فإن كنتم تخافون الله فانصفونا واعرفوا لنا في هذا الأمر ما عرفته الأنصار لكم.

قال: فقال عمر: إنّك أيّها الرجل، لست بمتروك أو تبايع كما بايع غيرك. فقال عليّ عليه السلام: إذاً لا أقبل منك ولا أُبايع من أنا أحقّ بالبيعة منه. فقال له عبيدة بن الجرّاح (لعنه الله): والله يا أبا الحسن، إنّك لحقيق لهذا الأمر لفضلك وسابقتك وقرابتك، غير أنّ الناس قد بايعوا ورضوا بهذا الشيخ فارض بما رضي به المسلمون. فقال له عليّ كرّم الله وجهه: يا أبا عبيدة، (أنت أمين هذه الأُمّة(٢)) فاتّق الله في نفسك فإنّ هذا اليوم له ما بعده من الأيّام وليس ينبغي لكم أن تخرجوا سلطان محمّد ﷺ من داره إلى قعر دوركم في بيوتنا نزل القرآن ونحن معدن العلم

(١) الفرقان: ٤.

(٢) لو كان أمين هذه الأُمّة لما خانها بهذه المؤامرة الدنيئة، وهذه الجملة لم يذكرها المؤلّف رحمه الله.

والفقه والدين والسنّة والفرائض ونحن أعلم بأُمور الخلق منكم، فلا تتّبعوا الهوى فيكون نصيبكم الأخسّ.

قال: فتكلّم بشير بن سعد الأنصاريّ، فقال: يا أبا الحسن، أما والله لو أنّ هذا الكلام سمعه الناس منك قبل البيعة لما اختلف عليك رجلان ولبايعك الناس كلّهم، غير أنّك جلست في منزلك ولم تشهد هذا الأمر فظنّ الناس أن لا حاجة لك فيه... الخ. قال: فقال عليّ: ويحك يا بشير! أوكان يجب أن أترك رسول الله ﷺ (من غير تجهيز وأخرج أُلاطم على سلطانه..)[١].

قال: فأقبل عليه أبوبكر فقال: يا أباالحسن، إنّي لو علمت أنّك تنازعني في هذا الأمر ما أردته ولا طلبته وقد بايع الناس فإن بايعتني فذلك ظنّي بك، وإن لم تبايع في وقتك هذا وتحبّ أن تنظر في أمرك لم أكرهك عليه فانصرف راشداً إذا شئت. قال: فانصرف عليّ إلى منزله فلم يبايع حتّى توفّيت فاطمة عليها السلام حتّى بايع بعد خمس وسبعين ليلة من وفاتها، وقيل: إلى بعد ستّة أشهر، والله أعلم أيّ ذلك كان. (وتقول عائشة: إنّ عليّاً بايع بعد ستّة أشهر)[٢].

أمّا الصيغة العربيّة لهذا الكلام والتي تحتجّ بها الشيعة فقد رواها ابن الأعثم كما يلي:

قال عليّ عليه السلام: يا هؤلاء، أخذتم هذا الأمر من الأنصار بالحجّة عليهم بالقرابة، لأنّكم زعمتم أنّ محمّداً منكم فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الأمر، وأنا أحتجّ عليكم بالذي احتججتم به على الأنصار، نحن أولى بمحمّد ﷺ حيّاً وميّتاً، لأنّا

---

(١) العبارة في الفتوح غير مفهومة وهي: أترك رسول الله من بينه إلى حضرته وأخرج أُنازع الناس بالخلافة. (ص١٣)

(٢) الفتوح ١: ١٣ و١٤.

أهل بيته وأقرب الخلق إليه فإن كنتم تخافون الله فانصفونا واعرفوا لنا في هذا الأمر ما عرفت لكم الأنصار(١).

فقال عمر: أيّها الرجل، لست بمتروك أو تبايع كما بايع غيرك. فقال عليّ عليه السلام: إذاً لا أقبل ما يقول عمر، فلمّا فرغ من عمر أقبل على أبي عبيدة وقال: وليس ينبغي لكم أن تخرجوا سلطان محمّد صلى الله عليه وآله من داره ففي بيوتنا نزل الفرقان ونحن معدن العلم والفقه والسنّة، ونحن أعلم بأُمور الخلق منكم، فلا تتّبعوا الهوى فيكون نصيبكم الخسر.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في جواب بشير: أوكان يجب عليّ أن أترك الرسول ولم أجنّه في حفرته فأخرج فأُنازع الناس للخلافة ؟!

فقال أبوبكر في هذه الحالة: يا أبا الحسن، لو علمت أنّك تنازعني في هذا الأمر لما أردته وما طلبته وقد بايع الناس ..(٢).

جواب:

وهذا الحديث مبطل لما احتجّ به القوم علينا من أنّ عليّاً لم ينفرد عنهم وكان راضٍ بخلافتهم وكذلك ما احتجّ به الفخر الرازيّ وغيره من أنّ عليّاً لو كان يعلم بأنّ الحقّ حقّه لخرج مطالباً به. أجل، طالب عليٌّ بحقّه بشهادة الحديث المتقدّم. وما يقوله الشيعة من اغتنام القوم الفرصة بانشغال عليّ عليه السلام وبني هاشم بتجهيز النبيّ فنزوا على الحكم والسلطان يؤيّده الحديث المتقدّم.

ويؤيّده أيضاً ما قاله الشيعة من غياب القوم عن دفن النبيّ، ويدفع قول عمر لعليّ: أيّها الرجل لست بمتروك حتّى تبايع ما زعموه من بيعة عليّ بمحض اختياره

---

(١) الفتوح ١: ١٣.

(٢) مرّ هذا توّاً من الفتوح.

ورغبته وهذا يدلّ على أنّه مكره على البيعة، والشيعة يذهبون إلى أنّ الإمام عليّاً لم يبايع أبابكر أبداً.

وأمّا قول أبي بكر لعليّ عليه السلام: لو علمت أنّك تنازعني في هذا الأمر لما أردته، وما طلبته وقد بايع الناس فإنّه من الأعاجيب حيث تقدّم للحكم ارتجالاً وبلا رويّة، ثمّ هو يندم الآن ويطلب الإقالة.

وهذا كلّه يدلّ على صحّة قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، ولو كان الرجل يحسب للآخرة حسابها ويخاف يوم المعاد ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسؤُولُونَ﴾[1] لأرجع الحقّ إلى أهله، ولم ينازع أهل بيت النبيّ فيه، وما كان ينبغي لمن يخلف النبيّ أن يعمل عملاً يؤول به إلى الندامة في الدنيا والآخرة.

الفصل الثاني

لمّا طرق النبيّ الوجع استدعى أُسامة بن زيد وأمّره على القوم وأمره بغزو بلاد الشام وكان ابوبكر وعمر لعنهما الله تحت لوائه، وسوف يأتي بيان ذلك.

ولمّا انتقل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى قال عمر لأبي بكر: أرى أن تترك بعث أُسامة لأنّ أعراب المدينة ارتدّوا وأخشى أن نحتاج إليه.

فأجابه: وكيف أفعل ذلك وقد أمر النبيّ ببعثه وعبارته كالتالي: لو علمت أنّ السباع تأكلني في هذه المدينة لأنفذت جيش أُسامة كما قال النبيّ: أمضوا جيش أُسامة، فقال عمر: لو خففت هذا العام عن كاهل القوم من بعض الزكاة لرجونا عودتهم إلى حضيرة الإسلام. فقال أبوبكر: والله لو منعوني عقال ناقة ممّا كان

---

(١) الصافّات: ٢٤.

يأخذه منهم النبيّ ﷺ لقاتلتهم عليه أبداً ولو كره المشركون. فقال عمر: ارفق بهم يا خليفة رسول الله، فإنّ النبيّ ﷺ قال: أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، فإذا قالوها عصموا منّي دمائهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله. وهؤلاء الجماعة يصلّون ولا يزكّون أو يزكّون ولا يصلّون[1] فأبى أبوبكر وقال: لأُقاتلنّها، كما نصّ على ذلك ابن الأعثم في الفتوح.

الجواب:

لقد ظهر الخلاف بين الرجلين الخليفة وظهيره.. مسكينة هذه الرعيّة فإلى من منهما تميل؟ فإن مالت إلى أبي بكر وهو محقّ فإنّ عمر مبطل حتماً والعكس صحيح، ولمّا استباح أبوبكر الحرب على عقال ناقة لا بدع أن يستبيح عليّ عليه السلام الحرب من أجل ملك الشام مع معاوية (لعنه الله) وكما وجب قتال من خالف أبابكر كذلك وجب قتال من خالف عليّاً فيكون معاوية على الباطل.

وكذلك نقول عن عمر لمّا أمر بتعطيل جيش أُسامة أنّه داخل تحت مفهوم هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2] ومن لم يرض بحكم النبيّ فإنّه معلوم الحال ولا يحتاج إلى سؤال.

الفصل الثالث

وجاء في كتاب الفتوح أنّ أُسامة بن زيد وجّه جيشه إلى خارج المدينة ولمّا استخلف أبوبكر قال لأُسامة: امضي رحمك الله لوجهك الذي أمرك النبيّ ولا

---

(١) أخطأ المؤلّف في نسبة ذلك إليهم لأنّ أبابكر لم يقاتلهم على ذلك، بل قاتلهم على بيعته لأنّهم أنكروها وقالوا: لا نبايع أبا فصيل.

(٢) النساء: ٦٥.

تقصر في أُمورك، وإن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطّاب بالمقام عندي، فإنّي أستأنس وأستعين برأيه. قال أُسامة: فقد فعلت.

الجواب:

فاعتبروا يا أُولي الأبصار أنّ عمر بشهادة الخصم رعيّة لأُسامة بأمر النبيّ فكيف يتأمّر عليه؟ ولو علم النبيّ بأنّ عمر أجدر بها من أُسامة لم يؤمّره عليه ولم يجعله رعيّة له إلّا لكي يرشد الأُمّة إلى عدم صلاحيّته للخلافة.

وإذا كان أبوبكر يطلب الإذن من أُسامة لعمر فلماذا لم يطلبه لنفسه، اللهمّ إلّا أن يكون بالحكم المستثنى من الإمارة، ولكن كيف يصحّ للمتمرّد على حكم النبيّ والمنتزى على حقّ غيره الخروج من أمر رسول الله ﷺ، والنبيّ ﷺ أمّر أُسامة عليهم وحكم النبيّ وأمره باقيان على حالهما إلى يوم القيامة وكلاهما خالف حكم رسول الله حين أعرضا عن الطاعة بعدم الخروج مع أُسامة...

الباب الثاني والعشرون

في موت الخلفاء وكيفيّة قتلهم عليهم ما يستحقّون

(من لعائن الله ـ المترجم)

قال ابن الأعثم في الفتوح: واشتدّ المرض بأبي بكر ... ودعا أبوبكر بدواة وبياض فكتب خلافة عمر ثمّ دفع الرقعة إلى رجل من المسلمين فقال: أخرج بهذه الرقعة إلى الناس فخبّرهم بما فيها، وأقبل طلحة بن عبيدالله حتّى دخل على أبي بكر، فقال: يا خليفة رسول الله، تستخلف على الناس عمر بن الخطّاب؟ فقال: ولم لا أستخلفه يا طلحة؟ قال: لأنّك قد رأيت الناس من صرامته وغلظته فكيف إذا مضيت أنت وصار الأمر إليه؟ ثمّ قال: وبعد فإنّك قادم على ربّك فإنّه سائلك عن رعيّتك.

فسكت أبوبكر ساعة ثمّ رفع رأسه إلى طلحة، فقال: أبالموت تفزعني أم بربّي تخوّفني؟ (نعم إذا أقدم على ربّي وسألني عن رعيّتي أقول: يا ربّ، استخلفت عليهم خير أهلك» ودار بينهما حوار وراح أبوبكر يوصي بوصاياه وأخيراً قال: فإذا أنا متّ فاغسلوني وكفّنوني وحنّطوني وصلّوا عليّ ثمّ ائتوا بي إلى قبر حبيبي محمّد فاستأذنوا وقولوا: السلام عليك يا رسول الله، هذا أبوبكر بالباب فإن أذن

لكم في دفني إلى جنبه فادفنوني وإن لم يأذن لكم في ذلك فأتوا بي مقابر المسلمين (وإنّا للّه وإنّا إليه راجعون)[١]. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

الجواب:

صدق الله حيث قال: ﴿وَلَٰكِن لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٢] لمّا أدلى طلحة بحجّته عن عمر وإنّ الرجل لا يليق بالخلافة فكان جوابه فرض خلافة عمر على الأُمّة، ولمّا خوّفه بالله كان جوابه: أبالله تخوّفني ومعناه أنّي لا أخاف الله، وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٣]، وقال: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[٥] وأمثال هذه الآيات كلّها تدلّ على أنّ العبد الصالح هو من خاف الله تعالى، ومن هنا ـ أي من انعدام الخوف من الله في قلوبهم ـ ظلموا أهل بيتالنبيّ وذلك فعل لا يخفى على أحدٍ لاسيّما ظلم فاطمة وأميرالمؤمنين، وينبغي أن يلابسه الخوف ولو قليلاً عند موافاته السياق.

وأمّا قوله: ادفنوني عند رسول الله إن أذن لي فإنّ الله سبحانه منع من ذلك في حياة النبيّ ﷺ، والعجيب من الرجل حين نسيه فضيّعه فهل أنساه ذلك طول العهد؟ كلّا فقد خاطب الله المسلمين عن بيوت النبيّ بقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾[٦]، وقال: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾[٧].

---

(١) الفتوح ١: ١٢١ ـ ١٢٣ بتصرّف من المؤلّف.

(٢) الأعراف: ٧٩.

(٣) آل عمران: ٥٠.

(٤) الأنفال: ٣٤.

(٥) الأحزاب: ٣٧.

(٦) الأحزاب: ٥٣.

(٧) النور: ٢٧.

وما قاله من طلب الإذن فإن حصل وإلّا فادفنوني في مقابر المسلمين، فلم يردنا في كتاب أو مرجع أنّ الإذن حاصل له، وبناءاً على هذا فإنّه غصب المكان وفعل عمر فعله لأنّه وصيّه، بل صنع خلاف صنعه ولم يستأذن، لعلّه عرف بأنّ المكان المغصوب لا يحتاج إلى الاستئذان بل جرأ على ارتكابها من دون طلب الإذن (وكم مثلها ارتكبها وهي تصغر) ومنها غصب الخلافة والتآمّر على أهل بيت النبي.

أم أنّه أراد أن يغصب البيت من الأولاد كما غصب فدكاً من فاطمة لتتمّ حبكة السقيفة.

وإن أراد بالإذن من عائشة فإنّها قالت: ليس لرسول الله ما يرث ولا يورث.

وإن قصدو به آل الرسول فلم يحصل ذلك منهم وماتا ظالمين لهم مانعين لحقّهم.

والعجب أن يُلحَد أبوبكر إلى جانب النبيّ وهو البعيد القصيّ عنه، ويدفن الحسن بمبعدة عن جدّه وهو ولده وفلذة كبده.

الفصل الأوّل
في قتل عمر بن الخطّاب

كان للمغيرة بن شعبة غلام يدعى أبا لؤلؤة وهو مجوسيٌّ، ولمّا عاد المغيرة إلى المدينة شكاه فيروز غلامه إلى عمر وقال: إنّه يضطهدني بما يحملني من الغرم الفادح في كلّ شهر مرسوم عليّ دفع مأة درهم إليه وأنا لا أُطيق دفع هذا المبلغ الباهض فاشفع لي عنده لتخفيفه.

فأحضر عمر المغيرة وقال: التخفيف من الإنصاف وإن كان عن كافر فخفّف عنه بشفاعتي، ففعل، ثمّ قال للمملوك: لقد خفّف عنك صاحبك[1] والآن قل لي:

---

(١) الظاهر من روايات المؤرّخين أنّ عمر ردّ أبا لؤلؤة ردّاً خشناً ولم يستمع إلى شكواه ولذلك أضمر الرجل قتله.

ماذا تجيد من الصنعة ؟ فقال : إنّي أُجيد عدداً منها مثل التجارة وصناعة الأرحية . فقال عمر : هل لك أن تصنع لي رحًى في بيتي . فقال الغلام : سوف أصنع لك رحًى تتحدّث عنها الناس في المشرق والمغرب .

فانزعج عمر من قوله هذا وقال لمن حضره : هل سمعتم ما قاله العلج ، فإنّي متى شاهدته يحدث الرعب من مرآه في نفسي ، إلى أن رقى المنبر ذات يوم وقال : رأيت في المنام ديكاً أحمر اللون ضربني بمنقاره مرّتين أو ثلاثاً فعلمت أنّ رجل من علوج فارس يقتلني بطعنة أو طعنتين . فقال الحاضرون : خيراً رأيت يا أمير .

وأمّا فيروز فقد صنع لنفسه خنجراً بحدّين واندسّ بين الناس ، فلمّا أُقيمت الجماعة أخرج الخنجر من محزمه وحمل على عمر فطعنه ثلاث طعنات في السرّة وفوقها وتحتها ثمّ هرب فتعقّبه ثلاث عشرة إنساناً فقتل منهم جماعة وأمسك به أحدهم فلمّا شعر بأنّه مقبوض عليه طعن نفسه طعنات حتّى هلك .

وأمر عمر عبدالرحمان بن عوف أن يصلّي في الناس جماعة وبقي عمر حيّاً في بيته ثلاثة أيّام وأوصى بوصاياه وأمر صهيباً بالصلاة عليه ، واستدعى ولده عبدالله وقال له : إنّي مدين لبيت المال بمقدار من الدنانير الذهبيّة فاقضها عنّي . ثمّ قال : يا بني ، لو أنّك رأيت غداً أباك يقاد إلى النار أما تفديه ؟ فقال عبدالله : بلى بجميع ما ملكت . ثمّ قال : إن أذنت لي عائشة فادفنّي مع صاحبي وإلّا فادفنّي في البقيع . فقالت عائشة : إنّي ادّخرت هذا المكان لنفسي ولكن أُوثر به عمر . فتوفّي يوم الأربعاء لأربع خلون من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين ، وكان عمره ثلاثاً وستّين عاماً .

ولمّا طعن عمر حضر عنده طبيب مسلم فقال : أسقوه نبيذاً حلواً ، فلمّا تجرّعه خرج من جرحه فقال قوم ممّن حضره : إنّه الدم فأحضروا له طبيباً متنصّراً فسقاه لبناً فخرج من جرحه بلون اللبن ، فاتّفق الطبيبان على هلاكه وأمراه بالوصيّة .

الجواب:

فياللعجب كيف يكون البيت لعائشة بدون حجّة ولا بيّنة، وتحرم فاطمة من نحلتها في فدك مع شهادة الشهود العدول أصحاب العصمة. سلّمنا فإنّ حقّها التسع من الثمن والباقي مغتصب.

يقول ابن أعثم الكوفي: فدفن عمر إلى جنب أبي بكر فأوّلهم النبيّ صلى الله عليه وآله والثاني أبوبكر ورأسه قريب من كتف النبيّ صلى الله عليه وآله، والثالث عمر ورأسه قريب من كتف أبي بكر. قال: وقد ضاق البيت لمّا دفن فيه عمر فصارت رجلا عمر تحت حائط البيت من موضع الأساس[1].

فخربوا جانباً من حائط البيت، فهل أذن لهم النبيّ في خراب بيته والله تعالى يقول: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[2] وكيف يأذن لهم النبيّ وهو ميّت؟

أمّا قوله لولده عبدالله: لو أنّك رأيت غداً أباك يقاد إلى النار أما تفديه.. الخ، ويحه أما سمع قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾[4] ونسي عبدالله أباه كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[5]. وكذلك عبدالله أما قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ

---

(١) الفتوح ٢: ٣٣١.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) المعارج: ١٠ ـ ١٦.

(٤) الحديد: ١٥.

(٥) الشعراء: ٨٨ و٨٩.

مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[١] وحيث قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٢].

أمّا ما قالوه عن النبيذ وشربه فإنّه يعلم أنّه خمر معروف وهذا مسلّم ولكن النبيذ الحلو غير المسلّم فهو لا يخلو من كونه خطأ، وهذا يصدر أحياناً في الأخبار، وأمّا كون القائلين به من أهل السنّة والجبريّة وهم شيعة الخليفة لذلك أرادوا الاعتذار منه بوصف النبيذ بالحلو.

رواية أُخرى في قتل عمر

جمع شهريار بن يزدجرد ملك العجم ثلاثمائة وثلاثين ألفاً من قوّاته وعزم على مهاجمة المدينة والمصادمة مع عمر بن الخطّاب، فلمّا بلغ عمر الخبر خاف منه وصعد المنبر وخطب في أصحابه وقال في آخر خطبته: إنّي جئت أستشيركم بأمر «شهريار» ومحاربته.

فقام عثمان بن عفّان من بين الجمع وقال: أنت رجل ميمون النفقيبة، فإذا أردت حربه فاخرج بنفسك إليه وقاتله فإنّك تظفر به. فلم يرتض قوله عمر.

ثمّ قام آخر وقال: أيّها الخليفة، أرسل إليه الجيش. فلم يقع هذا القول من نفس عمر موقعاً حسناً، وكان ينظر إلى أميرالمؤمنين يلتمس رأيه، فلم يقل عليّ عليه السلام شيئاً في هذا الموقف، فنزل عمر عن المنبر وأقبل على أميرالمؤمنين عليه السلام وقال له: الرأي عندك يا أبا الحسن.

فقال عليّ عليه السلام: إن كنت تخاف على الإسلام فإنّي أرى أن ترسل إلى الثغور كثغر

---

(١) الأنعام: ٩٤.

(٢) يونس: ٥٤.

الروم وفارس والأهواز وحيث تقاتل عساكر الإسلام فتستدعي من العسكر نصفه وتبقي نصفه الآخر قبالة العدوّ، وأقم أنت بالمدينة وأرسل الفيالق فإنّ الله تعالى وعد بقهر الكفر وظهور الإسلام عليه حيث قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(١) فأعجبه الرأي وعمل به فاستدعى نصفاً من فيالقه واستبق النصف الآخر تقاتل العدوّ، فاجتمع عنده ثلاثون ألفاً فأمّر عليهم النعمان بن مقرن وقال: فإن قتل فالأمير حذيفة، فإن قتل فأمير القوم جابر بن عبدالله.

قال عليّ عليه السلام: ابعث معهم عمرو بن معدي كرب وطلحة بن خويلد وليحتالوا ما وسعتهم الحيلة فإنّ رأيهم إلى صواب.

فلمّا تقابل العسكران وضع الله الرعب في قلب عسكر شهريار، فأسرع شهريار وأمر قومه بحفر الخندق من حولهم وأجرى فيه الماء خوفاً من عسكر الإسلام ثمّ بدأت الحرب، فاستشار النعمان عمراً وقال: ماذا نصنع ونحن قلّة والمدد يأتينا من المدينة وقد بعدت شقّتها والعدوّ ما زال يأتيه الجمع بعد الجمع وتصل إليه المؤن والذخائر باستمرار، وقد قارب زادنا النفاد. فقال عمرو: الرأي عندي أن ننادي بموت عمر ملك العرب لكي يجد العدوّ الجرأة على قتالنا فيخرجوا من خنادقهم لقتالنا فننكشف بين أيديهم لكن بصفوف منتظمة فإذا ما بلغتنا عساكرهم كررنا عليهم وقاتلناهم.

فلمّا أصبح الصباح أعملوا الحيلة مع العدوّ فخرج شهريار بجيشه للقائهم ولكن اختطّ الظلام فحجب بين المتقاتلين، فلمّا أصبح الصباح ركب النعمان فرسه وأقبل وعليه عمامة بيضاء وحام حول العسكر وأخذ يحضّ الناس على الجهاد وقال: أيّها الناس، عليكم بحميّة العرب فإنّها تأنف من الفرّ دون الكرّ، وقاتلوا في سبيل الله

---

(١) التوبة: ٣٣.

ورسوله فإنّ بيضة الإسلام بكم قائمة، وإيّاكم أن تولّوا الدبر لأنّكم إن فعلتم ذلك فإنّكم هالكون حتماً عن بكرة أبيكم، ولن يرجع واحد منكم إلى المدينة لأنّها نائية الشقّة فانهضوا وكرّوا بالخيل على العدوّ بعد أن تشدّوا حزمتها وسرجها، وأقيلوا في ظلّها ساعة حتّى تهب الصبا فعندئذٍ نحمل حملة واحدة وندع ماكان يفعله العرب في الحرب ولنأخذ بتقاليد العجم في الحرب فإنّهم يحملون بأجمعهم على العدوّ حملة واحدة ولكن قتالكم كلّكم بالرماح فستكون لكم الغلبة عليهم، فإذا قُتِلت فاكتموا خبري عن العدوّ وعموا عليه، فرضوا بقوله، وصادف أن أُصيب النعمان يومها فقُتل فلبس حذيفة ثيابه وأخفى عن العجم موته وخبأوه عن أعين الناس.

ونادى فيهم طلحة بن خويلد: أيّها الأصحاب، هلمّوا ليكون عشائنا في الجنّة، هلمّوا إلى الرواح إلى الجنّة ليضع ثلاثون ألفاً أسنّتهم بين آذان خيولهم وليحملوا على العدوّ حملة رجل واحد، ونضربه في القلب، وكما سوّى العجم صفوفهم وأحكموا موقع القلب صاحوا صيحة قويّة منكرة ارتجف لها جيش الإسلام فهزموهم في الحملة الأُولى وأسروا فيروز مرّة ثانية وكان قائد عسكر شهريار، وأسروا ابنة شهريار شاه زنان التي تشرّفت بعد ذلك بالإسلام واقترنت بالحسين، وغيّرت اسمها فكانت شهربانويه.

فقتل من السعكر جماعة وفرّ الباقون، فبعث حذيفة ببشارة الفتح إلى عمر بن الخطّاب، وكان عمر يخرج كلّ يوم إلى المدينة يتنسّم أخبارهم، فرأى ذات يوم أعرابيّاً على راحلة فأخبر عمر عن الفتح وهو لا يعرفه، فأقبل يركض وراء الأعرابيّ فرسخاً فلمّا وصل المدينة نزل إليه أصحاب الدكاكين يحيّونه، فنزل الرجل من راحلته وسلّم على عمر واعتذر إلى عمر وبلّغه خبر الفتح، ولمّا بلغته الغنائم أراد بيع «شاه زنان» فنهاه الإمام وقال: ليس البيع على أبناء الملوك.

فائدة جليّة
في زواج الحسين عليه السلام من شهربانويه

قال عمر: أجلسوا شاه زنان على قارعة الطريق وأعرضوا المسلمين عليها فمن رغبت فيه فزوّجوها منه ومرّ هو عليها فسألت: من هذا؟ قيل لها: هذا هو الخليفة، فأعرضت عنه وقالت: شيخ لا يليق بي. وأخذ كبار القوم وأعيانهم يعرضون أنفسهم عليها فتأباهم حتّى اجتاز بها أميرالمؤمنين عليه السلام فقالت: من هذا؟ فقيل لها: هذا عليّ صهر رسول الله على فاطمة وابن عمّه، فقالت: هذا جدير بي ولكنّي أستحي من فاطمة يوم القيامة، فمرّ الحسن من بعده، فقالت: من هذا؟ فسألت عن سائر شئونه فأعلموها ولكنّها امتنعت منه وقالت: الحسن كبير الشأن ويحتاج إلى نساء كثر، فمرّ بها الحسين عليه السلام فقبلته وقالت: يمكن لهذا الشابّ الجميل أن يكون زوجاً لي.

فأمر عمر بإقامة مراسم الزواج في المدينة ثلاثة أيّام، وحملوا الحسين على فرس وقيل: حمل عمر غاشية الحسين على متنه وأقبل بصحبته ينحو المدينة إلى ثلاثة أيّام وفي اليوم الثالث أطلقوا على المرأة اسم «شهربانويه» وعقدوا عليها للحسين عليه السلام وبنى عليها، وكانت في كلّ ليلة تعود عذراء كالحور العين في الجنّة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان من الحسن ولحسين زوجته تعود عذراء في كلّ ليلة، فإنّ الأئمّة من صلبه لذلك تزوّج الحسن عليه السلام نساءاً كثيرات فلمّا لم يجد عندهنّ السرّ الموعود طلّقهنّ وقال الحسين عليه السلام للحسن ذات يوم: لا تحزن يا أخي، فإنّ ما كنت أنت طالبه فإنّي وجدته، فعلم الحسن أنّ الأئمّة ليسوا من صلبه[1].

---

(١) عفى الله عن المؤلّف حين يأتي بخبر موضوع لا أساس له من الصحّة ويستخرج منه قاعدة ←

الفصل الثاني

ولمّا قسّمت الغنائم صار أبو لؤلؤة فيروز من نصيب المغيرة بن شعبة وكان صيقلاً ماهراً، وصارت له علاقة بأميرالمؤمنين عليه السلام فكان يزوره بين الحين والحين، فوضع عليه المغيرة ضريبة ثقيلة إذكان عليه أن يدفع للمغيرة دانقين من الذهب، ثمّ صيّرهما نصف دينار، فكان يدفع ذلك، ثمّ رفع الضريبة إلى أربعة دوانق فأعطاها، ثمّ خمساً فأعطاها، وان عمر يفعل ذلك وقال له: إن قطعت زيارتك لعليّ حرّرناك من الضريبة، فلم يرض أبولؤلؤة بذلك. وأقبل يوماً على عمر وقال: أيّها الخليفة، إنّي لأعجب منك ومن عليّ أن يكون له سيف مثل ذي الفقار وإنّي لقادر على صنع ما هو خير منه لك بشرط أن لا تحجبني عنك، فقال عمر: افعل. وقال: سأصنع السيف من معادن سبعة، وأخذ جملة من الحديد وبدأ بصنع السيف وكان يبكّر إلى عمر في كلّ يوم ويأتيه مراراً ويريه السيف الذي صنعه إلى أن تمّ صنع السيف، وكان ما تزال حرارة الضرب فيه، فأقبل على عمر بعد أن انفضّ المجلس ولم يبق فيه سواه وكان غلاف السيف من الخشب الأبيض، وقد ثقب قريباً من قائمه ثقباً وأنبت فيه مسماراً بحيث لا يستطيع أحد أن يسلّه إلّا صاحبه الذي صنعه،

⬅ معرفة الأئمّة. أترى أنّ النبيّ أوكل إلى الحسنين معرفة الصلب الذي يخرج منه الأئمّة بهذه اللعبة ؟! حاشاه. أليس قد أخبرنا بأسمائهم واحداً واحداً السابق واللاحق، وعندنا مئات الأحاديث حول ذلك وقد أشارت إلى أنّ الأئمّة من صلب الحسين فكيف رضي المؤلّف بهذا السخف الذي لا يستحقّ الحبر الذي كتب فيه ورجل فاضل مثله يتورّع عن ذكر أخبار مضحكة كهذه الأخبار. ألا يعلم أنّ زواج الحسين من شهربانويه ردّه جلّ العلماء وقالوا قضيّة مكذوبة لا أصل لها إنّما وضعتها الشعوبيّه لترمي إلى غرض في نفوسهم، وهو الوراثة التي كانت عند ملوك الفرس ليجعلوا الإمامة بالتوارث أخذاً من الفرس مع أُسرتهم المالكة.

فلمّا أعطاه عمر أراد أن يجرّده من الغمد فعسر عليه ذلك، فقال أبو لؤلؤة: ناولنيه، فلمّا تسلّمه أزال عنه المسمار ونظر يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً معهما فعند ذلك حمل على عمر وأغمد السيد في بطنه وتركه عليها وهرب.

قيل: أقبل ركضاً إلى بيت عليّ عليه السلام وكان عليّ جالساً على باب داره، فقام من مكانه وقعد في مكان آخر، فلمّا أقبل الناس يطلبون القاتل أقسم عليّ عليه السلام أنّه منذ أن جلس في هذا المكان لم يشاهد أحداً، وحمل الإمام أبا لؤلؤة على دلدل وقال له: أينما وقفت دلدل فقف هناك، ونفس الليلة استدعى امرأة وبعث معها رسالة إلى أهل قم وفيها: إذا بلغت قم فانكحوها منه، ولمّا حال الحول وجاؤوا يطلبونه إلى قم وجدوه قد تزوّج المرأة وأولدها ولداً، فعلموا انّ هذه من معاجز عليّ عليه السلام.

وهذه الرواية لا صحّة لها، وإنّما بقي أبو لؤلؤة في المدينة ونهى عمر عن قتله وقال: لا يكون العبد ثأراً لي، وأمر بإطلاق سراحه.

وجوهر القول أنّ عمر بقي جريحاً ثلاثة أيّام وهلك في اليوم الرابعة، وكان المغيرة يحضره كلّ ليلة وتأخّر عنه ليلتين، فسأله عمر عن سبب ذلك، فقال: وقع الناس في فتنة من يخلفك، فقال عمر: يا مغيرة، الناس يقولون ماذا؟ فقال: منهم من يراها لعليّ، ومنهم لعثمان، وآخرون يرون طلحة أهلاً لها، وقوم تعلّقوا بسعد وعبدالرحمان بن عوف.

فقال عمر: ماذا يقال في عليّ؟ إلّا أنّ هذا الأمر لا يتمّ به لحداثة سنّه ولعداوة قريش له وهو أيضاً شديد التمسّك برأيه، وأراها تتمّ بعثمان لأنّه رأس بني أُميّة، أمّا الزبير فرجل جبّار ومن كان مثله لا يليق لإمامة الناس، وطلحة ساقط الهمّة لا شأن له، وسعد بن أبي وقّاص زئر نساء، وعبدالرحمان مليح الظاهر.

ثمّ أمر بإحضار رجل وأمره على مأة رجل وقال: إنّي أجعل الخلافة شورى بين ستّة، فأحضرهم في المسجد؛ فمن بايعه عبدالرحمان فعلى الباقين مبايعته وإن

لم يفعلوا فاضرب أعناقهم، وكان يعلم أنّ هوى عبدالرحمان ليس مع عليّ لما بينهما من العداوة السالفة.

فلمّا حضروا في المسجد قال عبدالرحمان لعليّ عليه السلام: أُبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيره عمر بن الخطّاب. فقال: بل على كتاب الله وسنّة رسوله، ولا أرضى بسيرة عمر لأنّه أحدث أُموراً لابدّ من تغييرها، فأعاد القول عليه ثانية فأجابه عليّ بما أجاب به أوّلاً، إلى ثلاث مرّات، ثمّ أمسك يد عثمان وبايعه ..[1] على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة عمر، وكان هوى عبدالرحمان مع عثمان لأنّه صهره على أُخته أُمّ كلثوم من أُمّه، وبايع طلحة والزبير ونهض عليّ بعد أن مسح بيده على أيديهم وخرج من بينهم.

وقال عبدالله بن عبّاس[2]: لم دخلت الشورى معهم يا أميرالمؤمنين؟ فقال: ذلك لأُظهر كذب عمر لأنّه قال: سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث، والإمامة والنبوّة لا تجتمع في بيت وحد، فإن كنت لا أستحقّها فلم دعاني معهم، ولا يظهر باطه إلّا بهذا.

وليثبت للملأ كذبه على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت مدّة خلافته عشر سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيّام، وقيل: كان عمره ثلاثاً وستّين سنة[3].

---

(١) لعن الله عبدالرحمان بن عوف فإنّه كان يطمع بها من بعد عثمان لعنه الله، والآن دعني أن أسأل أصحاب الضمائر الحرّة لو أنّ عبدالرحمان بن عوف لعنه الله قال لعثمان لعنة الله عليه: أُبايعك على التلمود وسيرة إبليس أكان عثمان يقول لا؟ كلّا والله من هنا يعلم أنّهم تمالأوا على أهل البيت وأوقعوا الأمّة في هذا الشقاق الدائم من أجل نزوة في نفوسهم حرمهم الله منها وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيراً.

(٢) ذكر المؤرّخون أنّ القول لأبيه العبّاس.

(٣) قالوا ذلك ليوافق عمر رسول الله صلى الله عليه وآله ومثله قالوا عن سنّ أبي بكر، وقد ثبت زيف ذلك عند المؤرّخين كافّة.

الفصل الثالث
في خلافة عثمان

ولمّا نال الخلافة أرسل وراء مروان بن الحكم فأقدمه من منفاه وأسند إليه وزارته وكان طريد رسول الله ﷺ، لأنّ اللعين هجا رسول الله ﷺ فقال النبيّ: لا أُحبّ أن أرى مروان فطرده من المدينة إلى مكان يبعد عنها بعشرين فرسخاً[1]، فلمّا استخلف أبوبكر أبعده عشرين فرسخاً أُخرى، فلمّا استخلف عثمان ردّه وآواه وأعطاه الوزارة حتّى قيل عنه: آوى طريد رسول الله وطرد أباذر حبيب رسول الله ﷺ.

---

(١) بل طرده رسول الله وأباه لحادثة أُخرى معلومة.

الباب الثالث والعشرون

في ذكر طرد عثمان (لعنه الله) أباذر الغفاريّ رحمة الله عليه

قال الإمام الصادق عليه السلام: كان سبب نفي عثمان أباذر أنّه حضر عنده فرأى بين يديه مأة ألف درهم، فسأله: ما هذا المال يا عثمان؟ فقال: لبيت مال المسلمين وأُريد أن أُضيف إليه عدداً آخر ثمّ أضعه حيث أختار، وكان قد جمع حوله بني أُميّة. فقال أبوذر: أما تذكر يا عثمان حين دخلنا أنا وأنت على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدناه كئيباً مغموماً ودخلنا عليه في اليوم الثاني فوجدناه مستبشراً مسروراً، فقلت له: روحي فداك يا رسول الله، فيم غمّك أمس وسرورك اليوم؟ فقال صلى الله عليه وآله: قسمت بيت المال فبقيت فيه بقيّة لم أقسمها وهي أربعة آلاف دينار فكان غمّي لها أن أكون ملوماً عند الله واليوم قسمتها ففرحت من أجل ذلك، ومائة ألف درهم أكثر من أربعة آلاف دينار.

وكان كعب الأحبار عند عثمان فأقبل عليه عثمان وقال: يا كعب، هل ترى من حرج على المرء إذا أعطى ما وجب عليه أن يستبقي الفاضل من المال؟ فقال كعب: كلّا إذا أدّى ما وجب عليه فله أن يصوغ الباقي آجراً من ذهب وفضّة.

فقال أبوذر: أيّها اليهودي، ما أنت وهذا الأمر، إنّما أنت يهوديّ، فكيف تفتي في

الإسلام، إنّ الله تعالى كذّبك حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1] ورفع عصاه وأهوى بها على رأس كعب.

فقال عثمان: لو لم تكن صاحب رسول الله وأنت شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فقال أبوذر: كذبت يا عثمان ليس ذلك إليك فإنّ النبيّ أخبرني بأنّكم غير قاتليّ ولكنّكم مخرجيّ من البلاد وإذا بلغ آل العاص ثلاثين اتخذوا دين الله دغلاً وفسّروا كتاب الله برأيهم.

قيل: فكذّب من حضر من الصحابة أباذر من أجل عثمان، فقال عثمان لعنه الله: أحضروا لي عليّاً، فلمّا حضر عنده، قال له عثمان: أسمعت يا عليّ هذا الحديث من النبيّ فقد أجمع الصحابة على عدم سماعه منه، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّي سمعت رسول الله يقول: ما أظلّت الخضراء وما أقلّت الغبراء على أحد أصدق لهجة من أبي ذر...[2] وأبوذر لا يكذب أبداً.

فصدّق الحاضرون أميرالمؤمنين فقالوا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، عند ذلك بكى أبوذر وقال: الحمد للّه ما كنت كاذباً.

فقال عثمان: أقسمت عليك بحقّ رسول الله أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: الحرمان فقد عبدت الله فيهما وأخبرني النبي بإبعادي إلى الربذة وقال: تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث أمّة وحدك وتحشر وحدك وتدخل الجنّة وحدك، ويحضرك جماعة

---

(١) التوبة: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) الكليني الكافي: ٢٧، مسند أحمد ٢: ١٧٥ و٢٢٣، سنن ابن ماجة ١: ٥٥، المستدرك ٣: ١٦١، ٣٤٢، ٣٤٤، الفائق للزمخشري ١: ٣٢٨، كنز العمّال ١٣: ٣١١ رقم ٣٦٨٨٧، فتح الملك العلي: ١٥٧.

من أهل العراق عند موتك فيجهّزونك ويدفنونك، أخبرني بذلك في غزوة تبوك.

فأمر عثمان جلاوزته بترحيله إلى الربذة وهي مكان في البادية موحش تقع بين الشام وبلاد الروم (كذا) فلم يخرج لتشييعه إلّا الإمام أميرالمؤمنين والحسنان عليهم السلام وبقي أبوذر في الربذة زماناً قصيراً ثمّ مرض، فقال له بعضهم: ماذا تشتهي؟ فقال: رحمة ربّي، قالوا: ممّن تشكو؟ قال: مرض ذنوبي، فقال: أنجيئك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني[١]، فبكت ابنته وهي عند رأسه، فقالت: ابتاه من لي في هذا القفر الموحش؟ فقال أبوذر: بنيّة، إذا أنا متُّ فضعي البساط على وجهي وقفي على قارعة الطريق إلى العراق، فسوف يصل إليك تجّار فأخبريهم بحالي فإنّهم يلون أمري، فامتثلت الفتاة أمر أبيها وإذا بتجّار قد أقبلوا عليها فقامت في وجوههم: أيّها الناس، أبوذر صاحب رسول الله فارق الحياة فأعينوا على تجهيزه.

فلمّا سمع القوم اسم أبي ذر ترجّلوا بأجمعهم عن دوابّهم وشرعوا في البكاء وكان أحدهم جاء معه بأربعة آلاف حلّة فانتزع إحداها وكفّنه بها ثمّ شيّعوه إلى قبره ودفنوه بخير تجلّة. أُنظر إلى صنع خليفة رسول الله، بخٍ بخٍ لهذاالخليفة، وبخٍ بخٍ لهذا الصلاح.

فصل

في قتل عثمان بن عفّان

اعلم بأنّ عثمان حين استتبت له الأمرة أرسل عمّاله إلى الولايات والأقاليم في بلاد العرب والعجم فبعث إلى مصر عاملاً من أقرب قرباء مروان لم يدخل الإيمان جوفه وكان مدمناً، كثير الزنا والفجور، لا يكاد يفارق الثمل، واسمه عبدالله، فسكر

(١) تنسب هذه لغيره وقيل هذا الحوار جرى بين ابن مسعود وعائديه.

ذات ليلة إلى الصباح فصلّى بهم الصبح أربع ركعات وقرأ مكان الفاتحة:

عشق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

ثمّ سلّم والتفت إلى المصلّين وقال: هل أزيدكم[1] أنا سكران فإن شئتم صلّيتها ثمانياً، فاجتمع الناس، قيل: ثلاثة وعشرون إنساناً، وقيل: ثمانون ألف رجلاً، وقصدوا المدينة فلمّا وصلوا إلى المدينة كان عثمان على المنبر فصاحوا بعثمان: اعتزل امرنا أو اعتدل وغيّر عمّالنا. فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله[2]، وتشاجر القوم معه وأخيراً قبلوا بتأمير محمّدٍ على مصر، وكتب عثمان معه كتاباً بتأميره، وكتب كتاباً آخر سرّاً، وفيه: إذا جاءكم محمّد بن أبي بكر فاقتلوه.

وقال أميرالمؤمنين لمحمّد: كن من القوم على حذر واحتط لنفسك فإنّك لا تصل مصر، لأنّهم يضمرون قتلك.

وعاد محمّد إلى مصر وفي الطريق شاهدوا راكباً مسرعاً، فأحضره محمّد وطالبه بالكتاب، فأنكره، فقال له محمّد: أخبرني به من لا يكذب، وفتّشوه فوجد الكتاب معه وقد وضعه في شنّ بالية، ولمّا قرأوه عادوا بأجمعهم إلى المدينة فوجدوا عثمان على المنبر، فقرأوا الكتاب على الناس وهو يستمع، فاعتذر عثمان بمروان وقال: هو صاحبها، فقال الناس: ادفع إلينا مروان، فقال عثمان: لا أفعل، فصاحوا

---

(١) ما قصّه المؤلّف علينا يخالف ما رواه الرواة والمؤرّخون فهذا الذي سمّاه عبدالله ونسبه إلى رحم مروان وولّاه على مصر إنّما هو الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة وأخوه من أُمّه وكان معاقراً ومدمناً للشراب ومولعاً بالزنا، ومشهوراً بذلك، فشرب الخمر ليلة ودخل المسجد ليؤمّ الناس لصلاة الصبح، فصلّى بهم أربعاً ثمّ التفت إلى المأمومين فقال: هل أزيدكم؟ حتّى أنّه كان في الصلاة الكذائيّة فأنشد أبياتاً عشقيّة .. الخ. (أضواء على الصحيحين للنجميّ: ٢٩٨ عن أحمد ابن حنبل، وشرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣)

(٢) لست أدري كيف ألبس الله هذا الكلب القميص؟ ومتى ألبسه إيّاه؟ وهل ألبسه القميص ليبدي سوأته لعنه الله؟

به، فنزل مسرعاً عن المنبر واختبأ في بيته، فحاصروه ثلاثة أيّام ومنعوا عليه الماء[١]، وفي اليوم الثالث دخل عليه محمّد وضربه ضربات جارحة وهجم عليه المهاجرون والأنصار مجتمعين واستباحوا دمه وقتلوه، وتركوه ملقىً في بيته ثلاثة أيّام لم يأذنوا بدفنه.

وقيل: ربطوا في رجله حبلاً وسحبوه في الأسواق[٢] فمنع أميرالمؤمنين من ذلك وقال: هذا لا يليق بنا فإنّ أهل الكتاب يعيبوننا ويقولون: انظروا إلى ما يصنعه المسلمون بإمامهم ولكنّهم لا يعرفون عن ظلمه شيئاً وكيف كانت سيرته، ودفن في مقابر اليهود بالقرب ممّن يدعى كوكب (كذا)، فلمّا استخلف معاوية لعنه الله ألحق المكان في مقابر المسلمين ومن هذه الجهة قال بعض الصحابة: قتلناه كافراً.

والعجب من مقاييس القوم فإنّهم يجعلون إجماع أهل السقيفة حقّاً وإجماع يوم الدار على قتل عثمان باطلاً، والحقّ طرح الاثنين واعتقاد الحقّ مع عليّ عليه السلام فنقول: الحقّ مع عليّ عليه السلام في الحالين.

وقيل: لمّا رجع محمّد وجد عثمان على المنبر فقال: ما قولك فيمن يدّعي الإسلام وإمامة المسلمين ثمّ يأمر بقتل أخيه المسلم من غير ذنب؟ فقال عثمان: يجب قتله إن صحّ الذي تقوله، فأخرج حينئذٍ محمّد كتابه وقرأه على المهاجرين والأنصار، فصاحوا بعثمان وحملوا عليه فقتلوه وقالوا: لا يُدفن في مقابر المسلمين.

---

(١) تحدّثنا عن هذه المزعمة فيما سبق وقلنا المدينة لا تشرب من نهر تقوم على ضفافه وإنّما تشرب من الآبار وما من بيت إلّا وله بئر يستعذبها لشربه وبئر أُخرى لحاجاته الأُخرى، وعثمان في بيته آبار لا بئر واحدة فكيف مات عطشاناً، وإذا صحّ ذلك فإنّ الله قتله عطشاً حين سلّط النار على جوفه.

(٢) هذا القول لم أعثر عليه عند أحد وقد تظلّموا لعثمان كثيراً فلم يذكروا في ظلامته سحبه في الأسواق ولا ندري شيئاً عن مصادر المؤلّف.

وكان الإمام في ذلك اليوم قد اجتنب الفتنة وخرج خارج المدينة، فلمّا قتل عثمان تجمهروا في المسجد وقالوا: أنتم تعلمون بما جناه عثمان على الأُمّة ونرى الصلاح في مبايعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنّه أهل لها وهو صالح وعالم وعابد، وكان الحق حقّه، فقال عمّر وأبو الهيثم بن التيّهان ورفاعة بن نافع ومالك بن العجلان وأبو أيّوب وخالد بأجمعهم: الرأي ما رأيتم ونحن معكم فأخرجوا بنا إلى بيت عليّ عليه السلام، فاجتمعوا على بابه فضجر من هذا الوضع أميرالمؤمنين لأنّه على علم بعذر طلحة والزبير، فقال له الناس: إن لم تقبل البيعة ألحقناك بعثمان، وأوّل من بايعه طلحة والزبير (لعنهما الله) وكان طلحة يعاديه إلى آخر حدّ. فالتفت عليّ إليهما وقال: دعوني والتمسوا غيري، وقال أيضاً: لا أرضى ببيعتكم لأنّي غير آمن من شرّكم وبايعه القوم طائعين غير مكرهين.

وكان طلحة خازن بيت المال وصاحب البهم والصدقات والزكاة أيّام عثمان[1] ولمّا قتل عثمان أرسل المفاتيح إلى عائشة ولجأ إليها.

وبايع أهل المدينة جميعاً ـ قلباً ولساناً ـ أميرالمؤمنين وكان اجتماعهم على البيعة لا نظير له حتّى كاد القوم أن يهلكوا، فقال أميرالمؤمنين: أرى من الصلاح أن نذهب إلى المسجد ليعلم الناس كلّهم بالبيعة ويرغبوا بها.

الفصل الثاني

في ذكر بعض أحوال أميرالمؤمنين عليه السلام

ولمّا تمّت البيعة لعليّ عليه السلام خطب الناس خطبة بليغة وأمر الناس بطاعة الله

---

(١) لم يسند إلى طلحة هذا المنصب أيّام عثمان والمؤلّف يقول من غير علم ويخالف إجماع المؤرّخين ولا يرشد إلى المصدر.

ورسوله وطاعته، وقال: إنّكم لتعلمون أنّ الحقّ حقّي، وأنّه غصب منّي بالظلم والجور، ثمّ نزل عن المنبر وأوّل خطوة خطاها عزل ولاة عثمان وترك أبا موسى الأشعريّ لأنّ مالكاً تشفع فيه ثمّ ولّى قثم بن العبّاس على مكّة وولّى (عبدالله) عبيدالله بن العبّاس اليمن، وولّى عثمان بن حنيف على خراج البصرة والحارث بن قدامة على إمامة صلاتها.

ويقال: إنّه ولّى عبدالله بن العبّاس على الشام فامتنع وقال: لا أقدر على ذلك، لأنّ فيها معاوية وهو ابن عمّ عثمان وأدنى غدره أن يحبسني، فشاوره أميرالمؤمنين في الشام وأهله، فقال: اكتب كتاب تولية معاوية على الشام ليعلم بذلك أهل الشام ثمّ ابعثني إليه أعزله. واستدعى المغيرة وشاوره في أمر الشام، فقال المغيرة: الرأي أن تترك الشام لمعاوية وتولّي طلحه والزبير على البصرة والكوفة، وكان عبدالله بن عبّاس لا يرى رأي المغيرة وقال: يا أميرالمؤمنين، البصرة والكوفة هما السواد الأعظم، وطلحة والزبير عدوّك فليس بعيداً أن يجمعا الرجال ويخرجا عليك، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: الرأي ما رأيت، فاستاء المغيرة من ذلك وقال: لا أُشاركك الرأي بعد اليوم ولو كان بمقدار نفس واحد أي لا أشير عليك ما دمت حيّاً.

وعمد عبدالله بن عبّاس فكتب كتاب التولية إلى معاوية سرّاً فلمّا علم به أميرالمؤمنين لامه فقال: إن ردّ الكتاب فإنّما يردّ كتابي، وإن قبله فإنّ النفع صائر إليك، فكتب أميرالمؤمنين كتاباً إليه وقال: بايعني المهاجرون والأنصار وعليك أن تقدم بأهل الشام عليّ للبيعة وولاية الشام لك[1].

---

(١) هذا القول لم يقله أميرالمؤمنين وما كان ليولّي معاوية الشام وهو يعرفه حقّ المعرفة فإنّه يكون حينئذٍ شريكه في جناياته التي لا حصر له، وقال أميرالمؤمنين لمن أشار عليه بإبقاء معاوية كلمة واحدة «وما كنت متّخذ المضلّين عضداً» وهذا هو الموافق لعصمة أميرالمؤمنين وإمامته، أمّا

ولمّا قرا معاوية كتاب أميرالمؤمنين أنكره وقال: لا ولاية لعليّ عليّ، وقال قوم: رضي معاوية بتفويض أمر الشام إليه كما جرت عادة الخلفاء من قبله ولكن الإمام عليه السلام لم يرض بذلك وشفع له عبدالله بن عبّاس أن يترك الإمام ولاية الشام له ثمّ يعمل بعد ذلك بما شاء، فقال أميرالمؤمنين: ما عذري إلى الله غداً يوم القيامة وما جوابي لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أترك على المسلمين والياً مثل معاوية بن أبي سفيان.

وأنا ـ المؤلّف ـ آخذ بهذا القول وأعتمد عليه لأنّه الجدير بالعصمة والتقوى، وأمّا القول الأوّل فهو المكر والدهاء، وهذه السياسة لا تلائم مقام العصمة، وإن كانت إلى الساسة أقرب، ولمّا بلغ الإمام عليه السلام إباء معاوية عن بيعته جمع أهل المدينة وحرّضهم على حرب معاوية.

الفصل الثالث

في قتل (شهادة) عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام

جاء في الروايات أنّه بعد إبرام الصلح بين عليّ عليه السلام ومعاوية (لعنه الله) اجتمع جماعة من الخوارج في بيت الله الحرام وراحوا يتذكّرون قتلاهم في النهروان ويترحّمون عليهم ويذكرون مناقبهم ويصلّون عليهم، فقام ابن ملجم من بينهم وقال: أنا أكفيكم عليّاً، وقال عبدالله بن سليمان: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو ابن بكر التميميّ ـ التيميّ ـ اعهدوا إليّ بقتل ابن العاص، واتّعدوا مع بعضهم البعض وجعلوا الموعد ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وصلّوا على عثمان والزبير،

⊃ إطلاق الشام لمعاوية فهو كذب وافتراء ولا ندري من أين أخذ المؤلّف لأنّه لا يذكر المصدر إلّا نادراً.

وقال: سننتقم لدماء هؤلاء[١].

وحدث لعمرو بن العاص ليلة الموعد عارض من علّة فاستناب مكانه للصلاة عبدالله بن خارجة التميمي فقتله عبدالله بن سليمى خطأ كما قيل.

وضرب عمر بن بكر التيمي كتف معاوية ـ ضربه على عجيزته ـ فلم يعمل السيف فيه فأرادوا قتل عمرو فقال: يا معاويه أطلقني فإنّ لك عندي بشارة، فقال معاويه: ما هي؟ قال: سيأتيك غداً نبأ قتل عبدالرحمان بن ملجم عليّاً، فقال معاوية: إن صدقت فإنّي مُطلقُك وأمر بحبسه، فلمّا بلغه قتل عليّ أطلق سراحه.

وأمّا حكايه عبدالرحمان بن ملجم لعنه الله فإنّه ذهب إلى الكوفة وخبأ نفسه فيها وكتم سرّه، وصادف أن جائت قطام اللعينة إلى البيت الذي فيه عبدالرحمان ملجم، فلمّا رآها هويها فخطبها إلى نفسها، فقالت له: إنّ مهري ثقيل. فقال عبدالرحمان: وكم عساه يكون؟ فقالت: ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل عليّ. فقال: ما أسهل المال ولكن ما أصعب قتل عليّ. فقالت: اطلبه حتّى تصيب غرّته فإن قتلته لذّ لك العيش معي، وإذا قُتِلت فلا تعدم ثواب الآخرة. فطلبت له شبيب وهو من الخوارج ليعينه، وأفضى هؤلاء اللعناء بالسرّ إلى الأشعث بن قيس وكانت قطام قد اعتكفت في مسجد الكوفة وقد توشّحت بالسواد وكان الإمام قد قتل أباها وأخاها في النهروان فحقدت على الإمام جرّاء ذلك حقداً شديداً.

وكان حجر مقيماً في المسجد تلك الليلة يصلّي، فارتاب بهم، فخرج مسرعاً ليخبر أميرالمؤمنين، فاختلف معه في الطريق.

---

(١) أمّا رأي الخوارج في عثمان فهو على النقيض ممّا ذكره المؤلّف وإنّهم ليلعنونه لعناً كثيراً لاعتقادهم بأنّه أوّل من أبدع في الإسلام وألحد في الدين ورأيهم في أهل الجمل لا يختلف عن رأيهم في نعثل.

قالت أُمّ كلثوم: إرق أبي تلك الليلة فلم يغمض له جفن، وقضى ليلته مصلّياً ويخرج بين فترة وفترة ويقول: ما كذبت ولا كُذِّبت. قالت أُمّ كلثوم: فقلت له: ما الذي جرى لك يا أبتاه لم تنم الليلة؟ فقال: غداً تعلمين ما الذي يجري على أبيك.

وكان في رمضان الذي قتل فيه أعرض عن الأكل واقتصر على ثلاث لقمات، فقيل له: يا أميرالمؤمنين، مالك لا تأكل؟ فقال: أشتهي أن ألقى الله ورسوله وأنا خميص البطن، وكان إذا بلغ الألم به أشدّه من رعيّته يقبض على لحيته الكريمة: متى ينبعث أشقاها فيخضب هذه من دم رأسي.

قال أبو صالح: سمعت عليّاً يقول: رأيت النبيّ في النوم وشكوت له أُمّته، فقال لي: لا تحزن فإنّك عن قريب تلقاني وتنجو من غدرهم، فما مرّ على تلك الرؤيا ليلتان حتّى خضّبه ابن ملجم لعنه الله بسيفه.

ولمّا سمع الأذان أميرالمؤمنين عزم على الخورج إلى المسجد، فقالت له أُمّ كلثوم: أرى أن ترسل إلى جعدة بن هبيرة للصلاة وتقيم أنت في البيت، فقال: حسناً رأيت ولكن استثنى من ذلك وقال: لا مهرب من الموت.

اشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

قيل: لمّا جاء ابن ملجم للبيعة، أخذ الإمام البيعة منه سبع مرّات، فقال الإمام الحسن: لم تفعل بأحدٍ من الناس ما فعلته بهذا؟! فقال: لو بايع مائة مرّة فإنّه لا يترك فعلته.

وكان هذا اللعين يماشي الإمام عليه السلام فوقفت دابّته، فأمر الإمام بإبدالها بأحسن منها، ولمّا اعتلى ابن ملجم صهوتها وأدبر، قال أميرالمؤمنين:

أُريد حباته ويُريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

كان عمر بن الخطّاب يروي رواية ويقول: إذا شككت بمولد طفل هل هو

لسفاح أو لنكاح فقد قال رسول الله ﷺ: ضَعْه أمام عليّ فإذا تبسّم وضحك فهو ابن حلال، وإن بكى فهو لغير رشده.

قال رسول الله ﷺ: قال لي إبليس: قل لعليّ يرد لي حقّي، فقال أميرالمؤمنين: وما حقّ هذا اللعين ـ يا رسول الله ـ عليَّ؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّه قال: ما من عدوّ لعليّ إلّا وأشركت أباه فيه، قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾[1] والحقيقة أنّ عدوّ أهل بيت النبيّ لا يمكن أن يكون إلّا لغير رشدة.

ولمّا خرج أميرالمؤمنين خرج وهو يردّد «اشدد حيازيمك للموت» ولمّا توسّط صحن الدار صِحْنَ إوزٌ أُهدين للحسنين في وجهه فزجرتهنّ أُمّ كلثوم، فقال أميرالمؤمنين: دعيهنّ يا بُنيّة، فإنّهنّ يَنِحْنَ عليَّ.

وجوهر القول أنّ الإمام لمّا بلغ المسجد كان النغل الزنيم راقداً فيه يرقب غرّة الإمام، فأخذه النوم فأقبل الإمام ونادى برفيع صوته «الصلاة أيّتها الجماعة» فنهض شبيب حين دخل الإمام محرابه وشرع في الصلاة فضربه شبيب ضربة خفيفة لم تؤثّر فيه ولاذ بالفرار، وكان الإمام إذا دخل في الصلاة انقطع عن العالم، حتّى جائه عبدالرحمان بن ملجم عليه اللعنة وضربه ضربة شديدة فخفّف في الصلاة وقد جرى الدم على لحيته الشريفة فكان يأخذ الدم ويمسح به الجدار، يقال: إنّ هذا الدم ما يزال ظاهراً في ذلك المكان.

ثمّ هرب ذلك اللعين ودخل شبيب بيته وأخذ يحلّ الحرير عن صدره وكان له ابن عمّ مسلم، فقال له: يا عدوّ الله، كأنّك قتلت أميرالمؤمنين، فأراد أن يقول لا، فقال: نعم، فضربه ابن عمّه بالسيف حتّى ألحقه بجهنّم.

وهرب عبدالرحمان فارتفع النداء في الكوفة بأنّ عبدالرحمان قتل عليّاً عليه السلام،

---

(١) الإسراء: ٦٤.

وجاء حمّاميّ وبيده بساط فلمّا رأى ابن ملجم يعدو هارباً ألق البساط على عـنقه وأخذ يجرّه حتّى قدم به على الحسنين فأوقدوا مشعلاً وحملوا الإمام إلى بيته وأمر جعدة ابن أُخت الإمام أن يصلّي بالناس فجاؤوا الإمام بشراب من اللبن، فقال: احملوا لابن ملجم مثله لأنّه خائف.

فصاح الناس به: أيّها اللعين، لم قتلت الإمام؟ فقال: ما أنا الذي قتلته، وجاؤوا بجرّاح لسبر جرح أميرالمؤمنين عليه السلام، فـلمّا أرسـل المسـبار في جـرح الإمـام عليه السلام وأخرجه قال: يا أميرالمؤمنين، أوص وصيّتك فإنّ سيف الملعون نفذ إلى الدماغ، لأنّه قال: اشتريت سيفي بألف، وسممته بألف، ثمّ أوصى الإمام وصيّة للحسن عليه السلام وهي الوصيّة التي أوصاه بها رسـول الله صلى الله عليه وآله، وقـال: يـا حسـن، أنت وصـيّي، والحسين من بعدك وصيّك، ومن بعده ولده عليّ بن الحسين زين العابدين، وأخيراً قال:، إن سلمت من ضربة ابن ملجم فأنا أولى بدمي؛ إن شـئت اقـتصصت وإن شئت عفوت، وإذا أنا متُّ فاضربوه ضربه بضربه، فإذا قتلتموه فأحرقوا جـثّته كقاتلي الأنبياء فإنّ جثثهم تحرق بعد قتلهم، ثمّ توفّي الإمام بعد ذلك، فعمل الحسن بوصيّة أبيه وضربه ضربة واحدة واستوهبت أُمّ الهيثم وهي امرأه مؤمنة جثّته من الإمام الحسن عليه السلام وأحرقتها.

وتوفّي أميرالمـؤمنين في الواحـد والعـشرين مـن شهـر رمـضان وأوصى: إذا غسلتموني فكفّنوني واحملوني إلى الغري، فسيرتفع المقدّم فارفعوا المؤخّر، وحيثما وضع المقدّم فضعوا المؤخّر، وادفـنوني هـناك، فـلمّا تـوفّاه الله إليـه قـام الإمـام الحسن عليه السلام بتجهيزه فغسّله وكفّنه وتقدّم للصلاة عليه وصلّى ورائه مواليـه، ولـمّا حملوا جنازته سمعوا للملائكة دويّاً كدويّ النحل، وحملوا النعش إلى الغري، ودفن هناك حيث قبره الآن في النجف.

ولمّا بلغوا الموضع لاحت لهم صخرة بيضاء تدلّ على القبر فاشتغلوا بحفره، فلمّا حفروا قدر ذراعين ظهر لهم قبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقوره وكتب عليها:

هذا القبر من نوح لأخيه عليّ[1] بن أبي طالب وصيّ محمّد، فدفنوه فيه وضيّعوا القبر بأمر الإمام حيث أوصاهم بإخفاء القبر لعلمه أنّ الحكم يؤول إلى بني أُميّة وآل مروان وإذا علموا به فإنّهم يحفرونه.

ولمّا رجع المؤمنون من دفنه وشاهدوا معجزة القبر الذي حفره نوح قبل آلاف السنين له، بقي من لم ير ذلك في شوق زائد إليه، حتّى إذا ظهر القبر للعيان رغب مواليه في زيارته ورؤية هذه المعجزة فزاروا وشاهدوها.

وقال جماعة ذهبوا لزيارته وتحرّوا رؤية القبر فلم يقعوا على أثر له لأنّ الله تعالى أخفاه وبقي مستوراً حتّى أيّام هارون الرشيد، وذات يوم خرج الرشيد يصطاد فرأى قطيعاً من الضباء تجثم على ذكوة بيضاء فلمّا بصرت بهم تفرّقت يميناً وشمالاً فأرسلوا عليهنّ كلاب الصيد فإذا بلغن موضع الذكوة تراجعن إلى الوراء. فتحيّر هارون في أمرهنّ فبنى أطنابه هناك وأرسل إلى الكوفة وراء شيخ طاعن في السنّ وسأله عن جلية الحال، فقال: إنّي سمعت أسلافي يقولون: هاهنا قبر عليّ بن أبي طالب. فأقام هارون ثلاثة أيّام هناك، وشرع في الصلاة والتضرّع والزيارة، ومن طلب حاجة من الله هناك فإنّها تُقضى له.

وقيل: إنّ الإمام الصادق عليه السلام في المدينة فاستدعاه[2] وأمره بتعيين قبر أميرالمؤمنين إلى أن أقام عليه هارون قبّة فأصبح اليوم قبلة ذوي الحاجات.

قيل: لمّا رجع الحسنان من دفن أبيهما سمعا أنيناً عالياً فقصدا مقصدها، فرأيا شيخاً أعمى عاجزاً، فقالا له: ممّ أنينك يا شيخ؟ قال: أنا شيخ أعمى كبير عاجز وكان رجل يأتيني ويتعاهدني بالرعاية، فيحمل لي طعامي ومائي، وهذه ثلاثة أيّام افتقدته فيه ولست أدري ما الذي حدث له.

---

(١) فياعجباً لهذا المؤلّف، أما علم أنّ عليّاً ابن نوح وليس أخاه.

(٢) استشهد الإمام الصادق عليه السلام في عصر المنصور جدّ الرشيد فكيف غفل المؤلّف عن هذا.

فقال له الإمام الحسن: أما سألته عن اسمه؟ قال: سألته، فأجابني: عبداً من عباد الله تعالى. فإذا جاءني أحس بإشراقة باطنيّة تستولي عليّ ويذكو هذا البيت بعرف عصمته.

فبكى الحسنان ومواليهما وقالا: هذه صفة أبينا، فقال الرجل: من أبوكما؟ ومن أنتما؟ فقالا: نحن الحسنان وأبونا عليّ بن أبي طالب. فقال الشيخ: وما الذي جرى لأبيكما؟ فقالا: الآن فرغنا من دفنه وأقبلنا من قبره، فرفع الشيخ يده وقبض على تلابيبه وقال: بحقّ أميرالمؤمنين إلّا ما أخذتموني إلى قبره، فحملوه إلى القبر، فوضع الشيخ رأسه على القبر وبكى بكاءاً شديداً وقال: اللهمّ أسألك بعصمة أميرالمؤمنين وطهارته إلّا ما قبضت روحي فإنّي لا أُحبّ الحياة هذه، دعا بهذا الدعاء ثمّ أسلم الروح فقام الحسنان على تجهيزه ودفناه عند قبر أميرالمؤمنين.

وكان عمره الشريف ثلاثاً وستّين سنة، ولد قبل البعثة بعشر سنين وعاش بعد البعثة مع النبيّ ثلاثاً وعشرين سنة، وثلاثين سنة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، ومدّة خلافته خمس سنوات وأشهر(١). عاش بعد البعثة يعاني الشدائد مع المشركين، وفي أيّام خلافته عليه السلام الظاهريّة عانى دائماً من خبث معاوية وطلحة والزبير والخوارج وأمثالهم، ولم يلقّب أحد قبله ولا أحد بعده بأميرالمؤمنين(٢) ولم يجاهد جهاده نبيّ ولا وصيّ نبيّ، ولم يكن في شجاعته أحد من الناس.

زوجته فاطمة الزهراء مربّية رسول الله محمّد المصطفى منذ طفولته إلى يوم وفاته، أولاده الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وحباه الله بكثرة النسل بما لم يحبُ به أحداً من الناس وهم السادات الكبار المعروفون بالاسم والنسب وليس لنبيّ ما له من الذرّيّه الطاهرة، ويتّصلون برسول الله بواسطة الزهراء فاطمة عليها السلام.

---

(١) المعروف أنّ العام الخامس من ولايته لم يتمّ.

(٢) أمّا الذين تلقّوا به قبل الإمام وبعده فإنّهم تلقّبوا به ظلماً وعدواناً وزوراً.

الباب الرابع والعشرون

في تعيين تاريخ أعمار الخلفاء الأربعة

اعلم أنّ أبا موسى الأشعريّ كان والياً لعمر بن الخطّاب في بعض النواحي فكتب إلى عمر: إنّ كتبك تصل اليّ ولست عارفاً بتاريخها، فجمع عمر أصحابه وشاورهم في الأمر فقال بعضهم: نجعل أوّل التاريخ مبعث الرسول، فلم يرضى عمر ذلك واستشار عليّاً عليه السلام، فقال عليّ عليه السلام: خرج الرسول من أهل الشرك وهو يوم هاجر، فرضي بذلك عمر وجعله أوّل التاريخ وكتب إلى الولايات والأقاليم به، فكان يوم الهجرة معتبراً في أوّل التاريخ.

الفصل الأوّل

وذكر الشيخ أبوالحسن الفارسي الناصبي في كتابه تاريخ الخلفاء أنّ اسم أبي بكر عبدالله، واسم أبيه عثمان، ولقّب بعتيق وهو عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن لؤي، وكنية أبيه أبو قحافة، وأُمّه سلمى بنت صخر، ووزيره عثمان بن عفّان في بيت المال وأمثاله، ووزير تدبير الملك والقهر وتولية الولايات والعزل وتعيين النوّاب على البلاد عمر بن الخطّاب.

واستقال أبوبكر مرّات بقوله: «أقيلوني» فلست بخيركم وعليّ فيكم. ولم يترك عمر الناس كي يقيلوه وقالوا: لا نقيلك، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيّام، وقيل: ثلاثة عشر يوماً.

أخذ البيعة من الناس في سقيفة بني ساعدة في اليوم الأوّل، وسانده جماعة من أعداء أهل البيت، توفّي في اليوم السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وعمره ستّون سنة[١]، وكان أبوه حيّاً يوم وفاته، ولم يستخلف أحد من الخلفاء وأبوه على قيد الحياة سواه، وليس ذلك لخير يريده الله به لأنّ أباه امرئ غير معصوم من الخطأ فقد يخطأ ويرتكب معصية توجب عليه الحدّ فإن أقامه عليه ابنه فقد عصى الله فيم قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[٢] وإن ترك الحدّ عصى في تركه[٣].

أمّا يوسف ونظائره من الأنبياء فإنّ نبوّتهم أتتهم بعد وفاة آبائهم، سلّمنا أنّ منهم من كان نبيّاً في حياة أبيه، إلّا أنّه من ذوي العصمة الذي لا يظنّ بهم السوء، ثمّ إنّ يوسف وأشباهه نوّاب آبائهم في حياتهم ولم يكونوا أنبياء على الاستقلال[٤].

أمّا ما يقال من أنّ أبابكر كان في مبعث النبيّ ابن الأربعين عاماً وبقي مع النبيّ

---

(١) سبق أن ذكر المؤلّف عمره ثلاثاً وستّين عاماً.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) لا أرى وجهاً لهذا القول لأنّ تحريم «الأف» في الآية لأمور تعود إلى النفس وتدعو إلى التذمّر وإقامة الحدّ يعود إلى حقّ الله فلا يدخل تحت مفهوم الآية.

(٤) سبحان الله! إنّ هذا لرأي بارد أجلّ المؤلّف عنه لأنّنا لو سلّمنا له بما قال عن الأنبياء وآبائهم فإنّ الإشكال باقى مع أُمّهاتهم، وحقوق الأمّ إن لم تزد على حقوق الأب فإنّها لا تقلّ عنه، وكلّ ما قاله من نبوّتهم بعد موت آبائهم ونيابتهم عن آبائهم لا اصل له، فمنهم من تنبّأ وأبوه حيّ أو ليس بنبيّ أبوه، وحينئذٍ يبقى الإشكال الذي ساقه على أبي بكر على حاله، اللهمّ إلّا شيء واحد ينبغي أن يقتصر عليه وهو عصمتهم بخلاف ابن أبي قحافة ذي المعاصي وصاحب الشيطان.

ثلاثاً وعشرين سنة مدّة البعثة وبقي سنتين وثلاثة أشهر وأيّاماً بعد وفاة النبيّ فكان يوم وفاته له من العمر خمس وستّون عاماً وثلاثة أشهر وأيّاماً فإنّ هذا هو المعتمد لا الرواية الأُولى.

وكان أبوبكر من بني «تيم اللات».

الفصل الثاني

وكنية عمر «أبو حفص» وقالوا: عمر بن الخطّاب بن نفيل ابن عبدالعزيز بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، ووزيره زياد بن مسلم، دامت خلافته عشرة أعوام وستّة أشهر وأربعة أيّام، وقتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة في السادس والعشرين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان له من العمر ثلاث وستّون سنة، وصلّى عليه صهيب مولى عبدالله بن جدعان.

سألوا الإمام الصادق عن أبي بكر وعمر كيف استقامت لهما الأُمّة ولم تستقم لعثمان، فقال عليه‌السلام: عدل الرجلان مع الناس إلّا مع أهل بيت النبيّ، أمّا عثمان فكان ظلمه عامّاً؛ لأهل البيت وللناس قاطبة، من هذه الجهة اجتمع الناس عليه فقتلوه[1]، وسلبت ثقة الناس فيه، اللهمّ إلّا ما يذاع عنه من أفعال محمودة ليس لها واقع بل أُنشئت كراهيّة للشيعة وأهل بيت الرسول وأذاعتها جماعة تطلق على نفسها العثمانيّة وكان عمر عدويّاً.

---

(١) لعلّ الإمام يريد بعدلهما مقيساً إلى ظلم عثمان فهما خير منه سيرة وسلوكاً، أمّا العدل من حيث هو عدل فلا لأنّ حروب ما يسمّى بالردة وما جناه أبوبكر على يدي السفّاح خالد بن الوليد من قتل الناس وإحراقهم والتمثيل بهم لم يترك للرجلين رائحة من العدل.

الفصل الثالث

وكنية عثمان أبو عبدالله وهو عثمان بن أبي العاص بن أُميّة يعني عثمان بن أبي عاصم بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف[١]، بويع في أوّل المحرّم سنة أربع وعشرين، ودامت خلافته اثني عشر عاماً إلّا ثمانية أيّام، وقُتل بالمدينة بإجماع المهاجرين والأنصار لاثني عشر ليلة بقيت من ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين، وكان عمره ثمانين سنة وهو أوّل ملوك بني أُميّة

الفصل الرابع

كانت خلافة مولانا حجّة الله على الخلق عليّ عليه السلام أربع سنين وثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً، ودفن يوم الجمعة ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان، وهو هاشميّ الأبوين، عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، ابن عمّ الرسول شقيق والده عبدالله، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وعمره الشريف ثلاثة وستّون عاماً، وقيل: خمسة وستّون.

الفصل الخامس

قال أبو عنان مالك بن إسماعيل الهنديّ ويسمّى الراهب أو الواهب: حضر محمّد بن أبي بكر عند أبيه في السياق وهو ينازع سكرات الموت، فقال له: أراك يا أبتى بحال لم تكن عليها من قبل، فقال: يا بني، للرجل عليّ مظلمة إذا حلّني منها رجوت أن أفيق[٢].

---

(١) تبعة هذا النسب على المؤلّف فإن ورد فيه خطأ فعليه وزره.

(٢) كان عمر محمّد عليه السلام عندما هلك أبوه سنتين.

وحديثه سقيم، فقال محمّد: من ذلك الرجل يا أبتى؟ فقال: عليّ بن أبي طالب، فقال محمّد: أنا الضامن لعليّ أن يحاللك لأنّه رجل سليم، ثمّ أقبل محمّد على أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: تركت أبي على شرّ حال وضمنت له أنّك تعفو عنه وتبرء ذمّته، إن كان ذلك من رأيك، وتترحّم عليه وتعفو منه.

فقال أميرالمؤمنين: «كرامة لك» ولكن قل لأبيك أن يرقى المنبر ويخبر الناس بهذا ليخرج من ذمامي، فعاد محمّد إلى أبيه وقال: قد استجيب الدعاء فقد قال عليّ: كيت وكيت، فقال أبوبكر: ما أُحبّ أن لا يصلّي عليّ بعدي اثنان[1] فإنّي إن أقل هذا القول أبق لعنة على ألسن الناس إلى يوم القيامة.

سأل أميرالمؤمنين يوماً محمّداً بن أبي بكر: أما سمعت أباك يقرأ هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[2] وقال عمر لك أحذر يا بني أن يسمع منك ابن أبي طالب ما قال أبوك فيشمت بنا؟ فقال محمّد: صدقت يا علي، وقال: أنا سمعت (أبي) يلعنه ويقول: أنت أوردتني الموارد، فقال: بلى ..[3].

---

(١) ينبغي أن تكون العبارة هكذا: أتحبّ أن لا يصلّي علَيّ اثنان.

(٢) ق: ١٩.

(٣) من أجل الحقيقة وحدّها يجب أن لا نمرّ بهذه الأحاديث مرّ الكرام، فإنّ اليقين خير من الشكّ، والصدق خير من نقيضه، ولابدّ من معرفة العمر الحقيقيّ لمحمّد بن أبي بكر عند موت أبيه، فقد أجمعت كلمة المؤرّخين على صغر سنّه عند موت أبيه. قال الخوئي في معجم رجال الحديث عن وعظ محمّد لأبيه عند موته: إنّ عمر محمّد وقتئذٍ كان أقلّ من ثلاث سنين (٩: ٢٣٠)، وقال أيضاً عن رجال الشيخ: محمّد بن أبي بكر ولد في حجّة الوداع وقتل بمصر سنة ٣٨ من الهجرة في خلافة عليّ عليه السلام، وإذا كان في وفاة أبيه بهذه السنة التي لا تتجاوز سنّ اللبن فكيف أمكنه محاورته أو وعظه ونصيحته، والمؤلّف يورد الرواية ويتركها مطلقة دون تحكيم العقل بنقدها، وإنّ هذا لأمر مريب وسرّ عجيب.

الفصل السادس

وجاء في كتاب «فعلت فلا تَلُمْ»[1] أنّ أبابكر وعمر ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجرّاح أدركهم الموت وهم في الويل والثبور.

وقال محمّد بن أبي بكر: قال أبي عند الموت: هذا محمّد وعليّ قد حضرا عندي وهما يبشّراني بالنار، وفي يد محمّد صحيفة هي التي كتبنا فيها عهودنا وهما يقرءان فيها ويبشّراني وعمر ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجرّاح بجهنّم، وكانت عائشة وعبدالرحمان بن أبي بكر وعمر حاضرين عند أبي بكر، فقال عمر: إنّه ليهجر ولكن اكتموا هذا السرّ لئلّا يشمت بكم عليّ وبنو هاشم.

قال محمّد: فقال أبي: يا عمر، إنّي لا أهجر، ألا تذكر عندما كنت معه في الغار قال لي: إنّي لأرى سفينة جعفر تجري في بحر الحبشة، فقلت: يا رسول الله، أرنيها، فمسح بيديه على عينيّ فرأيتها، فقلت في نفسي: هذا الرجل ساحر، ولمّا رجعت إلى المدينة قلت لك بما في نفسي، واتفقنا أنا وأنت في الرأي عمرنا كلّه على أنّه ساحر؟ فقام عمر من عنده وذهب خارج الدار.

قال محمّد: فقلت له: يا أبت، قل لا إله إلّا الله، فقال: والله لا قلتها ولا أستطيع قولها حتّى أدخل النار وأكون في التابوت، فذكر التابوت فقلت في نفسي: إنّه ليهجر، فسألته: وما التابوت؟ فقال: إنّه تابوت يكوت تحت طبقات جهنّم ودركاتها وفيه اثنا عشر شخصاً: أنا وأبوبكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد إلى أن

---

(١) كتاب «فعلت فلا تلم» في المثالب، لأبي الجيش المظفّر بن محمّد البلخي الخراسانيّ المتوفّى سنة ٣٦٧. قال في الفهرست: وهو كتاب كبير، وينقل عنه في الكامل البهائي في ٦٧٣ ويقال له: قد فعلت فلا تَلُم، راجع الذريعة ١٦: ٢٧٧.

عدّ آخرهم، ثمّ قال: إذا أمر الله النار أن تثب فإنّ هذا التابوت يخرج من موضعه المسمّى بالعنق.

قال محمّد: قلت له: «يا أبت تهـذي»؟ قـال: والله مـا أهـذي، لعـن الله ابـن (الضحّاك) صهّاك هو الذي صدّني عن الذكر بعد ما جائني فبئس القرين، ووضع وجهه على الأرض ونادى بالويل والثبور إلى أن هـلك، فـجائني عـمر وأخـي عبدالرحمان وسألاني: هل قال شيئاً آخر؟ فقصصت عليهما ما قال، فقال: احذر أن تبلغ عليّاً قوله.

قال محمّد: وأخبرني عليّ عليه السلام بحالات أبي كأنّما النبيّ صلى الله عليه وآله يأتيه كلّ ليلة في النوم فيخبره بما يكون عليه حال القوم أو أنّه كان يحدّثني من الجفر الجامع للعلوم، أو أنّ ملكاً يأتيه فيحدّثه كما كان يأتي مريم أمّ عيسى، أو أمّ موسى، أو زوج إبـراهـيم ساره التي كلّمتها الملائكة ورأتهم، وهذا كلّه مذكور في القرآن.

قال معاذ بن جبل عند موته: اتّعدنا في حجّة الوداع وتعاهدنا أن لا نترك عليّاً يبلغ الخلافة، وكان بشير بن سعد وأُسيد بن حـضير في هـذا العـهد، فـلمّا تـوفّي النبيّ صلى الله عليه وآله، قال معاذ: أنا أكفيكم الأنصار وأنتم اكفونا قريشاً.

تنبيه:

قال عبدالله بن عمر: أحضر أبي عليّاً عليه السلام عند موته وطلب منه إبـراءً لذمّـته، فقال عليّ عليه السلام: أفعل إن رضيت بشهادة عدلين على ذلك، فـحوّل أبي وجـهه إلى الحائط وسكت ساعة ثمّ أعاد القول ثانياً، فأعاد عليّ عليه السلام قوله، فحوّل أبي وجهه إلى الحائط ثمّ نهض عليّ خارجاً من المكان.

ولمّا كانت الطعنة شديدة على عمر أُوتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فقصده جماعة وبشّروه بالجنّة، فتنفّس عمر الصعداء حتّى كادت روحه أن تخرج، ثمّ قال: والله لو أنّ لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت بها من هول المطّلع. وهذه رواية ابن عبّاس.

وروي أنّه قال: لوددت أنّي لا أدخل النار، وأمثال هذه الروايات.

ودلائل قول أميرالمؤمنين: ما زلت مغصوباً (حقّي) منذ قبض الله رسوله ولقد مات وإنّي والله لأولى الناس بها مني بقميصي هذا.

وكان يقول دائماً: والله لو كان حمزة وجعفر حيّين ما طمع فيها أبوبكر وعمر ولكن ابتليت بحالفين حافيين عقيل والعبّاس[1] وراوية هذا الخبر أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام.

الفصل السابع

جاء في كتاب «فعلت فلا تلم» أنّ أبابكر ندم في مرض موته وكان يقول: ليتني لم أُؤمّن الأشعث بن قيس ولم أُزوّجه أُختي.

والقضيّة التي ملأت قلب الشيخ بالحسرة هي أنّ الأشعث كان قد ارتدّ وكان قد صدر الأمر بقتله، فاستشار أبوبكر أباه أبا قحافة وكان أبو قحافة قد عرض عليه الإسلام في ذلك اليوم، وقال لأبي بكر: آمنه وزوّجه أُختك عسى أن ننال بذلك رفعةً وفخراً، ولو كنت في الجاهليّة لما تيسّرت لك هذه الحال، ففعل أبوبكر ذلك طلباً للملك والجاه وأجرى عليه حكم الإسلام، فقال الأصبغ بن حرملة الليثيّ:

أتيت بكنديّ قد ارتدّ وارتقى ... إلى غاية من نقض ميثاقه كفرا

أكان ثواب النكث إحياء نفسه ... وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا

فلو أنّه يأتي عليك نكاحها ... وتزويجه يوماً لأمهرته مهرا

ولو أنّه رام الزيادة مثلها ... لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا

فقل لأبي بكر وقد شئت بعدها ... قريشاً وأحملت النباهة والذكرا

أما كان في تيم بن مرّة واحد ... تزوّجه لولا أردت به الفخرا؟

---

(١) لعلّهما حليفين حافيين، ولكن المؤلّف ترجمها بقوله: «دو سوگند خورنده و پابرهنه».

ولو كنت لما أن أتاك قتلته لأحرزتها ذكراً وقدّمتها ذخرا

فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة عليك فلا حمداً حويت ولا أجرا[١]

الندم الثاني قوله: «وليتني لم أكشف بيت فاطمة»[٢].

الجواب:

هذا ليس ذنبه هو بل ذنب صاحبه عمر وخالد بن الوليد لينال عمر المكافأة ثمّ يقول: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» أمّا يوم الجزاء لا ينفعه صاحبه ولا يغيثونه، يوم يفرّ المرء من أبيه.

ومن سرّنا نال منّا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان غاصبنا حقّنا فيوم القيامة ميعاده

التأسّف الثالث قوله: ليتني لم أُوَلّ السقيفة[٣]. وهذا يدلّ على ظهور عاقبة أمره لعينه وانكاشفها له بحكم قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٤] ويدلّ أيضاً على أنّ فعله لم يكن بأمر الله ورسوله ولا بمشاورة المؤمنين وإلّا فالنبيّ ﷺ يقول: «ما خاب من استشار»[٥] ودليله قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة.. الخ.

---

(١) الغدير ٧: ١٧٥ نقلاً عن تاريخ الطبريّ ٣: ٢٧٦، وثمار القلوب للثعالبي: ٦٩، الاستيعاب ١: ٥١، الكامل لابن الأثير ٢: ١٦٠، مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٤١، الإصابة ١: ٥١ و٣: ٦٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠: ٤٢٠، ميزان الاعتدال ٣: ١٠٩، لسان الميزان ٤: ١٨٩، تاريخ الطبري ٢: ٦١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦١٩، لسان الميزان لابن حجر ٤: ١٨٩، ميزان الاعتدال ٣: ١٠٩، تاريخ دمشق ٣٠: ٤٢٠.

(٤) ق: ٢٢.

(٥) نور البراهين للجزائري ٢: ٣٣٠، شرح مسند أبي حنيفة لملّا علي القاري: ٥١٧، كشف الخفاء للعجلوني ٢: ١٨٨.

ولقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[١]

وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[٢].

الندم الرابع قوله: وددت أنّي لم أكن حرقت (محارب) الفجاءة السلمي وقتلته سريحاً أو خلّيته نجيحاً؛ لأنّ التعذيب بالنار مخالف لقول الله ورسوله ﷺ[٣].

الفصل الثامن

في أنّهما دفنا في موضع غصب

ودليله قوله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾[٤].

الاستدلال:

منع الله تعالى من دخول بيت النبيّ في حال حياته إلّا بإذنه فكيف يحلّ الدخول وهو في الرفيق الأعلى، فتكون الحال للرجلين أنّهما دفنا في مكان خالفا فيه الله ورسوله، والبيوت بيوت رسول الله ﷺ فقد سمّاها الله «بيوت النبي» فأضاف البيوت إليه.

وأمّا قولهم خرج رسول الله ﷺ من حجرة عائشة، فلا يدلّ هذا القول على التمليك لأنّ الإضافة بعلاقة التمييز الملابسة كما يقولون: خرج من حجرة لأدنى ملابسة إذ من المقطوع به أنّ الخارج لم يكن في الحجرة كلّها ساعة خروجه.

---

(١) المؤمن: ٥٢.

(٢) فاطر: ٣٧.

(٣) تاريخ دمشق ٣٠: ٤٢٠، تاريخ الطبري ٢: ٦١٩.

(٤) الأحزاب: ٥٣.

لا يقال: بأنّهما دفنا في حصّة ابنتيهما عائشة وحفصة لما لهما من الثمن وسهمهما من الثمن «التسع» أي تعطى كلّ واحدة منهما التسع منالثمن وهو لا يقوم بشبر واحد بل دون الشبر فكيف يتّسع الشبران لقبرين؟

ثمّ ألم يقولوا: إنّ النبيّ لم يورث بل كان إرثه صدقة على المسلمين وحينئذٍ يتّسع الخرق على الراقع حيث يكونان قد دفنا في أرض المسلمين ولعلّ من المسلمين من لا يرضى بدفنهما في أرضه مع النبيّ ﷺ وقال النبيّ ﷺ: نحن أهل بيت لا يحلّ لنا الصدقة(١).

لاسيّما إذا مرّ على ذلك سنون عدّة فتبيّن من هذا أنّ الرجلين دفنا في أرض مغصوبة.

وإن قال الخصم أنّ الحجرتين ميراثهما من رسول الله فوهبتاه إلى أبيهما.

الجواب: وهذا قول باطل، واعلم أنّهما إن جاز ميراثهما من رسول الله فقد جاز للزهراء عليها السلام أيضاً ولكنّ الخصم يزعم أنّ النبيّ لا يورث. ما أعجب هذا القول: لا ترث ابنة رسول الله أباها وترث ابنة عمر وابنة أبي بكر رسول الله، إنّ هذا لمضحك من القول وشرّ المصائب ما يضحك.

وإن كانت حجرتاهما ميراثاً ووهبتاه للنبيّ ﷺ فإنّ الهبة لا يجوز الرجوع بها «الراجع في هبته كالكلبِ يعود في قيئه»(٢) وبناءاً على هذا يكون نقضاً لعهد النبيّ ﷺ.

---

(١) إن كان غرضه من هذا القول أنّ الشقيّتين لا تحلّ عليهما الصدقة فهذا خلاف الواقع لأنّهما كانتا تأكلانها وتدفع إليهما باعتبار كونهما من غير أهل البيت المحرّمة عليهم الصدقة.

(٢) مسند أحمد ٢: ٢٠٨، سنن النسائي ٦: ٢٦٧، مسند ابن المبارك: ١٢٤، السنن الكبرى ٤: ١٢٤، شرح معاني الآثار لابن مسلمة ٤: ٧٨، صحيح ابن حبّان ١١: ٥٢٣، المعجم الأوسط ٤: ١٧٣، فيض القدير للمناوي ٦: ٥٠٢، الكامل ٣: ٦٨، إصلاح المنطق: ٩٤.

الاستدلال الثاني : إنّ الله لم يأذن لأحد أن يقيم في بيت النبيّ ساعة من النهار ومن فعل ذلك لامه الله وأدّبه فكيف يسوغ لهما بدون إذن من الله ورسوله النوم هناك وقال الله تعالى في ختام الآية : ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾(١) وقال في حقّ من آذاه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(٢).

وجهٌ آخر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾(٣) وبقيت هذه السنّة إلى الآن لا يرفع القرّاء أصواتهم في مسجد النبيّ ﷺ احتراماً له وامتثالاً لأوامره وهؤلاء فعلوا ما فعلوا في محضر الرسول ووطأوا بساط النبوّة وكانت أصواتهم ونعراتهم تخترق المسافات حتّى تغطّي مساحة نصف المدينة، نسأل الله أن يرزقهم الحياء. وكان النبيّ مادام على قيد الحياة فهو في عسر معهم وبعد أن توفّاه الله إليه زادوا الطين بلّة، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٤) إنّ الله لم يرض بمناداة النبيّ من وراء الحجرات فكيف يرضى لهم النوم في حجرته، وتنطلق الأصوات هناك كأنّها الصواعق منهم.

بيّنة :

بقي النساء اللواتي كنّ يسكنّ الحجرات في حجراتهنّ بعد وفاته تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾(٥) ما عدا عائشة فإنّ النبيّ ﷺ أخرجها من البيت.

وسرّ هذا الأمر واضح فإن كان يعلم بما يجري منها من ركوب الجمل، وغزوها وقتالها لتنال بذلك الثواب وفضلها القوم على غيرها بقصدها عليّاً وحسناً وحسيناً

---

(١) الأحزاب : ٥٣.

(٢) الأحزاب : ٥٧.

(٣) الحجرات : ٢.

(٤) الحجرات : ٤.

(٥) الأحزاب : ٣٣.

للقتال وغيرهم من الصحابة ممّن نصرهم، وأبى باقي النساء أن يسلكن مسلكها وينبغي على صاحب هذا المعتقد أن يستحي من الله إن كان يعرف ما هو الحياء».

ولمّا عرف النبيّ ذلك بالوحي وعلم أنّ ذلك على حساب شرفه ﷺ وحيائه حيث تقود زوجه جيشاً وترتّب ميمنته وميسرته وقلبه لذلك أوكل أمر طلاقها إلى أميرالمؤمنين فامتثل الإمام هذا الأمر لأنّه إذا فقدت البيت فقد العائل أيضاً(١).

الفصل التاسع

في إسلام عليّ عليه السلام

سبق عليّ أبابكر وعمر وعثمان بالإسلام، وعبد الله بعدهم حيث هلكوا قبله، وبقي يعبد الله بعدهم بل لم يصل العالم إلى العبادة الحقّة إلّا بفضل جهاده عليه السلام.

وقال رسول الله ﷺ: «ضربة عليّ خير من عبادة الثقلين»(٢) وما يقال من أنّه كان طفلاً حين أسلم، **الجواب**: إن لم يكن لإيمان الطفل اعتبار فإنّ فطرته من نوع العبث ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٣) ومثلها الحديث: «خلقت عبادي كلّهم حنفاء»(٤) والحديث: ما من مولود إلّا يولد على الفطرة وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه

---

(١) أنا أتوقّف في هذه المسألة لأنّ ذلك يخفّف من ذنبها حين تخرج من عصمة رسول الله وتكون امراة عادية بالطلاق أضف إلى ذلك أنّ الطلاق لا يكون إلّا والزوج على قيد الحياة والنبيّ غير مستثنى من هذه المسألة.

(٢) مجمع الفائدة ٣: ٢١٦، شرح أُصول الكافي ١٢: ٤١٢، الطرائف: ٥١٩، عوالي اللئالي ٤: ٨٦، كتاب الأربعين لمحمّد طاهر القمّي: ٤٢، بحار الأنوار ٣٩: ٢، الغدير للأميني ٧: ٢٠٦، كشف اليقين: ٨٢، وفيات الأئمّة: ١٢.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) المحلّى لابن حزم: ٣٨٩، المصنّف لعبدالرزّاق الصنعاني ١١: ١٢٠، الآحاد والمثاني للضحّاك ٢: ٤٠١، مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٢٨، تفسير نور الثقلين ٥: ٣٣٨.

أو يمجّسانه(١)، مع أنّ درجة النبوّة أعلى الدرجات وكانت للطفل جائزة فيكون الايمان أقرب للجواز.

أعطى الله النبوّة ليحيى وهو طفل وقال سبحانه: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(٢)، وأعطى عيسى النبوّة وهو طفل: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾(٣) وهذه المعاني يمكن أن تكون بالإيمان، وكانت حال يوسف مشبهة لحال هؤلاء كما خاطبه وهو في البئر: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٤) وإذا أمكن أن يكون الطفل صاحب وحي أمكن أن يكون صاحب إيمان بطريق أولى.

جواب آخر:

كان عليّ عليه السلام عين الايمان، والايمان به واجب بحكم ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٥).

جواب آخر:

وعندنا اليوم لا يقال لمن ولد بين مسلمين قد أسلم لأنّه ولد على ذلك، وأشبهت حال عليّ عليه السلام ذلك، لأنّه ولد بين يدي الرسول ولم يسجد لصنم أو يعبد صنماً أبداً، وكان أبوبكر يعبد الأصنام ستّاً وأربعين سنة، ومن كان مثله يجب عليه أن يؤمن.

---

(١) الخلاف ٣: ٥٩١، مختلف الشيعة ٦: ١٠٨، تذكرة الفقهاء ١: ٤٢٥، المبسوط للسرخسيّ ٥: ٤٤، البحر الرائق ٢: ٣٣١، حاشية ردّ المختار لابن عابدين ٣: ٢١٦، المغني ٦: ٣٧٧، مسند أحمد ٢: ٣١٥ و٣٦٤، صحيح البخاري ٢: ٩٧ و٩٨ و١٠٤، و٦: ٢٠، و٧: ٢١١، صحيح مسلم ٨: ٥٢ و٥٣، سنن أبي داود ٢: ٤١٦، سنن الترمذي ٣: ٣٠٣، سنن البيهقي ٦: ٢٠٢ و٢٠٣، مجمع الزوائد ٧: ٢١٨، مسند الطيالسي: ٣١١، مسند الحميدي ٢: ٤٧٣، المعجم الكبير ١: ٢٨٣.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) مريم: ٣٠.

(٤) يوسف: ١٥.

(٥) النساء: ٥٩.

جواب آخر:

كان عمر عليّ عند الوفاة خمساً وأربعين سنة سلخ منها ثلاثاً وعشرين عاماً مع النبيّ ﷺ وتسعاً وثلاثين عاماً سوى خمسة أشهر عاشها بعده، ويصحّ البلوغ في الثالثة عشرة ويبدأ النموّ في سنّ العاشرة، سلّمنا أنّه لم يكن بالغاً عند ما أسلم ولكنّه لم يكفر كغيره ولم يستظلّ بظلّ الشرك ـ وحاشاه من ذلك ـ.

جواب آخر:

سلّمنا بطفولته إلّا أنّ إسلامه بنحو الإلهام أو لا؟ فإن كان الأوّل فيكون إيمانه أعلى مراتب الإيمان، وإن كان الثاني فلابدّ من كونه بطلب ودعوة من النبيّ والنبيّ لا يفعل ذلك إلّا بأمر الله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) وقال: ﴿مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٢) وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٣).

وتخصيصه من دون فتيان العالم بالدعوة لابدّ من كونه لخاصيّة في شخصه ودرجة عالية له بين الناس. وعندنا أنّ عناية كهذه تختصّ بالأنبياء أو الأئمّة ويظهر الإعلام عند ما يبلغ المعتنى به أشدّه كما فعل عيسى عند بلوغه من البشارة بمحمّد ﷺ إظهاراً لنبوّته، وهذه البشارة من أعلام نبوّة المسيح على نبيّنا وآله وعليه السلام وإلّا لو افترضنا بأنّ إيمان عليّ عليه السلام كان بالوحي أو من تلقاء نفسه فإنّها فضيلة لا تبلغها العقول، ولا يحيط بها خاطر، لأنّ النور ملأ قلبه في بيئة يغمرها الشرك، وتطغى عليها موجة الكفر.

---

(١) النجم: ٣ و٤.

(٢) ص: ٨٦.

(٣) الحاقّة ٤٦: ٤٤.

جواب آخر:

اتفق المسلمون على أنّ الله تعالى بعث نبيّه للمكلّفين البالغين لا للصبيان دون البلوغ ولا للمجانين، والنبيّ ﷺ دعاه ـ باتفاق العلماء ـ إلى الدين فلابدّ من كونه واصلاً حدّ البلوغ المكلّف.

جواب آخر:

خاطب الله نبيّه بقوله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(١) فكان على النبيّ أن يبدأ بقومه أوّلاً بحكم هذه الآية ومقتضاها إذ العادة قاضية بأنّه ليس من الصحيح أن يتطلّب المرء إرشاد الغرباء وهدايتهم بالوعظ والنصيحة ويترك أهله وذويه على طرف الضلال مع أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٢)، وقال: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾(٣).

واتفقوا على أنّ عليّاً كتب إلى معاوية:

سبقتكم إلى الإسلام طرّاً غلاماً ما بلغت أوان علمي

ونزل الوحي على النبيّ يوم الاثنين وأسلم عليّ عليه السلام يوم الثلاثاء وصلّى معه.

وقالوا: لمّا دعا النبيّ عليّاً عليه السلام قال: أمهلني حتّى أُشاور أبي، فقال له النبيّ ﷺ: يا عليّ، إنّها أمانة، فقال عليّ عليه السلام: إن كانت أمانة فقد أسلمت.

وقال ابن عبّاس: لمّا دعا رسول الله عليّاً إلى الصلاة والإسلام قال: إنّ هذا دين يخالف دين أبي حتّى أنظر فيه وأُشاور أباطالب، فقال النبيّ ﷺ: انظر واكتم، فمكث هنيئة ثمّ قال: أجيبك(٤)، وهذا الأمر من التفكير وحفظ السرّ ومشاورة

(١) الشعراء: ٢١٤.
(٢) طه: ١٣٢.
(٣) التحريم: ٦.
(٤) الفصول المختارة: ٢٨٠، سعد السعود: ٢١٦.

الأب، والصبر والتمهّل، وإدراك كون هذا الأمر لا ينبغي أن يشاور فيه، دليل على أنّ إسلام عليّ لم يكن بالتقليد والاتّباع بل بالدليل الملزم والبرهان القاطع، والطفل لا يملك حاسّة التميز بين الحقّ والباطل.

ولو لم يكن عليّ بالغاً مبلغ الرجال لما أوصاه النبيّ ﷺ بكتمان السرّ ولم يأتمنه، ولمّا كان النبيّ قد ائتمنه فينبغي أن يكون واثقاً به وقد أوضحت ذلك في كتاب «مناقب الطاهرين» وأشبعت هذا الباب بحثاً فاطلبه هناك.

ونتيجة القول: إنّ عليّاً عليه السلام كان تحت ضغط المنافقين ولقد قال النبيّ ﷺ: ما أُوذي نبيٌّ كما أُوذيت[1] وهذا يبرهن على أنّ وصيّ النبيّ وهو عليٌّ ما أُوذي وصيّ بمثل ما أُوذي به وصيّ محمّد.

الفصل العاشر

ومن الترّهات ما رواه رواتهم من أنّ شاعراً أنشد النبيّ الشعر فلمّا طلع عليهم عمر أمره بالإمساك، فلمّا ولّى أمره بالإنشاد فأنشد وأخذ يتغنّى بشعره، وعاد عمر ثانية فعاد النبيّ يأمر الشاعر بالإمساك، ولمّا ولّى قال له: أنشد، فلمّا عاد قال له: أمسك، فقال الشاعر: من هذا يا رسول الله؟ إذا جاء أمرتني بالإمساك، وإن ذهب أمرتني بالإنشاد، فقال رسول الله: إنّه عمر وإنّه لا يحبّ الباطل.

لقد حملهم حبّهم لعمر على نسبة الباطل إلى رسول الله فكيف يصحّ هذا أنّ النبيّ

---

(١) كتاب التمحيص لمحمّد بن همام الإسكافي: ٤، العوائد والفوائد للسيّد مصطفى الخميني: ٤٥، كامل الزيارات: ٢٠١، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤٢، بحار الأنوار ٣٩: ٥٦، مستدرك سفينة البحار ١٠: ١٠٢، فتح الباري لابن حجر ٧: ١٢٦، الجامع الصغير ٢: ٤٨٨، كنز العمّال ٢: ١٣٠ رقم ٥٨١٧ و٥٨١٨ و١١: ٤٦١ رقم ٣٢١٦٠ و٣٢١٦١.

يحبّ الباطل وعمر لا يحبّه، وإذا جاز حمل الباطل على النبيّ في مورد ـ وحاشاه من ذلك ـ جاز حمله عليه في كلّ الموارد، والذي يهون الخطب أنّ الله سبحانه وتعالى في مذهب القوم فاعل لجميع القبائح والمظالم، والغرض من هذا كلّه تنزيه عمر، وإذا نزّهوا عمر ونسبوا الباطل للنبيّ وأسمعوه الباطل فلا عجب من سوء مذهبهم، ومع هذا يروون عن عمر قوله: «أحبّ الأشياء إليّ الشعر»، وقال أيضاً: علّموا أولادكم الشعر فإنّه ديوان العرب ومعرفة أنسابكم وحفظ مناقبكم.

وقيل: إنّ سارية بن درهم[1] كان يقاتل في نهاوند وهو القائد على جيش المسلمين فأرسله عمر إلى غزاة فغلبه المشركون وهزم عسكره، فعلم عمر وهو في المدينة بما جرى عليه، فناداه: يا سارية الجبل هذا، فسمع سارية والتجأ إلى الجبل[2]، فإذا كان سارية سمع صوت عمر مع هذا البُعد الشاسع فإنّه أفضل من عمر حين أُوتي حدّه السمع هذه.

والغرض من هذا تشبيه عمر برسول الله لمّا أُخبر عن شهاده جعفر في غزوة مؤتة بوحي من الله وكشف الحجب له وثنّى من بعده بزيد بن حارثة ومن بعده بعبدالله بن رواحة، وهكذا فعل حين أخبر عن سارية وأمره باللجوء إلى الجبل.

وقالوا: سبّح الحصى بكفّ عثمان والغرض من هذا الافتراء مساواة عثمان (البوّال على عقبيه ـ المترجم) برسول الله ﷺ ولو كذبوا مئات بل آلافاً لما بلغوا

---

(١) سمّاه ابن قتيبة في مختلف الحديث «سارية بن زنم» ص١٥٢.

(٢) كنز العمّال ١٢: ٥١٧ رقم ٣٥٧٨٩، فيض القدير ٤: ٦٦٤، كشف الخفاء ٢: ٣٨٠، الإكمال لابن ماكولا ٣: ٣٩٥، تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣٦٦ و٢٠: ٢٠، أُسد الغابة ٢: ٢٤٤ و٤: ٦٥، لسان الميزان ٥: ٣٠١، ذكر ذلك استطراداً في حوار بين مؤمن الطاق وأبي حنيفة، الإصابة ٣: ٥، معجم البلدان ٥: ٩٩، تاريخ المدينة لابن شبة ٢: ٧٥٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٦، تاريخ الطبري ٣: ٢٥٤، البداية والنهاية ٦: ٩٣.

فضل سورة هل أتى وآية المباهلة حيث دعا الله عليّاً نفس النبيّ ﷺ وجاء في ذلك أحاديث شتّى مع معجزات جليلة صدرت من الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

ولقد بلغت رتبة عليّ عند الله والناس درجة ادّعى بعضهم له الربوبيّة لعنهم الله وعلى الفرقة التي تعاديه والذين لا يرضون بإمامته بعد الرسول بلا فصل.

ومع ما يسندونه إلى شيوخهم من الترّهات إذا سمعوا منّا في مناقب أهل البيت رفعوا عقيرتهم بنبزنا بقول (رافضيّ) فيا للعجب نحن الذين ننزّه ذات الباري من القبائح ونثبت للأنبياء العصمة والأئمّة روافض، وهم الذين يخالفون هذه العقيدة يعتبرون أهل السنّة خالصين مسلمين وكذلك يتخيّلون.

وقالوا: أنفق أبوبكر على رسول الله أربعين ألف درهم أو دينار.

الجواب الأوّل:

إنّ الله أغنى نبيّه بفضله عن مال أبي بكر حيث قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[1].

الثاني: أغناه بالأنفال كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾[2].

الثالث: بالخمس، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[3] والصدقة محرّمة على رسول الله وأهل بيته كما قال: نحن أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة.

وقال رواتهم: كانت لأبي بكر راحلتان فأعطى إحداهما لرسول الله في الهجرة فلم يقبلها رسول الله ﷺ وقال: لن أقبلها إلّا بثمنها فإمّا أن تبيعها عليّ أو تؤجرنيها فإنّي لا أركب بعيراً ليس لي.

---

(١) الضحى: ٨.

(٢) الأنفال: ١.

(٣) الأنفال: ٤١.

ولقد كان أبوبكر أفقر بيت في أهل مكّه، وكان معلّماً للأطفال آداب الجاهليّة، وكان سمساراً كما زعم الثعلبيّ ويبيع الكرابيس، وأبوه صيّاداً، فمن أين جاءته هذه الثروة ليت شعري. وكان أكثر أهل مكّة قوم من الفقراء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾(١).

ولمّا تلى أميرالمؤمنين سورة برائة على أهل الموسم ونهى المشركين من الطواف في الكعبة ومنعوا من زيارتها، شكى أهل مكّة الفقر وقالوا: كنّا نؤمن حاجتنا من نفقات الزوّار فأعطاهم الله تعالى الجزية المستوفاة من اليهود والنصارى وجعل ذبح الهدي لازماً، وأُعطي للقانع والمعتر من فقرائهم.

وتوجّه المدح من الله إلى فقراء المهاجرين في كلّ موضع أثنى فيه على الصحابة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾(٢)، وقال: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾(٣) وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾(٤).

وقال رسول الله ﷺ على المنبر في آخر عمره: اللهمّ هل بلّغت، ويظهر من قول النبيّ ﷺ هنا أنّه لم يتوان عن التبليغ ولقد بلّغ الأمر والنهي والحلال والحرام والشرائع بمجملها، فلا مجال حينئذٍ للقياس والاجتهاد والاستحسان وهي أُمور باطلة وعلل شرعيّة مندكّة في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٥).

---

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) الحشر: ٨.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) المائدة: ٤٤.

فالله واحد، والنبيّ واحد، والشريعة واحدة، ولكن قضى عليهم القياس أن يتفرّقوا إلى مذاهب كأنّهم لم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِمَا جَاءَتهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(١) فأبطلت هذه الآية كلّ اختلاف جاء بالطوائف والفرق لأنّ الحقّ واحد لا يتجزّأ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾(٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾(٣).

وقالوا: قال رسول الله ﷺ: اختلاف أُمّتي رحمة، وهذا من العجائب أن يكون اختلاف الأُمّة رحمة واتفاقها واتحادها ليس رحمة، ولا حرج عليها من الاختلاف، وفي الحديث: من حكم في وزن عشرة دراهم فأخطأ حكم الله يجيء يوم القيامة مقطوعاً يداه..

ونقيض هذه الرواية صحّة الاجتهاد: إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإذا اجتهد فأصاب فله أجران(٤)، وقالوا: كلّ مجتهد مصيب(٥)، ولمّا انكشفت تناقضات أئمّتهم للملأ اخترعوا مثل هذه الأحاديث ليغطّوا على أخطائهم فأضلّوا أنفسهم.

والعجب من هؤلاء أنّهم يعتقدون كلّ من اجتهد في مسألة في العالم مصيباً إلّا

---

(١) آل عمران: ١٠٥.

(٢) يونس: ٣٢.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) الأمّ للشافعي ٦: ٢١٦ و٧: ٩٩، الرسالة للشافعي: ٤٩٤، مختصر المزني: ٢٩٩، مجموع النووي ٣: ٥٣، مغني المحتاج للشربيني ٤: ٣٧٢، فتح المعين للهندي ٤: ٣٩، البحر الرائق ٧: ٧٦، المغني لابن قدامة: ٢٧، المحلّى لابن حزم ١: ٦٩ و٧٠، سبل السلام ٤: ٧٧٨ وقال: متفق عليه، مسند أحمد ٤: ١٩٧، صحيح البخاري ٨: ١٥٧، صحيح مسلم ٥: ١٣١.

(٥) روضة الطالبين ٧: ٤٢١، حواشي الشرواني ١: ٥٠، المبسوط للسرخسي ١٠: ١٩١ و١٢: ٦٩، المحلّى لابن حزم ١: ٧٠، بداية المجتهد لابن رشد ١: ٥١.

الأئمّة الشيعة وعلمائها كالإمام زين العابدين ومحمّد الباقر وجعفر الصادق وموسى ابن جعفر وعليّ بن موسى وأمثالهم عليهم السلام مع أنّهم أهل العصمة والطهارة ومن أهل البيت النبوي فإنّهم لم يذكروا لهم مسألة واحدة في أصل أو فرع.. ومع علمهم أيضاً بأنّ علمائهم كأبي حنيفة والشافعي من تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء أن يكون اجتهاد السقي حقّاً واجتهاد الإمام الصادق الذي روى عنه أربعة آلاف راوٍ موثّق منهم أبو يزيد البسطامي وأبو حنيفة الكوفي، سبحان الله! ما أعظم هذه العداوة لهذه الضلالة مع عترة الرسول، مع أنّه ورد في كتبهم بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّي مختلف فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وقال عبدالله بن عبّاس: أوّل من قاس إبليس، وقال النبيّ: «أهل بيتي.. الحديث» وكذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأُمّتي[١].

ومع ما يروون من هذه الأخبار الآخذة بالأعناق يتمسّكون بأذيال الشافعيّ وأبي حنيفة ومالك وابن حنبل ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[٢]، ولم يلقوا بالاً لأخبار العترة من الأئمّة المعصومين عليهم السلام ويرونها من أخبار الآحاد وما يرويه أبو هريرة أو المغيرة أو أبو موسى الأشعريّ فهو حقّ ومتواتر مع أنّهم يقولون عن النبيّ أنّه قال لأبي هريرة: إنّ فيك شعبة من الكفر[٣]، وزنى المغيرة وشهد عليه ثلاثة عند عمر،

---

(١) كشف الغطاء للشيخ جعفر ١: ٨، فقه الصادق ٧: ٣٧٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠، مقتضب الأثر للجوهري: ١٥، التعجّب: ٦٥، الاحتجاج ٣: ٤٨، العمدة: ٣٠٨، الطرائف: ١٣١، شرح الزيارة الجامعة للشبّر: ١٨١، خلاصة عبقات الأنوار ١: ٨١و٤: ٣١٥و٣١٨، المستدرك للحاكم ٢: ٤٤٨و٣: ١٤٩، المعجم الأوسط ٤: ٢٣٧.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) جاء الخبر في مجمع الزوائد هكذا: عن أبي هريرة قال: سببت رجلاً في الإسلام بأُمّ له في ←

وأخاف عمر الرابع فكتم الشهادة وتلجلج بها لأنّ المغيرة صاحب عمر واجتمعت ...سلحة الرجلين على بغض عليّ عليه السلام، وهدّد الشاهد وأرهبه حتّى دفع شهادته، وقال النبيّ عن أبي موسى: إنّه إمام الفرقة المذبذبيّة (كذا).

وهم يروون عن حذيفة وعن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ستفترق أُمّتي على ثلاث فرق: فرقة على الحقّ لا ينقبض الباطل منها شيئاً، يحبّوني ويحبّون أهل بيتي، مثلهم مثل الذهبة الحمراء أوقد عليها صاحبها فلم تزدد إلّا خياراً، وفرقة على الباطل لا ينقبض الحقّ منها، يبغضوني ويبغضون أهل بيتي، مثلهم مثل الحديد أوقد عليه صاحبه فلم تزدد إلّا شراراً، وفرقة مذبذبة فيما بين هؤلاء وهؤلاء يقولون لا مساس إمامهم الأشعريّ.

ويروون أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ما وليت أُمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوا...[1]. ومع هذه الرواية فقد تركوا عليّاً وهو الأعلم واختاروا غيرهم وهم جهّال وسوف يرجعون في عهد صاحب الزمان إلى ما تركوه.

⬅ الجاهليّة فاستعدى علي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فيك شعبة من الكفر. فلمّا ذكر الكفر اضطربت رجلاي فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ لا أسبّ مسلماً بعده أبداً (٨: ٨٦).

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٣٠، كتاب سليم بن قيس: ٢٠٥، المسترشد: ٦٠٠، كنز الفوائد للكراجكيّ: ٢١٥، التعجّب له: ١٤، الأمالي للشيخ الطوسيّ: ٥٦٠، الاحتجاج ١: ٢١٩ و٢: ٨، حلية الأبرار ٢: ٧٧ و٨٠، مدينة المعاجز للبحرانيّ ٢: ٨٧، بحار الأنوار ١٠: ١٤٣ و٢٧: ١١٣ و٣٠: ٣٢٣، الغدير للأميني ١: ١٩٨، ينابيع المودّة ٣: ٣٦٩، الأنوار العلويّة: ٣٣٦، صحيفة الإمام الحسن: ١٨٤.

الفصل الحادي عشر
في بيان جانب من الوقائع والمظالم التي أنزلوها في آل الرسول ﷺ

اعلم بأنّ الرجال أكثر عطفاً على النساء في جميع قضاياهم، وبناءاً على هذا فإنّ فاطمة عليها السلام مع جلالة قدرها وقرابتها من رسول الله وقرب عهدها منه خرجت تستغيث من ظالمهم بهم واحداً واحداً فما أجابها واحد منهم.

ولمّا خرجت عائشة تريد قتل عليّ والحسن والحسين عليهم السلام اجتمع عليها ألف من المهاجرين، وكان غرضهم من سلب الخمس منهم تركهم فقراء مملقين لئلّا يجتمع الناس عليهم.

قال أبوبكر لفاطمة: ايتيني بأحمر أو بأسود ليشهد لك مع أنّها صاحبة اليد وهي المتصرّفة، وجاءت أبابكر بعليّ والحسن والحسين وأُمّ أيمن يشهدون لها، فقال أبوبكر: عليّ وولداه يجرّون النار إلى أقراصهم، وأُمّ أيمن امرأه، ولقد سمع رسول الله ﷺ يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ اللهمّ أدر الحقّ معه حيثما دار، وقال في حقّ الحسن والحسين عليهما السلام: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وهما إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما[1].

وقال في حقّ فاطمة عليها السلام: فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وإنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها[2].

---

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٩٠، الإمام علي للرحماني: ٣٠٦ و٣٥٠، كنز العمّال ١٢: ١٢٢ رقم ٣٤٢٩٣ وجميعها خلت من جملة: هما إمامان قاما أو قعدا، وهي كما أعلم حديث مستقلّ.

(٢) فوائد الأحكام للحلّي ١: ١٢٢، مسند زيد: ٤٥٩، أمالي الصدوق: ١٦٥، كفايه الأثر: ٣٧ و٦٤ و٦٥، ذخائر العقبى: ٣٧، الصراط المستقيم ١: ١٧٠ و٢: ١١٨ و٢٨٢ و٢٨٩، فضائل الصحابة ←

وقال في حقّ أُمّ أيمن: أنت على خير أو إلى خير.

ولم يمض طويل وقت حتّى جائه مال من البحرين وكان جابر بن عبدالله الأنصاريّ إلى جانبه فقال له: يا أبابكر، قال رسول الله ﷺ: إذا أتاني مال البحرين حبوت لك[1]، فاستدناه أبوبكر وحثى له من ذلك المال الذي في كلّ درهم منه حقّ لفقير وسهم لجائع ثلاث حثوات، بلا حجّة أو سبب، ولم يطالبه بشاهد واعتقد صدقه.

والعجب أنّهم يرون أبابكر مصيباً ويرون المعصوم وقد شهد له المعصوم مخطئاً وكاذباً مع أنّ عدداً من الآيات تدلّ على صدق فاطمة عليها السلام وصحّة دعواها.

هاهنا أعطى مال المسلمين لآخر بدون بيّنة، وهنا غصب مال المستحقّ مع وجود البيّنة، وفي كلا الحالين ادّعت فاطمة ملكيّة أرض أنحلها إيّاها رسول الله ﷺ وادّعى جابر وعد رسول الله وطلب إنجازها، وتلك صاحبة اليد ودعوى جابر خارجة عن التصرّف؛ فاعتبروا يا أُولي الألباب.

وكذلك لمّا ادّعى سعد بن زيد زعم أنّ النبيّ ﷺ شهد لجماعة بالجنّة: أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمان بن عوف وأبو عبيدة[2] ولم يشهد له أحد من الصحابة بصحّة ما قال ولم يصدّقه أحد، ومع كونه

⬅ للنسائي: ٧٨، مسند أحمد ٤: ٥، صحيح البخاري ٤: ٢١٠ و٦: ١٥٨، صحيح مسلم ٧: ١٤١، سنن ابن ماجة ١: ٦٤٤، سنن أبي داود ١: ٤٦٠، سنن الترمذي ٥: ٣٥٩، المستدرك ٣: ١٥٩، والمؤلّف ذكر حديثين في سياق واحد، والثاني: إنّ الله يغضب لغضب فاطمة، الحديث وأخرجه زيد في مسنده: ٤٥٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥١، ينابيع المودّة ٢: ٥٦، اللمعة البيضاء: ١٣٣، ونسبه صاحب حقوق أهل البيت الشيخ محمّد حسين الحاج إلى كنز العمّال ١: ٢١٩.

(١) لعلّها حثوت لك.

(٢) لم يرشح للجنّة مثل عمّار والمقداد وسلمان وخباب بن الأرت وسعد بن عبادة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر، ورشّح لها هؤلاء، إنّ هذا الأمر عجيب!

ادّعى هذه الدعوى للحصول على النفع والجاه لأنّه منهم وهو شاهد لنفسه فقبل قوله ولم يردّوا دعواه، وردّوا دعوى فاطمة وما علموا أنّ مال الزوج والزوجة لا يصل إلى الأولاد إلّا بالميراث أو النحلة، وكلّ الناس يرث بعضهم بعضاً.

ويشهد على السابق إلى الإيمان والإسلام الذي لم يشرك بالله طرفة عين، وسبق الناس بالعلم والزهد بعد رسول الله أمام رجل أشرك ستّاً وأربعين عاماً من عمره، وقدّم عبادة الأصنام على عبادة الله، وأكل لحم الخنزير طول عمره ولم يكن ذا علم أو عمل صالح أو ورع، وكان يتلكّأ عن الجهاد وهو أثقل عليه من الموت، وإذا سيق إلى الجهاد كأنّه ونظرائه يساقون إلى الموت، وتوالت عزائمه ونكث عهد رسول الله ﷺ، ورجل هذه صفاته يردّ شهادة عليّ عليه السلام !!

ولا تعجب منه واعجب من الأوباش الذين يثبتون له الإمامة ويرونه مصيباً، ويرون مثل عليّ مخطئاً، وكذلك يرون أنّ عليّاً طلب ما ليس له.

والأعجب من هذا أنّهم يجرّدون النساء من كلّ علم لاسيّما علم الفقه ويقولون لهذا وقعت فاطمة في الخطأ والسهو، يقولون هذا عنها وهي معصومة، ويقولون عن عائشة بأنّ النبيّ قال في حقّها: خذوا ثلث دينكم عن عائشة لا بل ثلثي دينكم لا بل خذوا دينكم كلّه عن عائشة(١).

سبحان الله ويا للعجب أن تكون بنت أبي بكر عالمة إلى هذا الحدّ وبنت رسول الله وزوج عليّ وأُمّ الحسن والحسين جاهلة ـ حاشاها ـ إلى درجة لا تعرف مسألة واحدة، ما أصلف هؤلاء القوم وما أقلّ حياءهم!

ويقول الخصم عن عليّ أنّه باب مدينة علم الرسول، ومع وفور علمه لا يعرف هذه المسألة مع أنّهم يعتقدون فيه المرشد لأبي بكر وعمر وعثمان، ويزعمون أنّ

---

(١) التعجّب: ١٥. وما زال الرجل يغير غارة شعواء على صاحب التعجّب فيأخذ منه العبارات الطويلة ويطعم بها كتابه.

النبيّ لم يعلم فاطمة عن حالها في النحلة والميراث ولا أعلم غيرها من أهل بيته مع أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(١)، ومن العجب أن يعلّم ويؤدّب بنات الأُمّة ويترك آله وذويه على طرف الجهل مع أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ﴾(٢) وقال: ﴿أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾(٣) الآية، وقال رسول الله ﷺ: بعثت إلى أهل بيتي خاصّة وإلى الناس عامّة(٤). فنسبوه إلى التقصير في تبليغ الوحي مع أنّه جرت عادته إذا أراد سفراً أن يذهب إلى بيت فاطمة ويطيل المكث فيه، ثمّ يخرج منه إلى مقصده تيمّناً وتبرّكاً به، وإذا عاد من سفر بدأ ببيت فاطمة عليها السلام ثمّ يخرج منه إلى باقي نسائه.

والعجب أنّ الرجل يطلب من فاطمة البيّنة على دعواها ثمّ يأتي بفرية «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» فلا يطالب نفسه بالبيّنة على ما ادّعاه، وفي القرآن عدّة مواضع تردّ هذه الافتراء، وهذا تحامل على أهل البيت وغمز في دين الرجل.

ومن عجائب الأُمور تأتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ تطلب فدكاً وتظهر أنّها تستحقّها فيكذّب قولها ولا تصدّق في دعواها وتردّ خائبة إلى بيتها، ثمّ تأتي عائشة بنت أبي بكر تطلب الحجرة التي أسكنها بها رسول الله ﷺ وتزعم أنّها تستحقّها فيصدّق قولها وتقبل دعواها ولا تطالب ببيّنة عليها، وتسلّم هذه الحجرة إليها فتصرّف فيها وتضرب عند رأس النبيّ ﷺ بالمعاول حتّى تدفن تيماً وعدياً فيها..(٥).

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) التعجّب: ٥٤.

(٥) رأيت عبارة صاحب التعجّب أرشق وأجمع والمؤلّف أخذ عبارته منه يدلّ على ذلك قوله: «كلنگها كشيدند» قابل بها جملة وتضرب عند رأس النبيّ بالمعاول، انظر ص٥٦ من التعجّب.

والأعجب من هذا لمّا انتقل الحسن إلى الرفيق الأعلى وصّى بحمله إلى جدّه في روضته بعد تغسيله ليجدّد به عهداً ثمّ منه ينقل إلى البقيع ويدفن هنالك عند جدّته فاطمة بنت أسد[1] ولمّا حملوا نعشه وأمّوا به روضة النبيّ ﷺ ركبت الغازية المجاهدة عائشة على بغلتها واستدعت مروان مع جيشه الأمويّ وقالت: لا ندعهم يدفنونه عند قبر جدّه (لا تدخلوا بيتي من لا أُحبّ) فقال عبدالله بن عبّاس: الحسن أجلّ شأناً من ذلك، وأن يؤذى رسول الله وهو في قبره بضرب المعاول عند رأسه ولكنّه طلب تجديد العهد بجدّه بدخوله الروضة، فخاصمت عائشة عبدالله على ذلك، وقالوا: إنّ عائشة أخذت من مروان قوسه ثمّ رشقت جنازة الحسن بالنبل.

تجمّلت تبغّلت ولو عشت تفيّلت — لك التّسع من الثّمن ففي كلّ تطعّمت

وأعجب من هذا أنّهم غصبوا نحلة فاطمة التي أعطاها رسول الله لها ولأولادها ونهبوا الخمس الذي هو حقّها وحقّ زوجها وأولادها وطعنوا في القرآن الكريم بأنّه منسوخ وتركوا أولاد فاطمة لا يملكون عيشة الكفاف وفي أضيق حال فلم يصلهم أحد على الجوع والعري إلّا نفر صالح مظلوم مثلهم من المؤمنين وأقرّوا لعائشة وحفصة اثني عشر ألف درهم في كلّ سنة لكلّ واحدة ستّة آلاف، بخٍ بخٍ لإمام مثل هذا يؤمّ المسلمين وبخٍ بخٍ لخليفة رسول الله يجيع ابنة رسول الله وأولادها.

---

(١) هذه العبارة مسلوخة من عبارة التعجّب وإليكها: ثمّ تمنع الحسن بن رسول الله بعد موته منها ومن أن يقربوا سريره إليها وتقول: لا تدخلوا بيتي من لا أُحبّه وإنّما أتوا؟! به ليبرك بوداع جدّه فصدّته عنه (ص٥٦).

الباب الخامس والعشرون

في ذكر عائشة وطلحة والزبير على طريق الإيجاز

اعلم أنّ ابن وائلة أبا الطفيل عامراً يقول: سمعت من أميرالمؤمنين يقول: سمعت رسول الله ﷺ وسمعته عائشة أيضاً: لعن أهل الجمل وأصحاب صفّين وأهل النهروان. قال عمر: سمعت هذا من أميرالمؤمنين عليه السلام يقوله في البصرة بعد ظفره بأصحاب الجمل فخرجت منه ودخلت على عائشة وسألتها الخبر، فقالت عائشة: وأنا أيضاً سمعت ذلك من رسول الله ﷺ كما سمعه عليّ ولكنّي لست من أهل الجمل، وظهر عليها الحياء والانفعال.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام[1] قال رسول الله ﷺ: إنّ امرأة موسى عليه السلام (صفوراء بنت شعيب) خرجت على وصيّه يوشع بن نون، فظفر بها فأشار عليه من حضر بما لا ينبغي فيها، فقال: أبعد مضاجعة موسى لها؟ ولكن أحفظه فيها..[2] ثمّ قال النبيّ ﷺ: وإنّي لأخشى أن تخرج واحدة من نسائي على وصيّي من بعدي وتقاتله فيظفر بها ويأسرها فيحسن أسرها. فشاع الخبر بين أزواج

---

(١) الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ١٧٩، مستدرك سفينة البحار ١٠: ٣٢٨، بحار الأنوار ١٣: ٣٦٩.

النبيّ ﷺ فذهبت جماعة منهنّ إلى النبيّ ﷺ وقلن له: ادع الله لنا أن لا تكون الخارجة إحدانا. وقال: عليكنّ بتقوى الله ولا تركبن الجمل بعدي وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأُولى.

ثمّ قال النبيّ: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ جبرئيل أخبرني بأنّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان كلّ نبيّ بعثه قبلي وقد خاب من افترى.

وجاء أميرالمؤمنين إلى النبيّ على الفور فلمّا رآه النبيّ ﷺ قال: يا علي، إنّك المظلوم بعدي، ثمّ أقبل على أصحابه وقال: أُشهدكم أنّي سلم لمن سالمه، وحرب لمن حاربه، وأقبل عليه وقال: من حاربك فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله، ومن فارقك فقد فارقني ومن فارقني فقد فارق الله.

نكتة:

اعلم أنّ في مذهب الشيعة يكفر من خرج على أميرالمؤمنين أو آذاه عامداً قاصداً وهو من أهل النار، والدليل على ذلك أنّ أهل اليمامة لمّا خرجوا على أبي بكر حكم عليهم بالارتداد والكفر في مذهب مخالفينا فكذلك الخارج على إمامنا في مذهبنا، والخبر كما يلي:

لمّا استخلف أبوبكر أرسل الجباة لجمع الزكاة، فقال الناس: نحن في زمن النبيّ كنّا نطعمها فقراء قبائلنا ومساكينها وسوف نفعل بها اليوم ما فعلناه أمس، ولو أنّنا أعطيناها لغيرنا فلا ندفعها إلّا لمستحقّيها وهو خليفة رسول الله والقائم مقامه، وأنت لست من ذلك في شيء وإنّما تأمّرت على الأُمّة بظلم وبدون رضاها، ولم ينطقوا بأكثر من هذا ولم يحاربوا أحداً ولم يشتموا مسلماً ولم يسلّوا سيفاً في الإسلام، فبعث أبوبكر خالداً بن الوليد ومعه عسكر جرّار، فلمّا بلغهم بعسكره خرجوا من بيوتهم ليدفعوا شرّ خالد عنهم فأذّن المؤذّن ولمّا سمعوا الأذان وضعوا السلاح ومالوا إلى أداء الصلاة، فامتنع العسكر من مقاتلتهم فصاح فيهم خالد

وأمرهم بالهجوم على القوم وهم في حال الصلاة، فقتلوا المقاتلة وأكثرهم (راكعين وساجدين ومتوجّهين إلى الله وإلى قبلته ..) فاستأصلوهم وقتل خالد مالكاً بن نويرة وكان رئيسهم ووضع رأسه أثفية للقدر بين لهب النار، وزنى في تلك الليلة بزوجته، وأسروا النساء والأطفال من تلك القبيلة فلمّا علم عمر بواقع الحال أشار على أبي بكر أن يحدّ خالداً.. فقال أبوبكر: خالد سيف من سيوف الله[1].

ونقول هنا: إنّ ما استحقّه أهل اليمامة على كلمة واحدة قالوها كان أولى منهم بهذا أهل الجمل الذين ساروا من بلد إلى بلد قاصدين حرب إمام المسلمين وحجّة الله على الخلق أجمعين وسلّوا السيوف في وجهه ونكثوا عهده وبيعته، وأنكروا إمامته، فأظفر الله تعالى أميرالمؤمنين عليه السلام بهم فقتلهم الله وخذلهم.

إذن كما زعم الخصم بأنّ أهل اليمامة ارتدّوا وهم يقرّون بالتوحيد والعدل ونبوّة محمّد صلى الله عليه وآله فإنّ طلحة والزبير وعائشة كانوا كذلك. وقال المعتزلة: لقد تاب القوم ورووا عدداً من الأخبار لا تدلّ على توبتهم.

نكتة:

روي أنّ الشيخ المفيد أبا عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان حضر مجلس قاضي القضاة في بغداد وكان يستمع إلى درسه، وكان الشيخ صبيّاً، فجاء رجل إلى مجلس قاضي القضاة وقال له: أيّها القاضي، يروى بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ يوم غدير خم على إمامة عليّ عليه السلام وخلافته ولكنّ عليّاً لم يقم بالأمر بل قام به أبوبكر أي كان غاصباً لإمامته.

فقال القاضي: أيّها السائل، النصّ على عليّ رواية وخلافة أبي بكر دراية (والعاقل لا يترك الدراية للرواية).

---

(۱) لم يقصد عمر بذلك وجه الله أو تشييداً وتأييداً للحقّ بل خاف من خالد أن يتقوّى به أبوبكر فيعرض عن عمر ويفوته تشطّر الضرع.

فسمع المفيد هذا فصبر قليلاً حتّى انفضّ المجلس وبقي القاضي وحده فالتفت إليه الشيخ وقال: ألك حاجة أيّها الصبي ؟ فقال: إن أذنت لي، فقال القاضي: هات، فقال الشيخ: روي بأنّ طلحة والزبير حاربا عليّاً في البصرة فكيف كانت الحال وعليّ خليفة ؟

فقال القاضي: أيّها الفتى، لا شكّ في وقوع الحرب ولكنّهم تابوا.

فقال الشيخ: أيّها القاضي، الحرب دراية والتوبة رواية، والعاقل لا يترك الدراية للرواية.

فقال القاضي: من أنت أيّها الفتى ؟

فقال الشيخ: محمّد بن محمّد النعمان، فقال القاضي: أنت المفيد حقّاً، فاشتهر الشيخ بالمفيد من يومئذٍ[1].

نأتي إلى حكايتنا: ولمّا قتل طلحة في الحرب بيد مروان لعنه الله فيكون تصوّر التوبة له من نوع المحال مع أنّ الخبر اشتهر عن أميرالمؤمنين أنّه مرّ على طلحة فأمر بإجلاسه فلمّا فعلوا، قال: يا طلحة، وجدت ما وعدك ربّك حقّاً وقد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً.

وقيل: لمّا مرّ به قال: لقد كان لك برسول الله صحبة لكن الشيطان دخل من منخريك فأوردك النار.

وكتب إلى عمّال الأقاليم عن الفتح بالعبارة التالية: إنّ الله قتل طلحة والزبير على شقاقهما وبغيهما ونكثهما، فهزم معهما وردّت عائشة خاسرة..[2]. ولو كان للتوبة أثر في نفوسهم لم ينشر أميرالمؤمنين هذا الكلام على الملأ.

---

(١) راجع لهذا كتابنا حجّة الشيعة الكبرى: ٣٥ـ٣٧.

(٢) الفصول المختارة: ١٤٢.

وإذا استطاع المخالف الحديث عن توبة طلحة وهو في حالات النزع فإنّ خصمه بإمكانه القول بتوبة أبي جهل وإسلامه وهو ينازع سكرات الموت.

ومثله يقال في جميع الكفّار والمنافقين والفسّاق، فلا بدع أن تحدث عندهم حالة التوبة التي حدثت عند طلحة وهو في ساعة الموت يعاني السياق والنزع فلا يمكن الحكم بكفر كافر ولا فسق فاسق بناءاً على هذا المذهب.

والمخالف يروي عن النبيّ أنّه قال: يا عليّ، إنّك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين[1]. وهذا دليل على أنّ القوم هلكوا على بغيهم وظلمهم، ومن مات بعد التوبة لا تطلق عليه هذه الأوصاف نظير النكث وما عداه.

واشتهر عند العلماء كذلك بأنّ عائشة امتنعت من الذهاب إلى المدينة وكان الإمام ينصحها فلا تقبل، فأمر عبدالله بن عبّاس بأن يرحلها إلى المدينة، وما سمّت عليّاً أميرالمؤمنين إلى أن ماتت، ومن سمّاه أمامها بهذاالاسم ظهر الامتعاض على وجهها (لعنة الله عليها ـ المترجم).

روى الواقديّ ـ وهو ناصبيّ عثمانيّ ـ أنّ عمّاراً بن ياسر زار عائشة لمّا عادت إلى المدينة، فقال لها: يا عائشة، كيف رأيت ضرب بنيك على الحقّ[2]؟ فقالت عائشة:

---

(١) رسائل المرتضى ١: ٣٤٥ و٣: ١١٠، الاقتصاد للطوسيّ: ١٨١، تذكرة الفقهاء ١: ٤٥٢، المستدرك ٣: ١٣٩ ـ ١٤٠، مجمع الزوائد ٥: ١٨٦ و٦: ٢٣٥ و٧: ٢٣٨ بطريقين، مسند أبي يعلى ١: ٣٩٧، المعجم الأوسط ٨: ٢١٣ و٩: ١٦٥، المعجم الكبير ٤: ١٧٢ و١٠: ٩١ و٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٠٦ و١٣: ١٨٣ و٢٨٧، كنز العمّال ١١: ٢٩٢ رقم ٣١٥٥٢، ضعفاء العقيلي ٣: ٤٨٠، الكامل في الرجال ٢: ١٨٨ و٢١٩، علل الدارقطني ٥: ١٤٨، تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٦٨ و٤٦٩ بطرق عدّة، أُسد الغابة ٤: ٣٣ بثلاث طرق، ميزان الاعتدال ١: ٢٧١، لسان الميزان ٢: ٤٤٦، سبل الهدى والرشاد ١٠: ١٥٠ و١١: ٢٩٠، لسان العرب ٧: ٣٧٨.

(٢) صحّفها المؤلّف إلى «بنيك» وترجمها هكذا: چون ديدى ضرب پيغمبر تو را بر حق، ولها وجه.

يا عمّار، أجل، إنّك غلبت في أصحابك...[(١)] فقال عمّار: استبصاراً من ذلك، والله لو ضربتمونا حتّى تبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّكم على الباطل..[(٢)] فقالت عائشة: هذا تخيل إليك يا عمّار أذهبت دينك لابن أبي طالب.

ذكر الطبريّ: لمّا انتهى إلى عائشة قتل عليّ عليه السلام قالت:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافر

فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

وهذه الجملة تدلّ على إصرارها على ذنبها.

وجاءت الرواية على أنّها أبت الذهاب إلى المدينة، فقال عبدالله بن عبّاس: دعها في البصرة، فقال عليه السلام: إنّها لا تألوا شرّاً ولكنّي أردّها إلى بيتها.

وروى محمّد بن إسحاق أنّها وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرّض الناس على أميرالمؤمنين عليه السلام وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البحتري تحرّضهم عليه[(٣)].

سؤال:

وهذه أخبار آحاد.

---

(١) الاقتصاد للطوسيّ: ٢٢٨، الأمالي للطوسي: ١٤٣، ويؤكّد أنّ اللفظة «بنيك» جمع قوله من بعدها دون دينهم بالسيف، الصراط المستقيم ٣: ١٦٢، بحار الأنوار ٣٢: ٢٦٦، خلاصة عقبات الأنوار ٣: ٣١، الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي: ١٧٢، الدرجات الرفيعة لعلي بن معصوم: ٢٦٧، تاريخ الطبري ٣: ٥٣٩، الجمل للشيخ المفيد: ١٩٧، بشارة المصطفى لمحمّد بن عليّ الطبري: ٤٣٤.

(٢) ترجم سعفات هجر ترجمة خاطئة.

(٣) الاقتصاد للطوسي: ٢٢٩، الاحتجاج ١: ٢٤١، بحار الأنوار ٣٢: ٢٦٧.

جواب:

وأخباركم ضعيفة أيضاً، بل أضعف منها لأنّكم انفردتم بروايتها، أمّا الشيعة فقد رواها معهم خصومهم النواصب وهي مرويّة في كتبهم، غاية الأمر أنّنا نعارض خبراً مع خبر فيتساقطان ويبقى الأصل على حاله وهو فسق القوم ومعصيتهم بل كفرهم عند الشيعة.

ولمّا جاء ابن جرموز برأس ابن الزبير وسيفه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: سيف طالما جلّى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنّ الحين ومصارع السوء.

وقال أميرالمؤمنين: والله لقد علمت صاحبة الهودج أنّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبيّ الأُمّيّ وقد خاب من افترى[1].

وروى البلاذري بإسناده إلى جويريّة بن أسماء قال: بلغني أنّ الزبير لمّا ولّى اعترضه عمّار بن ياسر وقال: أبا عبدالله، والله ما أنت بجبان ولكنّي أحسبك شككت فقال: هو ذاك، والشكّ خلاف التوبة.

وكذلك قال طلحة في حال النزاع: ما رأيت مصرع شيخ أضيق من مصرعي.. فلو كان قد تاب لما ضاع مصرعه.

سؤال:

روي أنّ طلحة لمّا أحسّ بالموت قال:

ندمت ندامة الكسعي لما رأت عيناه ما فعلت يداه

جواب:

هذا يدلّ على الندم ولا ينفع الندم، إنّما ندم لأنّه استشعر الخسران، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ

---

(١) الاقتصاد للطوسيّ: ٢٢٨، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣٥ واقتصر على الرواية الأُولى.

الآنَ﴾(١)، وقال في حقّ فرعون: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

والذي ورد عن عائشة لا يدلّ إلّا على شعورها بالذنب وعلى حيرتها وليس على التوبة والرجوع إلى الحقّ كما تمنّت الموت لأنّها رات بعينيها هزيمة جيشها وفقدانها الظفر على حجّة الله كما قالت مريم عليها السلام: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾(٣) وما قالت ذلك مريم لأنّها عصت الله وإنّما قالت ذلك لما يقابلها به الناس من سوء الظنّ والرجم بالغيب ممّا لا أساس له، إذاً ليست المرأة تائبة بل قالت ذلك لمّا فاتها ما كانت تحلم به. وقالوا: إنّ الإمام قال يوم الجمل: وددت أنّي متّ قبل اليوم بعشرين سنة(٤) لأنّي لا أرى من الرعيّه مساعدة أو شدّ أزر وبذل مال وجهد.

وأيضاً طرأ على بال عدد من الجهّال عن هذه الحرب هل هي جائزة ومأذون بها أو لا؟ مع أنّها كانت بإذن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأجمعت الأُمّة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية، وقاتله معاوية.

وأمّا رجوع الزبير عن الحرب فلا يدلّ على ندامته ولا توبته، لأنّه لو تاب لانضمّ إلى عسكر أميرالمؤمنين وقاتل معه بل كان قتاله مع عائشة ولكنّه رأى

---

(١) النساء: ١٨.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) مريم: ٢٣.

(٤) المستدرك ٣: ٣٧٣ والرواية كما يلي: أجلس عليّ عليه السلام طلحة يوم الجمل فمسح التراب عن رأسه ثمّ التفت إلى الحسن بن عليّ فقال: وددت أنّي متُّ قبل هذا بثلاثين سنة.. وأنا ـ المترجم ـ لا أزيد على قول كلمة واحدة: اللهمّ إنّي أسألك بجلال وجهك الكريم أن تجعل دم طلحة في عنقي؟؟ المصنّف ٨: ٧١٣، أنساب الأشراف: ٣٢٤، تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٤ وهو يروى الكلمة لعائشة والصحيح أنّها لها ولكن القوم بغضاً لعليّ عليه السلام رووها له، اللهمّ العن من يبغض عليّاً وأهل بيته من الأوّلين والآخرين.

إرهاصات النصر لعليّ لائحة لذلك ولّى الحرب ظهره ولاقى مصيره. وقيل: إنّه نوى اللجوء إلى معاوية ليستمدّه ويحدث فتنة أُخرى في خلافة الإمام عليه السلام فقتله الله قبل بلوغه مراده.

وإذا كان إعراضه عن الحرب يعتبر توبة فإنّ الكفّار الذين انهزموا من كتائب رسول الله وولّوا الدبر يعتبرون تائبين من الكفر، وهذا لا يقول به أحد.

وما قاله المخالف عن الزبير من ندامته بعد نصح أميرالمؤمنين له فترك الحرب عند ذلك وقال له ولده عبدالله بن الزبير: يا أبت، أتتركنا في هذا المقام بهذه الحالة؟ فقال له الزبير: يا ولدي، لقد ذكّرني عليّ أمراً كنت ناسيه، فقال عبدالله: كلّا ليس الأمر كذلك بل خفت من صوارم عليّ، فغضب الزبير وتناول رمحه وانتزع منه زجّه وحمل على عسكر أميرالمؤمنين عليه السلام. فقال أميرالمؤمنين لأصحابه: أفرجوا للشيخ فإنّه محرج، وهذه شهادة من قبله تدلّ على عدم التوبة.

ونقلوا كذلك عن ابن جرموز لمّا حمل رأس الزبير إلى عليّ عليه السلام، قال عليّ عليه السلام: سمعت رسول الله يقول: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار، فلو لم يكن من أهل الجنّة والتوبة لما ثبتت هذه البشارة في حقّه.

جواب:

إن كان رجوعه عن الحرب بنصح عليّ يعتبر توبة فإنّ رجوعه بتحريض ولده على الحرب يعتبر نقضاً لها، وإصراراً منه على الذنب لأنّه عند سماع كلام ولده ترك الذين للحميّة والعصبيّة وحبّ الرياسة.

ويقول السيّد المرتضى علم الهدى في الجواب: وكيف يجوز من أميرالمؤمنين عليه السلام أن يمكّن عدوّه ويمنع أصحابه من قتله، لأنّ المرء لا يدعو إلى الفسق ولا يبعث إلى خلاف الحقّ مع أنّ كلام ابنه غير مخرج لأهل الإيمان إلى إظهار الضلال ولا ملجأ لأحد من الخلق إلى ارتكاب المعاصي والطغيان، والعبارات واضحة وجملتها لا

تحتاج إلى التفسير ولا يبعد أن يكون هذا الكلام على طريق الاستهزاء كما قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (١) وقال: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً﴾ (٢) وقال: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (٣)(٤) وأمثال ذلك، ومنع أصحابه من التعرّض له إمّا للاحتجاج وتكملة الحجّة أو على طريقة المنّة عليه كما فعل النبيّ ﷺ على أهل مكّة يوم فتحها والعفو عن الجاني وترك تعجيل عقابه لا يدلّ على الرضا بمعاصيه بل هو دليل التأليف والاستصلاح أو أنّه لإبلاغ الحجّة والاستدراج له.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾ (٦).

وبشارة قاتله بالنار لا يدلّ على إيمانه لأنّه قتل المعاهد وقتل الكافر للتشفّي وإراحة الغيظ لا لأجل الدين ونصره وإعلاء أمره، بل للتقرّب لمخلوق أو للعبث أو لإظهار الفساد والفجور، وقتل المؤمن كذلك، كلّ هذه الأُمور موجبة لدخول النار للقاتل، على أنّ المقتول من المستحقّين للقتل وكذلك قتل الكافر إلّا في صورة المؤمن المقتول بيد غير مؤمنه، كما ذكر المفيد ذلك في كلامه.

---

(١) الدخان: ٤٩.

(٢) طه: ٩٧.

(٣) هود: ١٠١.

(٤) الذي أظنّه ـ والله العالم ـ أنّ المؤلف لم يدرك عبارة السيّد والعبارة وإن نسبها إليه فإنّها للشيخ المفيد وجاءت كالتالي: أمّا قول أمير المؤمنين عليه السلام «أفرجوا للشيخ فإنّه محرج» فإنّه متى صحّ كان على طريق الاستهزاء والذمّ لأنّه لا يجوز أن يأمر عليه السلام أصحابه بالتمكين لعدوه من حربه، الخ. انظر ص١٤٣ من الفصول المختارة.

(٥) مريم: ٨٤.

(٦) آل عمران: ١٧٨.

حكاية:

كان ابن جرموز في حرب الجمل مع عائشة وقتل جماعة من أصحاب أميرالمؤمنين، ولمّا رأى الدائرة تدور على عائشة وحزبها وأنّ الأوضاع اضطربت عليها وعلامات الظفر تلوح في جانب أميرالمؤمنين عليه السلام تشاور مع أصحابه بني سعد وخرج معهم إلى الأحنف بن قيس وكان قد اعتزل الحرب على بعد فرسخين من البصرة، فجاءه رجل وهمس بأُذنه سرّاً بأنّ الزبير بوادي السباع خرج هارباً وهو يؤمّ المدينة، فرفع الأحنف عقيرته وصاح: ما عسيت أن أصنع بالزبير إن كان بوادي السباع وقد جاء فقتل الناس بعضهم ببعض، وكان غرضه من هذا التحريض على قتله، فقام ابن جرموز مع رجلين من بني سعد وكانا شريكيه في قتال أصحاب أميرالمؤمنين وإعانة أصحاب الجمل واسم أحدهما فضالة بن حانس واسم الآخر جميع بن عمير، فرب الثلاثة وأسرعوا العدو للّحاق بالزبير، وكان الزبير مترجّلاً فلمّا بصر بهم استوى على فرسه فسبقهم عمير بن جرموز فحذر منه الزبير، فقال له عمير: لا بأس عليك أنا ذاهب لوجهي وسوف أُسايرك.

فأمنه الزبير فاستغفله ابن جرموز فطعنه بالرمح في صدره وقتله ونزل من فرسه واحتزّ رأسه وأقبل به إلى الأحنف ومنه ذهب به إلى عليّ عليه السلام لينال عنده الحظوة والرياسة ولكي يعتذر بذلك عن قتاله مع عائشة وقتله لأصحابه، وقد أخبر النبيّ وصيّه أنّ ابن جرموز لم يقتل الزبير فقهاً وتديّناً بل قتله لنيل الرياسة وطلب الجاه، وهو من أهل النار، وكلّ من قتل آخر بعد إعطاه الأمان فإنّه ملعون، وكان هو أيضاً من الخوارج وقتله عليّ عليه السلام في النهروان، وبشارته بالنار من الرسول إخبار بمصيره وعاقبة أمره.

ومثله فعل مع قرمان حين بشّره بالنار مع أنّه يقاتل معه ويعين أهل الإسلام والصحابة يشكرونه على جهاده واستماتته، والنبيّ يقول: إنّ قرمان من أهل النار،

وذات يوم جاء الخبر إلى النبيّ ﷺ بأنّ «قرمان» استشهد، فقال النبيّ: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وأخبروا النبيّ عن جهاده وقتاله العظيم وأنّه قتل جماعة من المشركين وقد تحمّل في جسمه ما بين سبع إلى ثماني جراحة شديدة وحملوا من مصرعه إلى منازل بني ظفر، قال المسلمون: ابشر يا قرمان فقد أبليت اليوم، فقال: بم تبشّروني، فوالله ما قاتلت إلّا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت. فصعب عليه تحمّل الجراح فانتزع من كنانته سهماً حادّاً وقتل به نفسه. ولمّا كان النبيّ يعلم عاقبة أمره أخبر المسلمين بما يجري منه لئلّا يشتبه أمره على المسلمين، ولئلّا يقال عنه «مؤمن». ومن أجل ذلك قاتل مع النبيّ ﷺ، وقال النبيّ فيه: «قاتل نفسه في النار».

فتكون حال ابن جرموز وما أخبر النبيّ عليّاً عن دخوله النار كحاله. وقال الشيخ المفيد: استحقّ ابن جرموز النار لعصيانه أوامر عليّ حيث نادى مناديه: ألا تتبعوا مدبراً ولا تجهّزوا على جريح، ولكم ماحوى عسكرهم من الكراع والسلاح، وخالف ابن جرموز أمر الإمام مفترض لطاعة واتّبع الزبير فاستحقّ النار لهذا السبب وليس لأنّ الزبير من أهل الجنّة لتوبته أو ندمه، وعندنا كلّ من خالف الإمام فقد خالف الرسول، ومن خالف الرسول خالف الله، ومخالفة الله كفر والكافر يستحقّ النار.

كان الزبير رأس البغاة وقتله من أعظم الجهاد وأعظم الثواب، وينبغي أن يكون قاتله مستحقّاً لأعظم الثواب وأعلى الدرجات بسبب قتله وإراحة الناس من شرّه،، ولكن بسبب كفر القاتل ونفاقه خسر الثواب وبطل منه الأجر ليس هذا فحسب بل استحقّ معه النار أيضاً وكان لازماً على الموحىٰ إليه أن يخبر الأُمّة بحاله لئلّا يغترّ به من لا يعرفه ويعتقد له الإيمان والسلامة ويتقرّب إليه.

بيّنة:

وأمّا عصيان عائشة فإنّه لمخالفتها أمر ربّها وما أمرها به من قوله سبحانه مخاطباً نساء النبيّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾(١) فلم تقرّ في بيتها وتنقّلت على جملها من حيّ إلى حيّ ومن بلد إلى آخر، وكذلك قول النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: يا علي، نفسك نفسي وحربك حربي، وحرب النبيّ كفر.

وما يقال من أنّ المرأة لن تمسّها النار لأنّها لامست نفس النبيّ ﷺ فإنّ نوحاً ولوطاً نبيّان ولهما ذرّيّه من زوجتيهما واسم زوجة نوح «والعة» واسم زوجة لوط والهة، وكلتاهما ذهبتا إلى جهنّم وبئس المصير: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ إلى قوله: ﴿الدَّاخِلِينَ﴾(٢) وكلتا المرأتين في النار بنصّ الآية، ولم تقبل شفاعة زوجيهما النبيّين فيهما، وأولى منهما بالنار عائشة لأنها لم تلد للنبيّ وأعقم الله رحمها.

بيّنة:

منزلة الولد أعظم من منزلة المرأة لأنّ المرأة يمكن فراقها بالموت أو الطلاق، أمّا الولد فلا يمكن إبعاده عن الأب بأيّ سبب من الأسباب لأنّه من صلبه، وبناءاً على هذا إذا كان ابن نوح كنعان من أهل النار فإنّ زوجته أولى بدخول النار، ونزلت سورة التحريم بحقّ عائشة وحفصة وأبويهما حيث يقول الله تعالى في تالي الآيات: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾(٣) والخصم يؤمن بدليل الخطاب ويقول به(٤)، فينبغي أن لا يكونا

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التحريم: ١٠.

(٣) التحريم: ٥.

(٤) دليل الخطاب ويسمّى مفهوم المخالفة وهو إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه. فقوله تعالى: «خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات» الآية، فإنّ نقيض هذا الحكم أنّهما غير مؤمنات ولا مسلمات الخ.

مسلمتين ولا مؤمنتين ولا عابدتين ولاتائبتين ولا سائحتين وأمثال هذا، وبما أنّ القرآن أثبت نساءاً خيراً منهنّ فإنّ ذلك خلاف ما ذهب إليه الخصم من كونهما أفضل النساء.

بيّنة:

درج القوم على اعتبار من آذى أميرالمؤمنين وأولاد فاطمة من الصحابة الإناث أو الذكور في المراتب العليا من الصحبة، وبعكس ذلك من أحبّهم ووالاهم فإنّهم يصنّفون في أدنى مستويات الصحبة مثل أبي ذر وسلمان والمقداد وأمثالهم فلم يذكروهم بشأن من الشئون ولا ألقوا إليهم بالاً، سبحان الله ما هذه العداوة مع آل محمّد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[1].

فلو أنّ رجلاً تمدح بالكذب ظالمي عليّ مأة عام، دون أن يطري عليّاً بحرف واحد فإنّهم يحيّونه ويوالونه، ولو أنّه ذكر عليّ بكلمة دون ذكر خلفاء الجور فإنّهم يهدرون دمه لو أمكنهم ذلك، ويسمّونه رافضيّاً، ولم يعلموا أنّ لهم في مقابل هذا الاسم عشرة أسماء تجري على أسماعهم مثل: خارجيّ وناصبيّ ومجبريّ ومروانيّ ومنافق ونعثليّ وحطب جهنّم وإبليسيّ وأصحاب النار ونحوها.

---

(١) الأحزاب: ٥٧.

الفصل الأوّل
في بداية وقوع المحاربة بين أميرالمؤمنين وبين الناكثين طلحة والزبير وعائشة(١)

اعلم لمّا بايع الناس عليّاً وتمّ الأمر له أنهى عبدالله بن سلمة خبر قتل عثمان وبيعة عليّ إلى عائشة فقالت: لا نالتها تيم بعد اليوم، ليت هذه أطبقت على هذه، ولم يبايع عليّ، وكانت عائشة يوم أردى عثمان خارج المدينة وكانت تحرّض الناس دائماً على قتل عليّ عليه السلام، ولمّا بلغتها أنباء بيعته كتبت إلى معاوية كتاباً وحرّضته على العصيان، وكتب معاوية إلى الزبير ولكن عائشة قالت: لو كان كتب إلى طلحة.

وذات ليلة أقبل طلحة والزبير على أميرالمؤمنين وطلبا منه أن يولّيهما، فقال لهما: إنّنا لا نولّي إلّا من ارتضينا أمانته ودينه، وإنّكم لا ترضون بعطاء الله إيّاكما وتطلبا الفضل والزيادة ولمّا اطّلعوا على ما يضمره الإمام لهما قالا: يا علي، إنّك لتعلم ما كنّا عليه في أيّام الخلفاء الماضية من الاحترام والجاه.

وكان الإمام عليه السلام منصرفاً ساعتها إلى تنظيم بيت المال فلمّا جلسا عنده وكلّماه نادى قنبر وأمره بتغيير السراج فقالا: يا أميرالمؤمنين: ما هذا؟ لماذا رفعت السراج ونصبت غيره؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: هذا سراج بيت المال وكنت أستعمله لتدبير اموال المسلمين، فلمّا كلّمتكم لم يجز لي الاستفادة منها فأبدلتها بما يحلّ لي استعماله، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقام طلحة والزبير فخرجا من

---

(١) كتب المؤلّف عناوين كتابه باللغة العربيّة فأبقيناها على حالها وإن خالفت الجرس العربي، لأنّي أُترجم الفارسيّة إلى العربيّة ولا استطيع ترجمة العربيّة بالعربيّة لأنّه تغيير لا أرضى إدخاله على أُسلوب المؤلّف.

عنده وقال أحدهما للآخر: إنّ رجلاً يضبط الأُمور على هذه الشاكلة ما هو بمستعملنا ولا بمعطينا شيئاً نرضاه، إنّه يترسّم خطى الشرع ويأمرنا بالالتزام بالزهد والصلاح.

فلمّا أصبح الصباح أقبلا عليه واستئذنا للعمرة، فقال أمير المؤمنين: إنّكما لا تريدان العمرة ولكن تريدان الغدرة، فأقسما أنّهما لا ينويان إلّا الزيارة، وكانا قد كتبا إلى عائشة مع ابن أُختها عبدالله بن الزبير كتاباً يأمرانها بلزوم تحريض الناس على حرب عليّ عليه السلام، وتحميلهم على نكث بيعته، وكانت عائشة دائبة على إغواء الناس وحملهم على قتال عليّ عليه السلام والطلب بدم عثمان.

وصفوة القول أنّ الرجلين حلّا في مكّه ودعوا الناس لحرب عليّ عليه السلام، وجائهما عبدالله بن عامر والي مكّه من قبل عثمان وقبل دعوتهما وقال: أنا أكفيكم أمر البصرة وأجمع لكم من أهلها مائة ألف دينار نفقة لعسكركم.

فقال: انّ هذا بحدّ ذاته شيء جميل ولكن لابدّ من وجود إمام نفيء إليه ويكون ردءاً لنا وفئة، ولا يصلح لهذا الأمر إلّا عائشة، فإنّ لها شهرة وهي زوج محمّد، وإن أبت ذلك عائشة وقبضت نفسها عن إعانتنا فإنّ أمرنا لا ينفذ وغايتنا لا تتحقّق، فذهبوا إليها وخدعوها ورضيت بما عرضوا عليها وقالت: «بالرأس والعين»[١] ثمّ أقبلت عائشة وطلحة والزبير إلى الحوأب[٢] (الحورب ـ المؤلّف) على وزن كوكب وهو ماء في طريق البصرة فنبحتها كلابه وأجراء الكلاب في بطون أُمّهاتها[٣].

---

(١) كانت عائشة منذ البداية عازمة على الطلب بدم عثمان وهي التي حملتهم على ذلك وليس الأمر بالعكس، بدا منها ذلك يوم أُخبرت ببيعة عليّ فصرخت واعثماناه، وهذا مشعر بما تخبئ في سرّها.

(٢) في المناقب: وهو ماء نسب إلى الحوئب بنت كليب (٢: ٣٣٦).

(٣) ترجم المؤلّف بهذه الكلمة لفظ «بني كلاب».

فلمّا رأت عائشة ذلك صاحت: ردّوني ردّوني، فقد سمعت رسول الله يقول: إنّ امرأة من نسائي تخرج لحرب علي، هي ملعونة، وعلامة ذلك أن تنبحها كلاب الحوأب، فشهد عندها أربعون وقيل ستّون شهادة كاذبة بأمر طلحة والزبير على أنّ هذا الماء ليس ماء الحوأب، فكذبوا عليها كذباً صريحاً وقلبوا أمرها رأساً على عقب..[1].

فجاءت أُمّ سلمة إلى عائشة وبالغت في نصحها وقالت لها: ألا تتذكّرين حين كنّا يوماً بين يدي النبي نخدمه وكنّا على يساره وهو يناجي عليّاً، فقلت أنت لعليّ: يا علي، كلّما كانت ليلتي من رسول الله ﷺ أتيته فشغلته عنّي ولم تتركه ينصرف إليّ، فغضب رسول الله منك وقال: من عاداك يا علي فهو ابن زنا؟ قالت نعم أذكر ذلك.

قالت: ألا تذكرين يوم حملت قدر الحلوى الذي صنعته إلى النبيّ، فقال النبيّ: يا أُمّ سلمة لا تكوني من أزواجي اللواتي يقاتِلْن عليّاً عليه السلام! فقلت: نعوذ بالله من غضب الله ورسوله ووصيّ رسوله؟ فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

ثمّ قالت: ألا تذكرين يوم اجتمعنا في بيت حفصة فضرب النبيّ بيده على ظهرك وقال: صوني نفسك من أن تنبحك كلاب الحوأب يوماً، فينفر منها جملك؟ فقالت عائشه: أجل لقد كان ذلك.

فقالت أُمّ سلمة: يا عائشة، ألا تذكرين يوم أقبل النبيّ من السفر وغسل عليّ ثيابه وخاطها وخصف نعليه، فأقبل أبوبكر وعمر وقالا: لا ندري من يلي الأمر بعدك، فقال النبيّ: أخشى أن أُخبركم فتكونوا كبني إسرائيل وتتفرّقون عنه كما

---

(١) وأقول للمؤلّف رحمه الله: لا تحسن الظنّ بواحد من هؤلاء فإنّ الخبيثة علمت بانّه ماء الحوأب ولكن على عمد لبّست على نفسها.

تفرّقوا عن هارون، فلمّا خرجا من عند النبيّ قلت: يا رسول الله، من الخليفة من بعدك؟ فقال النبيّ: إنّه هو.

وجرت مشادة بين أُمّ سلمة وبين عبدالله بن الزبير فكتبت أُمّ سلمة لعليّ كتاباً وفيه: إنّ عائشه خرجت لحربك بفيالقها فنصحتها، فقالت: نحن ذاهبون لإصلاح الأُمّة، وجاءك عبدالله بن عامر للطلب بدم عثمان ولولا أنّي امرأة والنساء ليس عليهنّ جهاد لخرجت معك.

بيّنة:

كان طلحة والزبير أعظم عدوّين لعليّ عليه السلام وهما اللذان أجلبا على عثمان وكانا دائبين في ثلبه، وطلحة هو الذي حاصر بيته وتولّى قتل عثمان بنفسه ومع كلّ ما جناه على عثمان جاء يطلب بدمه، وكانا مع عليّ في البيعة ولكنّهما نكثا بيعته وخرجا عليه.

قال عبدالله بن عبّاس: كنت حاضراً عند عليّ إذ أقبل طلحة والزبير وطلبا من عليّ السفر إلى مكّة لأجل العمرة، فأجابهما عليّ بأنّكما لا تبغيان العمرة، فتوسّلا به مرّة ثانية فلم يجزهما وتوجّه إليّ وقال: والله ما يريدان العمرة، فقلت له: فلا تأذن لهما إذن، فارسل إليهما في الحال وأمر بردّهما، وقال: ما تريدان إلّا نكثاً لبيعتكما والتفريق ـ يعني بين المسلمين ـ فأقسما بالله لا يريدان إلّا العمرة لا نكث البيعة ولا عصيان أمره، فلم يجزهما في الثانية، فلمّا خرجا قال أمير المؤمنين مردّداً قوله الأوّل: لا يريدان العمرة ولا يريدان إلّا الإفساد في الدين.

فقال عبدالله: مُر بردّهما لئلّا يذهبا، فقال الإمام: إنّهما أقسما فأدركني الحياء منهما، ولكن لا يعدوان ما قلت، ومن هنا خرجا إلى مكّة وأرسلا بين أيديهما أبا عبدالرحمان مسعود العبديّ وعبدالله بن الزبير إلى عائشة لكي تكون السابقة في هذا الأمر.

فقالت عائشة، لا أرضى حتّى تخرج معي أُمّ سلمة لأنّ الحياء يمنعها من الخروج، وأرادت أن تغوي غيرها لتكون ضالّة مضلّة كليهما، ثمّ قامت إلى أُمّ سلمة، فلمّا رأتها قالت: مرحباً بعائشة، والله ما كنت لي بزوّارة فما بدا لك؟ قالت: جئتك لتخرجي معي كي ينتظم أمر الإسلام، ونقتل قتلة عثمان ونحارب عليّاً، فقالت أُمّ سلمة: ألا تذكرين يوم كانت ليلتك من رسول الله ﷺ وقد طهوتُ للنبيّ طعاماً.. فقال: لا تمرّ الأيّام حتّى تنبح إحدى نسائي كلاب ماء بالعراق يدعى الحوأب، فوقع الإناء من يدي، فقال: مالك يا أُمّ سلمة؟ فقلت: يا رسول الله، ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول، ما يؤمنني أن أكون أنا هي؟! فنظر النبيّ ﷺ وقال: بم تضحكين يا حمراء الساقين، إنّي أخشاك هي (كذا)[1].

وأنشدك الله يا عائشة، أتذكرين مرض رسول الله ﷺ الذي قبض فيه، فأتاك أبوك يعوده ومعه عمر، وقد كان عليّ بن أبي طالب يتعاهد ثوب رسول الله ﷺ ونعله وخفّه، ويصلح ما وهى منه، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله ﷺ وهي حضرميّة وهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه، فأذن لهما، فقالا: يا رسول الله، كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله تعالى، قالا: ما بدّ من الموت؟ قال ﷺ: لابدّ منه، قالا: يا رسول الله، فهل استخلفت أحداً؟ فقال: ما خليفتي

(١) جاءت الرواية في رسائل المرتضى هكذا: قالت: تخرجين معي فلعلّ الله أن يصلح بخروجنا أمر أُمّة محمّد، فقالت: يا عائشة، أخرج وقد سمعت من رسول الله ما سمعت، نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت، أتذكرين يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو ﷺ يقول: والله لا تذهب الليالي والأيّام حتّى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوأب امرأة من نسائي في فتية باغية، فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إليّ فقال: ما بالك يا أُمّ سلمة؟ قلت: يا رسول الله، ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن أكون أنا هي، فضحكت أنت فالتفت إليك فقال ﷺ: ما يضحكك يا حمراء الساقين، إنّي لأحسبك هي.. (٤: ٦٧، وراجع أيضاً: بحار الأنوار ٣٢: ١٥٠).

فيكم إلّا خاصف النعل، فخرجا فمرّا على عليّ عليه السلام وهو يخصف النعل(١).

ونشدتك بالله يا عائشة، أتذكرين ليلة أسرى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين عليّ بن أبي طالب يحدّثنا فأدخلت جملك فحال بينه وبين عليّ، فرفع مرفقة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومك منه بواحدة، ولا بليّته منك بواحدة، أما إنّه لا يبغضه إلّا منافق أو كذّاب(٢).

هذه الأحاديث نصوص ظاهرة على إمامة عليّ وخلافته، وذكرها نصر بن مزاحم المنقريّ في كتابه وهو من علماء أهل السنّة.

وصفوة القول بأنّ عائشة لمّا استمعت إلى هذه المواعظ قالت لعبدالله بن الزبير: إنّي عزمت على التوبة ولن أخرج معكم ولكنّها عادت بإغوائهم إلى ضلالها الأوّل، فلمّا تناصف الليل تحمّلت إلى البصرة ومعها عسكر مجرٌ لقتل عليّ، بخٍ بخٍ لأمّ المؤمنين.

بيّنة:

اعلم بأنّ الله تعالى سمّى نساء النبيّ أُمّهات المؤمنين بعد ما أقسم طلحة أنّه سوف يتزوّج عائشة أو أنّ الله حرّم على حفصة العقد وهذه الأُمومة مجازيّة ولذلك لا يصدق على أقربائهنّ ما صدق عليهنّ، ألا ترى أنّه لا يقال: جدّ المؤمنين ولا عمّهم ولا أخوهم ولا أُختهم ولا جدّتهم وأمثال هذه الاستعمالات في النسب، وبناءاً على هذا لا ينبغي أن يقال: خال المؤمنين، على أنّهم لا يقولون ذلك إلّا لمعاوية، وإن كان أولى من معاوية بهذا الاسم محمّد بن أبي بكر وعبدالرحمان أخوه وعبدالله بن عمر إلّا أنّ هؤلاء لم يقصدوا أميرالمؤمنين بالحرب ولم يطلبوا قتله، فلم

(١) رسائل المرتضى ٤: ٦٧.

(٢) رسائل المرتضى ٤: ٦٧.

يكن لهم مقام معاوية عند السفيانيّين واقتصرت الأسماء والألقاب على من بالغ في عدائه لأمير المؤمنين، والله أعلم.

الفصل الثاني

لمّا عزمت عائشة على الخروج جاؤوها بجمل صعب وقويّ ضخم عالٍ يُدعى «عسكر»، ولمّا سمعت عائشه باسمه أبت الخروج وقالت: نهاني رسول الله ﷺ وقال: احذري يا عائشة أن تركبي جملاً اسمه عسكر، وتخرجين إلى الحرب وتنبحك كلاب الحوأب.

فلبّس طلحة والزبير عليها وغرّوها وأركبوها عليه فصاحت عند ذلك بأصحابها وأمرتهم بقتال عليّ والطلب بدم عثمان وصاحت أُمّ سلمة: لا يخرجنّ أحد لحرب عليّ، ومن خرج لحربه فهو كافر وعاصٍ لربّه.

وخرج مع عائشة طلحة والزبير بن العوام، وسعد ومروان بن الحكم، وعبدالرحمان ومحمّد بن طلحة، وعبدالرحمان بن أُسيد وعبدالله بن حكيم بن حزام، وهؤلاء أولاد الطلقاء، ودعت مروان بن الحكم وسعيد بن العاص إلى الحرب والطلب بدم عثمان، فقال سعيد لمروان: إنّ هؤلاء الذين يرافقونك وترافقهم هم قتلة عثمان، فتركه مروان.

وكتب مالك الأشتر كتاباً إلى عائشة: اتّق الله الذي خاطبك بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1] ولا تهتكي حجاب رسول الله فإنّ ذلك يغضبه ويؤذيه، إذ تخرج زوجه بين العساكر تحارب. فقالت عائشة: إنّ مالكاً يقول هذا لأنّه مطالَبٌ بدم عثمان.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

فخرج أميرالمؤمنين عليه السلام ومعه سبعمائة من الرجال ونزل بذي قار، ولمّا علمت عائشة بذلك كتبت إلى حفصة: نزل عليّ بذي قار؛ إن تقدّم نحر وإن تأخّر عقر. فجمعت حفصة النساء وضربن بالمزامير وقلن:

ما الخبر ما الخبر علـيّ فـي سـفر
إن تـقدّم نـحر وإن تأخّـر عـقر[1]

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله: «البغض يتوارث». فعلمت بذلك أُمّ كلثوم بنت أميرالمؤمنين، فلبست ثيابها ووضعت نقابها وتنكّرت وجاءت حتّى دخلت عليهنّ، وسمعت ما هنّ فيه من قول الباطل، فكشفت نقابها وأبرزت لهنّ وجهها، ثمّ قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأُختك على أميرالمؤمنين فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل أنزل الله عزّ وجلّ فيكما ما أنزل[2]، والله من وراء حربكما، وأظهرت حفصة خجلاً وقالت: إنّهنّ فعلن هذا بجهل، وفرّقتهنّ في الحال، ثمّ قالت أُمّ كلثوم: ظلمك أنت وعائشة ووالداكما لنا قديم.

ولمّا علمت أُمّ الفضل والدة عبدالله بن العبّاس بخروج عائشة من بيتها، كتبت للإمام كتاباً وأعطته رجلاً من جهينة وقالت: اخرج مسرعاً واعط هذا الكتاب بيد عليّ، وإن نفق جملك فعليّ ثمنه، فخرج الرجل مجدّاً حتّى سلّم الكتاب لعليّ عليه السلام فأذاع الإمام خروج عائشة على الناس، وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ فصلّى عليه، ثمّ قال:

اعلموا أنّما الخلافة لي وأنا صاحبها ولكن اغتصبها القوم منّي وسكتُّ حين

---

(١) كتاب الأربعين للشيرازي: ٦٢٧.

(٢) قوله تعالى: «وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاهُ وجبريلُ وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعدَ ذلك ظهير». (التحريم: ٤). الجمل للمفيد: ١٤٩. واقتضانا نظم العبارة التصرّف بسياق المؤلّف وعبارة الشيخ المفيد.

لم آمن الفرقة تحلّ في الأُمّه ولهذا كرهت حين زُفّت إليّ، وأوّل من بايعني طلحة والزبير، واليوم نكثا عهدهما وأركبا عائشة على جملٍ وساقوها لحربي، وينبغي عليكم أن تجتمعوا هاهنا غداً.

فحضر عنده أربعمائة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومائتين وثلاثين رجلاً من الأنصار، وأمّروا على المدينة سهل بن حنيف.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يستعدّ يومذاك لحرب معاوية، فخطب الناس ورغّبهم في جهاد طلحة (لعنه الله) وأتباعه فصاحوا بأجمعهم «سمعاً وطاعة» فقام حجّاج بن عرية الأنصاري فقال: قاتلت بسيفي هذا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم أُقاتل الناكثين طاعة للّه ورسوله، وأخذ يحرّض الناس على حرب المخالفين، وتلا عليهم شطراً من مناقب عليّ عليه السلام، وتحمّل عليّ بمن معه حتّى نزل الربذة وهناك عقد لواءاً لعمّار ليتقدّم الجيش إلى الشام.

فقال الحجّاج: أرسلني يا علي إلى حرب أهل البصرة، فقال عليّ عليه السلام: اذهب على بركة الله، فركب الحجّاج وساق معه جملاً أورق وفرساً كميتاً وتوجّه إلى البصرة، فأقبلت عائشة بجيشها حتّى نزلت البصرة وكان عليها عثمان بن حنيف من قِبَل أميرالمؤمنين، فكتبت عائشة إلى عثمان كتاباً تخبّره بقدومها، فأعطى عثمان الكتاب إلى الأحنف بن قيس، فقال حكيم بن جبلة العبدي: رأيي أن لا تدعهم يدخلون البصرة لأنّهم إن دخلوها كانوا الغالبين وكنت أنت المغلوب، فصدّقه عثمان، وكتب عليّ إليه كتاباً أن لا يدخلوها وقال: وأعذر إليهم فإن قبلوا وإلّا فقاتلهم، فأعذر إليهم عثمان فلم يستكينوا إلى أن جرّ الأمر إلى الحرب فغلبهم عثمان فمشى بينهم جماعة بالصلح بأن تكون دار الإمارة وإمامة المسجد لعثمان ويأذن لهم بالمقام في البصرة حتّى قدوم عليّ عليه السلام.

وكان طلحة والزبير يأخذان البيعة على الناس فبايعتهم بعض القبائل(١) فاجتمع منهم جيش ولبسوا الدروع وعليها الثياب، وحضروا صلاة الجمعة، ولم يطّلع عثمان على مكرهم فأمسكوا به وأوسعوه ضرباً ونتفوا لحيته وشاربيه، وأرادوا قتله، فقال عثمان: اقتلوني، إنّ أخي سهلاً في المدينة والله لا يدع من أهلكم ديّاراً، فأطلقوه وقتلوا سبعين مؤمناً من أهل بيته(٢)، فخرج عليهم حكيم ابن جبلة العبديّ مع جماعة، وقال: أُقاتلهم على حبّ الله ورسوله وأميرالمؤمنين عليه السلام الذي لا أحد أفضل منه تحت السماء، فمكر به طلحة والزبير وخرجا عليه وضرباه على رجليه حتّى فرّقوا بينهما وبين جسده، ومات على أثر ذلك.

وكتب سهل بن حنيف إلى عائشة كتاباً شديد اللهجة وفيه الوعيد لخلاص أخيه عثمان من شرّها، فلمّا قرات الكتاب أطلقت سراح عثمان فخرج من البصرة ولحق بعليّ عليه السلام بذي قار، فخطب عليّ بذي قار خطبة حمد الله فيها وذكر ما جرى من قتل حكيم بن جبلة العبديّ وغيره من المؤمنين وبكى بكاءاً طويلاً حتّى ضجّ الناس من بكائه، ونزل من المنبر وكتب إلى أهل الكوفة كتاباً يستنفرهم، وبعثه مع محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن جعفر، فلمّا بلغ كتابه أهل الكوفة كان أبو موسى الأشعريّ (لعنه الله ـ المترجم) يثبط الناس عن الخروج، فأغلظ له محمّد بن أبي بكر ووصل هاشم بن عتبة بعد وصول الكتاب ومعه كتاب آخر من عليّ عليه السلام، فاستشار أبو موسى السائب في أمر عليّ عليه السلام، فقال السائب: لابدّ من النفور مع عليّ عليه السلام، فانكر أبو موسى ذلك.

---

(١) جرى تصحيف لأسماء القبائل لذلك لم أذكرهم في المتن وهم كما يلي: قبيلة بنو درد وبنو صبية قيس سلمان وبنو سليم وبنو عامر، وأحسبهم الأزد، وظبّة وقيس عيلان وبنو سليم.

(٢) المقتولون هم السابحة قوم من الزطّ وعددهم اربعون. (الجمل للمفيد: ١٥٢).

وكان في كتاب عليّ لأهل الكوفة:

يا أهل الكوفة، إنّكم لتعلمون أنّ الحقّ حقّي ولكنّي سكتُّ عنه خوفاً من حدوث الفرقة، واليوم بايعوني (ونافق بعضهم) فالله الله (بوصيّ نبيّكم) فلا تتقاعدوا عن إمدادي ولا تكاسلوا عن الخروج معي.

وأرسل كتاباً آخر مع الإمام الحسن وعمّار بن ياسر، فقال عبدالله بن عبّاس: يا أميرالمؤمنين، أترى أهل الكوفة لا يجيب منهم أحد ؟!

وأمّا الإمام الحسن عليه السلام فقد قرأ عليهم الكتاب واتّكأ على عمود هناك وحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة غاية في البلاغة والفصاحة، فعمّ الناس الوله والوجد من فصاحته وبلاغته حتّى أتمّها، ودعا الناس إلى نصرة أميرالمؤمنين عليه السلام، فقام أبو موسى الأشعريّ (لعنه الله ـ المترجم) إلى المنبر وخطب بمن بعده وقال: أيّها الناس، أمسكوا فقد سمعت رسول الله يقول: تكون من بعدي فتنة فإيّاكم والوقوع فيها، وعليّ يدعوكم إلى قتل إخوانكم.

فقام عمّار وقال: يا أبا موسى، أنت كنت دائماً رأس هذه الفتنة وأنا أُشهد الله ورسوله على أنّي سمعت رسول الله يقول: يا عليّ، تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، وشهد أربعون إنساناً لعمّار بهذا الحديث، وقال: عليّ سابق الإسلام وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ومستحقّ الخلافة وغيره على الباطل وعثمان لا يستحقّها وليس أهلاً ليطلب بدمه لأنّه ظلم المسلمين وأتلف بيت المال ومات على غير توبة، ثمّ سأل أبا موسى: كم هم أصحاب العقبة ؟ قال: ثلاثة عشر ؟ قال: رابع عشرهم أنت ؟ قال: نعم، لقد كنته ولكنّ رسول الله استغفر لي، فقال عمّار: أنا أشهد بأنّ رسول الله لعنك.

وقام رجل يُدعى زيد[1] وذكر مناقب عليّ عليه السلام وفضله من السبق إلى الإسلام والقرابة والشجاعة والسخاء، وقال: لابدّ من وجود إمام على الأُمّة يدفع عنها الظلم ويقيم لها صلاتها وصيامها وحجّها وجهادها وباقي أُمورها الشرعيّة، ويقوّم أود الشريعة ولا يستحقّ هذا المقام اليوم إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فانفروا معه وأمدّوه بالنفس والمال.

واستأذن مالك الأشتر عليّاً عليه السلام بالذهاب إلى الكوفة وقال: أنا أعرف الناس بهم وأعرف ضرر عداوتهم، فأذن له، ولمّا وصل الكوفة بالغ في ترغيبهم بالجهاد وتلا عليهم مناقب أميرالمؤمنين وقال: إيّاكم وسماع ترّهات سعد بن العاص (لعنه الله ـ المترجم) والوليد بن عتبة الفاسق الخمّار وأبي موسى.

وقام من بعده حاتم (كذا) عدي بن حاتم ومن بعده حجر بن عدي وغيرهم، وكلّ واحد يدعو الناس إلى الجهاد ويرغّب فيه، ويحرّضهم على نصرة عليّ، ودعاهم أبو وهب أيضاً للقتال، فقال أبو موسى: أبو وهب يكذب عليكم، فأمر مالك الأشتر بالقبض على يد أبي موسى وإنزاله عن المنبر إلى الأرض، وهكذا فعلوا وأخرجوه من المسجد إلى خارجه.

وقام عبدالله بن ربيعة ففعل فعلهم ودعا الناس إلى طاعة أميرالمؤمنين، وأقام الإمام الحسن الصلاة بهم جماعة، وولّى قرظ بن كعب الأنصاريّ على الكوفة نيابة عن الإمام أميرالمؤمنين، وخرج من الكوفة بالجيش وقد اجتمع منهم اثنا عشر ألف مقاتل، وخرجوا تلبية لدعوة أميرالمؤمنين ولحقوا به على دفعات، وبقي الإمام مستقرّاً في ذي قار خمسة عشر يوماً بانتظار مجي العسكر، فلمّا قدموا عليه خطبهم وشرح لهم نكث طلحة والزبير بيعته وقال: إنّما دعوتكم لتعينوني

---

(١) هو زيد بن صوحان رحمه الله وليس مجهولاً عند أحد ليعبّر عنه المؤلّف هذا التعبير.

وتنصروني على بغاة أهل البصرة الذين اجتمعوا على طلحة والزبير وأقدموا عائشة من المدينة على حربي، فصاح أهل الكوفة بأجمعهم: نفديك بارواحنا ولا نحيد عن البصرة وننصرك عليهم.

فقام عمّار وقال: يا عليّ، إخواننا وأهل قبلتنا لا يحلّ لنا قتلهم.

فقال عليّ عليه السلام: إنّهم نكثوا عهدي وعهد عاملي عثمان بن حنيف على البصرة وقتلوا مائة نفس مؤمنة مصونة الدم فلو أنّهم قتلوا واحداً لحلّ دمهم، ولا يكون الحقّ معهم بادّعائه.

فاستحيا عمّار وسكت وقيل: إنّه لزم ركاب الإمام الحسين حتّى استشهد في كربلاء(١).

وتحمّل أميرالمؤمنين من ذي قار ولم ينزل إلّا (بزانوقة) (كذا) في البصرة وأرسل إلى عبدالله بن عبّاس وزيد بن صوحان إلى طلحة والزبير فلم يعتذرا وقالت عائشة: لا يجيب عليّاً غيري، وقالت عائشة في جوابها(٢)... وقد لبسوا جملها بجلد النمور ووضعوا عليها دروع الحديد وجاؤوا قاصدين الحرب للّه ورسوله وحجّة الله والمؤمنين، فليستحوا من الله تعالى، فأيّ رجل يرضى لامرأته أن تفعل هذا الفعل ؟!

وأقبل عليّ عليه السلام حاسراً اعزل من السلاح ووقف بين الصفّين واستدعى الزبير، فقالت عائشة: لا تذهب فإنّ عليّاً يخدعك أو يريد تخويفك، فلمّا حضر الزبير

---

(١) في صدر الحديث يخاله القارئ عمّار بن ياسر لأنّ المشترك إذا أُطلق انصرف إلى أظهر أفراده، ولكنّه بيّن حقيقة عمّار هذا بشهادته في كربلاء.

(٢) لابدّ من وجود حذف هنا تتمّ به الجملة، والمؤلّف لم يشر إلى مصادره لنرجع إليها ونتلافى الحذف، والحديث وفيه الخطب كلّها مترجمة، وعلى القارئ إذا أراد الوقوف على المتن الصحيح البحث عنها في المصادر.

عنده، قال له: أُناشدك الله، ألا تذكر يوم قال لك رسول الله ﷺ: أتحبّه؟ فقلت: وما يمنعني من حبّه، فقال: يأتي يوم تقاتله مع الناكثين وتخون عهد الله ورسوله ووصيّه، ولن تنال الظفر. فقال الزبير: نعم أذكر ذلك.

ثمّ قال: ألا تذكر يوماً أقبل النبيّ فيه من بني عمرو بن عوف ويدك بيده، فسلّمت أنا على النبيّ فردّ سلامي وتبسّم في وجهي، فابتسمت له، فأنكرت عليّ ذلك وقلت: ما هذا التيه يا عليّ؟ فقال النبيّ ﷺ: صه يا زبير، فإنّ عليّاً لا يتيه، وسوف تقاتله مع الفئة الباغية وأنت ظالم له وهو مظلوم. فقال الزبير: أجل، أذكر ذلك ولا أنساه.

ثمّ عاد الزبير إلى فئته وقال: أنا شاكّ في هذا الأمر ومتحيّر، فقالت عائشة: لست شاكّاً ولكنّك خفت من سيف عليّ، وقال ابنه عبدالله نحواً من مقال خالته، فقال له أبوه: لعنك الله ـ ثلاث مرّات ـ وقال: لم يكن بيني وبين عليّ بغضاء حتّى نشأت فظهرت، ولولا وجودك المشؤوم لما كان بيني وبينه إلّا الودّ، ثمّ استدعى الزبير طلحة وقال: اترك هذا الأمر وارجع عنه، فأبى طلحة، وخرج الزبير من العسكر إلى أن قُتل مدبراً.

فجعل أميرالمؤمنين مالك الأشتر على الميمنة، وعمّار بن ياسر على الميسرة، وأعطى رايته محمّد بن الحنفيّة ولده، واستعدّ للحرب فاستعرت نارها، وفي هذه الأثناء حمل محمّد بن أبي بكر مع جماعة على جيش عائشة وضرب قائمة جملها بالسيف فلم يقع الجمل، وثنّى بضربة أُخرى فما أثّرت، فقال له عليّ عليه السلام: يا محمّد، اضطرب الثالثة، ففعل محمّد متمثّلاً أمر الإمام فوقع الجمل لجنبه، وقتل مروان طلحة في الحرب.

فأرسل عليّ عليه السلام محمّداً بن أبي بكر إلى عائشة وقال: قل لها: إلى أين تبغي الذهاب؟ فقالت إلى المدينة، فأوكل بها نساءاً أوصلنها إلى هناك، وكان مع عليّ من أهل البصرة ثلاثة آلاف مقاتل.

الفصل الثالث
في بعض قصّة معاوية ويزيد[١]

وجاء في الرسالة «الحاوية» أنّ ركن الإسلام الخوارزميّ قال: لمّا جيء برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله، قام الرجس ووضع قدمه على الرأس الشريف، وكان زيد بن أرقم حاضراً[٢]، فقال: لا تفعل ذلك يا يزيد، فإنّي رأيت رسول الله يقبّل ذلك الفم.

وأمّا عندنا فإنّ اللعين تناول سوطه وضرب ثناياه.

وقال في «الحاوية» أيضاً أنّ اللعين طلب الساقي وهو في تلك الحالة والرأس بين يديه فسقاه، وقال العلماء كان ثملاً ساعتئذٍ، وكان بعد ذلك يرقص على سطح قصره وهو سكران فوقع من أعلاه وذهب إلى جهنّم وهو سكران كما مات أبوه ثملاً، وقد وضع الصليب في عنقه.

وقال بعضهم: ذهب عدوّ الله إلى الصيد مع عسكره فعرضت له ظبية، فأجرى فرسه ورائها فأوحى الله إلى الأرض أن ابلعيه «فخسفنا بداره الأرض». وقيل: لمّا عرفه القوم في دمشق تكأكأوا عليه وصار لهم ضجيج وعجيج، فهرب منهم ووقع في الكنيف، فأقبل الناس إلى ذلك الكنيف وسدّوا فروجه، وبئر الكنيف هذا معروف في دمشق، وأنشد في مذمّته ومدح عليّ وآله صلوات الله عليهم وسلامه (شعر):

---

(١) مرّ على القارئ أنّي لا أتصرّف بعناوين الفصول التي يضعها المؤلّف لأنّها باللغة العربيّة، ولا يجوز لي تغييرها لأنّ ذلك ليس من الترجمة وإن جائت على خلاف المباني الدستوريّة للّغة.

(٢) تنسب هذه إلى عدوّ الله عبيدالله بن زياد لعنهما الله وكان ابن أرقم حاضراً عنده ولم يكن في الشام.

يهدى أُسارى كربلا إلى الشآم والبلا | قد انتقلن بالدما ليس لهنّ ناعل
إلى يزيد الطاغيه معدن كلّ داهيه | من نحو نار حاميه مجاهد وخاذل
حتّى رأى بدر الدجى رأى الإمام المرتجى | بين يدي شرّ الورى وللّعين خاذل
يظلّ في بنانه قضيب خيزرانه | ينكث في أسنانه قطعت الأنامل
أنامل لجاهد وحاقد مراصد | مكائد معاند في صدره طوائل
طوائل بدريّه طوائل كفريّة | شرّها جاهليّة ولّت لها الأفاضل

وبعث يزيد بعد شهادة الحسين عليه السلام جيشاً إلى المدينة وأغار عليها واستباحها ثلاثة أيّام، فكان يسلب القرشيّة مقنعتها من رأسها، ومن أغلق بابه واستتر في بيته أحرقوا عليه بابه[١].

قال أبو سعيد الخدري: ما كنّا نسمع الأذان إلّا من قبر النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقتلوا في المدينة ستّة آلاف إنسان[٢] ومن هناك قصدوا مكّة ونصبوا المنجنيقات على أسوار البيت وخرّبوه وأحرقوا أستاره ووضعوا السيوف على عواتقهم، والقرآن تحت أقدامهم، وهدموا الكعبة مرّتين وأحرقوا مكّة.

وقيل: عثروا على الحجر الأسود بعد سنين في اليمن فأخذوه وردّوا إلى مكانه وعمروا البيت[٣]، وهذه هي سنّة معاوية ويزيد وأهل الشام، بخٍ بخٍ لإسلام كهذا، وويل لمن يدعو هؤلاء مسلمين.

وكان غرض يزيد والحجّاج من غزو البيت قتل عبدالله بن الزبير، فقتلوه

---

(١) هذا درس بليغ تلقّاه يزيد لعنه الله من الأُستاذ الأكبر أبي حفص عمر بن الخطّاب لعنه الله.

(٢) العدد أكثر من هذا بكثير.

(٣) إن كان يشير إلى أخذ القرامطة الحجر حين غزواالبيت فالأمر على خلاف ما قاله تماماً، وإن كانت حكاية أُخرى فإنّي لم أعثر عليه في التاريخ ولا بدع فما زال في الزوايا خبايا.

وصلبوه على شجرة في مكّة[١] فلمّا أُنزل من الشجرة كانت قد جفّت، وكانت أُمّه أسماء ذات النطاقين[٢] قد شاخت وأضرّت، ولمّا وقفت على رأس ولدها وجدتهم قد مثّلوا به فقطعوا يديه ورجليه وأبانوا شفتيه، وشقّوا جوفه ووضعوا فيه الحجارة، وهو أوّل مولود في الإسلام من المهاجرين، وقد قتله الحجّاج اللعين وقال: طهّرت مكّة منه، ومكّن ليزيد معاوية أبوه ففعل ما فعل، ولقد مضى على القوم من هلالك عمر بن الخطّاب إلى هلاك يزيد سبع وأربعون سنة، وهلك يزيد لعنه الله بعد شهادة الحسين عليه السلام[٣].

وما أعجب قول المخالف: نهى النبيّ عن لعن المصلّين، ومعاوية ويزيد من المصلّين، ومع هذا يلعن علماء المعتزلة علماء الشيعة ويذمّون أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله مع أنّ الجميع يصلّون ويترضّون عن معاوية ويزيد، أسأل الله أن يحشرهم معهما وهو كذلك فعلاً طبقاً للحديث «المرء مع من أحبّه»[٤]، ويحشر علماء الشيعة مع أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

(١) بل صلبوه في البيت الحرام.

(٢) أُخت عائشة وقد لقّبت بذات النطاقين زوراً لأنّهم زعموا أنّها قسمت نطاقها قسمين لرسول الله ليلة الهجرة.

(٣) قيل: هلك عمر سنة ثلاث وعشرين وقيل أربع وعشرين، وهلك يزيد سنة أربع وستّين، هكذا ذكر الطبريّ في تاريخه عن وفاتيهما، فيكون الحاصل من طرح ثلاث وعشرين من أربع وستّين، اثنين وأربعين سنة، أو واحد وأربعين على القول الثاني لوفاة عمر.

(٤) رسائل الشهيد الثاني: ٣١٩، علل الشرائع ١: ١٤٠، أمالي الصدوق: ٢٥٢، مكارم الأخلاق: ٤٥٦، مسند أحمد ١: ٣٩٢ و٣: ١٠٤ بطرق كثيرة و٤: ٢٣٩ بطرق أكثر، سنن الدارمي ٢: ٣٢١، صحيح البخاري ٧: ١١٢ و١١٢ بطريقين، صحيح مسلم ٨: ٤٣، سنن ابن ماجة ٢: ١١١٨، سنن أبي داود ٢: ٥٠٤، سنن الترمذي ٤: ٢٢ و٢٣ و٥: ٢٠٥ و٢٠٦، مجمع الزوائد ١: ٢٨٦ و٩: ٣٦٤ و١٠: ٢٨٠، عون المعبود ١٤: ٢٤ و٢٥.

يقول صاحب الحاوية: تدخل فاطمة يوم القيامة عرصة المحشر وعلى يدها حلّة خضراء وعلى يدها الثانية حلّة حمراء وتنادي برفيع صوتها: ربّ احكم بيني وبين قاتل ولدي بأيّ ذنب قتلوهما أحدهما بالسمّ والآخر بالسيف بالعبارة التالية: إنّ فاطمة تجيء يوم القيامة بيدها قميص أخضر وبالأُخرى قميص أحمر، فتقول: يا ربّ، انتصف لي من قتلة ولدي لم سُمّ أحدهما وذُبح الآخر، فيحكم الله لها أوّلاً يعني الحسن من معاوية، وثانياً من يزيد لعنه الله.

وقال أيضاً عن العبّاس: لمّا كانت ليلة زفّت فاطمة إلى عليّ عليه السلام كان النبيّ صلى الله عليه وآله قدّامها وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من ورائها يسبّحون الله ويقدّسونه حتّى الفجر.

وقال أيضاً: أدخلت فاطمة عليها السلام الحسن عليه السلام على (رسول الله) النبيّ صلى الله عليه وآله هي التي كانت ترضعه أذهب جبرئيل في خيل من الملائكة قد نشروا أجنحتهم ويبكون حزناً على الحسين وأنّه علامة المصيبة للملائكة.

وقال أيضاً: إنّ ملكاً في البحار نزل إلى (الهجر الأعظم ـ كذا) وصاح صيحة وقال في صيحته: يا أهل البحار، البسوا أثواب الحزن فإنّ فرخ محمّد مذبوح، ثمّ جاء إلى النبيّ فأخبره بذلك[1].

قال الحسام الخوارزمي: لو تصوّرتم مقدار المصيبة للبستم ثياب المصابين أو تغيّرت صوركم سوداً حزناً على قتله.

روى جابر بن عبدالله الأنصاريّ قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسين عليه السلام، فعطش ولم نجد ماءاً، فأعطاه لسانه فمصّه حتّى ارتوى، ثمّ فرحوا بقتله عطشان يلوك لسانه عند الذبح.

---

(١) مدينة المعاجز ٣: ٤٣٨ وفيه: البحر الأعظم.

وعن حذيفة بن اليمان عن النبيّ ﷺ قال: أُعطي الحسين من الفضل ما لم يعط أحد من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب.

يقول مؤلّف الكتاب: المراد من الفضل جمال الصورة وشرف المحتد من الأب والجدّ والأُمّ كما كان ليوسف عليه السلام، وثانياً أحسن القصص لأنّ من قصص الأنبياء وحكاياتهم والأوصياء والأولياء حكاية يوسف والحسين عليهما السلام فإنّهما ملكا الشهرة في العالم، والجميع يعرفون ذلك ويقرؤونه .. ويحزنون عليه .. وكذلك يقول صاحب الحاوية[١].

ويقول صاحب الحاوية أيضاً: عن خيثمة، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: بي أُنذرتم، ثمّ بعليّ بن أبي طالب اهتديتم، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢]، وبالحسن أُعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون وبه تشقون، وإنّما الحسين باب من أبواب الجنّة؛ من عانده حرّم الله عليه ريح الجنّة[٣].

عن أبي أيّوب الأنصاريّ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: ينادي منادٍ يوم القيامة من بطن العرش: يا أهل الجمع، نكّسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد ﷺ على الصراط.

وعن النبيّ ﷺ أنّه قال: فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة لفؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجى، ومن تخلّف عنه هوى.

إذن ظهر من هذه الأحاديث واقع أولئك الذين غصبوا حقوقهم وقطعوا

---

(١) لم أعثر في الذريعة على كتاب واحد للمولى محمّد واسمه الحاوية في تحقيق أمر الزاوية.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) مائة منقبة لمحمّد بن أحمد القمّيّ: ٢٢.

رؤوسهم ووضعوها على رؤوس الرماح، وأفتوا بإباحة دمائهم وأشلوا عليهم الفسّاق، وصاروا مبدء ذلك الظلم، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

وروى هذه الأخبار صاحب الحاوية أيضاً بأنّ الإمام زين العابدين لمّا حملوه إلى يزيد أنشد يزيد لعنه الله هذا البيت:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا

الله يعلم أنّا لا نحبّكم ولا نلومكم ألا تحبّونا

وقال يزيد: يا غلام، ليس لكم فخر علينا، فقال الإمام عليه السلام: يابن معاوية وهند وصخر، لم تزل النبوّة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر وأُحد والأحزاب في يده راية الإسلام وابوك وجدّك في أيديهما راية الكفر، ثمّ أنشد:

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهلي عند مفتقدي منهم أُسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم

ثمّ قال: يا يزيد، لو تدري ما فعلت وما الذي ارتكبت من قتل أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذن لهربت في الجبال وفرشت في الرمال ودعوت بالويل والثبور، ويكون رأس الحسين بن فاطمة وابن عليّ عليه السلام منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم فابشروا بالخزي والملامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيامة.

وجاء في الحاوية أنّ يزيد شرب خمراً وسكب فضلته على رأس الحسين عليه السلام فغسلت زوجة يزيد الرأس الشريف بالماء وماء الورد فرأت فاطمة بالليل بعالم الرؤيا وهي تعتذر إليها، ثمّ أمر يزيد أن يحمل رأس الحسين ورؤوس أهل بيته إلى أبواب المدينة فتنصب عليها.

وأورد الحاكم في رسالته: قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[١] والنبيّ طرد مروان من المدينة وهذا دليل على كفره، فلمّا استخلف عثمان (لعنه الله ـ المترجم) ردّه وأسند إليه منصب الوزارة، وطرد أباذر بخلاف حكم هذه الآية من المدينة وهو حبيب رسول الله ﷺ، أنصف من نفسك أيّها المخالف، إن صنع عثمان هذا لا يدلّ على صحّة خلافته بل ولا على إيمانه أو إسلامه.

وقال صدر الأئمّة البخاري: وأمر يزيد بنصب رأس الإمام الحسين عليه السلام على باب مدينة دمشق وأسكن مخدّرات الرسالة في بيت يجاور بيته، ولمّا دخلن البيت خرجن نساء آل ابي سفيان لاستقبالهنّ ورُحن يقبّلنّ أيديهنّ وأرجلهنّ وهنّ صارخات باكيات لاطمات، وأقمن العزاء ثلاثة أيّام، ولمّا رأين بنات النبيّ بهذه الحالة المزرية خلعن ملابسهنّ ورمينها عليهنّ، وحسرت امرأة يزيد عن رأسها وشقّت جيبها وعمدت إلى ستائر بيتها فمزّقتها وأقبلت حافية القدمين إلى مجلس يزيد وقالت: يا يزيد، أأنت الذي أمرت بحمل رأس ابن بنت رسول الله على الرمح ونصبته على باب بيتك، وكان يزيد جالساً على عرش الملك وعليه تاج مرصّع بالدرّ والياقوت والحجارة الكريمة، فلمّا بصرت عينه بزوجته سافرة بادر إليها وسترها وقال: يا هندي، فاغفر (كذا) فاقعري وابكي على بني بنت رسول الله.

وجاء في الحاوية أنّ النساء يتستّرن على ما جرى في كربلاء من قتل الرجال والشباب على البنات والولدان، ويعدن الأطفال الصغار بعودة آبائهم من هذا السفر إلى أن أدخلوهنّ بيت يزيد لعنه الله وكان معهنّ بنيّة لها من العمر أربع سنوات، انتبهت من نومها وصرخت تريد أباها الحسين عليه السلام، لقد كان معي الساعة وأنا نائمة، فثارت للنساء والأولاد ضجّة وصيحة، وكان يزيد لعنه الله يغط في نومه

---

(١) الأنعام: ٥٢.

العميق فانتبهه بإنزعاج وسأل: ما الخبر؟ فأخبروه بما جرى، فقال: خذوا لها رأس أبيها، فحملوه إليها ووضعوه بين يديها، فسألتهم: ما هذا؟ فقال لها اللعناء: هذا رأسُ أبيك، فصرخت الطفلة مرعوبة واستولى عليها الرعب الشديد حتّى مرضت وبقيت من بعدها أيّاماً ثمّ ماتت وأسلمت الروح إلى ربّها.

الفصل الرابع
في أنّ بني أُميّة لم يكونوا من قريش

اعلم أنّ أُميّة غلام روميّ لعبد الشمس وكان قد أعتقه وتبنّاه لما رأى سطوع الذكاء والكياسة مرسوماً على محيّاه، وولد له أولاد كثيرون جلّهم لعناء.

والعلماء قول واحد أنّ الشجرة الخبيثة (الملعونة) هم بنو أُميّة في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (١).

الفائدة الأُولى

سؤال: عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، فكيف يقال لمثله غلام، أو كان غلاماً؟

الجواب: جرت عادة العرب أنّ المملوك إذا أعتقوه وتبنّوه يُدعى عندهم بعتيق أو معتق، نظير هذا زيد بن حارثة حين أعتقه النبيّ ﷺ وتبنّاه فكان يدعونه زيد ابن محمّد، واشتهر ذلك بين أهل مكّة والمدينة وكان الله سبحانه يكره ذلك. ولمّا طلّق زيد زوجه زينب بنت جحش وأمر الله رسوله أن يتزوّجها لكي يعلم الناس أنّه ليس ولده على الحقيقة ولا هو بوارث له، إنّما ترثه فاطمة وابناها الحسن

---

(١) إبراهيم: ٢٦.

والحسين عليهما السلام، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾[(١)] وكتب المفسّرون حكايه ذلك في سورة الأحزاب: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[(٢)]، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[(٣)] والمراد بقوله «أبا أحد» دفع هذه الأُبوّة.

وهكذا كان عبد الشمس وأُميّة حين اشتهر الأخير بابن عبد شمس، والمؤرّخون أخذوا ظاهر القول، وهذا التحقيق بلغنا من المحقّقين الذين كشفوا الواقع وأبانوا عن حقيقة هذه البنوّة.

الفائدة الثانية

ولمّا ثبت كون بني أُميّة روماً، فقد قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[(٤)] فهذه الآية تعنيهم، ويُغلب في مملكتهم أهل الصلاح والدين وهم الغالبون، والمراد من غلبة الروم مذكور في آثار أهل البيت والأئمّة الصادقين عليهم السلام.

الفائدة الثالثة

وصف الله الشجرة الخبيثة بقوله ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[(٥)] والمعني بذلك هم، ولا تبق مملكتهم أكثر من ألف شهر، فإذا انتهت هذه المدّة حلّ بهم الهلاك، وحينئذٍ يسطع نجم آل محمّد صلى الله عليه وآله، ويظهر المؤمنون الإيمان، ويفشو بينهم لعن الشجرة الخبيثة.

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

(٤) الروم: ١ و٢.

(٥) إبراهيم: ٢٦.

الفائدة الرابعة

سُئل الإمام الصادق عن ليلة القدر، فقيل: يابن رسول الله، أتعرف ليلة القدر؟ فقال: كيف لا أعرفها، إنّ الله كشفها لنا، في هذه الليلة من كلّ سنة ينصب كرسيّ الكرامة لنا ويجلسنا عليه، وتأتي الملائكة المقرّبون وأرواح الأنبياء والمرسلين زرافات ووحداناً للسلام علينا وتهنئتنا، وتذهب إلى مصافها حتّى مطلع الفجر، وهي خير من ملك بني أُميّة ألف ليلة.

وما ناله بنو أُميّة في هذه المدّة من اجتماع الفسّاق عليهم نحن نناله في كلّ سنة ليلة القدر وما يضيرنا إذا جفانا الفسّاق.

الفائدة الخامسة

لمّا ثبت كون بني أُميّة ليس من قريش بل من الروم بطلت خلافة عثمان ومعاوية، وهذا على مزعمة القوم أنّ الأئمّة من قريش لأنّهم ليسوا منهم.

الفصل الخامس

سبّ عدي بن أرطاة على منبر البصرة أميرالمؤمنين عليه السلام وكان الحسن البصري حاضراً، فقال: والله لقد سبّ أخا رسول الله ..(١).

قال عبدالله بن الحرث: ذهبنا أنا وعمرو بن الحجّاج إلى معاوية وثنينا من بعده

---

(١) الحسن البصري دجّال كبير ولا واقع لما يبدو عليه من حسن السمت فإنّه منحرف عن أميرالمؤمنين، ولو صدق هنا لما سبّه في موضع آخر، فقال عنه: لا أبا لك، والواقع أنّ هذا الخبيث الدجّال كان في عهد أميرالمؤمنين ابن سنتين ومن بعده لم يتقدّم به العمر ليكون بهذا المستوى من العقل والفهم والدين.

بعبيدالله بن عمرو بن العاص، فقال: إنّ معاوية منعنا من رواية الحديث وقال: والله لئن حدّثت لأضربنّ عنقك بالسيف. قال عبدالله بن الحرث: فقلت: والله لو كانت عنقي لما تركت الحديث عن رسول الله ﷺ.

ثمّ قال: كنت يوماً عند رسول الله ﷺ فمرّ معاوية يقود أباه وكان أرمد، ورسول الله على المنبر، فقال: لعن الله التابع والمتبوع[1] ثمّ حضرت عند النبيّ فأرسل وراء معاوية، فقيل له: يأكل، وأعاد الرسول مرّات وهو يأكل، فقال الرسول: يا رسول الله هو يأكل، فقال النبيّ ﷺ: اللهمّ لا تُشبع بطنه فلن يشبع، هل رأيتموه يشبع[2]. قال الراوي: فسألته: أأنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: سمت أُذني ورأت عيني في المرّتين كليهما، وقال النبيّ ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[3].

---

(١) بحار الأنوار ٣٣: ١٩١ وفيه الجملة بسياق ثانٍ، مناقب أهل البيت للشرواني: ٤٦٧، شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٩ وفيه: ربّ يوم لأُمّتي من معاوية ذي الاستاه، قالوا: يعني الكبير العجز.

(٢) كان سليمان بن عبدالملك ثعبانيّ الالتهام لقمانيّ الالتقام على أنّ جميع المروانيّة كانوا أمثالاً في الأكل، إمامهم في الأكل في سبعة أمعاء معاوية (لعنه الله ولعنهم). (ربيع الأبرار ٣: ٢٥٣) قال رسول الله ﷺ: الكافر يأكل في سبعة أمعاء. (رواه أحمد في المسند ٢: ٢١) وأخرجه كثيرون يتعذّر حصرهم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦، الكامل لابن عدي ٢: ١٤٦ و٢٠٩ و٣: ٤١٩ و٥: ١٠١ و٣١٤ و٧: ٨٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١٥٥ و١٥٦ و١٥٧، تهذيب الكمال ٧: ١٠٢، سير أعلام النبلاء ٦: ١٠٥، تهذيب التهذيب ٢: ٣٦٩ و٥: ٩٦ و٨: ٦٥، لسان الميزان ٣: ٥٤، البداية والنهاية ٨: ١٤١ و١٤٢، تقوية الإيمان لمحمّد بن عقيل: ١٣٩. وعبثت يد الغدر والخيانة لأتباع السنّة كما يصفون أنفسهم فحرّفوه «أقبلوه» ولم يفعلوا ذلك إلّا لأنّه إدانة لإمامهم الأكبر ابن صهّاك سوّد الله وجهه ولعنه.

الفصل السادس
في فوائد ونكات وردت في كتاب مثالب بني أُميّة من كلام الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن عليّ السمّان وهو من علماء أهل السنّة، فنكتب ما هو من خلاصة كتابه ونوادره

قال الحسن البصريّ: كنت لا أستطيع ذكر اسم عليّ في عهد بني أُميّة، فأقول: حدّثني أبو زينب، خوفاً من بني أُميّة.

قال موسى بن داود: سمعت من عليّ وهو واقف عند أحجار الزيت، رافعاً يديه يقول: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من دم عثمان، فحدّثت عبدالملك بذلك، فقال: ما أراه إلّا بريئاً يا موسى. قلت: فلماذا يلعنونه على المنابر؟ فقال عبدالملك: لا يقوم الملك إلّا بذلك.

وكان قتل عثمان بسعي معاوية ولكنّه ما فتئ يشنّع على عليّ عليه السلام ويدّعي الطلب بدم عثمان لعنه الله والدليل على ذلك أنّ عبدالله بن سعد أقام بعسقلان بعد مقتل عثمان ولم يَر وجه معاوية قطّ وقال: أكتب على نفسي أن لا أرى وجه رجل رضي بقتل عثمان وأعان عليه.

قال محمّد بن عبدالرحمان بن يزيد: قلت لأبي: يا أبتى، أتغزو في إمارة الحجّاج؟ فقال: يا بني، إنّ أصحاب رسول الله غزوا في زمن معاوية وهو شرٌّ من الحجّاج.

قال الأعمش: إنّ الحجّاج جرّد عبدالرحمان بن أبي ليلى من ثيابه وأمر بضربه حتّى تناثر لحمه وهو يقول: العن عليّاً ابن أبي طالب، وهو يأبى.

قال عبدالله بن الزبير: أولاد الحكم ملعونون.

وكان رجل يحدّث عمر بن عبدالعزيز فقال في أثناء كلامه: يزيد أميرالمؤمنين(١) وكان عمر بن عبدالعزيز في بني أُميّة كمؤمن آل فرعون.

وقال مروان لحويطب: هممت أن أسلم فمنعني أبوك مرّات، وقال: لا تدع دين آبائك وأجدادك فيضيع شرفك، فلمّا أسلم عثمان وهو عمّك آلم أباك كثيراً وعاتبه وقال: إنّك فعلت سوءاً.

قال الأحنف بن قيس: حضرت عند معاوية أنا وجماعة من أهل العراق فاختلفت آرائهم في يزيد وكلّ واحد قال ما عليه وكنت صامتاً لا أنطق بكلمة، فقال معاوية: مالك يا أحنف ساكت أمام الملأ، فقمت وقلت بعد أن حمدت الله وأثنيت عليه: إنّك أعرف بيزيد ليله ونهاره، وسرّه وعلنه، لأنّك أبوه، واعلم بأنّنا شارفنا على النهاية فلا تزوّده الدنيا وتمكّنه من رقاب العباد وتذهب إلى ربّك فالله سائلك عن ذلك، فاتّق الله ولا تصيّره حاكماً على رؤوس العباد، فبدر ملعون متزلّف كان حاضراً فقال: من أنكر ولاية معاوية ولم يقبل حكمه عليه ضربته بحدّ سيفي هذا، وأشار إلى قائم سيفه.

قيل: بلغ الظلم في عهد بني أُميّة حدّاً أن كان الناس يتمنّون الموت وقيام القيامة ليرتاحوا من ظلمهم وجورهم.

وكان سالم بن أبي حفصة يطوف في البيت ويقول: لبّيك مهلك بني أُميّة لبّيك، فلمّا سمعه داود بن عليّ أرسل إليه ألف دينار مكافئة.

هرب عقبة بن شدّاد من عمر أيّام خلافته ونزل الكوفة وحضر صفّين مع أميرالمؤمنين عليه السلام فاستشهد، فلمّا استولى معاوية لعنه الله أمر بهدم بيته.

ولمّا ذهب معاوية إلى الميقات لعقد الإحرام وأراد أن يقول لبّيك قيل له: هذا

---

(١) لم يتمّ الرواية فإنّ عمر بن عبدالعزيز ضرب هذا القائل خمساً وعشرين سوطاً.

مكان مقدّس لأنّ عليّاً لبّى منه، فترك معاوية الإحرام تعصّباً على عليّ عليه السلام وذهب إلى موضع آخر.

قال المصنّف: واليوم أهل السنّة يتّبعون سنّته وإنّما قيل للسنّيّ سنّيّ لأنّه حافظ على سنّة معاوية وتبرّأ من عليّ وأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وإلّا فالمسلمون جميعاً شركاء في سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وما من حنبليّ إلّا وهو ينتقص عليّاً ويبحث عن غميزة يغمزه بها[1].

وقال ابن المسيّب: ولد لأخي ولد من فضل الله عليه فسمّاه «وليد»، فلمّا علم الرسول بذلك منعه منه وقال: هذا اسم الفراعنة «ليكوننّ في أُمّتي رجل يقال له الوليد، ألا هو شرّ لأُمّتي من فرعون لقومه»[2] وحكم في الإسلام وليدان: الوليد ابن يزيد والوليد بن عبدالملك[3].

جاء أعمى يوماً إلى مجلس الحسن البصريّ وقال: ارحم أعمى ليس له قائد، فقال الحسن البصريّ: هذه السارية أسوء منك حالاً، هذا عبدالله بن الزبير مع ما

---

(١) صدقت يا شيخي الكريم، فهذا مشاهد للعيان معلوم لكلّ إنسان، وأنا إزاء هذا لا املك إلّا لعن الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، وألحق بهم أحمد بن حنبل لعنه الله.

(٢) أمالي المرتضى ١: ٨٩ والرواية بصيغة أُخرى والولد هو لأخي أمّ سلمة. (مسند أحمد ١: ١٨، المستدرك ٤: ٤٩٤، والرواية عن ابن المسيّب عن أبي هريرة، قال: ولد لأخي أمّ سلمة.. الخ، والمؤلّف أخطأ بنسبتها إلى ابن المسيّب، مجمع الزوائد ٧: ٣١٢، فتح الباري ١٠: ٤٧٨ و٤٧٩، المصنّف ١١: ٤٣، بغية الباحث لابن أبي أُسامة: ٢٥٢، القول المسدّد في مسند أحمد: ٦ و١٤ و١٥، كنز العمّال ١١: ٢٥٧، فيض القدير ٤: ١٧٢، كتاب المجروحين لابن حبّان ١: ١٢٥، تاريخ مدينة دمشق ٦٣: ٣٢٢، الإصابة ٦: ٤٨٠، البداية والنهاية ٦: ٢٧١، وهناك مصادر أعرضنا عنها لكثرتها، كلّ هذا وتجد مدح الوليد والثناء عليه في كتاب «العواصم من القواصم» وعند الخطيب محقّق الكتاب وهذا الواقع يكشف لك ما هو دين القوم ؟!

(٣) ولا تنس الوليد بن عقبة لعنهم الله جميعاً.

له من الخدم الحشم والمال ليس له من يقوده، وكان هذا اللعين قد أضرّ. «الحمد لله على عماه في الدنيا والآخرة واستيصال بني أُميّة»[١].

قال داود بن عليّ وهو من أعلام الدنيا يومذاك: كان رجل من أهل العراق يلعن أهل الشام، فقال عليّ عليه السلام: لا تسبّوا أهل الشام جمّاً غفيراً فإنّ فيهم قوماً كارهين لما يرون في الشام وفيهم يكون الأبدال[٢].

يقول أبو حاتم سفيان بن عتبة: لم يكن في عليّ خصلة يقصر بها عن الخلافة ولم يكن في معاوية خصلة يستحقّ بها الإمامة والخلافة.

قال عبيد بن شداد (الهار ـ كذا): لو شئت لصعدت المنبر وذكرت مناقب عليّ من الفجر إلى غياب القرص ثمّ ليأخذوني من هناك وليضربوا عنقي.

وسمع عليّ عليه السلام رجلاً يلعن أهل الشام، فقال: ويحك لا تعمّهم فإن كنت لابدّ فاعلاً فمعاوية وشيعته وعمرو بن العاص وشيعته.

يقال: إنّ أُمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام ولدت لعمر ولداً وسمّته زيداً فدسّ عبدالملك بن مروان السُمّ له فقتله لأنّ الناس كانوا يقولون: هذا ابن عليّ وعمر، وكان يخشاه على ملكه، وصلّى عليه عبدالله بن عمر.

قال شقيق: كنت أنا ومسروق في سفينة تحمل أصناماً للنجاشي لبيعها في الهند، فقال شقيق: اغرقوا هذه السفينة، فقال مسروق: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فليست هي شرّاً من معاوية بن أبي سفيان إمام المسلمين.

كان عقيل بن أبي طالب ضيفاً على أخيه، جاء يطالبه بالعطاء، فقال له الإمام:

---

(١) لا أعرف ابن الزبير هذا ولم يتيسّر لي الاطّلاع عليه ولا شكّ في تصحيفه.

(٢) الأبدال في الشام حديث موضوع ردّه جلّ العلماء إن لم يكن كلّهم بل لا أبدال في البين ليكونوا في الشام أو غيرها.

اصبر حتّى يخرج عطاء الناس فأعطيك، فألحّ عليه عقيل وكان إلى جانبهما شخص ثالث، فقال له عليّ عليه السلام: يا رجل، خذ بيده إلى هذه الدكاكين وليحمل منها ما شاء، فقال عقيل: يابن أمّ، أتريدني أن أكون لصّاً بعد الهجرة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأنت تريد منّي أن أسرق لك أموال المسلمين؟! فقال عقيل: ائذن لي بالمصير إلى معاوية، فقال له: أذنت لك، فأنت وذاك.

فصار عقيل إلى معاوية فلمّا وصل إليه أعطاه مأة ألف درهم وقال له: اصعد المنبر يا عقيل واذكر عطائي وعطاء أخيك، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: كانت حالي مع أخي ومعاوية كيت وكيت، ولكن أخي اختار دينه على عليّ، ومعاوية اختارني على دينه.

قال أبو سعيد الخدري: كان معاوية يخطب على المنبر فسلّ رجل سيفه في الجمع، فقيل له: ما تصنع ويحك؟! فقال: سمعت رسول الله يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد(١) فاضربوا عنقه، وقال الحاضرون: ونحن أيضاً سمعنا ما سمعته، فكتبوا إلى عمر بن الخطّاب لعنه الله فما ردّ عليهم الجواب إلى أن ذهب إلى جهنّم.

قال أبو سالم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويل لبني أُميّة، ويل لبني أُميّة، ويل لبني أُميّة..(٢).

وكان معاوية يقول: السخاء لبني هاشم، والشجاعة لبني العوام، والحلم

(١) لم يدرك الكلمة فترجمها «بعيدها» أي الأعياد، وجاءت كذلك في الكتاب.

(٢) الغدير ٨: ٢٥٠، الآحاد والمثاني ٣: ٣٠٠. وأبو سالم هذا حمران بن جابر وهو جدّ عبدالله بن بدر. كنز العمّال ١١: ١٦٥ رقم ٣١٠٥٩ و٣٦٣ رقم ٣١٧٥٠، أُسد الغابة ٢: ٤٦ و٣٤٣، الإصابة ٢: ١٠٤، تاريخ المدينة لابن شبة النميريّ ٢: ٦٠٠، ينابيع المودّة ٢: ٨٤، النصائح الكافية: ١٣٩، تنبيه الغافلين: ١٠٥.

(الحكم ـ المؤلّف) لبني أُميّة، فوصل قوله إلى الإمام الحسن عليه السلام، فقال: ما قصد المدح بل ألق الخبر إلى الناس ليقصدوا بني هاشم فينفقون أموالهم فيحتاجون إليه، ويلقي ببني العوام بين لهوات الموت، وأعطى الحلم لبني أُميّة ليجتمع عليهم الناس ويبلغوا بهم غاية الملك والسلطان.

ونادى منادي معاوية: من جالس أباذر قتلناه، فهرب الناس منه، والقصد من ذلك أن لا يستمعوا إلى ذكر مناقب عليّ منه لأنّه طالما كان يحدّث بفضائله التي رآها أو سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قيل: زار أبو الأسود معاوية، فلمّا قام قائماً انفلتت منه ريح، فقال أبو الأسود: يا معاوية، هذا مقام العائذ بك، وقال: أو يكون غير هذا..[1]. وأشهد أنّ ما وقع منّي يقع منك ومن أبويك، ومن لا يؤتمن على ريح كيف يؤتمن على أمارة الأُمّة؟!

سُئل الحجّاج بن يوسف من أبي سعيد الحسن البصريّ: ما تقول في عليّ؟ فقال: كان أوّل من اهتدى، وأوّل من اقتدى برسول الله، وأوّل من هاجر الهجرتين، فقال الحجّاج: صدقت، هذا من ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾[2] وكان عليّ بن أبي طالب أوّل من هداه الله تعالى مع الحقّ وأوّل من التحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله.

قال الحسن البصريّ: عمل معاوية أربعاً كلّهنّ بوائق: ادّعائه زياداً، واستخلافه يزيد، وقتله حجر بن عديّ وأصحابه، ومنازعته الأمر[3].

---

(١) إن كانت الريح من معاوية فإنّه أهل لها، وإن كان المؤلّف يقصد بها أبا الأسود ـ وحاشاه ـ فإنّ ذلك من دسّ العدوّ فقد كانوا يعادونه غاية العدا لأنّه موال لأهل البيت، وما وجدوا ما ينتقصه إلّا هذا وأمثاله، وهل هذا إلّا بعض أخلاق فاروقهم!

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) القواعد الفقهيّة ٤: ٢٥ ولم ينسبها إلى أحد، البداية والنهاية ٨: ١٣٩، كشف الغمّة ٢: ٤٥،

رأى بسر بن أرطاة زيداً خارجاً من عند معاوية، وزيد من أُمّ كلثوم بنت الإمام عليه السلام، فشرع يسبّ عليّاً، فسمعه زيد يسبّه فأقبل عليه وقبض على مراق بطنه وحمله ثمّ جلد به الأرض وكسر أضلاعه، فاجتمع الناس وخلّصوه من يد زيد، فبهت معاوية وبقي أيّاماً لا يعي من أمره شيئاً، وكان السيف لا يفارقه من خوف زيد، ولا يجرأ على عتابه، وكان زيد غاية في الشجاعة.

عاد معاوية عمّار فلمّا قام من عنده قال: اللهمّ لا تجعل موته بأيدينا، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل عمّار بن ياسر الفئة الباغية.

ولمّا قُتل عمّار أقبل عمر بن حازم في ذلك اليوم على عمرو بن العاص باكياً، فسأله عمرو: ما بالك؟ فقال: قتل عسكرنا عمّاراً بن ياسر وقد سمعت رسول الله يقول: يقتل عمّاراً الفئة الباغية، فنهض عمرو مسرعاً إلى معاوية وحدّثه بما سمع، فقال معاوية: على عمّار أن لا يأتي إلى هنا، ولقد قتله من جاء به، ولبّس عليهم بحيلته ومكره.

ناظر يوماً عبدالرحمان بن أبي بكر مروان بن الحكم في أمر الخلافة، فقال مروان: وهذه تقاليد الأكاسرة والقياصرة إذا مات كسرى قام كسرى مقامه، وكذا القيصر، ولأجل ذلك منعوا أهل البيت حقّهم فأوصى بها أبوبكر لعمر وعمر للشورى وعثمان قتل من دون وصيّة[1]. فلمّا بلغ الأمر عائشة حوّلت وجهها إلى مروان وقالت: أنت القائل لأخي كيت وكيت، ولكن أُشهد الله أنّ الله لعنك وأنت في صلب أبيك.

⬅ والعبارة التي لم يتمّها المؤلّف: ابتزائه على الأُمّة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة. ينابيع المودّة ٢: ٢٧.

(١) هذا القول لعبدالرحمان حين انبرى إلى مروان وهو يحثّ على البيعة ليزيد، فقال له: كذبت يا عدوّ الله، إنّكم صيّرتموها قيصريّة، ثمّ اشتدّت الملاحات بينهما حتّى تداركتها عائشة، والمؤلّف غير دقيق في الترجمة من العربيّة ولا هو بصير بما ينقل من التاريخ.

قال الحسن عليه السلام يوماً: يا قوم، لو نظرتم ما بين جابلقا وجابلسا ما وجدتم رجلاً جدّه نبيّ غيري وغير أخي الحسين[1] وإنّي أرى أن تجمعوا على معاوية، وما أدري لعلّها فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وكان الحجّاج بن يوسف دائباً في تفضيل عبدالملك بن مروان لعنه الله على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يعرض بذلك ويقول للناس: أرسولكم أكرم عليكم أم خليفتكم على أهلكم، فيردّون عليه: بل خليفتنا على أهلنا، يريد بذلك عبدالملك خليفة الله ومحمّد صلى الله عليه وآله رسول الله.

وكان معاوية كلّما حزبه أمر أو ألمّت به معضلة يوجّه لها إلى عليّ بن أبي طالب إلى أن جائته مسألة في الخنثى فلم يعرف لها حلّاً حتّى سأل عليّاص عليه السلام فأفتاه.

وسُئل عليّ عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[2]، قال: الذين بدّلوا هم بنو المغيرة واستأصلوا يوم بدر وبنو أُميّة ومتّعوا إلى حين.

وكتب معاوية إلى مروان وهو والٍ على المدينة أن انقل منبر رسول الله من مكانه وابعث به إليّ، فلمّا شرع ذلك الملعون في قلعه من مكانه هبّت عاصفة شديدة اظلمّت لها الدنيا وكان الناس من شدّتها لا يرى بعضهم بعضاً، ولا يسمع بعضهم بعضاً، فلمّا رأى ذلك تركه في مكانه فهدأ العالم وسكنت العاصفة، فاستحيا مروان من عمله هذا وقال ماكراً بهم: إنّ معاوية أمرني برفعه عن الأرض، وشنّع عليه الناس فأضاف إليه اللعين ستّ مراقٍ أخرى حتّى صار بتسع مراقٍ.

---

(١) شرح أُصول الكافي ٧: ٢٢٨ واقتصر على هذا الجزء ومثله فعل صاحب ينابيع المودّة، وزاد عليه أُموراً أخرى (٣: ٣٦٩) وأحسب إضافة المؤلّف من كلام آخر للإمام الحسن عليه السلام.

(٢) إبراهيم: ٢٨ و ٢٩.

قال عبدالله بن الزبير: لعن رسول الله الحكم وما (كذا) يخرج من صلبه[١].

قيل: حجّ معاوية ذات عام فلمّا بلغ المدينة أجلس عن يمينه عبدالله بن عـمر، وعن يساره عبدالله بن عبّاس، وأقبل على ابن عبّاس وقال: أنا أحقّ وأولى بالأمر من ابن عمّك، فقال ابن عبّاس: لماذا؟ فقال معاوية: لأنّي ابن عمّ الخليفة المقتول ظلماً، فقال عبدالله بن عبّاس: فهذا ـ وأشار إلى ابن عمر ـ أولى منك بها لأنّ أباه قُتل مظلوماً قبل ابن عمّك، فانقطع معاوية.

وكان سعد في المجلس حاضراً، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي، أنت مع الحقّ والحقّ معك[٢]، فقال معاوية: من سمعه غيرك؟ قـال: أُمّ سـلمة، فـقام معاوية إليها وقال: يا أُمّ المؤمنين، كثرت الكذّابة على رسول الله، ويقول سعد كيت وكيت، فماذا تقولين أنت؟ فقالت: جرى هذا الحديث على لسان رسول الله ﷺ في بيتي وسمعته أنا وسمعه سعد، فقال: لو كنت سمعته من رسول الله ما زلت خادماً لعليّ حتّى أموت[٣].

---

(١) استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج مـن صـلبه إلّا المؤمنين وقليل ما هم. (الحدائق الناضرة ٤: ١٩٦، المستدرك ٤: ٤٨١، كنز العمّال ١١: ٣٥٧ رقم ٣١٧٢٩.

(٢) المحاسن ١: ١٧، تحف العقول: ٦، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢: ٦٧ و١١٩، بـحار الأنـوار ٣٨: ٣٣ و٤٠ و٩٣ و٧٤: ٦٨.

(٣) ويحسن بنا أن نروي الرواية بطولها فقد اختصرها المؤلّف فضيّع كثيراً من فوائدها: حجّ معاوية ابن أبي سفيان فأتى مجلس في حلقة فجلس بين عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر بن الخطّاب، فضرب بيده على فخذ ابن عبّاس ثمّ قال: أنا كنت أحقّ وأولى بالأمر من ابن عمّك، فقال ابـن عبّاس: ولم؟ قال: لأنّي ابن عمّ الخليفة المظلوم المقتول ظلماً، قال ابن عبّاس ـ وضرب بـيده على فخذ ابن عمر ـ: هذا أولى بالأمر منك لأنّ أبا هذا قتل قبل ابن عمّك، قال: فانصاع، أو كلمة نحو هذا.

جاء في المنقول عن الرواة: لمّا عزم أميرالمؤمنين على حرب صفّين سبق معاوية إلى ماء الفرات، ووضع على مقدّمته أبا الأعور السلميّ وعدي بن أرطاة، فمنعوا أصحاب الإمام من ورود الماء، فبعث الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية لعنه الله رجلاً من أصحابه يقول له: إنّ أصحابك حالوا بين أصحابي وبين الماء، ولو كنت السابق لما منعتكم، فشاور معاوية عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي سرح وهو أخو عثمان من أُمّه، فقال عمرو بن العاص: إنّي أرى أن تتنحّى بجيشكم لهم عن الماء، وقال ابن سرح: كلّا دعهم هكذا حتّى يهلكوا جميعهم عطشاً كما قتلوا عثمان عطشاً.

فلمّا أصبح الصباح أقبل على الإمام اثنا عشر ألفاً من الرجال وقال: أنموت عطشاً ونحن ننظر إليه، فقال الإمام عليه السلام: من فيكم يقوم بهذا الأمر؟ فقال الأشعث:

⮐ ثمّ إنّ معاوية أقبل على سعد بن أبي وقّاص وكان حاضراً أيضاً، فقال: وأنت يا سعد الذي لم تعرف حقّنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا؟ قال سعد: إنّي لمّا رأيت الظلمة قد غشيت الأرض قلت: هبج، فأنخته، حتّى إذا أسفرت مضيت، قال معاوية: والله لقد قرأت المصحف ـ أو ما بين الدفّتين ـ ما وجدت فيه هبج، فقال سعد: أمّا إذا انتبهت فإنّي سمعت رسول الله يقول لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام: أنت مع الحقّ والحقّ معك. قال معاوية: لتجيئني عمّن سمعه معك أو لأفعلنّ بك كذا (وكذا). قال: (أمّ سلمة)، فقال: فقام وقاموا معه حتّى دخل على أُمّ سلمة رضي الله عنها، قال: فبدأ معاوية فتكلّم فقال: يا أُمّ المؤمنين، إنّ الكذبة قد كثرت على رسول الله بعده فلا يزال قائل يقول قال رسول الله ما لم يقل، وإنّ سعداً الآن روى حديثاً زعم أنّك سمعته معه، قالت: وما هو؟ قال: زعم أنّ رسول الله قال لعليّ: أنت مع الحقّ والحقّ معك، قالت: صدق، في بيته قاله، فأقبل معاوية على سعد وقال: الآن أنت أكرم عليّ ممّا كنت (كذا) والله لو سمعت هذا من رسول الله ما زلت خادماً لعليّ بن أبي طالب حتّى أموت. (منتجب الدين بن بويه: ٢٥، ط مؤسسة الهادي، أُولى ١٤٠٨ ـ قم).

أقول: لعن الله سعداً كما لعن معاوية: أيسمع هذا من رسول الله ثمّ يتردّد في نصرة الإمام؟! نعم لأنّهم حُليت الدنيا بأعينهم وراقهم زبرجها.

أنا، وكان الأشعث رجلاً شجاعاً قويّاً، يرمي السهم ثمّ يعدو معه حتّى يسبقه، ثمّ إنّ الأشعث حمل بهم على جيش الشام فأزالهم عن مراكزهم واحتلّ الفرات وضرب أطنابه هناك، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أما قلت لك لا تمنع الماء منهم، فرددت قولي حتّى أمكنت العدوّ من الظهور عليك، فقال معاوية: إنّ عليّاً رجل حليم وكريم فلا يمنعنا من الماء، وأرسل رسله إلى الإمام، فأجابه مسرعاً، وأرسل إلى الأشعث: خلِّ بينهم وبين الماء.

مادام عليّ حيّاً لم يدع معاوية إلّا بأمير، فلمّا استشهد دعوه «أميرالمؤمنين»[1] ولقّبوه بذلك دونا استحقاق له.

قال حنظلة بن خويلد: كنت عند معاوية فأقبل رجلان ومعهما رأس عمّار بن ياسر وهما يختصمان فيه، كلّ يقول أنا قتلته، وكان رجل حاضراً المشهد، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمّار: يقتل عمّار الفئة الباغية، فتعساً لكما ولما تختصمان فيه.

وكان النبيّ قائماً على بناء مسجده وأصحابه يساعدونه، كان ينقل كلّ واحد منهم لبنة لبنة وصخرة صخرة إلّا عمّار فكان يحمل اثنتين معاً، فقال النبيّ ﷺ: إنّك لحريص على الأجر، وإنّك من أهل الجنّة، وإنّك تقتلك الفئة الباغية[2].

قال سفيان بن ليلى: لمّا صالح الحسن معاوية ذهبت إليه في المدينة ودخلت عليه

---

(١) بل دعي بذلك بعد التحكيم، لعن الله أبا موسى الأشعريّ.

(٢) بدايع الصنايع ١: ٣٢٣، المحلّى لابن حزم ١١: ٩٧ و٣٠٤، فضائل الصحابة: ٥١، مسند أحمد ٢: ١٦١ و١٦٤ و٢٠٦ وأخرجه في الأجزاء الثالث والرابع والخامس بطرق عدّة، صحيح البخاري ٣: ٢٠٧، صحيح مسلم ٨: ١٨٦، سنن الترمذي ٥: ٣٣٣، المستدرك ٢: ١٤٨ بطرق عدّة.. و٣: ٣٨٦ بطرق عدّة أيضاً، السنن الكبرى ٨: ١٨٩، مجمع الزوائد ٧: ٢٤١ بعدّة طرق.. و٩: ٢٩٥ بعدّة طرق، سؤالات ابن أبي شيبة: ٨٥، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٧٥، خصائص أميرالمؤمنين: ١٣٢.

وقلت: يا مذلّ المؤمنين، وعاتبته على الصلح كثيراً وعلى ترك القتال، فقال: يا سفيان، حملني عليه أنّي سمعت عليّاً يقول: لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأُمّة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، لا يشبع ولا يموت حتّى لا يكون له عاذر في السماء ولا في الأرض، وإنّه معاوية، وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره(١).

ونودي بالصلاة، فقال: هل لك يا سفيان في المسجد؟ قال: قلت: نعم، قال: فخرجنا نمشي فمررنا على حالب يحلب ناقة فتناول منه قدحاً فشرب قائماً ثمّ سقاني ثمّ أتينا المسجد فصلّينا، ثمّ قال: ما جاء بك يا سفيان؟ قال: حبّكم والذي بعث محمّداً بالهدى ودين الحقّ. قال: فابشر يا سفيان، إنّي سمعت عليّاً يقول: قال رسول الله ﷺ: يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبّني من أُمّتي كهاتين، وسوّى بين أصابعه [وسوّى بين اصبعين السبّابة والوسطى ـ المؤلّف] ولو شئت لقلت: كهاتين السبّابة والوسطى، ليس لأحدهما فضل على الأُخرى، ابشر يا سفيان فإنّ الدنيا ستتسع على البرّ والفاجر، حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد(٢).

جرت بين الإمام الحسين وبين مروان بن الحكم لعنه الله مشادّة لأنّ مروان أذن بلعن أهل البيت عليهم السلام(٣)، فقال له الحسين عليه السلام: والله لعنك الله على لسان نبيّه وأنت في ظهر أبيك.

ومن جمله المعاصي التي صدرت من هذا العاصي وهي الطامّة الكبرى(٤):

---

(١) مناقب أمير المؤمنين للكوفيّ ٢: ١٢٨ وفيه: يأكل ولا يشبع، ولا في الأرض حامد، وراجع: مقاتل الطالبيّين: ٤٤، بحار الأنوار ٤٤: ٦٠، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٤، كنز العمّال ١١: ٣٤٩.

(٢) مناقب أمير المؤمنين ٢: ١٢٨.

(٣) أنا لا ألعن مروان وحده بل ألعن معه عمر بن الخطّاب لعنه الله لأنّه هو الذي زرع بني أُميّة في ضلوع الإسلام.

(٤) الحديث عن معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله.

أوّلها: النفاق وعداوة الله ورسوله وأهل بيت رسوله وحربه لعليّ عليه السلام، وسمّه الحسن، وإذنه بقتل الحسين عليه السلام.

الثاني: استخلافه يزيد الكافر مع علمه بفسقه وفجوره العلنيّين.

الثالث: قتله حجر بن عدي مع أصحابه من دون ذنب جنوه بل لأنّهم يحبّون أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ويعبدون الله حقّ عبادته، وحجر رجل مشهور عند العرب، قيل: كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة.

الرابع: استلحاقه زياداً فصيّره أخاه ودعاه يزيد عمّه، وهو زياد بن حسام (كذا)[١].

الخامس: كان ثملاً عند هلاكه وقد وضع الصنم في عنقه، ومات على كفره القديم، ويزيد لعنه الله قصد تخريب مكّة وأشار على عبدالملك أن يرسل الحجّاج إلى مكّة ليقتل أهلها من أجل ابن زبير الذي لجأ من خوفهم إلى حرم الله[٢].

وبعث مسلم بن عقبة إلى المدينة وأمره بقتل الأنصار وأولادهم ثأراً لقتلاه في بدر وأباحها لهم ثلاثة أيّام.

ولمّا قتل الملعون الإمام الحسين عليه السلام قال متمثّلاً:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وأوعز يزيد إلى ابن مرجانة بخراب مكّة، فقال اللعين: والله لا أجمع له قتل الحسين ابن بنت رسول الله وقتل أهل الحرم وتخريب بيت الله.

وقال أبوبكر البخاري: وأيّ كفر أشدّ من ذلك، من مجاهدة الله وغزو بيته

---

(١) حسام لا ريب أنّه تصحيف من عبيد أو غيره، فلم يعرف لزياد أب بهذا الاسم فيما أعلم، والله العالم.

(٢) إنّما لجأ إلى الكعبة ظنّاً منه أنّها محترمة عند بني أُميّة فلا يقتلونه فيها ويظلّ يطاولهم ويجاولهم إلى أن تدور الدائرة عليهم وهو ملعون مثلهم لأنّه استحلّ حرمتها.

الكعبة ولا فرق بينه وبين أبرهة الحبشيّ.

حجّ معاوية ذات سنة فلمّا فرغ من المناسك سأل: كيف حال فلانة، قالوا: هي حيّة ترزق، فقال: احضروها لي، واسمها تلك المرأة (دارميّة الحجونيّة ـ كذا) وكانت سوداء اللون بادنة، ولها ثديان كبيران، فلمّا أقبلت على معاوية سلّمت، فردّ عليها معاوية السلام وقال: كيف حالك يابنة حام؟ فقالت: أنا لست حامية بل أنا امرأة من بني كنانة.

فقال معاوية: أتعلمين لماذا أحضرتك هنا؟ فقالت: لا. قال: أردت أن أسألك بماذا أحببت عليّاً وأبغضتنا، وواليتيه وعاديتنا؟ فقالت: اعفني، فقال معاوية: كلّا لابدّ من ذلك، فقالت المرأة: إذا كنت مُصرّاً فإنّي أحببت عليّاً على عدله في الرعيّة وقسمته بالسويّة، وأبغضك على قتالك مع من هو أولى بالأمر منك، وطلبك ما ليس لك، وواليت عليّاً على ما عقد له رسول الله من الولاية وحبّه للمساكين وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفك الدماء وشقّ العصى.

ولمّا سمع معاوية قولها قال: هذا بهند والله يضرب المثل[1] وهند هي أُمّ معاوية، فغضبت المرأة، فقال معاوية: لا تغضبي فما أردت إلّا خيراً، فإذا عظمت العجزية استوت الجلسة، وبكبر الثدي يكثر الغذاء للولد.

ثمّ قال معاوية: هل رأيت عليّاً وسمعت كلامه؟ فقالت: نعم، رأيته وسمعت كلامه، فقال: كيف كان؟ قالت: يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت (البيت المظلم)، قال: صدقت، ثمّ قال: ألك حاجة؟ فقالت: إن ذكرت حاجتي تقضيها لي، قال: أجل، فقالت: مأة من الإبل حمراء ومعها رعاتها وما يلزمها، فقال معاوية: وما تصنعين بها؟ فقالت: أجعل من لبنها طعامي وما زاد عليّ أهديه إلى

---

(١) ينبغي أن تكون العبارة هكذا ليتّسق معناها مع السياق: بهذه لا بهند والله يضرب المثل.

الفقراء والمساكين وأصلح بها ذات البين، وأصل بها الرحم، وأكسب بها الخير ومكارم الأخلاق، وأصلح بها خلل العشائر والفقراء وأمثال هذا. فقال: إن أعطيتك أكون عندك بمنزلة عليّ؟ فقالت: لا يا معاوية، وأنشدته هذين البيتين:

إذا لم أجد بالحكم منّي عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمّل للحكم

خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة والسلم

ثمّ قال: أعطوها ما أرادت، وقال لها: أما والله لو كان عليّ ما أعطاك شيئاً، قالت: اي والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين يعطيني[1] لأنّه مؤمن والمؤمن لا يعطي مال المسلمين وأنت يا معاوية تعطيني مال المسلمين.

حجّ معاوية ذات عام فأخذ يد سعد بن أبي وقّاص وأجلسه معه على السرير وكان هذا دأبه، ثمّ أخذ يشتم عليّاً عليه السلام، فقال له سعد: ما أعجب أمرك، أدخلتني بيتك وأجلستني معك على سريرك، ورحت تشتم عليّاً عليه السلام، والله إنّ لعليّ ثلاثاً لو أنّ لي واحدة منها لكان خيراً لي ممّا طلعت عليه الشمس وغربت:

الأُولى: في غزوة تبوك لمّا خلّفه النبيّ على المدينة فأُرجف به جماعة من المنافقين فقالوا: لقد سئم رسول الله من عليّ وثقل عليه، لمّا سمع عليّ ذلك كبر عليه ولحق بالنبيّ وقال: يا رسول الله، خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله: يا علي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

الثانية: لمّا كان يوم خيبر وأعطى الراية لأبي بكر وعمر ورجعا بها منهزمين من خيبر، قال: والله لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله،

---

(١) راجعها بسياقها العربي في «بلاغات النساء»: ٧٣ مطبعة بصيرتي ـ قم المقدّسة، وسمّاها «الدارميّة الحجونيّة»، وقد وقع فيها حذف بسياق المؤلّف سوف تجده موفوراً في البلاغات ومن الحذف قولها: عاديتك.. الخ، قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك، قالت: يا هذا بهند والله يضرب المثل لا أنا.. الخ.

يفتح الله على يديه، كرّار غير فرّار.

والثالثة: أنّه صهر رسول الله على فاطمة، وأولاده من فاطمة، وهذه المناقب أحبّ عندي ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ثمّ قام ونفض ثيابه وخرج من عند معاوية[1].

---

(١) تخريج الحديثين: ١ ـ حديث المنزلة: الهداية للشيخ الصدوق: ١٤٣، رسائل المرتضى ١: ٣٣٣ وسمّاه متواتراً بين الفريقين، الاقتصاد للطوسيّ: ٢٢٢، الرسائل العشر له: ١١٤، الكافي ٨: ١٠٧، دعائم الإسلام للقاضي نعمان: ١: ١٦، علل الشرائع ١: ٦٦ و٢: ٤٧٤، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٢٥، معاني الأخبار له: ٥٧، كفاية الأثر للخزّاز القمّيّ: ١٣٥، تحف العقول: ٤٣٠ وكتب كثيرة يتعسّر عدّها للشيعة أخرجت هذا الحديث.

وأمّا كتب العامّة فهي: ذخائر العقبى: ١٢٠، فضائل الصحابة: ١٣، صحيح مسلم: ٧: ١٢٠، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، المستدرك ٢: ٣٣٧ و٣: ١٠٩ و١٣٣، السنن الكبرى ٩: ٤٠، مجمع الزوائد ٩: ١٠٩، مسند الطيالسي: ٢٨، المصنّف ٥: ٤٠٦ و١١: ٢٢٦، مسند الحميدي ١: ٣٨، مسند ابن الجعد: ٣٠١، المصنّف للكوفي ٧: ٤٩٦ و٨: ٥٦٢، مسند ابن راهويه ٥: ٣٧، مسند سعد بن أبي وقّاص: ٥١، الآحاد والمثاني للضحّاك ٥: ١٧٣، كتاب السنّة لعمرو بن عاصم: ٥٥١، مجلسان من إملاء النسائي: ٨٣، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٤، خصائص أميرالمؤمنين للنسائي: ٤٨، المعجم الصغير ٢: ٢٢، المعجم الأوسط ٢: ١٢٦ و٣: ١٣٩، المعجم الكبير ١: ١٤٦ وكتب كثيرة يتعسّر حصرها.

٢ ـ حديث الراية: الكافي ١: ٢٩٤، رسائل المرتضى ٤: ١٠٤ و١٠٥، الدعوات للراوندي: ٦٣، رسائل الكركي ١: ٦٣، الكافي ٨: ٣٥١، تحف العقول: ٣٤٦، روضة الواعظين: ١٢٧، الإفصاح للمفيد: ٣٤، الإرشاد ١: ٦٤، الاختصاص: ١٥٠، أمالي الطوسي: ١٧١، الاحتجاج ١: ١٩٠ و٤٠٦ و٢: ٦٤، الخرائج والجرائح ١: ١٥٩، الأربعون حديثاً لابن بابويه: ٤٢، مناقب ابن شهرآشوب ١: ٩٥.

وذكر ابن البطريق في العمدة (ص٩٧) عن ربيعة الجرشي أنّه ذكر عليّ عند رجل وعنده سعد بن أبي وقّاص، فقال له سعد: أتذكر عليّاً، إنّ له مناقب أربعاً لئن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إلي من كذا وكذا وذكر حمر النعم، قوله: لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ⇐

بيّنة:

وفد ضرار بن ضمرة النهشليّ على معاوية، فقال له معاوية: صف لنا عليّاً، وكان ضرار من أصحاب عليّ عليه السلام، فقال: اعفوني من ذلك، فقال معاوية: أقسمت عليك إلّا ما وصفته، قال: فإذا لم تقبل استقالتي فأنا أقول:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة على لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان طويل الفكرة، غزير الدمعة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه، كان فينا كأحدنا تقريباً إذا أتيناه، ويجيبنا إذا دعوناه، ونحن مع قربه منّا وتقريبه إيّانا لا نبتدئه لعظمته، ولا نكلّمه لهيبته، فإن تبسّم فعن أسنان مثل اللؤلؤ المنظوم، ويقدّم أهل الدين، ويفضّل المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأُقسم بالله لرأيته في بعض أحواله وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه وهو قابض على اللحية في محرابه، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول في

وقوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وقوله: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ونسي سفيان واحدة.

الفضائل لشاذن بن جبرئيل: ١٥٢، إقبال الأعمال لابن طاووس ٢: ٣٦٩، الطرائف: ٥٧، المستجاد من الإرشاد للحلّي: ٧٤، الصراط المستقيم ١: ٢٤٩، عوالي اللئالي ٤: ٨٨، الصوارم المهرقة للشهيد التستري رحمه الله: ٨٤ هذا وكثير غيرها.

وأمّا كتب العامّة: ذخائر العقبى: ٧٣، فضائل الصحابة: ١٦، مسند أحمد ١: ٩٩ و١٨٩ و٤: ٩٢، صحيح البخاري ٥: ٧٦، صحيح مسلم ٥: ١٩٥ و٧: ١٢٠، سنن ابن ماجة ١: ٤٥، سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣٦٢ و٩: ١٠٧، مجمع الزوائد ٦: ١٥٠ و٩: ١٢٣، المصنّف ٨: ٥٢٠، مسند سعد بن أبي وقّاص: ٥١، بغية الباحث لابن أبي سلامة: ٢١٨، كتاب السنّة لأبي عاصم: ٥٩٤، السنن الكبرى ٥: ٤٦ و١٠٨، خصائص النسائي: ٤٩، مسند أبي يعلى ١: ٢٩١ و١٣: ٥٢٢ و٥٣١، صحيح ابن حبّان ١٥: ٣٧٧ و٣٨٢، المعجم الأوسط ٦: ٥٩، المعجم الكبير ٦: ١٥٢ و٦: ١٦٧ و٧: ١٣٣ وغيرها كثير.

بكائه: يا دنيا إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّقت، هيهات هيهات لا حان حينك، طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيك، عيشك حقير، وخطرك يسير، وعمرك قصير، آهٍ من قلّة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية على لحيته وكفّها بكُمّ (كفكفها بكُمّه) واختنق القوم جميعاً بالبكاء، فقال معاوية: رحم الله أبا الحسن، لقد كان كذلك، فكيف كان حبّك إيّاه؟ قال: كحبّ أُمّ موسى لموسى عليه السلام، وأعتذر إلى الله من التقصير. قال: فكيف جزعك عليه يا ضرار؟ قال: جزع من ذُبح ولدها في حجرها فما تسكن حرارتها، ولا ترقى دمعتها، ثمّ قام وخرج. فقال معاوية: ولكنّ أصحابي لو سُئلوا عنّي بعد موتي ما أخبروا بشيء مثل هذا[1].

وهذا الفصل من مختارات كلام أبي سعيد السمّان، وكلّ كلمة فيه حجّة للشيعة على المخالفين لأنّه من علماء أهل السنّة ومن رواة أخبارهم وأحاديثهم.

---

(١) وأنا أسأل ابن آكلة الأكباد لعنه الله ولعنها: وهل فيك صفة من هذا الصفات ليخبروا بها عنك، وأفضل صفاتك أكلك بمعي الكافر.. شرح الأخبار ٢: ٣٩١، كشف الغطاء ١: ١٦، خصائص الأئمّة للرضي: ٧١، شرح أُصول الكافي ٧: ٢٠٣، مناقب أمير المؤمنين لسليمان الكوفيّ ٢: ٥١، الهداية الكبرى: ١١٨، كنز الفوائد: ٢٧٠، الأربعون حديثاً لابن بابويه: ٨٥، العمدة لابن البطريق: ١٦، شرح مأة كلمة لابن ميثم البحرانيّ: ٢٢٧، الفضائل لابن شاذان: ٩٧، ذخائر العقبى: ١٠٠، عدّة الداعي لابن فهد الحلّي: ١٩٥، حلية الأبرار للبحراني ٢: ٢١٢، بحار الأنوار ٣٣: ٢٥١، شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٥، نظم درر السمطين ١٣٥، فتح الملك العلي: ٧٩، تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٤٠١.

الباب السادس والعشرون

في عداد الأشرار من بني أُميّة

وهم معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد، ومروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، والوليد بن عبدالملك، وسليمان بن عبدالملك، والوليد بن يزيد بن عبدالملك، ويزيد بن الوليد بن عبدالملك، وإبراهيم بن الوليد المخلوع، ومروان بن محمّد بن مروان.

وأخذ معاوية البيعة لنفسه سنة أربعين بعد قتله الحسن، ودام ملكه عشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً في دمشق مقرّ حكمه، ووصل إلى الدرك الأسفل من النار وهو سكران من خمر معتقة سبع سنوات، ووضع الصنم في عنقه، وقبره في دمشق، وهلك في رجب سنة ستّين من الهجرة وعمره ثمانٍ وثمانون سنة.

وكانت البيعة ليزيد في رجب سنة ستّين، ودام ملكه ثلاث سنوات وثمانية أشهر، وقيل: أربع سنين وستّة أشهر، وهلك في دمشق ودفن بين القذارات، وكان عليه يتبرزون، وإلى الآن هو بادٍ للعيان والناس يتفرّجون عليه. وقيل: خرج يتصيّد وجمح به الفرس فألقاه أرضاً فقضى عليه.

وبايعوا بعده ولده معاوية في ربيع الأوّل سنة أربع وستّين، ودام حكمه أربعين يوماً.

ثمّ بايعوا بعده عبدالله بن الزبير في مكّه سنة أربع وستّين ودام حكمه شهرين واثني عشر يوماً وقُتل في زمان عبدالملك بن مروان وكنيته أبوبكر.

وبعد معاوية بن يزيد بايعوا مروان بن الحكم لعنهما الله في أوّل محرّم سنة خمس وستّين، وكان مدّة حكمه شهرين وتسعة أيّام، وعمره واحد وستّون سنة.

وبايعوا بعده عبدالملك بن مروان بعد وفاة أبيه مباشرة في النصف من شهر رمضان سنة خمس وستّين، ودام ملكه واحداً وعشرين سنة وشهراً ونصف الشهر، ومات في دمشق يوم الخميس النصف من شوّال سنة ستّ وثمانين وعمره ثمان وخمسون عاماً، وكنيته أبو الوليد.

وبايعوا بعده ابنه الوليد بن عبدالملك بن مروان، وكنيته أبو العبّاس، ومات بدمشق في النصف من جمادى الثانية سنة ستّ وتسعين، وعمره سبع وأربعون سنة.

وبايعوا بعده أخاه سليمان بن عبدالملك وكان يكنّى أبا أيّوب في النصف من رجب سنة ستّ وتسعين، وكانت مدّة سلطانه سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيّام، ومات يوم الجمعة بدابق من أرض قنّسرين سنة تسع وتسعين، وعمره خمس وأربعون سنة، وصلّى عليه عمر بن عبدالعزيز.

وبايعوا بعده عمر بن عبدالعزيز وكنيته أبو حفص، في سنة تسع وتسعين، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيّام، وتوفّي بدير سمعان يوم الجمعة من رجب سنة أحد ومأة.

وبايعوا بعده يزيد بن عبدالملك وكانت خلافته أربع سنين وشهرين ويومين، وتوفّي يوم الجمعة بالبلقاء من أرض دمشق في شعبان سنة خمس ومأة، وعمره ثلاثون سنة وثمانية أشهر.

وبايعوا بعده هشاماً بن عبدالملك أبا الوليد الأحول سنة خمس ومأة، وكانت

خلافته تسعة عشر سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفّي في (بصاقة ـ كذا) يوم الأربعاء من ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين ومأة، وعمره خمسون سنة وأربع سنين.

وبايعوا بعده الوليد بن يزيد بن عبدالملك أبا العبّاس، في سنة مأة وخمس وعشرين، وكانت خلافته سنة وشهرين وعشرين يوماً.

وبايعوا بعده يزيد بن الوليد بن عبدالملك في دمشق سنة ستّ وعشرين ومأة.

وبايعوا بعده إبراهيم بن الوليد أبا إسحاق في سنة مأة وعشرين وكانت خلافته شهرين وعشرة أيّام، وخلع نفسه يوم الاثنين من صفر سنة مأة وسبع وعشرين.

وبايعوا بعده مروان بن محمّد بن مروان أخا عبدالملك في صفر سنة مأة وسبع وعشرين ودامت خلافته خمس سنين وشهرين، وقُتل سلخ ذي الحجّة سنة مأة واثنين وثلاثين في قرية من قرى مصر وعمره ستّون سنة.

وعدد ملوكهم خمسة عشر ملكاً أوّلهم عثمان بن عفّان، وكانت مدّة ملكهم ألف شهر.

الفصل الأوّل

ولمّا عادت عائشة من البصرة واستقرّت في المدينة كتبت كتاباً إلى معاوية ترغبه في قتل أميرالمؤمنين وتحرّضه عليه فجمع معاوية جيشه وأقبل يريد حرب أميرالمؤمنين عليه السلام، وكان مالك الأشتر يحارب مع أميرالمؤمنين حتّى غلبوا معاوية وأوشك الفأر أن يقع في المصيدة وكادوا يقبضون على معاوية قبض اليد، فلمّا رأى عمرو بن العاص الواقعة حلّت بهم أمر برفع المصاحف على الرماح ونادى مناديه: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فلمّا رأى أصحاب الإمام ذلك أقبلوا عليه وقالوا: مُر صاحبك الأشتر أن يعود من القتال وإلّا قتلناك، فنصحهم أميرالمؤمنين عليه السلام وبالغ

في نصحهم وأخبرهم بأنّ فعلهم هذا حيلة، فلم يقبلوا قوله، فأرسل إلى مالك: أوقف الحرب وتعال إليّ. فقال مالك: قولوا لأميرالمؤمنين يمهلني لحظة حتّى أقبض على معاوية، فأرسل إليه أميرالمؤمنين: قد أحاط العسكر بخيمتي لقتلي فإن لم تعد فإنّك لن تراني بعد اليوم.

وأخيراً قرّروا أن يحكّموا بينهم حكماً ويخلدوا إلى الصلح، ويأتي من قبل معاوية عمرو بن العاص، فلم يرتضوا عبدالله بن عبّاس وقالوا: لن نرضى به[1] وقالوا: لا نرضى إلّا بأبي موسى الأشعريّ، فلم يرضى به أميرالمؤمنين، فشغب عليه العسكر وأجبروه على الرضا به ولكن على شرط أن يعمل بكتاب الله وإذا ترك العمل بكتاب الله سقط من الحكميّة.

وفي الطريق قال له عمرو بن العاص: ادنوا منّي يا أبا موسى حتّى أُكلّمك، فدنى منه فعلم عمرو بن العاص بأنّ الرجل أحمق مغفّل يدني منه أُذنه في صحراء تخلو من المحتشم، ثمّ قال له: يا أبا موسى، عليّ ومعاوية كلاهما فتنة للناس فاعزل أنت صاحبك عليّاً وأعزل أنا صاحبي، ونستخلف ابن أخيك ويكون العالم بين أيدينا، قال هذا الشيخ الأحمق: وكذلك نفعل. فلمّا وصلوا الكوفة[2] فقال عمرو بن العاص لأبي موسى: تقدّم فأنت صاحب رسول الله وأسنّ منّي، فرقى أبو موسى المنبر وخطب الناس وقال: أيّها الناس، ارتضاني أصحاب عليّ حكماً من قِبَلهم، فأنا قد عزلته وانتزع خاتمه من اصبع يده اليمنى ووضعه في يده اليسرى وقال: كما نزعت خاتمي هذا، ثمّ نزل.

---

(١) يقول المؤلّف إنّ عمراً بن العاص أبى ذلك ولكن التاريخ يردّه لأنّ ابن العاص لا سلطة له على مختار أصحاب الإمام.

(٢) لم تكنن الكوفة مسرح الأحداث إنّما هي دومة الجندل موعد لقائهم.

وصعد بعده عمرو بن العاص المنبر وقال بعد أن خطب الناس، قال: كان أبو موسى حكماً من قبل علي فعزله وأنا عزلته كما عزله، وأجلست معاوية على منبر الخلافة وأثبتّه فيها، وسلّ سيفه من غمده ثمّ أغمده وقال: هكذا، فوّضت لمعاوية الإمامة والخلافة.

فارتفعت الضجّة من الناس ونادى أبو موسى: ما على هذا اتفقنا، فاقتتل الناس بأيديهم وبالحجارة وقبضوا على رجل عمرو بن العاص وسحبوه، فاستطاع تخليص نفسه، وقال أبو موسى لعمرو: ويحك أغضبت عليّاً عليّ فأشركني في الأمر، قال: سوف أفعل.

وقال بعضهم: إنّ الحادثات وقعت في دومة الجندل، وقال بعضهم كذلك بعث الإمام أميرالمؤمنين ألفي رجل لرصد الحادثة إلى أن كان ما كان، وبعد هذه الحادثة انشقّ من عسكر أميرالمؤمنين عليه السلام سبعون ألف فارس وقالوا: أنت عزلت نفسك برضاك بالحكمين ولو كنت مستيقناً بحقّك لما رضيت بهما.

فقال أميرالمؤمنين: كنت مع رسول الله في صلح الحديبيّة وأنا كتبت الكتاب بين رسول الله وبين المشركين وفيه «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصالح عليه محمّد رسول الله وقريش» فقال (سراقة ـ المؤلّف) سهيل بن عمرو: لو كنت أعلم بأنّك رسول الله لما خاصمناك، فقال لي رسول الله: يا علي، امسح رسول الله واكتب مكانها محمّد بن عبدالله، فأبيت أن أفعل ذلك تأدّباً منّي ورعاية لمقام النبوّة، فمحاها النبيّ بيده، فهل كان شاكّاً برسالته؟ وهل قدح هذا المحو فيها؟ فقالوا: لا. فرجع إلى صفّ أميرالمؤمنين ثلاثون ألفاً من المخالفين وبقي من عداهم على كفرهم وتبرّؤوا من عليّ وعثمان، وقتل جميعهم في النهروان بيد أميرالمؤمنين إلّا عشرة أنفس منهم هربوا، ولاذ اثنان منهم بجزيرة العرب، واثنان بكرمان، واثنان بعمّان، وأربعة منهم بسيستان.

الباب السابع والعشرون

في أحوال معاوية بن مسافر الذي اشتهر بين الناس بمعاوية بن أبي سفيان بن حرب

الفصل الأوّل
في ولادته

قال الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن عليّ السمّان ـ وهو من علماء أهل السنّة ومحدّث مشهور من الطبقة الأُولى ـ في كتاب «مثالب بني أُميّة» : كان مسافر بن عمرو يخالل هنداً أُمّ معاوية آكلة كبد حمزة عمّ رسول الله ، وقد زنى بها مراراً ، وكانت هذه الصلة الحرام بينهما سنين طويلة ، وكان يعدها الزواج بها ولكنّ التقدير حال دون ذلك إلى أن اشتملت منه على جنين ، ومرّ عليه في بطنها ستّة أشهر فخاف مسافر من الفضيحة فهرب إلى النعمان في الحيرة .

وزوّجت هند من أبي سفيان بسعي بعض الناس وزفّوها إلى بيتها بعد أن عقد عليها وتعلّلوا بشتّى العلل حتّى إذا مرّ عليها ثلاثة أشهر في بيت أبي سفيان ولدت معاوية على فراشه ، ولمّا بلغت أخبار هند مسافراً ، قال :

فأصبحت كالمسلوب جفن سلاحه يـقلّب بـالكفّين قـوساً وأسهما(١)

ويشهد بهذا عداوتهم البالغة لأهل البيت ولرسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله : يا علي ، لا يحبّك إلّا مؤمن تـقيّ ، ولا يـبغضك إلّا منافق شقيّ .

ومن سرّنا نال منّا السـرور ومن سـاءنا سـاء مـيلاده

ذكر عليّ بن نصر المعروف بأبي الحسـن البـغداديّ الحـنفيّ في تـصنيفه عـن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان ذات يوم يطوف فأقبل عليه شيخ بيده عصى وعلى رأسه عمامة من صوف ويرتدي جبّة صوف ، فسلّم على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال : يا رسول الله ، استغفر الله لي ليرحمني الله تعالى ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : اغرب يا ملعون عن وجهي ، إنّ عملك إلى ضياع ، وأنت من أهل النار ، فلمّا خرج من عند النـبيّ صلى الله عليه وآله ذلك الشـيخ قـال عليّ عليه السلام : لم يخرج أحد قبل هذا من حضرتك محروماً من أهل الحاجات ، فما بال هذا الشيخ قد طردته ؟ فقال : يا علي ، هذا ابليس طريد الله سبحانه .

فركض عليّ وراء إبليس ليقتله ، فلمّا رأى إبليس بأنّ عليّاً يـقصده بـالقتل لاذ

---

(١) جاء عن النوفلي عن أبيه : إنّ مسافر بن عمرو بن أُميّة كـان مـن فـتيان قـريش جـمالاً وشـعراً وسخاءاً ، قالوا : فعشق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشقته ، فأتهم بها وحملت مـنه . قـال بـعض الرواة : فقال معروف بن خربوذ : فلمّا بان حملها أو كاد ، قـالت له : اخـرج ، فـخرج حتّى أتـى الحيرة ، فأتى عمراً بن هند فكان ينادمه ، وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها فلقي مسافراً فسأله عن حال قريش والناس ، فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوّجت هـند بنت عتبة فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتّى استسقى بطنه ، قال ابن خربوذ : فقال مسافر في ذلك :

ألا إنّ هـنداً أصـبحت مـنك محرّماً وأصبحت مـن أدنـى حـموتها حـمى
وأصـبحت كـالمقمور جـفن سـلاحه يـــقلّب بـــالكفّين قـوساً وأسـهما

قال : وخرج يريد مكّة فمات بموضع يقال له هبالة ودفن بها ، انتهى . (النصائح الكافية لمحمّد بن عقيل : ١١٣).

بالفرار ثمّ وقع، فلحق به عليّ عليه السلام فجلس على صدره ليقتله، فضحك إبليس بوجه الإمام، فقال له عليّ: لم تضحك يا عدوّ الله؟ فقال: لن تستطيع قتلي لأنّي من المُنْظَرين ولكنّي أُبشّرك ببشارة عظيمة، فقم عن صدري، فقام عليّ عليه السلام عن صدره، فقال إبليس: ما تركت من أعدائك أحداً لم أشرك أباه في أُمّه.

يقول مؤلّف هذا الكتاب: صدق قوله تعالى لإبليس: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾[1] وأمثال هذا، والله أعلم بالصواب.

الفصل الثاني
في ذكر الفرق الذين يختلفون فيه

ينقسم الناس الذين يدينون بالإسلام إلى خمس فرق: الفرق الأُولى الجليّة[2] هم النواصب، وهؤلاء أهل البغي وأشدّ الناس بغضاً لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

الثانية الجليّة، الخوارج وهم القائلون: لا حكم إلّا للّه، وهؤلاء يدعون المحكّمة، وهذه الفرقة تلعن معاوية أيضاً.

الثالثة الجليّة، المخطئة وهم الذين يرون التحكيم خطأً ولكنّهم لا ينكرون إمامة عليّ عليه السلام.

الرابعة الجليّة، المرجئة وهم الذين يتوقّفون في الحكمين فلا ينسبونهم إلى حقّ ولا إلى باطل، وهذه الطائفة يهبطون بمنزلة عليّ عليه السلام إلى الموضع الأدنى إلّا أنّهم لا يكفّرونه.

---

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) «أوّل جلى» هذا قول المؤلّف ولم أدرك معنى جلي وترجمتها إلى ما فهمته «الجليّة» ولست واثقاً من معناها، فعلى القارئ أن يتنبّه لذلك.

ويقول أحمد بن الحسن بن الحسين البيهقيّ: إنّ معاوية أخطأ ولم يخرج عن الايمان لعداوته لعليّ عليه السلام وحربه إيّاه.

ويقول مصنّف هذا الكتاب: إنّ معاوية لم يؤمن لكي يخرج من الايمان وإنّما خرج من عالم الكفر إلى عالم النفاق ورجع بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى كفره، ثمّ إنّ عليّاً نفس الرسول وحرب رسول الله صلى الله عليه وآله كفر وكذلك الحرب على عليّ عليه السلام، وكما حلّ قتال أهل اليمامة بمنعهم الزكاة عن أبي بكر وأُغير عليهم وسبيت ذراريهم وسمّوا كفّاراً ومرتدّين فكذلك الحال مع محاربي أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّهم كفّار مرتدّون.

الخامسة الجليّة، المعتزلة، وهؤلاء افترقوا فرقتين: فرقة تفسّق معاوية وفرقة تكفّره، والحاكم صاحب الرسالة المفسّر يلعنه مع إبليس وإخوانه المجبّرة.

الفصل الثالث
في الآيات التي تدلّ على أنّ معاوية واجب اللعن

اعلم أنّ معاويه كان ظالماً وغاصباً حقّ أهل البيت وقال الله تعالى: ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾(١) وثبت أيضاً وقد تقدّم ذكره: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(٢) وأُولوا الأمر هنا عليّ عليه السلام وبمقتضى العطف تكون طاعته واجبة كطاعة الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله كفر، واستحقّ اللعنة، وانظر إلى معاوية أين بلغ بمخالفته عليّاً عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**قُل لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً**

---

(١) هود: ١٨.

(٢) النساء: ٥٩.

أَلِيماً﴾(١) وهؤلاء هم الذين كانوا يخذّلون الناس عن علـيّ في حـرب مـعاوية ولم يخرج أحد منهم معه كما فعلوا مع رسول الله في تبوك والحديبيّة، فقال الله تعالى عن لسان النبيّ ﷺ: ﴿لَن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً﴾(٢).

والدليل على كونه ظالماً ما يراه فقهاء العامّة من جواز تولّي القضاء الظالم ويجور حكم الكاذب نظير أبي هريرة وغيره كمعاوية فقد بـلغ هـذان الاثـنان الولايـة والقضاء، فظهر من هذا التمثيل أنّ معاوية كاذب وظـالم، وقـال رسـول الله ﷺ: معاوية فرعون هذه الأُمّة، وعمرو بن العاص سامريّها، وأبو مـوسى الأشـعريّ جاثليقها، وإنّه سفير بين اليهود، وقال تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾(٣)، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾(٤).

واستحقّ اللعنة بادّعائه الكاذب للإمامة والخلافة، قال في آية المباهلة (عـن سبيل المفهوم ـ كذا): ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٥)، وقال في آية الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٦) وإفكهم على عليّ عليه السلام اتّهامهم إيّاه بدم عثمان لعنه الله وأنّه قاتل له.

ولقد أجمعت الأُمّة على كفر النصارى بقولهم حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(٧) وقال المجسّمة: إنّ الله جسم فكفروا أيضاً بقولهم

---

(١) الفتح: ١٦.

(٢) التوبة: ٨٣.

(٣) المؤمن: ٣٧.

(٤) طه: ٧٩.

(٥) آل عمران: ٦١.

(٦) النور: ٢٣.

(٧) المائدة: ١٧.

هذا واعترفوا بالحجج المناقضة لمذهبهم لكنّهم قالوا: بأنّنا نقول أنّه جسم لا كالأجسام.

وكتم معاوية الحقّ عن أهل الشام وستر مناقب عليّ الواردة في القرآن والسنّة عنهم، وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[4] الآية.

عن أبي ذر ـ كما ذكر صاحب الكشّاف ـ أنّه قال: قام رجل بعد الصلاة وسأل الناس فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع يده وقال: أشهد أنّي سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ عليه السلام راكعاً فأشار إليه بخنصره فأخذ السائل من خنصر يده اليمنى خاتماً فلمّا فرغ النبيّ من الصلاة، قال: اللهمّ إنّ أخي موسى سألك فأعطيته سؤله، قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[5] الآية، فقلت: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾[6]، وقلت: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[7] ثمّ قال: اللهمّ وأمّا محمّد صفيّك يقول: ربّ اشرح لي صدري واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أخي، اشدد به

(١) البقرة: ٨٩.
(٢) البقرة: ١٥٩.
(٣) النور: ٥٥.
(٤) المائدة: ٥٥.
(٥) طه: ٢٥.
(٦) طه: ٣٦.
(٧) القصص: ٣٥.

أزري، الآية[١]، فلم يتمّ دعائه حتّى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الآية.

روى صدر الأئمّة موفّق بن أحمد وهو من علماء أهل السنّة بإسناده عن سلمان، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: عليكم بعليّ بن أبي طالب فإنّه مولاكم فأحبّوه، وكبيركم فاتّبعوه، وعالمكم فأكرموه، وقائدكم إلى الجنّة فعزّزوه، وإذا دعاكم فأجيبوه، وإذاأمركم فأطيعوه، وأحبّوه بحبّي، وأكرموه بكرامتي، ما قلت لكم في عليّ إلّا ما أمرني ربّي جلّت عظمته، وكاتم هذا النصّ (كاتم الحقّ.

قاضي القضاة) ذكر في كتابه «المحيط» أنّ خلافة عليّ أثبت وأحكم من خلافة الشيخين لأنّ خلافته بالنصّ والاختيار وخلافةالخلفاء قبله بالاختيار وحده وأمّا فضائله في سورة هل أتى فهي مرتكزة على تلك الحال.

وذكر الطحاويّ في مشكل الآثار، والحاكم المفسّر في جلاء الأبصار: لمّا رجع النبيّ ﷺ من حجّة الوداع ما كان عليّ معه بل كان في اليمن، فتوقّف النبيّ في الغدير حتّى لحق به عليّ عليه السلام فثنّى ردائه أربع ثنيات ووقف هناك وبعد الخطبة قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وقال عمر: بخ بخ يا علي أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات.

وكان حسام الدين من «العدليّة» وقال أبوالقاسم بن إبراهيم بن أحمد المؤذّن: كانت الواقعة يوم الخميس فقد دعى النبيّ عليّاً عليه السلام وأخذ بضبعه ورفعه حتّى بان بياض إبطيهما ويقال بأنّه ألبسه عمامته وأرخى لها رغزتين على كتفيه وقال: هكذا نزلت الملائكة، ثمّ قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.. الخ، ولم يفترقا حتّى نزلت

---

(١) راجع الآيات ٢٥ ـ ٣٦ من سورة طه.

الآية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[١] فقال النبيّ ﷺ : شكراً للّه على إكمال الدين ورضى الربّ برسالتي والولاية لعليّ ؑ ، وأنشد حسان شعراً يطابق مقتضى الحال بعد أن أذن له النبيّ وقد مرّ شعره ، وقال النبيّ ﷺ : من كتم علماً علمه أُلجم بلجام من نار[٢] . ومعاوية كتم عدداً من النصوص فمكانه معلوم أين يكون .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[٣] ومعاوية قتل الإمام الحسن ، وقتل أربعين ألفاً في صفّين من المهاجرين والأنصار ، وقاتل المؤمن ملعون بنصّ القرآن وإجماع الأُمّة .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] وقال : ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾[٥] واتفقت الأُمّة على أنّ معاوية باغ فحلّ دمه حينئذٍ .

وقال رسول الله ﷺ : من أعان على قتل امرئ مسلم ولو بسطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله .

وقال : من أخاف أهل المدينة إخافة ظلماً فعليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً[٦] .

وأرسل معاوية (عدي ـ المؤلّف) بسر بن أرطاة من قبله إلى المدينة ليأخذ منهم

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢) مسند أحمد ٢ : ٢٦٣ و ٣٠٥ ، المستدرك ١ : ١٠١ ، المعجم الأوسط ٤ : ١٨٣ ، تاريخ بغداد ٢ : ٣٢ ، لسان الميزان ٦ : ٦٦ .

(٣) النساء : ٩٣ .

(٤) الشورى : ٤٢ .

(٥) الحجرات : ٩ .

(٦) ترجم المؤلّف «الصرف» بركشتن وهذا يدلّ على أنّه لم يعرف معناه لأنّ الصرف والعدل ، الواجب والمندوب .

البيعة، فلمّا صعد المنبر قالت أُمّ سلمة: هذه بيعة ضلالة، وأذنت لولدها عمر بن أبي سلمة أن يبايع خوفاً من القتل.

روى عين الأئمّة أنّ لعن معاوية جائز بعشر وجوه:

الأوّل: خروجه من طاعة أميرالمؤمنين.

الثاني: سلّه السيف بوجه أميرالمؤمنين.

الثالث: غصبه حقّ الإمام الهمام.

الرابع: إنكار أهل البيت.

الخامس: ادّعائه الإمامة.

السادس: كتمان فضل عليّ.

السابع: لعن عليّ على المنابر.

الثامن: اتّهامه بدم عثمان وهو منه بريء.

التاسع: توليته يزيد الكافر.

العاشر: قتل الحسن بن عليّ عليهما السلام والوصيّة بقتل الحسين عليه السلام.

فتبيّن من ذلك أنّه يستحقّ اللعنة بما فعل ولم يتب قبل الموت كسائر المؤمنين والمؤمنات كما قال أبو هاشم: ما فتئ معاوية يقول: لولا هواي في يزيد، لأبصرت رشدي وعرفت قصدي.

وقال أبو علي بلعنه ظاهراً، لأنّ محبّته ليزيد وتوليته على الناس تنفي توبته.

الفصل الرابع

في الأخبار التي تدلّ على أنّ معاوية ملعون

قال عبيدالله بن عمرو بن العاص: ذهبت إلى خدمة النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: ليدخل النار من مات على غير ملّتي، فطلع معاوية.

قال صاحب المصابيح: يطلع عليكم رجل من أهل النار فطلع معاوية(١).

وقال رسول الله ﷺ: معاوية في تابوت من نار مصمت عليه(٢).

ذكر الحافظ عن ابن مسعود: لكلّ شيء آفة وآفة هذا الدين بنو أُميّة.

عن ابن عبّاس: لو اجتمع الناس على حبّ عليّ لما خلق الله النار، وهذا دليل على أنّ مبغضه في النار ومحبّه في الجنّة(٣).

---

(١) مجمع الزوائد ١: ١١٢ فطلع فلان ولم يسمّه. وبتر العقيلي لعنه الله الحديث وقال: عن عبدالله ابن عمر بن العاص قال: كنت عند النبيّ ﷺ فقال: أوّل من يطلع عليكم من هذا الفجّ، وذكر الحديث ولا يتابع عليه (٣: ٣٨٠). أمّا عبدالله بن عدي في الكامل فقد قلّب الحديث أو رواه مقلوباً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة، فطلع معاوية ٢: ٣٣١. وأنا أقول: لعن الله هذه الجنّة ولعن الله من يدخل فيها، ومثله فعل ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ٩٨، ميزان الاعتدال ١: ٤٩٥ و٢: ٦٢٣، وفيه: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة فطلع معاوية، فقال: أنت يا معاوية منّي وأنا منك لتزاحمني على باب الجنّة كهاتين، وأشار بإصبعيه.

أقول: لم يتعقّب هذا الحديث الذهبيّ ابن الزانية لعنه الله، وإذا أدخل الله معاوية الجنّة فينبغي أن لا يدخل أحداً النار حتّى فرعون وهامان لأنّه ظلم والله منزّه عنه. توضيح ذلك أنّ قاموس جرائم معاوية لو جمعناه لكان أضخم حجماً من تاج العروس للزبيدي ولسان العرب لابن منظور، ثمّ هو مع هذه الجرائم كلّها يدخل الجنّة ثمّ يأتي الله إلى عباده فيدخل هذا على زنية زناها وذاك على خمر شربه أو نفس قتلها النار، إنّ هذا الظلم عظيم ولو حابا أحدنا من الخلق مجرماً فأكرمه لبصقنا في وجهه ونتفنا لحيته فكيف يحابي الخالق الرحيم هؤلاء القساة المجرمين الظالمين لعنهم الله.

(٢) شرح الأخبار ٢: ٥٣٦، بحار الأنوار ٣٣: ٢١٠، مناقب أهل البيت: ٤٦٦، الغدير ١٠: ١٤٢، وسمّى مولانا الأمينيّ الحديث مرفوعاً مشهوراً، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦، تاريخ الطبري ٨: ١٨٦، النصائح الكافية: ٢٦١ وليس في هذه الأحاديث الجملة: مصمت عليه.

(٣) الرسالة السعديّة للحلّي: ٢٣، كشف الغطاء ١: ٨و٧، أمالي الصدوق: ٧٥٥، عوالي اللئالي ٤: ٨٦، الجواهر السنيّة للحرّ العاملي: ٢٣٦، بحار الأنوار ٢٩: ٤٢و٣٩: ٢٤٦ و٢٤٨ و١٠٩: ٣٢، مقام عليّ لنجم الدين العسكريّ: ٣٩، ينابيع المودّة ١: ٢٧٢ و٣٧٦ و٢: ٢٩٠ و٢٩٣، الإمام عليّ في آراء الخلفاء: ٦٨.

وروي عن صاحب المصابيح عن النبيّ ﷺ قال: يموت معاوية على غير ملّتي[1].

وقال أبو علي: حكم المجبّرة والمجسّمة حكم من ارتدّ، وقال أبو هاشم: حكم أهل الكتاب وهم كفّار على كلا القولين، وكان معاوية لعنه الله رئيس المجبّرة.

وقال صاحب المصابيح: مات معاوية والصليب في عنقه.

وقال الأحنف بن قيس: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: يموت معاوية على غير دين الإسلام فتخالج في قلبي شيء من ذلك ـ يعني حين قال عليّ كلمته ـ قلت في قلبي: كيف يكون ذلك إلى أن قصدت الشام فسمعت عن مرض معاوية، فذهبت إلى عيادته فرأيته وقد أسند ظهره على الحائط، فوضعت يدي على صدره فرأيت الصنم معقوداً إلى عنقه ثمّ حوّل وجهه إليّ فرآني أبكي، فقال: أنا اليوم أمثل... فقال الأحنف: فأجبته: أنا لا أبكي عليك بل أبكي لما سمعته من عليّ أنّه قال: يموت معاوية والصنم في عنقه.. فقال: لعلّك استعظمت هذا يا أحنف، أمرني الطبيب بهذا فإنّه صنمي إنّه نافع. قال الأحنف: فخرجت من عنده فما بلغت المنزل حتّى سمعت الصراخ عليه وقائل يقول: مات معاوية.

وقال قاضي القضاة: إنّ معاوية مات مستشفياً بالصنم.

ويقال: إنّ أهل اليمن على هذه العقيدة بأنّ معاوية وأباه كافران ويقولون: لقد تقمّص الكفر هؤلاء وتسربلوه.

وقال عبدالله بن عبّاس: كنت في مسجد المدينة يوماً وكنت أُصلّي صلاة بالإخفات، وقد تفرّق الناس وبقي أبو سفيان وابنه معاوية، وكان أبو سفيان قد أضرّ، فقال لمعاوية: يا بني، هل في المسجد أحد؟ فقال معاوية: لا يا عبدالله،

---

(١) مناقب أميرالمؤمنين ٢: ٣١١، المسترشد: ٥٣٤، شرح الأخبار ٢: ١٤٧ و١٥٣ و٥٣١، بحار الأنوار ٣٣: ١٨٧ و٢٠٩ وغيرها من الكتب.

وكنت وراء السارية، قال: انظر بالمصباح، فتناول معاوية المصباح وأخذ يسلّطه على الأطراف والأكناف وكنت أدور حول السارية حيثما دار، فقال: ليس في المسجد أحد، فقال أبو سفيان: يا بني، أُوصيك بدين الآباء والأجداد، وإيّاك ودين محمّد فإنّه سبب فقرنا، ولا يهولنّك قول محمّد من البعث والنشور. وقال معاوية: ذاك رأيي يا أبتاه.

وجاء في الرواية أنّ النبيّ ﷺ قال: اللهمّ العن معاوية ومروان وأولادهما وأولاد أولادهما، وهذا المعنى علمه النبيّ بالوحي كما علم نوح حين قال: ﴿وَلاَ يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾[1].

وذكر أحمد بن الحسن البيهقيّ في كتابه فضائل الصحابة عن نصر بن عامر، قال: دخلت المسجد وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فقلت: ممّن ذاك؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع، رُبّ يوم لأُمّتي من معاوية ذي الأستاه، قالوا: يعني الكبير العجز[2].

وقال البيهقيّ: قال مسلمة: كان النبيّ ﷺ جالساً فاجتاز به معاوية ومعه أبو سفيان وأخو معاوية أحدهما يسوق البعير والآخر يقوده، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) نوح: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ١٩١ ولم يعرف المؤلّف معنى ذي الأستاه فترجمها هكذا: «وذي الاستاه عبارت از شخصى است كه بر مال غيرى متصرّف شود و با ارباب رد كند... الخ» الترجمة: «وهو الذي يستولي على مال الغير ويردّه على الأغنياء..» (ص٢١٦)، شجرة طوبى ١: ٩٥، أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة ٢: ٢٣٥، مجمع الزوائد ٥: ٢٤٢، وأبهم اسم معاوية لعنه الله وأباه وبتر الحديث وقال: رواه الطبرانيّ ورجاله ثقات، المعجم الكبير ١٧: ١٧٦، شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٩ وصرّح باسم معاوية، الطبقات الكبرى ٧: ٧٨، أُسد الغابة ٣: ٧٦ وقال: أخرجه الثلاثة، الإصابة ٣: ٤٦٥.

لعن الله القائد والراكب والسائق.

وقال البيهقيّ: كان عليّ عليه السلام يقنت بلعن معاوية(١).

وروى صاحب المصباح عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم التيميّ: وقع يوماً خصام بين معاوية وأبي ذر، فقال أبوذر: يا معاوية، إنّ أحدنا فرعون هذه الأُمّة، فقال معاوية: أمّا أنا فلا.. وصدق بالحديث.

وخاطب أبوذر معاوية لما هو عليه من الخبث بما خاطب به النبيّ أهل مكّة: أنا وإيّاكم لعلى هدًى أو في ضلال مبين، وبالطبع هذا القول مع كفّار مكّة، وأمّا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله فهو: معاوية فرعون هذه الأُمّة.

وروي أيضاً عن رجل قال: ذهبت إلى مكّة لأُسلم فلمّا دخلت المسجد سمعت رسول الله يقول: أربعة في الدرك الأسفل من النار: نمرود بن كنعان، وشدّاد بن عاد، وفرعون موسى، ورجل يبايع بعدي بباب بابل، ولولا مقالة فرعون أنا ربّكم الأعلى لكان أسفل منه ـ وفي رواية الحافظ: لكان تحته ـ فلمّا استشهد أميرالمؤمنين قصدت العراق فلمّا بلغت باب بابل رأيت معاوية على المنبر يأخذ من الناس البيعة له، فعرفت من هو الرابع أنّه معاوية وكان من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٢).

سُئل الإمام زين العابدين عليه السلام: كيف أصبحت يابن رسول الله؟ قال: أصبحت في أُمّتنا كبني إسرائيل في أيدي الفراعنة؛ يذبّحون أبنائهم ويستحيون نسائهم، وليس أدنى شرّ من يزيد فإنّه أعظم شرّاً منه.

---

(١) كشف الغطاء ١: ١٩، مجمع الزوائد ١: ١١٣ وأبهم أسمائهم.. و٥: ٢٤٢، الآحاد والمثاني ٢: ١٩٢، المعجم الكبير ١٧: ١٧٦، أُسد الغابة ٣: ٧٦، الإصابة ٣: ٤٦٥.

(٢) النساء: ١٤٥.

قال كافي الكفاة أحمد بن عباد (الصاحب بن عبّاد):

قالت تحبّ معاويه قلت اسكتي يا زانيه

قالت أسأت جوابيه فأعدت قولي ثانيه

يا زانيه يا زانيه يا بنت ألفي زانيه

أأحبّ من شتم الوصيّ أخا النبيّ علانيه

فعلى يزيد لعنة وعلى أبيه ثمانيه[1]

وقال مالك الأشتر وعبدالله: الشجرة الملعونة والظالم في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2] بنو أُميّة ومعاوية منهم.

يقول مصنّف الكتاب: وعثمان بن عفّان أوّل ملوك بني أُميّة (لعنه الله ـ المترجم).

وقال رسول الله لعليّ: يا علي، ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين...[3] الناكثون هم طلحة والزبير وأتباعهما بايعوا أميرالمؤمنين عليه السلام ثمّ نكثوا البيعة وقال الله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[4] والقاسط معاوية ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[5] والمارقون: الخوارج.

قال الصاحب الكوفيّ:

قالت فمن قائد الأقوام إذ نكثوا فقلت تفسيره في وقعة الجمل

قالت: فمن حارب الأنجاس إذ قسطوا فقلت صفّين تبدي صفحة العمل

قالت: فمن قارع الأرجاس إذ مرقوا فقلت معناه يوم المهرجان علي

---

(١) وعلى عمر بن الخطّاب ألف ألف لعنة لأنّه هو الذي زرعه في ضلوع الإسلام.

(٢) هود: ١٨.

(٣) سبق تخريج الحديث.

(٤) الفتح: ١٠.

(٥) الجنّ: ١٥.

وهذا الشعر يشير إلى الوقائع الثلاثة: الجمل وصفّين والنهروان، والطائفة الأُولى هم الناكثون، والثانية الظالمون وهم نجس، والثالثة الخارجون وهم نجس أيضاً ولذلك وصفهم بالأنجاس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1] ووصفهم بالإرجاس، والرجس هو الخبث، ويقال: رجس ورجز وكلاهما واحد ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[2] (وفيه ما فيه)[3]. وكلا هذين القولين للمخالفين.

وفي كتاب «الرسالة الحاوية في مذمّات معاوية» ذكر الشيخ الفاضل زين العابدين الواعظ والقاسم بن محمّد بن أحمد المأموني وهو من علماء أهل السنّة والجماعة في هذا الباب العظيم الغالي ما هو حجّة عليهم «والفضل ما شهدت به الأعداء» والأحاديث التي أخرجوها جاء كلّ حديث منها بطرق عدّة وأسانيد متعدّدة أقرّها علمائهم الكبار، وعبد أهل البيت ـ المؤلّف ـ قد اختصرها ولكنّه في أثناء ذكرها حاول سرد أُمور مفيدة تعين على فهمها كما ذكر الوجوه والتأويلات التي ذكرها المؤلّف حين تتبّعه لمعاني الحديث، وصرف مصنّف هذا الكتاب معانيها لتنسجم مع توجّهاتنا في هذا المؤلّف.

الفصل الخامس
في ذكر الأصحاب الذين لم يشهدوا حرب صفّين

سمّى أصحاب رسول الله معاوية لعيناً كما ذكر ذلك صاحب «الرسالة الحاوية» أي الملعون الأبديّ، وهم قد سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بواسطة الوحي.

قال أبو محمّد بن أحمد بن أعثم الكوفيّ في الفتوح: إنّ معاوية وعمراً بن العاص

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) وكأنّ المؤلّف لم يرتض هذا التفسير.

كتبا إلى أهل المدينة: «أجيبوا إلى حرب عليّ رحمكم الله» والسلام، فكتبوا إليه في الجواب: أمّا أنت يا معاوية فطليق لعين، وأمّا أنت يا عمرو فخائن في الدين، فكفّا عن المكاتبة وليس لكما في المدينة وليّ ولا نصير[١].

وأهل المدينة حكّام أهل القبلة وقد لعنوه وهذه المكاتبة كانت قبل حرب صفّين، فلعنه بعد وقوعها أولى وأوجب.

قال المأمونيّ: كتب خالد بن الوليد إلى معاوية: أمّا بعد، فإنّك وثن من أوثان أهل مكّة دخلت في الإسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً[٢].

قال المصنّف: المراد من قوله: «وثن» كأنّه ناظر إلى قوله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ**﴾[٣] فكما أنّ اجتناب الأوثان واجب فكذلك اجتناب معاوية لعنه الله ومحبّته وموالاته حرام.

وجاء في الفتوح بأنّ معاوية كتب إلى عبدالله بن عمر كتاباً ودعاه إلى نفسه ووعده بجعل الخلافة له، وذكر في الكتاب محمّد بن مسلمة وسعد بن مالك في شعر كتبه في أسفل الكتاب:

ثلاثة رهط من صحاب محمّد نجوم ومأوى للرجال الصعالك ..[٤]

---

(١) انظر عزيزي القارئ كيف لعبت يد الخيانة بالنصّ فصيّرته هكذا: أمّا أنت يا معاوية فطليق العيس، تجنّباً منهم لكلمة لعين حذار من أن تصيب معاوية اللعنة، راجع ٢: ٥٤٢ من الفتوح.

(٢) رحم الله المؤلّف كان عليه أن يتحرّى الحقيقة فيما يكتب ولا يقنع بما يرسله الرواة من دون تبصّر، فخالد بن الوليد لعنه الله هلك في عهد عمر بن الخطّاب لعنه الله وهذا الكتاب جرى بين قيس بن سعد وبين معاوية وكان البادئ بالسبّ معاوية، وسمّاه يهوديّ بن يهوديّ، فأجابه قيس: إنّما أنت وثن ابن وثن .. الخ.

(٣) الحج: ٣٠.

(٤) جاء البيت الذي ذكره ابن الأعثم هكذا:

ألا قل لعبدالله واخصص محمّداً فأرسنا المأمون سعد بن مالك

ثمّ ذكر محقّق الكتاب بقيّه الشعر وفيه البيت الذي ذكره المؤلّف. (الفتوح ٢: ٥٤٤)

فكتب عبدالله بن عمر في جوابه: يا معاوية، إن نفسك حدّثتك أنّي أترك عليّاً والمهاجرين والأنصار ـ في المهاجرين والأنصار ـ وأتبعك، وأجاب عن شعره:

أتـطمع فـينا يـابن هـند سـفاهة علـيك بعليا حمير والسكـاسك..[1]

والسكاسك جمع سكسك وهو ابن حمير ابن سبأ يضرب به المثل لكلّ كـريم. وقوله سفاهة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2]. وقال المأموني: أعطى النبيّ عبدالله بن عمر سيفاً وقال: سله من غمده على الكافرين، فوقع في شبهة من أمرهولم يعلم أنّ أهل البغي بحكم الكفّار وقال عند مـوته: مـا شيء فاتني من الدنيا إلّا أنّي لم أُقاتل مع عليّ أهل البغي[3].

وسُئل الأحنف بن قيس: أكان معاوية حليماً؟ فقال: لو كان حليماً لما سفه الحقّ، وأشار إلى هذه الآية: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[4].

وكذلك قال ـ يعني المأموني ـ أنّ القاضي شريح سُئل عن حلم معاوية، فقال: هل كان معاوية إلّا سـفيهاً بـل كـان مـعدن السـفاهة. ثمّ قـال: لمّـا بـلغه مـقتل أميرالمؤمنين استوى جالساً وكانت له جارية تغنّيه وكانت تخفي إيمانها، فاستدعاها وقال: يا جارية غنّ اليوم قرّت عيني، فقالت الجارية: ما الخبر السعيد اليوم، فقال معاوية: قُتل أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، فقالت الجارية: لاغنّيت بعد اليوم،

---

(١) أمر ابن أبي عزة أن يجيب عنه بأبيات وأوّلها:

معاوي لا ترجو الذي لست نائلاً وحاول بصيراً عند سعد بن مالك

نفسه (ص٥٤٤ و ٥٤٥).

(٢) البقرة: ١٣.

(٣) الفضل بن شاذان، الإيضاح: ٣٦٩، المسترشد: ٦٦٤، شرح الأخبار ٢: ٥٢٦، النصائح الكـافية: ٤٠، قال: ما آسى على شيء إلّا أن أكون قاتلت الفئة الباغية.. علي الشهرستاني، وضوء النـبي: ٢٤٣.

(٤) البقرة: ١٣٠.

فأمر بضربها ضرباً مبرحاً بالسوط، إلى أن قالت: كفّوا عنّي ثمّ أنشأت تقول:

وكـنّا قـبل مـهلكه زمـاناً ... نـرى نـجوى رسـول الله فـينا
ألا أبـلغ مـعاوية بـن حـرب ... فـلا قـرّت عـيون الشـامتينا
أفي شهر الصيام فـجعتمونا ... بـخير النـاس طُـرّاً أجـمعينا
قتلتم خير من ركب المـطايا ... وأكرم كلّ مـن ركـب السـفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومـن قـرأ المـثاني والمـئينا
فـــلا والله لا أنســـى عـــليّاً ... وطول صـلاته فـي الراكـعينا
فلا تفخر مـعاوية بـن حـرب ... فـإنّ بـقيّة الخـلفاء فـينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنّك شـرّهم حسـباً وديـناً

وكان إلى جانب معاوية عمود فضرب رأس المسكينة حتّى استشهدت رحمة الله عليها[1].

وجاء في رسالة الحاوية: إنّ أعرابيّاً سألوه: أتحبّ معاوية؟ فقال: وجدت له أربعاً فكيف أُحبّه؟ قيل: وما تلك الأربعة؟ قال: سلّ أبوه السيف على رسول الله في ثمانين حرباً، وأكلت أُمّه هند كبد الحمزة، وقطع ابنه رأس سبط النبيّ الحسين عليه السلام، وقتل هو الحسن بالسمّ وحارب وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكر صاحب الحاوية الحكاية التالية أنّ جنّيّة أسلمت فكانت تأتي مجلس النبيّ كلّ يوم فغابت ثلاثة أيّام سويّاً، فلمّا عادت سألها النبيّ صلى الله عليه وآله: ما أبطأك عنّي منذ ثلاثة أيّام؟ فقالت: نفست ابنة عمّ لي في الظلمات فذهبت لأقضي ما يجب من حقّها، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: وماذا عرض لك في الطريق؟ فقالت: اجتزت بالبحر

---

(١) الشعر لأبي الأسود الدئلي، وقيل: لأروى بنت أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب، فكيف بلغ المغنّية قبل أن يقتل الإمام وقد قيل الشعر بعد شهادته لست أدري.

السابع فرأيت إبليس جالساً على صخرة رافعاً يديه وهو يقول: اللهمّ إنّك أقسمت على نفسك لتعذّبني بالنار، اللهمّ فخذ رضاء نفسك من نفسي وأدخلني في عظيم عفوك، اللهمّ بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين افعل بي ذلك، فقال النبيّ ﷺ: سلوا بنا فلو أنّ أحدكم حين يدعو السماوات والأرض فيقول لهما: آتينا طوعاً، فقالت السماوات والأرض: أتينا طائعين.

قال صاحب الحاوية: ما أعجب حال إبليس وهو أخبث مخلوق حين قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[١] إلّا معاوية فإنّه أخبث من إبليس فإنّه صحب الفسّاق والمجان وأصحاب الدعارات وعادى أوصياء رسول الله وحاربهم وآذاهم.

قال الحاكم المفسّر[٢] في كتابه «الكشّاف» عن أبي أمامة: إنّ المراد بقوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٣] معاوية وجنوده.

ومذهب أهل الأُصول: إنّ جوار أهل الكتاب جائز وجوار أهل البغي لا يجوز.

وقول القائل: اللعنة على معاوية ومن بايعه وشايعه ونصره فإنّها أوكد وألزم من لعنة الكفّار لأنّ الشبهة في الكفّار مرتفعة فيجوز ترك لعنهم، وأمّا أهل البغي وخصوم أهل البيت (والسلفيّة والوهّابيّة وابن تيميّة ومحمّد بن عبدالوهّاب وأحمد ابن حنبل وأئمّتهم الثلاثة في الحكم والثلاثة في الفقه ـ المترجم) فإنّ ترك لعْنهم يوجب حصول الشبهة فيجب إظهار لعنهم حينئذٍ يعلم الناس شقاوتهم (وهو

---

(١) ص: ٨٢و٨٣.

(٢) لم يسمّه المؤلّف ولكن بقوله «المفسّر» ميّزه عن الحاكم المحدّث صاحب المستدرك.

(٣) آل عمران: ١٠٦.

أفضل الصدقات ..[١] قال رسول الله ﷺ: من ليس له صدقة فليلعن اليهود[٢] فتبيّن أنّ لعنهم أفضل الصدقات.

قال قاضي القضاة في أحكام البغاة: كما أنّ الاقتداء في أحكام الكفّار برسول الله لأنّه الأمين الثقة فكذلك في أحكام البغاة الاقتداء بعليّ عليه السلام لأنّه الأمين الثقة، فإنّ فعله وحكمه وتقريره مصدر أحكامنا عليهم وفيهم، لأنّه كان على الحقّ لأنّ الرسول قال فيه: إنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور كما دار، لا يفترقان حتّى يردا الحوض.

وجاء في الرسالة الحاوية، في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[٣] وهي: يا حامد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ علي، ويا فاطر بحقّ فاطمة، ويا محسن بحقّ الحسن، ويا قديم الإحسان بحقّ الحسين عليهما السلام فاغفر لي، فتاب عليه.

وقال أيضاً: إنّ النبيّ ﷺ بعث عليّاً مع سعد بن مالك بصدقات، فاستأذن سعد عليّاً في ارتحال إبل الصدقة فأبى عليه ذلك، ثمّ غالب عليّ عليه السلام لحاجة واستناب عنه رجلاً، فلمّا عاد رأى ظهر ناقة منها قد مسّه الرحل، فقال: من ركبها؟ فقال: «أنا»، فقال: بإذن من؟ قال: بإذن خليفتك، فغرّمه أمير المؤمنين عليه السلام، فشكى سعد عليّاً إلى رسول الله ﷺ، ضرب رسول الله ﷺ بيده على فخذ سعد وقال: لا تكره أخاك لدينه.

---

(١) وهذا هو مذهبي الذي أدين به ربّي لأنّنا حين تركنا لعنهم صارت لهم نوع هيبة في القلوب فلابدّ من إعادة لعنهم لتكسر هذه الهيبة الكاذبة.

(٢) كنز العمّال ١٥: ٤١٤، تاريخ بغداد ١: ٢٧٤ و١٤: ٢٧٢، تهذيب الكمال ٣٢: ٣٧١، تهذيب التهذيب ١١ لله ٣٤٨، لسان الميزان ٣: ٣٣١، تاريخ جرجان: ٣٢٣، ميزان الاعتدال ٢: ٤٨٦ و٤: ٤٥٤، الكشف الحثيث: ١٥٩.

(٣) البقرة: ٣٧.

جاء إلى المدينة إمام أهل الشام شرحبيل تلميذ معاذ بن جبل برسالة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ، ونزل ضيفاً على الإمام الحسين عليه السلام ، وكان في أيّام عيد الأضحى ، فخرج أميرالمؤمنين عليه السلام للصلاة وعليه قميص بلا جيب ، قصير الكُمّين ، وعليه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي يده القضيب المشوق ، فقال شرحبيل في نفسه : اليوم أرى خوان عليّ ما لونه ؟ فلمّا حضر الخوان وجد فيه خبز شعير بنخالته لم ينضح تماماً ، فأكل منه أميرالمؤمنين عليه السلام ، فأشار أميرالمؤمنين إلى الحسن قائلاً : أطعم ضيفك بما تطعم به الناس ، فما كان في بيته شيء ، فاستعار من بيت المال قليلاً من العسل ، فمنعه أميرالمؤمنين عليه السلام منه ، فقال الحسن عليه السلام : أخذته من حصّتي .

فقال شرحبيل : حضرت يوماً مع الحارث بن الأعور عند معاوية ، فأحضروا له أربعين لوناً من الطعام ، فعجب الحارث من ذلك ، وأخيراً حضروا طبقاً من البلور مليئة بالطعام فأكل الحارث منه لقمة فلم يدر ما هو ؟ فقال معاوية : هذا مخّ العصافير فيه دهن البلسان فكُل منه فإنّه طيّب نافع للباه ، فحسب شرحبيل أنّ خوان عليّ كذاك الخوان ولكنّه رأى ما رأى .

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام وهو في حرب صفّين يحمل معه أربعين منّاً من دقيق الشعير ، ولمّا عاد فضل منه الكثير .

وروى بعض الصحابة أنّ أميرالمؤمنين كان يصلّي معظم الليل في صفّين وكذلك أكثر أصحابه ، وكنت في جوار خيمته حتّى فرغ من الصلاة وصلّى صلاة الصبح ، اعتلى صهوة جواده فتقدّمت إليه فقال : هل عندك طعام قليل ؟ فقدّمت له قليلاً من خبز يابس وتمراً ووضعته على عنق فرسه حتّى أفطر ، وكان عليه قبل اليوم صائماً دائماً إلّا اليوم فقد حملته الضرورة على الإفطار لأنّه لم يذق طعاماً ليلاً ، وكانت سيرته على هذا المنوال فكيف يقال عن حربه أنّها كانت من أجل الدنيا أو الحكم والرئاسة ؟!

وكتب أميرالمؤمنين إلى معاوية: أتدعوني يابن آكلة الأكباد إلى كتاب الله وأنتم به كافرون؟

وجاء في كتاب الفتوح أنّ الإمام عليّاً عليه السلام سمّاهم: بقيّة الأحزاب، أي البقيّة الباقية من جيش مكّة الذي حارب في الخندق، واعتبرهم بمثابة قوم عاد وثمود الذين حاربوا أنبيائهم عليهم السلام. وقال أبو علي: يريد عليّ عليه السلام بذلك بقيّة أصحاب الخندق.

ولمّا كتب عبدالله بن أبي رافع عقد الصلح معهم كان كما يلي: هذا ما صالح عليه أميرالمؤمنين عليه السلام أبا الأعور السلميّ، فقام من أصحابه قوم وقالوا: لو عرفناك أنّك أميرالمؤمنين ما قاتلناك، فأمر أن يكتب الكتاب باسمه، وقال عليّ عليه السلام: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، لمّا كان يوم الحديبيّة كتبت: هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: لو أقررنا بأنّك رسول الله ما قاتلناك، فأمرني أن أكتب: محمّد بن عبدالله، وقال: يا علي، إنّ لك يوماً كيومي، واتّخذ رسول الله عليّاً كنفسه وأصحابه كأصحابه.

وإنّما سمّاهم أميرالمؤمنين عليه السلام بقيّة الأحزاب لأنّه كان متقلّداً في صفّين سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه سبعون ألفاً من الصحابة والتابعين مثل أويس القرني والربيع ابن خيثمة.

ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: سيروا إلى بقيّة الأحزاب، سيروا إلى أهل الشام العماة الطغام، سيروا إلى أولياء الشيطان وأعداء السنّة والقرآن، فقد أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال عمّار:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سيروا بخير الناس أتباع علي

وكانت أعداد بقيّة الأحزاب مائة وثمانين ألفاً.

وجاء في الفتوح بأنّ أصحاب عليّ عليه السلام عطشوا وهم في طريقهم إلى صفّين (واحتاجوا إلى الماء، وإذا براهب في صومعته، فدنا منه عليّ عليه السلام وصاح به فأشرف عليه، فقال له عليه السلام: هل تعلم بالقرب منك ماءاً نشرب منه؟ فقال: ما أعلم ذلك، وإنّ الماء ليمل إلينا من قريب من فرسخين. قال: فتركه عليّ عليه السلام وأقبل إلى موضع من الأرض فطاف به ثمّ أشار إلى مكان منه فقال: احفروا هنا، فحفروا قليلاً وإذا هم بصخرة صفراء كأنّما طليت بالذهب وإذا هي على سبيل الرحى لا ينتقلها إلّا مائة رجل، فقال عليّ عليه السلام: اقلبوها فالماء من تحتها، فاجتمع الناس عليها فلم يقدروا على قلبها.

قال: فنزل عليّ عليه السلام عن فرسه ثمّ دنا من الصخرة وقال: بسم الله، ثمّ حرّكها ورفعها فدحاها ناحية، قال: فإذا بعين من الماء لم ير الناس أعذب منها ولا أصفى ولا أبرد، فنادى في الناس أن هلمّوا إلى الماء. قال: فورد الناس فنزلوا وشربوا وسقوا ما معهم من الظهر وملأوا أسقيتهم وحملوا من الماء ما أرادوا ثمّ حمل عليّ الصخرة وهو يحرّك شفتيه بمثل كلامه لأوّل حتّى ردّ الصخرة إلى موضعها..)(١) [فدلّهم الراهب على عين ماء «فاستخرجها عليّ عليه السلام» فأعطاه الراهب كتاباً بخطّ عيسى وقيل بخطّ شمعون وإملاء عيسى وقيل ليس في الدنيا من هو أملح خطّاً من عيسى عليه السلام، لأنّ معلّمه الله تعالى، والرسالة هي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قضى فيما مضى وسطر فيها سطر أنّه باعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم الكتاب والحكمة ويدلّهم على سبيل الرشاد

(١) هذا ما ذكره صاحب الفتوح (٢: ٥٧٥) وأمّا ما ذكره المؤلّف فيختلف تماماً عن هذا لأنّه زعم أنّ الراهب هو الذي أرشد الإمام إلى الماء، وعند صاحب الفتوح أنّ الراهب نفسه كان يشرب من مكان يبعد فرسخين عن ديره، ولست أدري إن كانت الرواية محذوفة من الفتوح أم أنّ المؤلّف تساهل بالنقل، وانظر الرواية التي ساقها المؤلّف في المتن.

ولا يكون فظّاً غليظاً ولا سخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيّئة السيّئة ولكن يعفو ويصفح أمته (الحمّادون) لأنّهم الذين يحمدون الله على كلّ حال في هبوط الأرض وصعودها، ألسنتهم مديدة بالتسبيح والتحميد، ينصرون الله على من ناوأه، فإذا توفّاه اختلفت أُمّته من بعده، فيمرّ بهذا النهر صالح يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فمن أدرك هذا النبيّ فليؤمن، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّه وصيّ خاتم النبيّين والقتل معه شهادة][1].

والشهيد في الحقيقة من قتل بأيدي الكفّار، فظهر من هذا بأنّ معاوية وجيشه من الكفّار.

فأسلم ذلك الراهب وسار مع أصحاب رسول الله إلى حرب معاوية واستشهد في صفّين فطلبه الإمام من بين القتلى فلمّا وجده صلّى عليه ودفنه وقال: هذا منّا أهل البيت.

وكان مالك الأشتر يبكي في صفّين، فلمّا سُئل عن الأسباب قال: أخشى أن لا أنال درجة الشهادة.

وجاء في الفتوح، قال: وأصبح الناس وطلعت الشمس وذلك في يوم الخميس، ودعا عليّ عليه السلام بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله فلبسه، وبسيف رسول الله صلى الله عليه وآله فتقلّده، وبعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله فاعتجر بها، ثمّ بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله فاستوى عليه، وجعل يقول: أيّها الناس، من يبع نفسه يربح هذا اليوم فإنّه يوم له ما بعده من الأيّام، أما والله أن لولا أن تعطّل حدود الله وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه، ألا وإنّ خضاب النساء الحناء،

---

(١) ما وضعناه بين حاصرتين هي رواية المؤلّف والكتاب وصحبة الراهب للإمام وشهادته مرويّة في الفتوح ص٥٧٧ و٥٧٨ مع اختلاف يسير بينهما.

وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأمور، ألا إنّها إحن بدريّة وضغائن أُحديّة وأحقاد جاهليّة وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر[١] بها ثارات بني عبد شمس.. فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون[٢].

ولمّا اشتدّ القتال صاح صيحة واحدة: الفرار من الحرب ارتداد عن الحقّ رغبة عن الإسلام، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ﴾[٣].

وتلى أميرالمؤمنين في صيحة القتال هذا الدعاء وهو مناجات شعيب النبيّ عليه السلام: اللهمّ إليك نقلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب ورفعت الأيدي ومُدّت الأعناق وطلب الحوائج وشخصت الأبصار، ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.

وقتل في هذا اليوم من الجانبين ستّة وأربعون رجلاً.

وذكر قاضي القضاة في كتاب المحيط: إنّ عليّاً عليه السلام لم يبدأهم بقتالٍ حتّى قُتل عمّار ابن ياسر رضوان الله عليه، فلمّا قتلوا عمّاراً يوم السادس والشعرين أجرى عليهم حكم الكفّار وصار يبدأهم بالقتال، فقتل في ليلة واحدة خمسمائة وثلاثين من أصحاب معاوية، وفي كلّ ضربة يكبّر تكبيرة واحدة كما هو الشأن في قتال الكافرين.

وقال عليّ عليه السلام: من أصابه سيفي فهو في النار.

وجاء في الفتوح: إنّ عليّاً خرج بين الصفّين فبارزه واحد فصرعه، ثمّ آخر حتّى

(١) أجدر بها أن تكون «ليدرك بها ثارات» الخ.

(٢) الفتوح ٣: ١٧١ و١٧٢.

(٣) الأنفال: ١٦.

أهلك أربعة منهم، ثمّ صاح: يا معاوية، أخرج إلى مبارزتي فيسرّ به الناس، فقال معاوية: أوما يكفيك أربعة فتطلب خامساً.

فقال رجل: إذا أباها معاوية فأنا أخرج إليه، ثمّ خرج ودعا إلى المبارزة، فقال الأصحاب: يا أميرالمؤمنين، نحن نكفيك هذا الكلب، قال: يريد القتل منّي، فصرعه، وقال: انطلق يا عدوّ الله فأخبر قومك بما رأيت، فوالذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّه عاين النار وأصبح من النادمين، وحكم هذا اللعين حكم عاقر ناقة صالح ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[1] وحكم قابيل بن آدم، ولم يقل ذلك عليّ غضباً لنفسه إذ أنّ عليّاً لم يقاتل لنفسه بل لم يفعل شيئاً لها.

وقال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: إنّ ما بينك وبين عليّ من الخصومات يحملك على مبارزته، فخرج عمرو بن العاص وطلب البراز من عليّ عليه السلام، فخرج إليه أميرالمؤمنين وقال: أتحمل عليَّ أم أحمل عليك؟ فقال عمرو: بل أنت فاحمل عليَّ لأنّك عليّ بن أبي طالب، فلمّا حمل عليه رمى بنفسه إلى الأرض وكشف عورته، فولّى الإمام عليه السلام وجهه عنه، وقام عمرو بن العاص هارباً هارباً إلى خيمة معاوية، فلامه معاوية على فعلته، فقال: إنّي فعلت فعلاً أوقفني قبالة عليّ حتّى كشفت له سوئتي، فافعل أنت فعلي إن قدرت على ذلك، وفعل بسر بن أرطاة نفس الفعل، فقال غلام من أهل الشام:

أفي كلّ يوم فارسٌ ذو كريهة ... له عورة وسط العجاجة باديه

يكفّ بها عنه عليّ سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاويه

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: كان الحقّ يدور مع عمّار حيثما دار.

وكان عمّار يقول يوم شهادته: أنا مقتول في يومي هذا، وودّع أصحابه وأوصى

---

(١) الشعراء: ١٥٧.

بوصاياه، وكان عمره يوم مقتله أربعاً وسبعين سنة.

ولمّا رأى عمّار عليه السلام راية معاوية، قال: إنّ هذه الرايات قاتلناها مع رسول الله وهذه رابعة وما هي بخيرهنّ ولا أبرّهنّ[1]، ألا وإنّي مقتول في يومي هذا فألحقهم بالأوّلين، ثمّ إنّ عمّاراً ألحقهم بالكفّار الذين قاتلوا النبيّ في أوّل الدعوة.

قصّة قيس بن سعد بن عبادة

كان سعد الرجل الذي فضّله الأنصار على أبي بكر وقدّموه عليه، أمّا قيس ولده فكان من عمّال النبيّ صلى الله عليه وآله وأرسله رسول الله يوماً مع أبي رعال[2] لجمع الصدقة إلى الطائف وقال: اللهمّ اجعل بركاتك على آل سعد بن عبادة. فقال قيس: نحن بين يدي أعلام جبرئيل عن يمينها، وعن يسارها ميكائيل، وأنتم بين يدي أعلام عن يمينها أبو جهل وعن يسارها أبو لهب، وكان اصحاب عليّ من هذا الطراز.

ولعن أميرالمؤمنين معاوية بهذه الأُرجوزة، فقال:

ما كان يرضى أحمد لو خبّرا   أن تعدلوا وصيّه والأبترا

شاني النبيّ ولعيناً آخرا   كلاهما في جنده قد عسكرا

قد باع هذا دينه وافتخرا   من ذي بيعة قد خسرا..[3]

أشار بلفظ الأبتر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[4] النازلة في شأن

---

(١) لم تمكن قراءة الكلمتين عند المؤلّف فصحّحتها من شرح ابن أبي الحديد ٥: ٢٥٧.

(٢) لم يرد فيمن عرف بكنيته من أصحاب النبيّ أحد بهذه الكنية.

(٣) أحسبها هكذا: «من باع ذا بدينه قد خسرا» وقد جاءت عند محقّق ابن أبي الحديد هكذا: «من ذا بديناً قد خسرا» راجع ١: ١٤٨ من شرح ابن أبي الحديد.

(٤) الكوثر: ٣.

العاص بن وائل وآله عمرو بن العاص واللعين الآخر معاوية.

وقد كان عمرو بن العاص لعنه الله هجى رسول الله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله ﷺ: اللهمّ لا أحسن الشعر، فالعنه بكلّ بيت ألف لعنة.

قال بشر بن المعتمر:

تبرّا من عمرو ومن معاويه ومن بغاة في الزمان غاليه

تبرّأ أوّلاً ن الأصنام وثانياً من معاوية الوثن وعمرو بن العاص الوثن وعابدي الوثن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (١).

وذكر صاحب الفتوح قال: خرج رجل من أهل الشام حتّى وقف بين الصفّين ثمّ نادى بأعلى صوته: يا أبا الحسن، إنّي أُكلّمك، قال: فخرج إليه عليّ عليه السلام حتّى اختلف أعناق فرسيهما، فقال له الشاميّ: يا أبا الحسن، إنّ لك فضلاً وقدماً في الإسلام وهجرة وسابقة وإخوة وقرابة من رسول الله ﷺ، فلا يساميك أحد ولا يدانيك، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن دماء هذه الأُمّة وتأخير هذه الحروب إلى أن ترى في ذلك رأيك؟ فقال عليّ عليه السلام: وما ذاك؟ قال: أن ترجع إلى عراقك ونرجع إلى شامنا، فنخلّي بينك وبين العراق، وتخلّي بيننا وبين الشام، فقال عليّ عليه السلام: لقد علمت أنّك إنّما عرضت هذه نصيحة وشفقة ولكن قد أهمّني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينه، فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما أنزل الله عزّوجلّ أو يرضى من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوت؟ مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتلا أهون عليَّ من معالجة الأغلال في نار جهنّم. قال: فرجع الشاميّ وهو يقول: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون(٢).

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الفتوح ٣: ١٥٤ و١٥٥.

والدليل على ذلك أنّ الله تعالى لعن أهل الكتاب بتركهم الأمر بالمعروف حيث قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١).

وجاء في الحاوية: ولمّا كان ترك عليّ حرب معاوية يؤدّي إلى الكفر فما حال من يرتكب، هذا الفعل معه.

قال محمّد بن الحنفيّة: خاطبت معاوية وقومه وأشرت إليه بقولي: حثواً يا ذرّيّة النفاق وحثوا النار ويا حطب جهنّم عن الأسل النافذ والنجم الثاقب والقمر الباهر والصراط المستقيم، تدرون ويلكم بأيّ عقبة تسيمون؟ وأيّ واد تقتحمون؟ وبصنو رسول الله تستهزؤون، كلّا سوف تعلمون، كلّا سوف تعلمون.

واستأذن عمرو بن العاص عمّاراً أن يكلّمه، فأعطاه الأمان، فابتدأ قائلاً: أشهد أن لا إله إلّا الله، فقال عمّار: اسكت، فلست من أهل الشهادة، فقد تركتها على عهد رسول الله ﷺ واخطب خطبة الجاهليّة وقل قول من كان في الإسلام ذَنَباً وفي الكفر رأساً، وهذا الكلام من عمّار دليل على نفاق ابن العاص، واقتدائنا بأصحاب النبيّ الكبار (المنزّهين) من الواجبات.

الفصل السادس

في إقرار أهل البغي ببغيهم

لمّا أعطى معاوية الحسن ثلاثة آلاف درهم أنكر عليه ذلك يزيد، فقال معاوية: يا بنيّ، الحقّ والله حقّهم فلا نردفهم على ركوبهم.

ولمّا ضربت معاوية اللقوة، قال: عقوبة عجّلت، إنّي دفعت عليّاً من حقّه.

---

(١) المائدة: ٧٨ و ٧٩.

وقال ليزيد: إنّي دفعت عليّاً عن حقّه وحملت الوزر على ظهري.

كان لابن العاص جار أمويّ فسأله عن حال عليّ حين راسله معاوية ودعاه إلى نفسه، فقال: إنّ معاوية يدعوني إلى أمر عظيم فإنّه يدعوني إلى قتال عليّ، ومن حاربه فكأنّما حارب رسول الله، فإنّه أخوه ووزيره ووصيّه وأحقّ الناس بالخلافة، وفي قتاله هلاك الدين، ولا عوض من ذلك ولو كانت الدنيا كلّها.

فأجاب: فأمّا دعوتي إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي والتهوّر في الضلالة معك وأعانتي إيّاك على الباطل واختراط السيف على وجه عليّ عليه السلام وهو أخو رسول الله ومنجزه وعده ووصيّه ووارثه وقاضي دينه وزوج ابنته سيّدة نساء العالمين وأبو السبطين سيّدي شباب أهل الجنّة. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بني النضير: عليّ إمام البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول من خذله[1].

ونزل في حقّه آيات كثيرة، وذكرها ابن العاص، ولكنّه لمّا أطمعه بمصر نسي هذا كلّه ووعظه ولده عبدالله وغلامه وردان فلم يتّعظ، وقال له وردان: يا مولاي، إنّ مع عليّ الآخرة ولا دنيا معه، ومع معاوية الدنيا ولا آخرة له ولا لمن معه، والآخرة تبقى لك والدنيا لا تبقى لك فاختر أيّهما شئت..[2]. فقال عمرو بن العاص:

---

(١) الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمّي: ١٥١، بحار الأنوار ٣٣: ٥٣، الجامع الصغير ٢: ١٧٧، كنز العمّال ١١: ٦٠٢ رقم ٣٢٩٠٩، مناقب ابن شهر آشوب: ٢٠٠، نهج الإيمان: ٤١٦، كشف اليقين للعلّامة الحلّي: ٢٣، ينابيع المودّة ٢: ٧٨ و٩٦ و٢٣٨ و٢٨٥ و٤٠١، النصائح الكافية لابن عقيل: ٩٥.

(٢) جاء الخبر في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١١٦ على النحو التالي: ثمّ دعا غلاماً له ـ عمرو ـ يقال له وردان وكان داهية، فقال له عمرو: يا وردان، احطط، يا وردان ارحل، يا وردان احطط، يا وردان ارحل، فقال وردان: أمّا إنّك إن شئت نبّأتك بما في نفسك، فقال عمرو: هات يا وردان، فقال: اعتركت الدين والآخرة على قلبك، فقلت: مع عليّ الآخرة بلا دنيا، ومع معاوية الدنيا بغير ⟵

قاتل الله ورداناً وفطنته، لقد أصاب الذي في قلبه (قلبي) فقال وردان:

أمّا عليّ فدين ليس يشركه ... دنياً وذاك دين وسلطان (كذا)

فاخترت من طمعي دنيا على بصر ... وما معي بالذي اخترت برهان

إنّي لأعرف ما فيها وأبصره ... وفيّ أيضاً لما أهواه الولدان

لكن نفسي لحبّ العيش في شرف ... وليس يرضى بذلّ النفس إنسان[1]

ولمّا وصلوا إلى مفترق الطريق، قال له غلامه: يا مولاي، هذا طريق الدنيا، وهذا طريق الآخرة.

وكتب أميرالمؤمنين في صفّين إلى ابن العاص:

لأصبحنّ العاص وابن العاص ... سبعين ألفاً عاقدي النواصي

مستقبحين خلق الدلاص ... قد جنّبوا الخيل مع القلاص

أسداً وقيل حين لا مناص

فأجابه ابن العاص:

ما أنا بالعاصي ولا ابن العاص ... خوّفتني بلابسي الدلاص

بل مشعر من غالب مصاص ... وقائدي الخيل مع الدلاص

أهون بقوم في الوغى نكاص ... إذا رأونا ننفض النواصي

هذا قوله! وفي الحرب يكشف عن سوأته خوفاً من سيف عليّ عليه السلام.

وجاء في الفتوح: إنّ النعمان بن جبلة قال لمعاوية: رميتنا بين السيوف الحداد والسمر الصعاد من أجل دنياك، وإنّا اخترنا النار على هواك طلباً للدنيا، وأخذ

آخرة، فإنّي واقف بينهما. فقال عمرو: ما أخطأت ما في نفسي، فما ترى يا وردان؟ فقال: أرى أن تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك... الخ.

(١) الشعر لركاكته لا يستحقّ التصليح.

يقاتل وهو يقول: إنّا سنقاتل عن الغوطة إن حرمنا الجنّة.

قال مصنّف هذا الكتاب: وإنّما ترك بعض الصحابة الإمام أميرالمؤمنين واتّجهوا وجهة أخرى طلباً للدنيا لا للجنّة، وقال الباقر عليه السلام: إنّما سمّيت الغوطة غوطة لأنّ آدم يغوط بها(١).

قال عمرو بن العاص يوماً لولده عبدالله: هل ترى عليّاً؟ قال: ذاك عليّ على فرس رسول الله صلى الله عليه وآله، فتنفّس الصعداء وقال: يا بنيّ ليس هذا بذات السلاسل ولا بكذا وكذا، يا ليتني كنت عن هذا المجلس بعد المشرقين. فقال ابنه: وما يمنعك؟ قال: حبّ الدنيا.

قال داود البكريّ: كنت مع عتبة بن أبي سفيان ولمّا رأى رايات علي وأهل بيته عليهم السلام قال: هذه رايات رسول الله صلى الله عليه وآله فلا حاربت هؤلاء أبداً فعيّره رجل فقال له عتبة: كأنّك لست من الإسلام في شيء....

وجاء في الفتوح: إنّ رجلاً طلب مبارزة عليّ عليه السلام، فقال له الإمام: لأُدخلنّك النار يابن آكلة الأكباد، فقال ذاك اللعين: ستعلم من منّا يدخل النار، فتناوله عليّ عليه السلام برمحه وعلّقه في الهواء، فصاح ذاك اللعين: يا أميرالمؤمنين، لقد رأيت نار جهنّم فأصبحت من النادمين.

قال صدر الأئمّة الماوراء النهري: إنّ عليّاً عليه السلام قال: أنا قاضي دين رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى كان عليه دين ثمانون ألف دينار فاستعنت الله على أدائها فأدّيتها إلّا قليلاً منها أوصيت الحسن بأدائها بعد وفاتي، وهذا معنى قول رسول الله: قاضي ديني.

---

(١) أجلّ الإمام الباقر روحي فداه من هذا القول، والغوطة هي الأرض المنخفضة ومنها أخذ الغائط والمتغوّط وما شابه ذلك أكرمك الله.

الفصل السابع
في البدع التي أحدثها معاوية

ورد في الحديث: لعن الله من غيّر منار الأرض[١]. قال الحاكم المفسّر: يعني بمنار الأرض أحكام الشرع.

قال أبو يوسف بن إبراهيم بن جنيس الأنصاريّ صاحب أبي حنيفة في مجلس فقهه ودرسه: أوّل من قاد الفئة الباغية معاوية لعنه الله، وأوّل من حكم بخلاف حكم رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، لأجل زياد نسبه إلى أبيه أبي سفيان من فراش أبيه الذي ولد عليه.

وقاتل أوّل مؤمن، لم يكفر بالله طرفة عين بعد إسلامه ولا زنا بعد إحصانه وهو حجر بن عدي أخو الطرمّاح[٢].

ومعاوية أوّل من أُهدي إليه رأس مسلم وهو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي، وأوّل من جلس على العرش في الإسلام كالأكاسرة والفراعنة[٣]، وأوّل من صالح المشركين من غير أن يأخذ الجزية، وأوّل من باع الأصنام وجعل للأصنام ثمناً، وأوّل من استعمل الحرس وباع أسرى المسلمين، وأوّل من جعل الحكم وراثة وأورثه إلى ولده، وقتل ولدي قثم بن العبّاس بيد بسر بن أرطاة لعنهما الله، وهذا ما

---

(١) السنن الكبرى ٦: ٩٩، فتح الباري ١٠: ٣١٤، مصنّف عبدالرزّاق ١١: ١٣٧، أُصول السرخسي ٢: ٣٠٤، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤: ٣٦٨ و ٥: ١٢٧، تاج العروس للزبيدي ٣: ٥٨٨ ومعنى منارها: أي أعلامها أراد من غير تخوم الأرضين وهو أن يقتطع طائفة من أرض جاره ويحول الحدّ من مكانه. وقال ابن الأثير: المنار جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدّين.

(٢) لم أعثر على قائل لهذا القول لأنّ الأوّل كنديّ من اليمن والثاني طائيّ... فكيف يلتقيان.

(٣) عمر بن الخطّاب لعنه الله شجّعه على ذلك.

أملاه أبو يوسف كما ورد في الحاوية.

أمّا قوله: أوّل من قاد الفئة الباغية، قال ابن عبّاس: كنّا في حائط أبي سعيد الخدريّ وجرى حديث بناء مسجد النبيّ ﷺ، قال: كنّا نحمل لبنة لبنة وكان عمّار يحمل اثنتين اثنتين، فجاء النبيّ ونفض التراب عن ظهر عمّار ونظفه له وقال: ألا تحمل كما يحمل أصحابك؟ فقال عمّار: أُريد الأجر من الله، فيجعل رسول الله ينفض التراب عنه ويقول: ويحك تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك إلى النار.

وكان عمّار من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1]، ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾[2] الآية، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾[3] وقوله: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[4] وقوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[5] وقوله في حكاية: ﴿أَهَٰؤُلاَءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[6]، وقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلاَءِ لَضَالُّونَ﴾[7] كما قال المفسّرون وهو رابع أربعة أسلموا وله من العمر أربع وعشرون سنة، وأُمّه أوّل شهيد في الإسلام واسمها سميّة، وقال رسول الله ﷺ في حقّها: أوّل من استشهد في

---

(١) الواقعة: ١٠ و١١.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) النحل: ١١٠.

(٤) الأنعام: ٥٢.

(٥) الأنعام: ٥٤.

(٦) الأنعام: ٥٣.

(٧) المطففين: ٣٢.

أُمّتي امرأة ـ ويعني بها سميّة عليها السلام ـ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ﴾(١) النساء: أُمّ عمّار سميّة، والرجال ياسر أبوه.

وعمّار استشهد على يد كافر ليس أقلّ من أبي جهل الذي قتل والدي عمّار واستشهدا على يديه وسبب ذلك: لمّا هاجر النبيّ إلى المدينة تبعه أصحابه فلمّا علم المشركون بذلك أخذوا عليهم المراصد والطرق، فمن قبضوا عليه خارج مكّة أوسعوه ضرباً حتّى يسبّ النبيّ ويرجع إلى مكّة فقبض عليهم أبو جهل لعنه الله وطلب منهم أن يلعنوا النبيّ فأبوا ذلك أشدّ الإباء، فجرّد ياسر وسميّة من ثيابهما وراح يضربهما حتّى اختارا الشهادة ولم يطيعاه فيما طلب وقال ياسر: بحقّ نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله إذا خرجت روحي من بدني فحوّل وجهي إلى القبلة، فوضعوا في عنق ياسر وسميّة حبلين علّقوهما فأرسل الله الملائكة حوّل وجهيهما إلى القبلة عند الموت وأخبر نبيّه بما جرى عليهما(٢).

وقبض على عمّار بعد شهادة والديه وقال: العن... وإلّا فعلت بك ما فعلته بأبويك، فقال عمّار ما أرادوه منه ونجى من قتلهم، واختار الطريق الملتوي على الصراط المستقيم وأقبل ينحو المدينة، ولمّا دنى من المدينة هبط جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وأخبره بأنّ عمّاراً قادم، فخرج النبيّ بأصحابه يستقبلونه وقال النبيّ: إنّ الملائكة وضعت أجنحتها على الأرض لعمّار وخرج الصحابة حفاة لاستقبال عمّار ولمّا رأى عمّار رسول الله انخرط بالبكاء، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما بك يا عمّار؟ فقال عمّار: يا رسول الله، أبكاني الفراق والبعد عنّي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجدت قلبك مطمئناً بالإيمان، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن عادوا فعُد أنت، ونزل في حقّه قوله

---

(١) النساء: ٩٨.

(٢) المعروف عن شهادتهما غير هذا ولا ندري عن مصدر المؤلّف شيئاً.

تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[1] وليست لأحد من الصحابة هذه الفضيلة من كونه وأباه وأُمّه شهداء في الإسلام.

قيل : إنّ أبا جهل لعنه الله كان يعذّب سميّة عليها السلام وكانت لا تطيق العذاب، فشتمت أبا جهل وكلّمته بكلام خشن، فغضب لعنه الله وأوجر بطنها بالحربة حتّى أسلمت الروح (صلّى الله عليها وعلى بعلها وولدها).

وقيل: كان في مكّه لكلّ مستضعف مجير إلّا عمّار وأبوه ياسر لذلك كانا يتجرّعان أشدّ العذاب، ولمّا كان يوم الهودج كما جاء في الفتوح غلب الناس على الهودج فسلّ عمّار سيفه وهرع نحو الجمل وهو يرتجز:

إنّي لعمّار وشيخ ياسر	*صاح كلانا مؤمن مهاجر*
إنّي لأصبحت فيه حاقر	*لا تبتلى بعد الممات عامر*
إنّي إلى خيري وضيري صابر	*ومالك حرماً ليس فيها عاذر*[2]
طلحة فينا والزبير غادر	*والحقّ في كفّ عليّ ظاهر*

ولمّا علم الصحابة بما دار بين عمّار وأبي جهل لعنه الله، قال الصحابة: يا رسول الله، كفر عمّار، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: خلط الإيمان بعمّار ما بين قرنه وبين قدمه، وخلط بلحمه ودمه يدور مع الحقّ حيث دار، فليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً.

ولمّا كان يوم صفّين ووقعت الحرب وارتفعت الأصوات كوساتها وأبواقها، وقرعت طبولها، وصدحت سيوفها، وغنّت في الجماجم والرؤوس، وتمازجت بها أصوات السلاح، وعلت همهمة رجالها وصهيل خيولها، إلى الحدّ الذي يذوب معه قلب الشجاع الحليم، فكان عمّار يقاتل قتالاً دونه قتال شابّ جلد قويّ، وكان

---

(١) النحل: ١٠٦.
(٢) كذا.

عمره في ذلك اليوم أربعاً وسبعين سنة، إلّا أن يكون عمّار أشجع الشجعان وفي هذه الأثناء رفع يديه وقال: اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو كنت أعلم أنّ رضاك في وضع سيفي على بطني حتّى يخرج إلى ظهري لفعلت، وإنّي لأعلم شيئاً هو خير لك من جهاد هؤلاء.

ثمّ قال: أيّها الناس، هذه الراية التي يحملها معاوية هي الراية ذاتها التي كان يحملها أبوه إمام المشركين في بدر وحنين وأُحد في وجه رسول الله ﷺ، واليوم هي المرّة الرابعة، وهو اليوم قاتليّ. فإذا قُتلت فادفنوني بثيابي المزمّلة بدمي، وإيّاكم وترك نصر أميرالمؤمنين لأنّ يوم القيامة شيعته هم الفائزون. ثمّ قال: أنا أوّل من يختصم يوم القيامة بين يدي الله. وفي رواية: فإنّي مخاصم.

وتقدّم معاوية فارتجز عمّار:

نحن ضربناكم على تنزيله　　فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخليل عن خليله

ثمّ صاح بأهل الشام: إن هزمتمونا كلّ الهزيمة فإنّا على الحقّ وأنتم على الباطل، وكان يدمن الصوم نهاراً والقيام ليلاً لهذا ضعف بدنه.

وحملت عليه خيل معاوية بفرسان كثيرة فطعنه اللعين أبو الغادية فأمضّه، فحمل إلى الإمام وطلب ماءاً فلم يكن الماء حاضراً، وكان أشعث أغبر فمزجوا له اللبن بالتمر، فلمّا شربه سال من الجرح الذي سدّده له أبو الغادية لعنه الله(١). قيل: صاح ثلاث مرّات: الله أكبر، وقال: أخبرني رسول الله آخر شرابي من الدنيا اللبن والتمر، ويذر على وجهي ورأسي الخطمي، وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

---

(١) سمّاه المؤلّف: ابن حوي وهي تصحيف لا شكّ فيه.

فلمّا وصل أميرالمؤمنين وجد عمّاراً قتيلاً مزمّلاً بدمائه مرمّلاً بـالتراب عـفيراً، قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، إنّ امرئً لم تدخل عليه مصيبة من قتل عمّار فما هو من الإسلام في شيء. وجمهور العلماء على أنّ عمّاراً قُتل في المعركة، وأنشد الإمام عند قتل عمّار:

أيا موت كم هـذا التـفرّق عـنوة فلست تبقي للـخليل خـليل[1]

أراك بـصيراً بـالذين أحـبّهم كأنّك تـمضي نـحوهم بـدليل

يقول مصنّف هذاا لكتاب: إنّ ما أوردناه من الآيات والأخبار رويـناها مـن كتب الخصوم والمخالفين، وكلّ ما نقلناه ممّا جرى في حقّ عمّار وما جرى أضعافه في حقّ فاطمة عليها السلام وفي هاشم وأبي ذر الغفاري فقد أجراه الصحابة مـعهم ولم يـبقوا عليهم.

قال المأموني: ولمّا رأى عليّ عمّاراً قتيلاً، قال: رحم الله عمّاراً يوم قتل، رحم الله عمّاراً يوم يبعث، رحم الله عمّاراً يوم يُسئل، والله لقد رأيت عمّاراً بن ياسر وما يذكر من أصحاب رسول الله ثلاثاً إلّا كان رابعاً، ولا أربع إلّا كان خامساً، ثمّ قـال: إنّ عمّاراً أوجبت له الجنّة فلقد قيل له: مع الحقّ والحقّ معه، كان الحـقّ يـدور مـعه حيث ما دار، فقاتل عمّار في النار، وسالب عمّار في النار. ثمّ تقدّم عليه السلام وصلّى على عمّار مع من استشهد معه من أصحابه ودفن حيث أوصى أن يدفن.

وقال الحجّاج بن عرفة الأنصاريّ:

اليـــوم لعـــظم الهـــمّ أرقـني وهــاج حـزني أبـو اليـقظان عـمّار

---

(١)

ألا أيّها الموت الذي لست تاركي أرحـني فـقد أفـنيت كـلّ خـليل

كفاية الأثر للخزاز القمّيّ: ١٢٤، بحار الأنوار ٣٣: ١٩. وفيه الروايات ما ذكره المؤلّف وما ذكره صاحب كفاية الأثر.

أهوى له ابن جوى في فوارسه ... من السلون في الهيجاء أعصار

فاختلّ صدابي التقضان مفترضاً ... بالرمح قد وجبت فيه له النار

كانت علامة بغي القوم مقتله ... ما فيه شكّ ولا ما فيه إنكار

قال النبيّ له يقتلك شرذمة ... سبط لحومهم بالبغي فجّار

وصفوة القول: إنّ حديث «ستقتلك الفئة الباغية لعمّار» اشتهر في عسكر العراق والشام ووقف جيش الشام عن القتال لسماع هذا الحديث، فجاء عمرو بن العاص إلى معاوية ليردع معاوية، فقال له: قتل عمّار، لعلّ معاوية يكفّ عن الحرب ويتذكّر حديث النبيّ ﷺ، فقال معاوية: إنّما قتله الذي جاء به، لو لم يأت به عليّ لما قتلناه، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص واقفاً على باب الخيمة فصاح قائلاً: فحمزة بن عبدالمطّلب يوم أُحد ما قتله الوحشيّ وإنّما قتله النبيّ، فقال معاوية: نحّ هذا الموسوس عنّا، فلا يدري ما يقول، فقال عمرو بن العاص لابنه: اذهب إلى قاتل عمّار وقل له: خذ الحرب ولك النار، فقال الناس: إذا كان نصيبنا النار فإنّنا لا نقاتل، وأخيراً تمكّن عمرو بن العاص أن يردّهم إلى الحرب بالمكر والحيلة والتأويل.

قيل لعائشة: إنّ فلاناً لا يأكل اللحم ولكنّه يحسو مرقه، فقالت: كان بنو إسرائيل محرّماً عليهم صيد السبت فلمّا كثر السمك يوم السبت في البحر فكانوا يحفرون الحفر العميقة فتجتمع فيها الأسماك فيصدّونها يوم الأحد وقال: منع الله من صيدها يوم السبت لا يوم الأحد، فحال اللحم والمرق كحال صيد اليهود إلى أن مسخهم الله كما مسخ معاوية فقد ضربته اللقوة وكان ثملاً بخمر معتقة في دنّها سبع سنين، والصنم معلّق في عنقه، وذهب إلى جهنّم على هذه الحالة كما ذكر ذلك المأمونيّ في «الحاوية» بأسانيد صحيحة.

ونظم بشر بن المعتمر إمام المعتزلة في حبس هارون أربعين ألف بيت من الشعر، قال:

تبرّا من عمرو ومن معاويه ومن بغاة في الزمان غاليه

يقول المأموني: لا تجوز الصلاة على البغاة بعد قتلهم ولا بعد موتهم لاسيّما الباغي الذي بغى على خير من في الأرض وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذا ناظر إلى أنّ معاوية مات كافراً فلا تصحّ الصلاة عليه.

يقول مصنّف هذا الكتاب: وأمّا الطائفة التي سبقت معاوية بالبغي وبغوا على عليّ عليه السلام وخرجوا في ذلك اليوم مع قرب عهدهم برسول الله ومعرفتهم بعليّ الحقيقية واعترافهم بمناقبه التي لا تنكر وما خرجوا إلّا بتأويل وحيلة كتأويل معاوية واعتذاره عن قتل عمّار، ولو كان مقدوراً لهم لشاركوا في حرب كربلاء وحرب الجمل وصفّين بل هذه الفتن والحروب كانت ثمرة ذلك الخروج على أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّ في تلك الأيّام الثلاثة وغرسوا شجرة عداوة أهل البيت في القلوب بالترغيب والترهيب وأثمرت بعدهم ثمرة حملوا بها رؤوس أهل البيت على رؤوس الرماح، والحمد للّه الذي لم يجعلنا من تابعيهم.

أمّا قول أبي يوسف: معاوية أوّل من أخذ الخلافة بالسيف وكانت خلافة غيره كذلك لأنّ الخلافة إمّا بالنصّ كما يعتقد الشيعة أو بالإجماع كما يعتقد المخالفون، ولا يصحّ أن تكون بالسيف والظلم كما قال تعالى: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

يقول المصنّف: وكانت خلافة أبي بكر وعمر بالإجماع لا بالنصّ وإلّا لما قال أبوبكر: أقيلوني، ولم يجعلها عمر شورى، ولم يقتل عثمان على أُمور لا طائل ورائها، ولم تكن خلافة الخلفاء بالإجماع أيضاً لأنّها لو لم يعارضها إلّا بنو هاشم لكان قادحاً بها بل لو لم يعارضها إلّا عليّ لكان خرقاً للإجماع المزعوم، وكانوا ظالمين بادّعائها، وهذا كلام عليّ وأولاده عليهم السلام مازال يتماوج في أسماع الناس نظماً ونثراً.

---

(١) البقرة: ١١٨.

وأمّا قوله: هو أوّل من استأثر الفيء، وهذا مخالف لحكم الله حيث قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾(١).

وزعم أبو يوسف أنّ النبيّ يورث، وهذا طعن منه بمعاوية والعجب أنّ الحديث عندما يكون عن فدك وفاطمة يدخل إلى الميدان الفرية القائلة «نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث» وبه يستلبون حقّ الزهراء ويردّون به آيات القرآن، وعندما يكون الخصام مع معاوية يثبت الميراث للنبوّة مع أنّ معاوية اقتدى بمن كان قبله من الأصحاب وهم أيضاً فعلوا فعله بل أدهى وأمرّ من فعله وحينئذٍ لا فرق عندنا بين معاوية وأسلافه.

وأمّا قوله: هو أوّل من قضى بخلاف رسول الله حين ألحق زياداً بأبي سفيان بناءاً على دعوى ادّعاها لا تثبت، وقال النبيّ: من نكاح أو من سفاح، وقال: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فأبطل معاوية حكم رسول الله وألحق زياداً الدعيّ بأبيه، وصدق الله: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾(٢) لأنّه كان مثله ابن زنى، وأخاً من سفاح «كلّ طائر يطير مع شكله»، وكفر بردّه حكم النبيّ وعدم رضاه به، وأراد زياد أن يدعى ابن أبي سفيان وعسر على الناس قولهم خلاف حكم رسول الله ﷺ فعرضوا الأمر على عائشة، فقالت: سمّوه ابن أبيه، فعرف بهذا الاسم من يومئذٍ.

يقول المؤلّف: إنّ تصديق رسول الله ﷺ عامّ يشمل جميع الصور، وحكم رسول الله ﷺ على مروان بالنفي وحكمه حكم الله ولكن عثمان لعنه الله أعاده، وأدنى رسول الله ﷺ أباذر بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) النور: ٢٦.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[١] ولكن عثمان نفاه.. وقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[٢] فأعطى رسول الله لفاطمة فدكاً، فصادرها منها أبوبكر، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٣] وعداوة عمر لعليّ أظهر من الشمس.

وصفوة القول أنّ القوم كمعوية جملة وتفصيلاً، فما نسبوه إلى معاوية وما احتجّوا به من كفره، واستدلّوا عليه من نفاقه واستحقاقه اللعنة به فإنّ الكثير من أئمّتهم شاركه به وأشبهه عليه.

وأمّا قوله: وأوّل من قتل مسلماً لم يكفر بعد الإسلام ولا زنى بعد الإحصان.

يقول المأموني: سمّ معاوية الإمام الحسن عليه السلام فقتله، وقال: ذلك معروف.

قال المصنّف: يقول أصحابنا أنّ عمر لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام على بطنها وقتل المحسن في بطنها، ولمّا أخذ معاوية البيعة من أهل الكوفة استعمل عليهم المغيرة بن شعبة وهو عدوّ لأهل البيت عليهم السلام. وقيل: إنّ المغيرة مات هناك، وأعطى زياداً الكوفة لأنّه كان والياً على البصرة.

وقتلوا حجر بن عدي الذي كان مسلماً لم يكفر فيستحقّ القتل، ولا زنى بعد إحصانه.. وكان على الكوفة في ذلك اليوم أربع حكّام: على ربع منها أبو بردة ومعه مذحج، وأُسيد وعمرو بن حريث المخزومي على اليمامة، وخالد بن عرفطة العذري على تميم وهمدان، وقيس بن الوليد المخزومي على كندة وربيعة، وحين أراد زياد لعنه الله قتل حجر بن عدي أحضر هؤلاء الرؤساء فشهدوا جميعاً على أنّه خارج على معاوية.

---

(١) الأنعام: ٥٢.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

وكتب أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري محضراً وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد عليه أبو بردة للّه ربّ العالمين، شهد أنّ حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعى إلى الحرب والفتنة وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرة صلعاء...(١) فأمر زياد أن تثبت شهادتهم في محضر خاصّ، وبهذه الحجّة الواهية قتل معاوية لعنه الله حجراً وخمسمائة من أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأمّا قوله ـ يعني قول أبي يوسف ـ: وأوّل من أُهدي إليه رأس مسلم ذلك هو رأس عمرو بن الحمق الخزاعيّ (الأنصاريّ ـ المؤلّف) وكان النبيّ ﷺ يحبّه، وكان عمرو يقول: ما زنيت قبل الإسلام قطّ، ولم أظلم أحداً، وكان قد حمل كتاباً إلى معاوية فأنعم عليه معاوية لعنه الله بحلل مصريّة وأموال طائلة فردّها عليه وقال: عندي خمسة وعشرون درهماً تكفيني إلى أن أبلغ الكوفة، ومن بعده أُهدي رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد لعنه الله، ورأس عمرو بن الحمق أُهدي إلى الأب، وكذلك أُهدي رأس يحيى بن زكريّا إلى جبّار من بني إسرائيل.

يقول القاسم المأموني: على يزيد نصف عذاب أهل الدنيا.

قال البيهقي: ولمّا رأى عمر بن الخطّاب سرير معاوية وتاجه قال: هذا كسرى العرب(٢) يعني جبّارها.

قال المصنّف: إن كان معاوية كسرى العرب فإنّه صنيعة عمر بن الخطّاب، وإن

---

(١) الغارات ٢: ٥٦٥. وعند المؤلّف: خلع أمير المؤمنين معاوية كفراً صريحاً وهو خطأ طبعاً. وفي الطبري ٤: ٢٠٠: كفرة صلعاء ويعني بذلك ما لا أجرأ على التصريح به، ولكنّي أجرأ مثاباً إن شاء الله على لعن عمر بن الخطّاب الذي زرع معاوية في ضلوع الإسلام لعن الله معاوية.

(٢) نعم بهذا وشبهه أمدّ له ابن صهّاك بالطغيان حتّى تجاوز الحدود فكان شريكه في جرائمه ومآثمه، ولعن الله الشريكين المشركين.

كان قال ما قال خوفاً على الدين فلماذا لم ينهه عنه، هل كان يخاف أحداً إن ردعه أو منعه، ولقد فصل معاوية الشام واستقلّ به عن عمر بن الخطّاب كما فعل مع الإمام أمير المؤمنين، وهذا باعث على نقصان ملك عمر بن الخطّاب، وكان غرض عمر اللطم على خلافة الدنيا ولم يغلبه همّ الدين.

يقول حسام الدين الحنفي: ما فعله يزيد مع الحسين كان بتمهيد وإعداد من أبيه وتجربة عمل أبيه.

ويقول المصنّف هذا الكتاب: وما فعله معاوية إنّما كان بتمهيد وإعداد ونصيحة وإشارة من الصحابة وذلك أنّ سكوت القوم عن ظلم فاطمة وعدم نصرتهم لها شجّع الناس على ظلم أهل البيت والعدوان عليهم[1].

وأمّا قول أبي يوسف: وأوّل من صالح المشركين من غير جزية بخلاف قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَيُحَرِّمُونَ مَاحَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2] هذا ما أمر الله به الجزية أو القتل، أمّا الكافر فلا يحبّه إلّا الكافر.

وأمّا قوله: وأوّل من باع أصناماً تعبد من دون الله ليزاد في إثمها. روى ركن الإسلام عن مشايخه إلى صاحب أبي الإبل[3] أنّه قال: يا مسروق، كنّا في «سلسلة» فاجتازت بنا سفينة محمله بالأصنام يرسلها معاوية إلى الهند لبيعها. قال مسروق: فقلت: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون زُيّن له سوء عمله فرآه حسناً أو يكون آيساً من الآخرة فهو يتمتّع بالدنيا وهذه صفة المشركين: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ

---

(١) أشهد أنّ المؤلّف قال الحقّ ونطق الصدق وهكذا ينبغي أن يكون رأي الموالين في القوم وإلّا فلا.

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) لا زلت ارتطم بأعلام في الكتاب غير مأنوسة ويعجز علمي عن التعرّف عليها وأحيل القارئ على كتب الأعلام إن كان يريد ضبطها فإنّي لا أجد غضاضة أن أثبتها كما رأيتها عند المؤلّف.

عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾[١] والثانية صفة الكافرين: ﴿قَدْ يَئِسوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[٢]، ومن هنا مات والصليب في عنقه. ويقول القاسم المأموني: قد حصل الاتفاق على هذا من المتقدّمين والمتأخّرين وذكره محمّد بن الحسن في السير الكبير على هذا الوجه.

يقول القاسم: وما يقال من أنّ أبا حنيفة رخّص في بيع الأوثان وشرائها فهو كذب محض افتراه عليه النواصب كقدم القرآن وخلق الكفر، وهذا هو مذهب المرجئة والمجبّرة، وأبو حنيفة بريء من هذا. إلى أن قال: فإنّه كان يعين زيداً بن عليّ على الخروج على بني أُميّة وكان شيعيّاً محبّاً لآل النبيّ ﷺ[٣] وكان يقول: خروج زيد كخروج محمّد يوم بدر، وبعث إليه جراباً من الورق له على الخروج، فقيل له: هلّا نصرته، قال: أخاف ضيعة الودائع، هذا كلامه بأسره.

وأمّا قول أبي يوسف: أوّل من اتّخذ حرساً في الإسلام لأنّه لمّا كان ظالماً للأُمّة بمثابة الفراعنة والقياصرة احتاج إلى من يحرسه.

وأمّا قوله: أوّل من جلس مجلس رسول الله بغير رضاً من صحابة رسول الله ﷺ، فقد رأى رسول الله رؤياً في المنام كأنّ بني الحكم وبني مروان ينزون على منبره نزو القردة فلم يُر ضاحكاً حتّى مات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. وروى صاحب

---

(١) فاطر: ٨.

(٢) الممتحنة: ١٣.

(٣) إنّ تحديدهم التشيّع من المضحكات لأنّهم قالوا: الشيعيّ هو الذي يفضّل عليّاً على عثمان، والرافضي هو الذي يفضّله على الثلاثة، وهذا القول إلى الهراء أقرب منه إلى أقوال العلماء.

(٤) الإسرا: ٦٠.

المصابيح: ولقد أذلّهم الله حين فعلوا ذلك.

قال محمود بن لبيد: إنّ النبيّ ﷺ قال: هذا سيريد هذا الأمر بعدي ـ يعني معاوية ـ فمن أدركه منكم فليشقّ بطنه.

وقال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية يطلب الملك فاضربوا عنقه(١).

وأمّا قوله: قتل ابني قثم بن عبّاس، فإنّ معاوية لعنه الله أرسل بسر بن أرطاة لعنه الله في ثلاثة آلاف إلى الحجاز وفي المدينة طلب أبا أيّوب الأنصاريّ مضيّف رسول الله ﷺ وهو من كبار الصحابة وإلى الآن يستسقون بقبره فيسقون، فهرب أبو أيّوب إلى الكوفة فانتضى بسر اللعين سيفه ورقى منبر رسول الله ﷺ وقال: لولا أنّ معاوية عهد إليّ لما تركت فيها رجلاً واحداً ولا طفلاً حيّاً، وأرسل إلى بني مسلمة أحضروا لي جابراً بن عبدالله وإلّا ضربت أعناقكم جميعاً. واستجار جابر بأُمّ سلمة، فقالت أُمّ سلمة: هذه بيعة ضلالة يا جابر، اذهب وبايع فأنا أمرت ولدي عمر بن أبي سلمة بالبيعة ومثله صهري.

واستنّ يزيد بن معاوية لعنهما الله بسنّة أبيه فأرسل مسلم بن عقبة المرّيّ إلى المدينة فجاء اللعين إليها وقتل هناك ثلاثة آلاف من أولاد المهاجرين والأنصار وشيوخ الصحابة وثلاثة آلاف من غيرهم من الأجانب ولكنّهم كانوا من الأخيار والمؤمنين وحفّاظ القرآن، ثمّ قصد مكّة لحرب ابن الزبير فيها، وقيل: هلك ما بين مكّه والمدينة وذهب إلى جهنّم واستخلف الحصين بن نمير، فنصب هذا اللعين المنجنيق على الكعبة فنزلت صاعقة فأحرقته، وبقي يقاتل هناك أيّاماً على أبواب مكّة حتّى جائه نعيّ يزيد ودام ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر.

---

(١) وينبغي كذلك أن تضرب عنق ابن صهّاك عمر بن الخطّاب لعنه الله الذي أمدّ له بالطغيان وأعانه حتّى تسنّم غارب الحكم.

وقيل: إنّ اللعين قذف دماً من فمه بلغ عشرين طستاً حتّى مات، وقيل: وقع في الكنيف ميّتاً، وقيل: مكان موته ظاهر لحدّ الآن، وقيل: ذهب يصطاد فضل في البيداء «خسر الدنيا والآخرة».

وقبل هذا كان بسر قد قصد اليمن وعليها عبيدالله بن العبّاس من قِبَل عليّ عليه السلام، ولمّا دخل اليمن هرب منها عبيدالله بن العبّاس إلى أميرالمؤمنين لأنّه لا طاقة له ببسر، واستخلف على اليمن شخصاً آخر فقتل أولاد العامل المستخلف وولدين لعبيدالله بن العبّاس وكان الطفلان قد أودعا عند رجل، فقال ذلك الرجل لبسر: يا أمير، إنّهما لا ذنب لهما فاقتلني مكانهما، فقتله وقتل الطفلين وعاد إلى الشام وأوقع في طريقه بكلّ من له هوًى في أميرالمؤمنين عليه السلام.

ولمّا بلغ أميرالمؤمنين الخبر بعث محارب بن قدامة في ألفين وسرّحهما في طلب بسر ليقبضوا عليه أو يقتلوه فلم يدركاه، وهرب إلى الشام وكان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عقد للإمام الحسين عليه السلام على عشرة آلاف ولقيس بن سعد مثله، ومثلهما أبو أيّوب الأنصاريّ وأمرهم بقصد الشام، ولكن ابن ملجم لعنه الله لم يمهل أميرالمؤمنين عليه السلام حتّى قتله، ولمّا بلغ الحارث مكّة ليأخذ منهم البيعة بلغه خبر قتل أميرالمؤمنين عليه السلام فتفرّق الناس عنه، وذهب عبيدالله بن عبّاس إلى مكّة وشكى إليه بسراً وأخبره بقتل ولديه، فقال له معاوية: إن ظفرت بابنيه فاقتلهما ـ ساخراً به ـ وإلّا فدونك الرجل.

وهرب ولدا جعفر الطيّار من كربلاء كما روى المخالفون فأدركهما صفوان الملعون فقتلهما وبعث برأسيهما إلى عبيدالله بن زياد لعنهما الله، فقال له عبيدالله: إنّ هذين الطفلين لا ذنب لهما فلم قتلتهما، وأمر بضرب عنقه.

وكان عبيدالله رجلاً فاضلاً شجاعاً وصاحب سخاء وبذل وجاءه رجلٌ من الأنصار فقال: وضعت امرأتي البارحة ولداً وسمّيته باسمك، فأمر في الحال بشراء

مرضعة له، وأعطاه مأتي دينار وأوقفها عليه مادام حيّاً، وكان يتعاهد سميّه الطفل، وما فتى يردّد: لا أُضيّع سميّي.

الفصل الثامن

ومعاوية أوّل من سنّ الغارة في الإسلام، فيقال: إنّه سرّح الضحّاك بن قيس إلى «الواقفة»[1] في ثلاثة آلاف مقاتل ليغيروا على من كان فيها على طاعة أميرالمؤمنين، فأكثر الملعون الغارة وقتل كثيراً من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام وخرج منها إلى الثعلبيّة وأغار عليها ونهب ما فيها.

وبلغ عمر بن عمير محاطاً بخدمه ومواليه وكان قاصداً حجّ البيت ومعه عياله وأهل بيته فأغار عليه ومنعه من الحجّ.

وكان معاوية يغير على قوافل الحجّاج كلّما سنحت له الفرصة، ولقد ذكر الإمام كثيراً من ذلك في نهج البلاغة.

وفي الليلة التي رجع أميرالمؤمنين عليه السلام فيها من حرب الجمل تقدّم إليه مالك الأشتر وقيس بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص وعدي بن حاتم وعبدالله بن بديل ابن ورقاء وأمثالهم وقالوا: ائذن لنا أن نكون الليلة عندك فنعبد الله تعالى، وقال لمحمّد بن الحنفيّة وللعبّاس السقّاء: قفا هذه الليلة واحرسا المدينة فقد بلغني أنّ جيش معاوية بلغ القطقطانة لينهبا ماشية الناس.

وذهب قيس في الليلة الثانية لحراسة الكوفة فلمّا تناصف الليل سمع صوتاً عالياً فأصاخ السمع له وإذا هو صوت صعصعة بن صوحان وهو يقول: سمعت أنّ

---

(١) أقول للقارئ العزيز: كن على حذر دائماً من أسماء الأعلام التي لم يحقّقها المترجم لسبب من الأسباب، ولا تطمئنّ إلى صحّتها حتّى تقف على ذلك بنفسك إمّا بإشارة من المترجم أو بتحقيق تقوم به أنت نفسك.

أصحاب معاوية قادمون بخمسمائة مقاتل ومعهم السلاح ابتاعوه وحملوه على أربعين حملاً من بني فزارة، وذهب صعصعة إلى الكوفة ليخبر الإمام عليه السلام بواقع الحال، فاستقبله في الطريق مالك الأشتر فأخبره، فعجّل مالك بالخبر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام واستأذن أميرالمؤمنين وأخذ معه أربعمائة رجل وذهب يتعقّب السلاح، ولمّا فرغ الإمام عليه السلام من صلاة العتمة رأى قيس بن سعد بن عبادة قد عاد بأصحابه وبعد أن حيّوا الإمام أميرالمؤمنين واستأذنوه لقتال القوم وإعادة السلاح، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: سبقك بها الأشتر.

وكان أمير عسكر معاوية مسعدة الفهريّ ومعه ثلاثمائة وقد نزلوا على «رغاله» ولمّا رآهم مالك الأشتر فظنّوهم من الأعراب فهبوا للإغارة عليهم، قال عبدالله بن عاصم: كنت مع الأشتر، فقال: أيّها الناس، هؤلاء جمع الفسّاق والظالمين فماذا تفعلون لينصركم الله عليهم، ثمّ حمل عليهم الأشتر بأصحابه فصاح مسعدة: من أنتم وما تريدون؟ فقال مالك: أنا الأشتر النخعيّ ومعي أصحاب أميرالمؤمنين، فهرب القوم وأسر الأشتر مسعدة.

وأسرع أخ مالك عبدالله بن الحارث إلى خيمة الأُريقط وكان الملعون نائماً وقد ثمل، فلمّا أحسّ بقرب عبدالله منه استوى على ظهر فرسه واستلّ عبدالله سيفه، وأقبل تخبّ به فرسه فاقتتلوا قتالاً شديداً، فجاء الأشتر مدداً لأخيه، وحمل على الأُريقط وأسره، فهرب أصحاب معاوية وأقبل مالك بالسلاح إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد شدّ مسعد والأُريقط بالوثاق، فسأل عليّ عليه السلام عن وضع السلاح، فقالا: ابتعناه بالمال، فقال: هذا من بيت المال ونحن أولى به، ثمّ وضعه في بيت المال، وقالوا: إنّما أخذنا ماله نهباً من الناس الذين أغرنا عليهم، فأمر بالبحث عن أصحاب المال وردّه عليهم، ثمّ أطلق الأسرى بلطفه وعدله وذهبوا إلى الشام.

ومنه كلام عليّ عليه السلام: فتواكلتم وتخاذلتم حتّى شنّت عليكم الغارات.

الفصل التاسع
في أنّ معاوية أوّل من زوّر الكتب في الإسلام

كان قيس والياً على مصر من قبل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ، فكتب إليه معاوية أن أقبل إليّ حتّى نطلب بدم عثمان وأعطيك ولاية العراقين وأقضي لك حاجاتك وحاجات أهل بيتك ، فكتب إليه قيس : أمّا بعد ، فالعجب من اغترارك وطمعك فيّ وأمرك إيّاي أن أترك وصيّ النبيّ والإمام الهادي وجنّة المأوى وأدخل طاعتك طاعة الجبت والطاغوت ، هذا ممّا لا يكون . وأمّا قولك أنّك تملأ المصر خيلاً فوالله إنّي أشغلك عن ذلك وإنّك لذو كيد وخدع ، فكد كيدك فإنّ الله لا يهدي كيد الخائنين .

ولمّا قرأ معاوية كتاب قيس بن سعد أيس منه شرع يزوّر محضراً على قيس وافترى عليه بالوجه التالي : من قيس بن سعد الأنصاري إلى الأمير معاوية بن أبي‌سفيان ، أمّا بعد ، فإنّ قتل عثمان كان في الإسلام عظيماً وقد نظرته لنفسي وديني فصدّني عن مظاهرة قوم قتلوا عثمان إمامهم مسلماً تقيّاً نقيّاً من الآثام بريئاً طاهراً من الأجرام فليستغفر الله لذنوبنا ونساله العصمة لأديانا ، ألا وإنّي قد ألقيت إليكم السلام وأجبتكم إلى قتال رجل قتل إمام الهدى المظلوم في حرم رسول الله ، فحوّل عليّ بما أحببت من الأموال والرجال أعجل بها إليك أيّان شئت ، والسلام .

واشتهر بين العرب أنّ قيساً صالح معاوية ، وكتب معاوية بذلك إلى المدينة إلى أُخته أُمّ حبيبة ، فسمع أولاد عليّ هناك فأبلغوا عليّاً به ، فبعث أميرالمؤمنين محمّداً ابن أبي بكر مكانه إلى مصر ، ولم يكن محمّد في شجاعة قيس لأنّه كان من شجعان العرب ، ولمّا فرغوا من حرب صفّين أرسل عمرو بن العاص معاوية بن خديج إلى

مصر ليقاتل محمّداً بها، ثمّ قبضوا عليه ووضعوه في جيفة حمار وأحرقوه.

الغرض: كان قيس يرى معاوية بمنزلة اليهود ويدعوه بـالجبت والطـاغوت، وكان تحريفه الكتب من صفات اليهود «يحرّفون الكلم عن مواضعه».

قال أحمد بن أعثم الكوفيّ: إنّ معاوية أرسل إلى شرحبيل والي ابن السمط في حمّص ومعه رؤساء الشام وقال: اشهدوا من الذي قتل عثمان، فـشهد بـسر بـن أرطاة وجابر بن سعد الطاريّ ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك وأبو الأعـور السلميّ والضحّاك بن قيس الفهريّ وذو الكلاع الحميريّ وحـوشب ذو الظـليم وغيرهم بقول واحد لفظاً ومعنى بأنّ عليّاً قاتل عثمان.

ثمّ قال معاوية: لولا أنّ عليّاص قتل عثمان لمـا خالفناه، فخدع بقوله شرحبيل وبايعه وخرج منه إلى ولايات الشام ومدنه وجمع رجالاً كثيراً لحرب عليّ، وكتب إليه جماعة من أصحابه يسألونه فقال: أنا لا أردّ شهادة الشهود فإن كـذبوا فـفي أعناقهم والسلام(١).

ولو كان معاوية مسلماً لما شهد شهادة الزور، والزور أخو الشرك كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾(٢).

المعروف عن أمير المؤمنين أنّه أمر بأن لا يسدّوا طريق الماء على وارد، فلمّا أقبل معاوية ولم يجد على الماء أحداً أمر باحتلاله ومنع عليّ وأصـحابه مـنه، فأرسـل الإمام عليه السلام إليه رسولاً يدعوه إلى ترك احتلال مورد الماء، فـلم يـفعل واسـتشار جماعة من أصحابه فأشاروا عليه بمنع الماء حتى يموتوا، فقال عمرو بن العاص: إنّي

---

(١) تناول المؤلّف من الفتوح جملاً وعبارات ليست منتظمة على شكل رواية لذلك آثرنا الإرشـاد إلى الجزء والصفحات التي يوجد فيها نقل المؤلّف الجزء الثاني ص٥٣٩ إلى آخره.

(٢) الحجّ: ٣٠.

لست أرى أن تمنعهم عن الماء ، افتح لهم طريق الماء وإلّا أخذوه منك قهراً ، فما انثنى معاوية لقول ناصح وبات الناس والكراع والماشية على حرارة العطش ، وقد أمضّ بهم ذلك وأجهدهم ، فلمّا أصبح الصباح شكوا أمرهم إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فأمر عليّ عليه السلام باستنفار عدّة آلاف من المقاتلين ليبعّدوهم عن شاطئ الفرات ، ثمّ اقتتلوا حتّى أبعدوا أولئك الكلاب عن مراكزهم ونزل أصحاب الإمام فيها وصار الماء في قبضة أيديهم . فقال عمرو بن العاص : ألم أقل لك لا يظمأ عليّ وسيفه على عاتقه فما ارعويت ، فقال معاوية سوف نهلك نحن وماشيتنا ، فقال عمرو بن العاص : إنّ عليّاً رجل حليم وكريم ولن يقابلك بالمثل ، فأرسل إليه جماعة وطلب منه فتح طريق الماء ، فلمّا عاد الرسل إلى معاوية بعد أن تضرّعوا لطلب الماء أمر عليّ حالاً أن يخلّى بينهم وبين الماء ، بينما لم يمرّ يومان على ما قاله الأشتر للإمام عليّ عليه السلام : إنّنا يا أميرالمؤمنين نشتري قربة الماء بثلاثة دراهم ، وقال الأشعث : يا أميرالمؤنين ، أو نموت عطشاً وبأيدينا رماحنا وسهامنا ومتنكّبين أقواسنا ، ائذن لنا في الحرب ، فأمر أن يخرج مع الأشتر والأشعث اثنا عشر ألفاً وأيديهم على مقابض سيوفهم ، ودخلوا ميدان الحرب .

قيل : إنّ فيّاض بن الحارث قال لمعاوية : لو أنّ كفّاراً من الروم جاؤونا يستقون الماء لما حلّ لنا منعهم ووجب سقيهم فكيف وهؤلاء صحابة رسول الله وفيهم وصيّه وختنه وأولاده ، فليس من الدين منع الماء عنهم ، فلم يقبل قوله معاوية ، واقتدى عبيدالله بن زياد بمعاوية فمنع الماء على الحسين وأهل بيته .

قال القاسم المأموني في كتاب الحاوية : إنّ معاوية قال لسعد بن أبي وقّاص : وما يمنعك من سبّ عليّ ؟ فقال : ثلاثة أحاديث تمنعني من سبّه :

الأوّل : إنّ النبيّ قال له يوم خيبر : لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله ، فدفعها إلى عليّ .

والثاني: لمّا خرج النبيّ إلى تبوك وأعلمه الوحي أنّ الحرب لا تقع هناك، وترك المنافقين حول المدينة، قال لعليّ: لا يسدّ أحد مسدّك ولا يقوم مقامي غيرك في الحفاظ على النساء والأطفال، فخلّفه في المدينة واقامه مقامه، فلمّا سار عن المدينة فراسخ أُرجف به المنافقون وقالوا: استثقله رسول الله فتركه في المدينة واستخلفه عليها، فتبعه عليّ وقال: أتتركني مع النساء والصبيان؟ فقال النبيّ ﷺ: أما يرضيك أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

والثالث: يوم غدير خمّ، قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله.

يقول المأموني: لذلك عمد إلى قتله بالسمّ بعد سمّه الإمام الحسن عليه السلام.

وروى أيضاً بأسانيده عن أنس أنّ النبيّ ﷺ قال: خُلِق من نور وجه عليّ عليه السلام سبعون ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه(١).

وجاء في الفتوح أنّ عليّاً أعطى الراية لهشام وقال: اخرج إلى عدوّي القرآن وحزب الشيطان، فخرج عليه رجل من أهل الشام وشرع بشتم أهل البيت، فوعظه هشام وتلا عليه مناقب عليّ، فقال الشاميّ: أو تقبل توبتي؟! فقال هشام: أجل، وأقبل به إلى الإمام فبالغ بإكرامه.

وذكر أهل النقل أنّ عبيدالله بن عمر لمّا هرب من عليّ عليه السلام ولجأ إلى معاوية خوفاً من القصاص لدم الهرمزان لأنّه قتله بظلم فأكرمه معاوية وأعطاه عشرين

---

(١) مائة منقبة لمحمّد بن أحمد القمّي: ٤٢ و١٤٨ و١٦٩، مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٧٩ وعزاه إلى عمر بن الخطّاب، المحتضر: ٩٥، مدينة المعاجز ٣: ٣٥ و٣٦ و١٣٥ و١٣٦، بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٠ و٢٧: ١١٨ و٣٩: ٢٧٥ و٤٠: ١٢٥ و٦٥: ١٤٢، مقام الإمام عليّ لنجم الدين العسكري: ٢٥ و٤٥، مستدرك سفينة البحار ٩: ٤٢٦، المناقب للخوارزميّ: ٧١ و٣٢٩، تأويل الآيات ٢: ٦٧٠، مجمع النورين للمرندي: ٢٤٥.

ألف درهم وفرساً وكسوة، وكان معاويه يبالغ في رفعه والتنويه فيه ويأمره أن يسبّ عليّاً ويتبرّأ منه، فكان عبيدالله يأبى ذلك. إلى أن قال له يوماً ليمتحنه: ماذا تقول في حقّ عليّ عليه السلام؟ فقال: وماذا أقول في حقّه؟ أبوه أبوطالب، وأُمّه فاطمة بنت أسد، وهو في نفسه غنيّ عن التعريف، والناس وأنا وأنت نعلم ذلك.

وأمره معاوية يوماً أن يعتلي المنبر ويشتم عليّاً، فلمّا حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ، سكت فلم ينطق ببنة شفة، فخاف منه معاوية، فقال عبيدالله: كرهت أن أقطع شهادة الله بشهادة الزور، فاستحيا معاوية وقال: الرجل أُحصر عن سبّ عليّ، فلا بيان له، وليس من أهل الفصاحة، فقال عبدالله أبياتاً منها:

معاوية لم أحبس لخطبة خاطب ولم أكُ عيّاً في لويّ بن غالب

وكفّر معاوية عبدالله بن بديل وأنكر صحبته وصحبة أبيه، بينما هو من الصحابة وشأنه شأن موسى وفرعون حين قال فرعون لموسى: ﴿**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾(١).

ومعاوية أوّل من أعلن سبّ أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وصيّرها سنّة، فكان مصداق قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**﴾(٢) وقال الله تعالى: ﴿**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾(٣) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من سنّ في الإسلام سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها(٤).

---

(١) الشعراء: ١٩.

(٢) البقرة: ٤١.

(٣) الأعراف: ٨٠.

(٤) التحفة السنيّة لعبدالله الجزائري ـ مخطوط: ٣٣، كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ٢: ٤١٦، روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ١: ٧٣، حاشية ردّ المختار لابن عابدين ١: ٦٢، نيل الأوطار ⟵

يقول مصنّف هذا الكتاب: ذكر صاحب الحاوية هذا الحديث ونسي أن يتذكّر بأنّ أوّل ظلم وقع على أهل البيت كان من الصحابة وظلّ هذا الظلم سارياً فيهم إلى يوم القيامة، فكلّ ظلم جرى عليهم بعد ذاك الأوّل فهو من سنّتهم وسنّة الشيخين لعنهما الله.

وصفوة القول: خرج في اليوم الخامس عشر عبدالله بن بديل وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مع أصحابهما والحفّاظ بإذن أميرالمؤمنين عليه السلام فكسروا جفون سيوفهم واستشهدوا بأجمعهم في ذلك اليوم، فلمّا رأى معاوية عبدالله بن بديل قال: من قتل هذا فله عندي ما أحبّ من أموالي أُحكّمه فيها ياخذ منها ما شاء، فقال قاسم بن مسعدة: إن جئتك برأسه تعطيني ولاية مكّة؟ فقال معاوية: نعم هي لك، فخرج ذلك اللعين إليه، وقال عليّ عليه السلام لمالك الأشتر: صر إلى جانب عبدالله وكن ردءاً له حتّى إذا احتاج إليك أعنته، وأرسل عبدالله في أوّل حملة القاسم بن مسعدة إلى نار جهنّم، وخرج سهل بن عبيدالله وكان نديماً لمعاوية لعنه الله فقتله عبدالله بن بديل، وصاح بهم معاوية: احملوا عليه من كلّ جانب، واقتدى به عبيدالله بن زياد في حربه لمسلم بن عقيل عليه السلام وكذلك عمر بن سعد الذي نادى بالإحاطة بالحسين عليه السلام.

ولمّا رأى مالك تفاقم الوضع حمل حملته فثارت غبرة عظيمة سدّت الأُفق واظلمّ الهواء من العثير، وكسى التراب الرايات ولم يسمع إلّا وقع السيوف على الهام وعلى الدرق والأسلحة، وجرح عبدالله، فقال معاوية: ارموه بالحجارة،

⬅ للشوكاني ٧: ١٩٨، شرح أُصول الكافي ١٢: ٣٨، مستدرك الوسائل ٢: ٢٢٩، المسترشد: ٥١١، الفصول المختارة: ١٣٦، الاختصاص: ٢١٥، منية المريد للشهيد الثاني، بحار الأنوار ٢: ٢٤، مسند أحمد ٤: ٣٥٧، صحيح مسلم ٢: ٨٧ وتركنا أكثر الكتب.

وكانت هذه السنّة لعمر بن سعد مع الحسين ﷺ، ولم يرضه هذا حتّى فرّق بين رأسه وبدنه، وأوطأ صدره الشريف الخيل[1] وأهدوا رأسه إلى الشام وكلّ ما جنوه سببه معاوية[2].

وصفوة القول: ولمّا قُتل عبدالله بن بديل تمنّى أن يلحق به الأشعث الكنديّ ومالكاً الأشتر، وكان في كلّ يوم يتحدّث عن كفر وبغي صحابة الرسول وهذه هي حاله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[3] وهذا الجحد نابع من ظلمهم وتكبّرهم.

قال صاحب الكشّاف: سرق طعيمة بن الأهرق من أولاد بني ظفر درعاً من جاره قتادة بن النعمان وخبأه في عنبر الدقيق ثمّ سربه إلى اليهود سرّاً وقبضوا على طعيمة واتّهموه بالدرع فأقسم بالله أنّ الدرع ليس عنده ولم يكن قد سرقه، ورفعت عنه التهمة ليمينه التي أدّاها، مِن ثَمّ أطلقوا سراحه، وذهبوا إلى بيت اليهوديّ فوجدوا الدرع عنده، فساقوه إلى النبيّ ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[4] وشهد اليهود عند رسول الله ﷺ أنّ هذا الدرع خبأه طعيمة عند صاحبنا ولم يسرقه من أحد، فلم يقبلوا قوله، وخلاصة الحديث أنّ معاوية في كلّ يوم يعيب أصحاب رسول الله ﷺ ويبهتهم.

روى زين الأئمّة إسماعيل البراري بإسناده عن النبيّ ﷺ أنّه قال: سبّاق الأُمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، ويوسف بن حبيب

---

(١) وهنا لا خيار لي إلّا لعنهم وعلى رأسهم ملهمهم ومعلّمهم عمر بن الخطّاب لعنه الله.

(٢) ومعاوية صنيعة ابن الخطّاب لعنهما الله.

(٣) النمل: ١٤.

(٤) النساء: ١١٢.

النجّار، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم(١).

قال أنس: قال رسول الله ﷺ: ما من أحد أفضل من إمام إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن استرحم رحم. قال المأموني: وهذه الخصال اجتمعت في عليّ عليه السلام.

الفصل العاشر
في إظهار إسلام معاوية

شهر معاوية لعنه الله إسلامه يوم فتح مكّة. وقال بعضهم: كان ذلك قبل فتح مكّة، وإن صحّ ذلك فينبغي أن يكون قد ارتدّ بعده لأنّه من المجمع عليه أنّ المهاجرين والأنصار كانوا يخاطبونه بالطليق، ولم ينكر عليهم.

أمّا كيف أُطلق عليه هذا اللفظ فإنّ صاحب الفتوح ذكر أنّ ابن عبّاس كتب إليه جواباً عن كتابه وفيه: أمّا أنت يا معاوية فطليق بن طليق رأس الأحزاب، ابن آكلة الأكباد.

دخل أبو هريرة وأبو الدرداء على معاوية كما ذكر ذلك صاحب الفتوح، فذكرا مناقبه من السبق إلى الإسلام وغيرها، وقالا: أنت طليق ابن طليق وأبوك من الأحزاب، فقال: بلى صدقتما ولكن لا أطلب الخلافة بل أطلب بدم عثمان(٢).

---

(١) الكفي ٢: ٢٥٤، وفي السياقين اختلاف، و٣: ٣٢٧، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٩٠، مدينة المعاجز ٦: ١١٠، بحار الأنوار ١٣: ٥٨ وسياقه سياق المؤلّف، و٦٤: ٢٠٥، مناقب الشيرواني: ٤٣، مستدرك سفينة البحار ١: ٥٠٩ و٤: ٤٠٥، ألف حديث في المؤمن: ٤٢، الصافي ٤: ٢٥١، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٨٣، تفسير الميزان ١٧: ٨٣، قصص الأنبياء: ٤٦٥.

(٢) أقول: كيف يقول أبو هريرة هذا لمعاويه وهو من أنصاره وعشّاق مضيرته، ومن شانئي أمير المؤمنين وناصبيّ لعين، ويطيب للرواة دائماً أن يحشروهما معاً أبو الدرداء وأبو هريرة، فما هو السبب؟

قال حسام الدين وأبوالقاسم ابن أحمد المؤذني : قال الحسن : سمعت النبيّ يقول : الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وإذا رأيتم أحداً منهم على منبري فابقروا بطنه(١) .

قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لعمرو بن العاص لمّا رمى بنفسه وكشف سوئته : أنت طليق دبرك أيّام عمرك(٢) .

والمهاجر كلّ من أسلم قبل الفتح ، والأنصاريّ كذلك ، والطليق أولئك الذين ساقهم رسول الله يوم فتح مكّة لقتلهم وهم ألف وخمسمائة مابين رجل وامرأة ، ثمّ عفى عنهم وأطلقهم ولم يقتلهم ، مِن ثَمَّ يُدعَون الطلقاء ، وكان الفتح سلخ شهر رمضان ، وتوفّي النبيّ في ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة ، وكان معاوية قد قضى أكثر أوقاته في مكّة بعد الفتح ، فمتى وجد الأهليّة للخلافة ؟ وأين وجدها بل متى كتب الوحي للنبيّ صلى الله عليه وآله ؟!

وذكر أصحاب المغازي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يريد مكّة فقال وهو سائر : سيوافينا معاوية مرسلاً من أهل مكّة بطلب الأمان ، فبينما هم كذلك والنبيّ يحدّثهم إذ طلعت عليهم كوكبة وفيها أبو سفيان ، فهرع نحوه الأصحاب فصاح : يا محمّد ، إنّي مقتول ، مرهم ليوصلوني للعبّاس ، وكان العبّاس وكيله في الجاهليّة ، فأشار النبيّ إلى أصحابه أن خذوه للعبّاس ، فاستقبله العبّاس وعرض عليه الإسلام فلم يرض ، وعرض عليه النبيّ صلى الله عليه وآله الإسلام وقال : أما آن لك يا أبا سفيان أن تسلم ؟ فقال : أمهلني أربعة أشهر ، وقال بعضهم : إنّه أسلم ساعتها .

(١) كلمات الإمام الحسين : ٢٨٥ وفيه : إذا رأيتم معاوية ، الحديث . حياة الإمام الحسين للقرشي ٢ : ٢٧٥ ، وكلّ الأحاديث المرويّة تذكر آل أبي سفيان وليس الطلقاء إلّا هذان المصدران .

(٢) الغدير ٢ : ١٦١ ، المناقب للموفّق الخوارزمي : ٢٣٦ .

وصفوة القول: فلمّا أصبح الصباح أذّن المؤذّن فهب المسلمون للوضوء، فخاف أبو سفيان ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾(١) فقال للعبّاس: وما يصنع هؤلاء؟ فقال له العبّاس: إنّهم يتطهّرون للصلاة، فقال أبو سفيان: إنّهم يطيعون كلّ ما يقوله محمّد. فقال العبّاس ﷺ: نعم، فقال أبو سفيان: إذا نهاهم عن الأكل والشرب؟ فقال: نعم يتركونهما ويفعلون ما يُؤمرون. ثمّ قال: يا أبا سفيان، إنّي لأراهم سيهلكون قومك غداً.

فلمّا أصبح الصباح جاء به العبّاس إلى النبيّ ﷺ، فقال له النبيّ ﷺ: اترك اللات والعزّى، فقال: ما أصنع بهما إن تركتهما؟ فقال أحد الصحابة وكان حاضراً: تحروا عليه، فلمّا ركب الجيش أردف العبّاس أبا سفيان خلفه فمرّت عليه الكتائب كتيبة كتيبة إلى أن رأى راية رسول الله والسواد الأعظم، فقال: ما هذا السواد؟ فقال العبّاس: هذه كتائب ابن أخي، فقال أبو سفيان: ما أعظم ملك ابن أخيك! فقال: ليس هو بملك ولكنّه النبوّة.

وصفوة القول: إنّ النبيّ لمّا أمر منايه فنادى: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فلمّا سمعت هند قالت: والله لحري أوسع من دار أبي سفيان. وجاء أبو سفيان إلى مكّه وصاح: اسلموا تسلموا، وقالت هند: هذا قول من صبأ فجرته، وقيل: قبضت عليه من لحيته وجرّته من ثيابه ورأسه وقالت: صبوت؟ وأنكر عليه معاوية ذلك وحدث تغيير كبير في الإسلام.

قيل: وفرّ معاوية ذلك اليوم ولمّا عاد النبيّ ﷺ إلى المدينة كتب معاوية كتاباً إلى العبّاس أن يأخذ له الأمان من رسول الله ﷺ، ففعل العبّاس وجاء معاوية حتّى دخل على النبيّ وبقي النبيّ حيّاً من بعد ذلك ستّة أشهر.

---

(١) المنافقون: ٤.

قيل: إنّ معاوية استشار يزيد في البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقال له:

معاوي إنّ الشام شامك فاحترس ... وإيّاك أن تدخل عليك الأفاعيا

وحام علينا بالصوارم والقنا ... ولا تك مقصور الذراعين وانيا

وإنّ عليّاً ناظر ما تجيبه ... فاهد لنا حرباً تشيب النواصيا[(١)]

وكان مالك بن خالد القرشي حاضراً، فقال: يا معاوي، إنّك من أهل مكّة وابنك شرّ منك، يا معاوية إنّ أباك قد أسلم وهو كاره، وإن كنت نسيت ذلك فإنّي أُذكّرك حين ذهبت تلومه وتقرعه على الإسلام وتعيّره بهذه الأبيات:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

خالي وجدّي وعمّ الأمّ يالهم ... قتلى وحنظلة المهدي لنا الأرقا

لا تركنن إلى أمر تكلّفنا ... والراقصات به من مكّة الخرقا

فالموت أيسر من قول العصاة لنا ... خيل ابن هند عن العزّى كذا[(٢)] فرقا[(٣)]

قال معاوية: يا عجباً منكما أكرمكا وأموالكما وأنتما على عداوتكما إيّاي وبغضكما، وأورده بلفظ التثنية والخطاب لمالك بن خالد على عادة العرب في إجراء الواحد مجرى التثنية عند استعظام الشيء.

قال أبو سفيان ذات يوم وهو مختلٍ بهند: العجب من الله حين أنزل القرآن على

---

(١) الشعر للوليد بن عقبة أخي عثمان من أُمّه، كتبه إلى معاوية ومنه:

وإلّا فاسلم إنّ في السلم راحة ... لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا

الغدير ١: ٣١٧، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٨٤، تاريخ دمشق ٥٩: ١٣١ و١٣٢، سير أعلام النبلاء ٣: ١٤٠، أنساب الأشراف: ٢٨٩، البداية والنهاية ٨: ١٣٧، وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٢.

(٢) لنا.

(٣) التعجّب: ٣٨، الغدير ١٠: ١٦٨ و١٦٩، شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٩، النزاع والتخاصم للمقريزي: ٢٢، جواهر المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب لابن الدمشقي ٢: ٢٢٣.

يتيم أبي طالب ولم ينزله عليَّ أنا أو على عبدالله بن سلول المدني. ولمّا دخل على النبيّ في اليوم الثالث قرأ عليه النبيّ هذه الآية: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1].

وجاء في كتاب الحاوية: ولمّا بايع الناس عثمان قال أبو سفيان: قد عاد ملكنا فنرجو أن يعود ديننا، وكان الملعون يتمنّى عودة الشرك.

يقول مصنّف الكتاب: إنّ الشرك لم يعد ولكنّهم انتقموا له وأخذوا بثأره، كما قتل النبيّ من المشركين وأخافهم وروّعهم فأظهروا الإسلام رهبة قاموا بعد وفاة النبيّ بأخذ الثأر منه للشرك فأخذوا نحلة ابنته وعزلوا وصيّه عن خلافته المنصوص عليها وإمامته الموروثة ومنعوا ثياب الإسلام وحمل شعار النبيّ على الرأس ودفنوا أُصول الدين بنفاقهم، وغيّروا معالم الدين وبدّلوها.

في كتاب «الإنسي في قتل آل النبي» أورد المأموني أنّ النبيّ ﷺ لعن معاوية في سبعة مواطن وردّدها الإمام الحسن عليه السلام عليه في بعض محاوراته معه كما رواها حسام الدين القاسم من علماء أهل السنّة.

الموطن الأوّل: يوم خرج من المدينة ويوم عسير، ويوم الأُحد، ويوم الأحزاب، ويوم منع الهدي أن يبلغ محلّه، ويوم غطفان، ويوم العقبة إذ همّ بما لم ينل مع اثني عشر رجلاً ولم ينكر معاوية ما قاله.

خرج عبيدالله بن عمر يوم صفّين يطلب المبارزة فخرج إليه الحسن، فقال: يابن رسول الله، خالف أباك نولّك هذا الأمر فأنت خير منه، فقال الحسن عليه السلام: لا تكفر بالله ورسوله فإنّ النبيّ ﷺ قال حيث مدحنا: «أبوهما خير منهما» وأمّا

---

(١) الزخرف: ٣١.

معاوية وأبوه فلم يسلما لكنّهما استسلما، وأنّه خدعك عن دينك[1]، فضحك عبيدالله وعاد إلى معاوية وقال: خدعت الحسن فلم ينخدع، وهذا الكلام يدلّ على أنّ التقدّم على عليّ كفر.

وقال رسول الله ﷺ: يا علي، لا يتقدّمك بعدي إلّا كافر.

قال مصنّف الكتاب: والعجب من مؤلّف الحاوية المأموني وغيره حيث يروون هذا الحديث ومع ذلك يرون شيوخهم الذين تقدّموا على عليّ مصيبين، مع أنّ الإطلاق ظاهر الحديث.

الفصل الحادي عشر

ولمّا هلك يزيد لعنه الله وذهب إلى جهنّم سائت مستقرّاً ومقاماً، انتقل الأمر إلى ولده معاوية، وكان وليّ عهد يزيد ولكنّه أعلن البرائة منه فرقى المنبر ولعن يزيد أباه ومعاوية جدّه، فقالت له أُمّه: يا بنيّ، ليتك كنت حيضة في خرقة، فقال: وددت ذلك، وحكم أربعين يوماً ثمّ قضوا عليه بالسمّ وقتلوا معلّمه بدفنه حيّاً.

ذكر يوماً عند معاوية شجاعة عليّ والأشتر، فقال معاوية: فما منّا واحد إلّا وهو واتر له، فإذا اجتمعتم عليه فعسى أن تدركوا ثأركم منه، وشفيتم صدوركم، فأنكر عليه الوليد بن عقبة وقال: تقدّم الشيخين عليه، كان انتقاماً من الله ورسوله لواقعة بدر وحنين.

---

(١) سبق وأنّ ذكرها المؤلّف للحسين عليه السلام.

الفصل الثاني عشر
في خطبة ضرطة معاوية[١]

يقول المأموني السنّيّ في كتابه «الحاوية» بأسانيد صحيحة أنّ معاوية خطب يوم الجمعة فأفلتت منه ريح عاصفة، فبان الانكساف في وجوه الحاضرين وسببه أنّ صلف معاوية حمله على عمل هذا الفعل القبيح على منبر رسول الله ﷺ[٢] فقطع هذا الوكح الخطبة وقال: الحمد للّه الذي خلق أبداننا وأسكنها أرواحنا، وجعل فيها رياحاً وجعل خروجها للنفس راحةً، فربّما اختلجت في غير أوانها وانقلبت في غير وقتها فلا جناح على من جاء منه ذلك، والسلام.

فقام صعصعة بن صوحان العبدي وقال: صدقت يا معاوية، إنّ الله خلق أبداننا وأسكنها أرواحنا وجعل فيها رياحاً وجعل خروجها للنفس راحة، ولكن جعل إرسالها في الكنيف راحة وعلى منبر رسول الله بدعة (وقباحة) ثمّ قال: يا أهل الشام، قوموا فقد خرأ (أحدث) أميركم فلا صلاة لكم[٣] ثمّ خرج وتوجّه إلى المدينة.

---

(١) بيّنت للقارئ الكريم أنّي أذر العناوين التي وضعها المؤلّف على ما هي عليه بدون أدنى تغيير لوضعها بالعربيّه وأنا أُترجم الكتاب من الفارسيّة إلى العربيّه فإلى أيّة لغة أُترجم العربيّة هذا وإن خالفت القواعد أو اللياقة.

(٢) لا شكّ أنّ الرجل اقتدى بأُستاده في الظلم وبغض أهل البيت والغشم والغصب والضراط عمر بن الخطّاب لعنة الله فقد كان يفعلها على منبر رسول الله ﷺ.

(٣) شجرة طوبى ١: ٩٥، مواقف الشيعة ٣: ٢٥٧.

الفصل الثالث عشر

جلي[١]

في اشتقاق اسمه

قيل: اختلف شيعيّ وسنيّ في عليّ ومعاوية، فحكموا أعرابيّاً، فقال الأعرابيّ: أنا لا أعرف أيّاً منها ولكن من حيث الاشتقاق فمعاوية مشتقّ من «عوى الكلب عواءاً»، ومعاوية يقال لأُنثى الكلاب التي تعاوي غيرها، واشتقاق عليّ من «علا يعلو علوّاً فهو عال، وعليّ فهاهنا كريم عال وثمة كلب، وعمّته حمّالة الحطب وهي أُمّ جميل بنت الحرب أُخت أبي سفيان وزوجها أبو لهب، والشجرة الملعونة في القرآن معاوية وسائر بني أُميّة.

في بيان مذهب معاوية

اعلم بأنّ واضع عقيدة الجبر معاوية.

في المصابيح عن عبيدة بن الجرّاح عن الرسول ﷺ: لا يزال أُمراء أُمّتي قائمين بالقسط حتّى يكون أوّل من ثلمه رجل من بني أُميّة.

وقال أبو عليّ: أوّل من وضع الجبر معاوية بن أبي سفيان. يقول:

وجدنا معاوية بن البغي — أكذب قولاً من الفاختة

لقد أحدث الجبر في ديننا — وأحيا به البدع المائتة

متى ما أتى ما يزور الحجيج — أتيناه بالحجج الثابتة

---

(١) هكذا هي مسطورة في العنوان ولم أرد حذفها وأحسبها مشتقّة من الجلاء وأضعها بيد القارئ ليحتال لفهمها.

وآذى النبيّ وسبّ الوصيّ — وسمّ ابن فاطمة القانتة
لذلك يلعنه اللاعنون — وأنكر لعنته الثابتة

الفصل الرابع عشر
الجلي
في وفات معاوية

في آخر مرض مرضه حيث انتقل إلى دار البوار وجهنّم القرار خطب هذه الخطبة: أيّها الناس، إنّ من زرع قد استحصد، وإنّي ولّيتكم يزيد ولن يليكم أحد بعدي ألا وهو شرٌّ منّي كما كان من قبلي خير منّي، وذكر أوضاعه وأوصى بوصاياه وأخذ البيعة ليزيد الكافر من أهل العراق والحجاز والشام، وقال: ولن أقدر على ابن العاص في أخذ البيعة منه ـ قال هذا ليزيد ـ فإذا فرغت من جهازي فأخبره بأنّ أبي أمر أن تنزله حفرته فإذا وضعني في القبر فجرّد السيف عليه وخوّفه بالقتل حتّى يبايع[1].

ولمّا نزل عمرو بن العاص في حفرة معاوية ليودعه لحده سلّ يزيد سيفه وقال: بايع وإلّا ضربت عنقك وأدفنك مع أبي في حفرة واحدة، وكما أوصى معاوية يزيد بهذه الطريقة حمله على البيعة، فركل عمرو معاوية برجله مرّة أو مرّتين وقال: أُقسم بالله بأنّ هذا النغل لا يهتدي إلى هذه الطريقة لولا ما علّمته «هذا أيضاً مكرك عشت لعيناً ومتّ لعيناً سعّر الله لك نار جهنّم».

---

(١) كانت وفاة عمرو بن العاص قد سبقت هذا التاريخ بوقت طويل حيث توفّي بعد صفّين بسنتين ولهذا يظهر أنّ الحكاية موضوعة وكنت أسمعها تتردّد على الألسن ولا أعرف مصدرها حتّى عثرت عليها هنا.

وصعد يزيد المنبر بعد دفنه أباه وقال[1]: إنّ أبي أوصفاني أن أحذر من آل أبي تراب.

وقال معاوية ليزيد: يا يزيد، لا تقتل حسيناً، لا لأنّ قتله خطيئة ولكن لتشنيع أهل العراق عليك ولكن احبسه حتّى يموت في الحبس وهذا دليل على أنّ معاوية مات على الكفر.

ودعا معاوية خطباء الشام ومؤذّنيها وقال لهم: العنوا عليّاً بعد كلّ أذان وخطبة ليكون ذلك سنّة في الناس، ورفعه عمر بن عبدالعزيز بعد أن كان سائداً، وقال عامّة الناس يومذاك غيّرت السنّة وبدّلت السنّة.

يقول صاحب كتاب الفردوس: أوّل من يختصم يوم القيامة بين يدي الله عليّ مع معاوية[2] كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[3].

الفصل الخامس عشر
في سمّ معاوية الحسن عليه السلام

ولمّا انتقل أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الرفيق الأعلى صعد الإمام الحسن عليه السلام المنبر وقال: قبض البارحة رجل لم يفتر من ذكر الله طرفة عين، لم يسبقه السابقون ولم يلحق به اللاحقون، وكان والرسول حيّ طوع أمره ونهيه، واستقام الإسلام بجهاده، وكان النبيّ إذا أرسله على رأس جيش يكون جبرئيل عن يمينه وميكائيل

---

(١) من المعلوم بأنّ يزيد لم يكن حاضراً في دمشق مهلك أبيه وتولّى جهازه الضحّاك بن قيس وصعد المنبر وأكفان معاوية على ذراعه وهنا ينبغي أن ينظر إلى روايات المؤلّف بحذر شديد.

(٢) طبقات المحدّثين باصفهان ٢: ٣٠١: أوّل من يختصم من هذه الأُمّة بين يدي الله عليّ ومعاوية.. الخ.

(٣) الزمر: ٣١.

عن يساره، ونصر الله تعالى بين يديه، ولم ينهزم بحرب قطّ، ومات في ليلة فيها رفع عيسى بن مريم، وتوفّي يوشع بن نون، ولم يترك بيضاء ولا صفراء إلّا سبعمائة درهم اقتطعها من عطائه وأمرني أن أشتري بها خادمة لأهله، ثمّ اختنق بعبرته فأبكى من حضر وقال:

أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، ابن الداعي بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله حبّهم فقال عزّ من قائل: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(1) والحسنة مودّتنا أهل البيت.

ثمّ قام عبدالله بن عبّاس وقال: أيّها الناس، هذا ابن رسول الله ووصيّ إمامكم فبايعوه، فبايعه الناس، وأقبل عليه الحاضرون ورضوا بقتال عدوّه معه، فاجتمع حوله خمسون ألف رجل.

ولمّا بلغ معاوية نبأ شهادة الإمام عليه السلام شمت به وبشّر الناس بذلك، ثمّ أرسل رجلين لاغتيال الإمام الحسن، أحدهما: من قيس، والآخر من حمير، فانكشف أمرهما فقبض عليهما وقتلا في الحال.

فأقبل معاوية يريد العراق فاستقبله الحسن عليه السلام وقدّم أمامه عبيدالله بن العبّاس وقال عن طريق المعجزة: فإن جرى له أمر فأمير الناس قيس بن سعد. فأغوى معاوية عبيدالله بالمال فلمّا جنّ عليه الليل تحمّل إلى معاوية مع خاصّته، فكتب قيس إلى الإمام الحسن فوراً يعلمه بواقع الحال، وكتب رؤساء الجيش وأُمراء الولاية إلى معاوية كتاباً: إن شئت أوثقنا الحسن كتافاً وأرسلناه إليك، وإن شئت بعثنا إليك برأسه، فجمع معاوية الكتب وبعث بها إلى الحسن، وقال له: أبهذا

---

(1) الشورى: ٢٣.

الجيش تحاربني، وأقبل الإمام الحسن إلى ساباط وخطب الناس في اليوم الثاني من نزوله بها فقال:

أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله بالحقّ، وأمينه على الوحي، أمّا بعد، فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّته، وأنا أنصلح خلق الله بخلقه وما أصبحت متحمّلاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة (ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة) ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبّة الرضا[1].

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنّه والله يريد الصلح مع معاوية ويسلّم الأمر إليه فشدّوا على فسطاطه فانتهبوه حتّى أخذوا مصلّاه من تحته، ونزعوا مطرفه من عاتقه، فبقي جالساً متقلّداً السيف بلا رداء.

وركب الحسن وقال: مروا ربيعة وهمدان أن يسكّتوا هؤلاء الغوغاء وكانت هاتان القبيلتان من أوليائه، ولمّا بلغ ساباط وقد خيّم الظلام عمد رجل ويدعى جرّاح بن سنان لعنه الله وضرب الإمام عليه السلام بمغول بيده في فخذه حتّى بلغ العظم ورمى بنفسه عليه ليغتاله وأحدق به جماعة من المؤمنين فضربه عبدالله بن حنظلة بالسيف حتّى برد.

وحمل الإمام الحسن عليه السلام بمحفّة إلى المدائن، ونزل في بيت سعيد بن مسعود الثقفيّ وتفاقم الوضع في معسكر الإمام الحسن عليه السلام وتواتر الكتب من قادة عسكره على

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٤١، الإرشاد ٢: ١١، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٩٥، بحار الأنوار ٤٤: ٤٧، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٠، الأخبار الطوال: ٢١٦.

معاوية يوماً بعد يوم ليأذن لهم بقتل الحسن عليه السلام أو بأسره أو إرساله إليه، وطلبوا حلوله في ا العراق، وأقبل معاوية إلى العراق وكتب بينه وبين الإمام الحسن عهداً أن لا يسبّ عليّاً وأصون مواليه، ولا أخيف شيعتكم شريطة أن تقبع في زاوية وكتب في هذه الوثيقة أن لا يعهد في الأمر إلى يزيد من بعده.

وخرج الإمام الحسن إلى المدينة ومنع مروان من الخطبة، فذهب مروان إلى الشام وحرّض معاوية على قتل الحسن عليه السلام، فقال له معاوية: اذهب وافعل ما تراه ممكناً، فأقبل مروان إلى المدينة وجائته ذات يوم وهو في بيته جارية عبيدالله بن عمر وكانت مشّاطة تتردّد على بيوت الأعيان لتزيين نسائهم، وكان محمّد بن الحنفيّه قد قتل سيّدها عبيدالله بن عمر في حرب صفّين وسألها عن حالها ثمّ قال: إنّ عندي سرّاً إن عاهدتيني على كتمانه أفضيت به إليك، فأقسمت له يميناً غموساً أنّها تكتم السرّ إذاكان الأمر كذلك، فينبغي أن توعزي إلى جعدة بنت الأشعث أن تدسّ السمّ إلى الحسن، وهي زوجته وبإمكانه ان تفعل.

فذهبت تلكم اللعينة إلى جعيدة وطلبت منها ذلك وقالت لها: إنّ معاوية يريد أن ينكحك ابنه يزيد ويعطيك ملك العرب، فوافقتها على ذلك فأرسل مروان مملوكه إلى معاوية وأخبره برضا جعيدة بسمّ الحسن عليه السلام، فدفع لها معاوية ألف دينار وكتب إلى مروان أن يتمّ القضيّة، فأرسلت جعدة تطلب السمّ، فأرسل مروان ولده عبدالملك إلى معاوية ليأتي بالسمّ، وجاء معه بهدايا كثيرة إلى جعدة مع خاتم يحمل شعار الملك.

وكان الإمام الحسن يستطيب العسل الأبيض، فلمّا جاء إلى البيت كانت اللعينة قد وضعت ذلك السمّ في العسل وقدّمته للإمام الحسن عليه السلام وحضر عنده محمّد بن الحنفيّة فنهاه الإمام عن شرب العسل وقال: إنّه لا يلائم حرّ مكّة وأنت قادم منها وقد أثّر فيك حرّها، وحضر الحسين فأرسلت اللعينة عسلاً آخر إضافة على

الأوّل بدون سمّ للحسين عليه السلام، ثمّ شرب الإمام الحسن العسل المسموم ولمّا جنّ على الإمام الحسن الليل شعر بآلام السمّ، فقاء كثيراً فسقوه لبناً قد غلي وفي اليوم الثاني آلمه السمّ فصنعوا له شراباً من العسل فوضعت جعدة في العسل سمّاً آخر فلمّا شرب الإمام شراب العسل ازداد الألم في أحشائه فقام من مكانه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وحمل من تراب قبر النبيّ ذرّة وأمر أن تذوّب في شرابه ويسقاها، فسكن الألم عنده أربعين يوماً.

وجاؤوا للإمام الحسن بطعام من بيت الحسين، وقالت جعدة ذات يوم: أتحفونا برطب من حائطنا أتأذن أن أجيئك بشيء منه، فقال الحسن عليه السلام: افعلي، فأقبلت بالطبق وسمّت جانباً وتركت جانباً آخر، ووضعت الجانب المسموم قبالة الإمام الحسن، فاكل الإمام من الطبق رطيبات مسمومة فازداد ألم السمّ، فقالت جعدة: كان الرطب في الطبق وهو مكشوف لعلّ أفعى أو عقرباً سمّت الرطب، فأبهمت الأمر على الإمام الحسن عليه السلام وغابت عن البيت أربعين يوماً وكان طبيب نصرانيّ يعالجه، فقال ذات يوم: الهواء هنا لا يطاق وينبغي عليّ أن أذهب إلى الموصل.

وكتب مروان إلى معاوية أنّ الحسن سُمّ مرّات فما أثّر السمّ فيه فلا تغفل عنه، فاستدعى معاوية واحداً من أهل التصوّف أعمى، وأعطاه مالاً عدداً من الدنانير وأعطاه عصًى فيها زجّ مسموم، فجاء الإمام الحسن وأظهر محبّته وكان لا يفارق الإمام عليه السلام، وعزم يوماً على زيارة الإمام الحسن كما هي عادة المتصوّفة حيث يقبّلون يد الشيخ، فتقدّم إلى الإمام بحجّة تقبيل يده فوقع الزجّ على قدمه واتكأ عليه بكلّ قوّته، فأراد الناس قتل الصوفيّ ومنعهم الحسن عليه السلام فخرج من هناك وركب إلى دمشق فأمر عبدالله بضرب عنقه في الطريق.

وكان رجل يدعى إسماعيل يخدم الإمام الحسن فأعطاه يوماً بطّيخاً قد أعدّه للأكل بسكّين مسموم وأطعم منه الإمام الحسن عليه السلام وان يقطع لنفسه بسكّين

أُخرى غير مسمومة ، فأحسّ الإمام بالمرارة وعلم بذلك فأراد الناس البطش بإسماعيل فمنعهم الحسن عليه السلام منه ، وقال : إسماعيل خدمنا وختمها بذهابه إلى النار .

وكان سعد مولى أميرالمؤمنين في الشام ، ولمّا عاد رأى في موضع من الطريق شخصاً قتيلاً وجملاً نافقاً ، وأمام القتيل آثار البطّيخ مطروحاً ، فترجّل إلى الأرض ورأى في تلك الرسالة ماكتبه معاوية إلى إسماعيل ومعها زجاجة السمّ التي أرسلها معها ، ولمّا وصل سعد إلى المدينة رأى الإمام الحسن عليه السلام عليلاً فبكى وأعطى الكتاب إلى الإمام الحسن عليه السلام فقرأه وخبأها تحت جنحه .

ولم توات الفرصة مسعوداً الثقفيّ ولا المختار ليتحدّثوا مع الإمام الحسن عليه السلام فأشاروا إلى عبدالله بن عبّاس فتعجّل عبدالله وأخذ الكتاب ودفعه إلى مسعود ، فقال : نحن مع العدوّ ليلنا ونهارنا ولا نعلم بخبره ، فرام المختار قتل إسماعيل فقال له الإمام الحسن عليه السلام : كلّا فأنت رجل ثائر وقتله يهيج العامّة ولكن ليذهب عون ويحضر لنا إسماعيل ، فذهب عون وأقبل بإسماعيل ، فقال الحسن عليه السلام : يا إسماعيل ، من هم آل يس في هذه الأُمّة ؟ فقال : عليّ وفاطمة وأنت وأخوك الحسين ، فأعطاه الحسن كتاب معاوية ، فنهض المختار وضرب عنق ذلك اللعين ونهب متاعه وقتل ولده ، عند ذلك غادر الإمام الحسن ذلك المكان إلى الكوفة وزار قبر والده وعاد إلى المدينة .

وأعاد معاوية الكرّة فأرسل السمّ ثانيه إلى مروان مع مسحوق من ألماس ، فبعث مروان به وبالسمّ إلى جعدة مع هدايا وعهود ومواثيق جديدة ، فأصلحت جعدة من نفسها وأقبلت إلى الإمام الحسن عليه السلام وقالت في نفسها : إن بصر بي أحد فأنا ذاهبة إلى زوجي ، وإلّا فسوف أعمل ما أُريد ، ووضعت اللعينة سُلّماً وارتقت إلى سطح الدار فرأت القوم نياماً ، ورأت الكوز الذي يشرب منه الحسن مغطّئاً ، فوضعت مسحوق ألماس في الكوز ومسحت يدها به ونزلت من أعلى الدار

وخبأت السُلّم، ولمّا استيقظ الإمام وجد الكوز على حاله وكان محتاطاً من غدر جعدة، ولمّا شرب جرعات من الماء عاوده الألم بأكثر ممّا كان، فصاح بأعلى صوته يريد حسيناً عليه السلام، فأوصاه بوصاياه وسلّمه سلاح رسول الله وأمير المؤمنين التي أودعاه عند الإمام، وحوّل إليه الإمامة ومقاليد الشريعة، وقال: أنا أعرف من هو الذي سمّني ولكن احذر أن تأخذ بريئاً بدمي وأن تريق من أجلي محجمة دم، وخذني إلى قبر جدّي بعد تجهيزي، فإن منعوك أن تدفنني هناك عنده خذني إلى البقيع عند قبر خالي إبراهيم بن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّتي فاطمة بنت أسد، وأراد الحسين عليه السلام أن يشرب ماءاً من ذلك الكوز فانتزع الحسن عليه السلام من يده وضرب بها الأرض فتكسّرت، ولمّا انفلق عمود الصبح ترك الوجود الفاني إلى الوجود الباقي، وفارق الدنيا إلى الرفيق الأعلى.

ولمّا فرغ الإمام الحسين عليه السلام من تجهيزه ووضعه على السرير، عزم على حمله إلى روضة النبيّ صلى الله عليه وآله وهنا أحضر مروان من جند الشام الموجودين في المدينة خمسين ألفاً من الرجال وأرسلهم إلى عائشة حتّى ركبت البغلة وتقدّمت الجيش وجرت بينها وبين الحسين عليه السلام وعبدالله بن عبّاس مناظرات حادّه، فقال لها عبدالله:

تجمّلت تبغّلت ولو عشت تفيّلت — لك التّسع من الثّمن وفي الكلّ تملّكت

يوماً على جمل تخرجين لحرب أبيه، ويوماً تخرجين غلى بغل لحرب الولد، وما نلتيه من اسم وشرف هو من عندنا كما قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1]، فتناولت عائشة القوس من مروان، ورمت الجنازة بسهم، وقالت: لا تُدخلوا بيتي عدوّي وابن عدوّي وأبعدوه عنّي، وفعل الحسين عليه السلام بوصيّة الحسن فحمله إلى البقيع وقال: لولا وصيّة سبقت منه لدفنته مع جدّه وليكن ما يكون، فلجأت تلك

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

اللعينة جعيدة إلى بيت مروان وحملها إلى الشام، فسألها معاوية عمّا جرى وقال: أما استحييت أيّتها اللعينة من الله ورسوله ممّا فعلت بسبط رسول الله ؟! فأمر بأخذها خارج بيته وقتلها، فخسرت الدنيا والآخرة لعنة الله عليها.

الفصل السادس عشر
قتل معاوية عائشة

ولمّا وصل معاوية إلى مكّة لأخذ البيعة ليزيد وقد بايعه أهل العراق وأهل الحجاز، فهدّدته عائشة لقتله أخاها محمّداً بن أبي بكر وأرسلت له: إنّك قتلت أخي وتريد أن تأخذ البيعة لولدك يزيد، وخوّفه عمرو بن العاص قائلاً: إن سلّطت عائشة عليك لسانها فستهيّج عليك العامّة فانظر لنفسك.

فبعث إليها بهدايا عدّة بيد أبي هريرة وشرحبيل على دفعات ووعدها بالمصالحة وتولية أخيها عبدالرحمان بن أبي بكر ونظير هذه الوعود وقال: نحبّ أن تزورنا أُمّ المؤمنين في يوم من الأيّام بنفسها وعمد إلى بئر فاحتفرها وملأها بالنورة ووضع عليها فراشاً غالي الثمن ونصب عليه منبراً ودعاها وقت الصلاة وقال: لأجعلنّ آلاف الدنانير نثاراً لقدومك، فخرجت عائشة ومعها غلام هنديّ على حمار مصريّ، فبالغ معاوية بإعزازها وإكرامها وأومأ إليها بالجلوس على الكرسيّ، وما أن جلست عليه حتّى انهار بها داخل البئر وأمر معاوية فوراً بقتل المملوك والحمار ورموهما في تلك البئر وساووه بالالرض.

اختلف الناس فيما بينهم فمن قائل أنّها ذهبت إلى المدينة، ومن قائل بأنّها ذهبت شطر اليمن، وكان الحسين وحده يعلم واقع الحال وجماعة من أصحاب معاوية،

وأعطى الإمام الحسين ميراثها إلى ذويها[١].

الفصل السابع عشر
في يزيد اللعين وقتله للحسين عليه السلام وأصحابه

ولمّا هلك معاوية جلس يزيد في عزائه أيّاماً سبعة وخطب في اليوم السابع ودعا الناس إلى تجديد البيعة ونزل من المنبر وخلع على الأُمراء وشاور وزرائه وكتّابه في الحسين بن عليّ عليه السلام وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وعبدالرحمان بن أبي بكر، فقالوا له: أرسل إلى المدينة لكي يأخذوا البيعة منهم لك وإن يفعلوا فليرسلوا برؤوسهم إليك، فكتب يزيد كتاباً إلى الوليد بن عتبة وكان عامله على المدينة، وحين بلغه الكتاب بعث مروان بن الحكم رجلين في طلب الحسين عليه السلام فوجدوه وعبدالله بن الزبير في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال الحسين عليه السلام: أظنّ طاغيتهم قد هلك وبعث ورائنا الوالي لأخذ البيعة ليزيد، ولمّا عاد عبدالله بن الزبير إلى البيت هرب مع أخيه ابراهيم تحت جنح الظلام إلى مكّة فخرج في طلبه في اليوم الثاني ثمانون رجلاً فلم يعثروا له على عين ولا أثر.

وأقبل الحسين عليه السلام إلى البيت واصطحب معه إلى ديوان الوالي خمسين رجلاً من أقربائه ومعهم سلاحهم، وقال: كونوا على الباب فإذا جرى عليّ أمر وسمعتم صوتي قد علا فاهجموا عليه وخلّصوني من بين يديه. فدلف الحسين عليه السلام إلى دار الأمير وسلّم، وكان مروان وابن عتبة على السرير وإلى جانبهم قوم وقوف، ولمّا

---

(١) لست أدري ما الحاجة إلى نقل هذه الغرائب التي تسيء إلى المذهب وأهله، وكيف التصديق برواية ليس لها سند ولا هي معزوّة إلى مصدر حتّى بالوجادة، والمؤلّف فاضل ورائد للتشيّع ولكن له ولع خاصّ بمثل هذه الروايات المستغربة.

أخذ مكانه من المجلس رمى إليه الأمير كتاب يزيد فقرأه وقال: أمهلوني هذه الليلة لآخذ للأمر أُهبته وغداً يكون الجواب، ونهض الحسين عليه السلام من فوق السرير. وقال مروان للوليد وألحّ عليه أن لا يترك الحسين يفلت من يديه، وقال: لا تدعه يخرج وإلّا تعرّضت لعتاب يزيد، وإنّك لا تقدر على مثلها منه بعد اليوم حتّى تسيل الدماء بينك وبينه. وأقبل يلحوا الأمير وينحي عليه باللائمة ويأمره بالقبض على الحسين عليه السلام، فأمسك الحسين عليه السلام كرسيّاً من الحديد كان مسنداً إلى الجدار ورمى به مروان فهرب مروان إلى داره ووقع الكرسيّ في الحائط وتخلع الكرسي.

وكانت الواقعة في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، ولمّا عاد الإمام إلى البيت أعدّ مائتين وخمسين بعيراً للسفر وحمل عليها الأهل والأقارب من بني هاشم من الرجال والنساء ما عدا محمّداً بن الحنفيّة بقي في المدينة، وقال لقيس بن سعد بن عبادة: تعقبني ومعك من الرجال مائتان لئلّا يخرج أحد في طلبنا، فإن خرج أطبقنا عليه نحن الاثنين أنا وأنت ونقضي عليهم جميعاً(١).

وقال له أصحابه وأهل بيته: لو تنكّبت الطريق كما فعل ابن الزبير وأخوه إبراهيم، فقال الحسين عليه السلام: أعوذ بالله من أن أذلّ، لا أمشي إلّا بالجادّة العظمى، خلق المرء للموت. وانطلق من المدينة ووصل إلى مكّة سلخ شعبان(٢)، ولمّا وقعت عينه على بيوت مكّة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾(٣) الآية، ولمّا دخل مكّة نزل في

---

(١) أقول: كيف يكون الطلب بينهما وهو إن خرج وراء الحسين فإنّما يخرج بعد لحوق قيس له اللهمَ إلّا أن يتربّص به قيس الخروج ثمّ يتعقّبه.

(٢) وهذا لا يصحّ لأنّه إن خرج صبيحة لقائه مع الوليد فهو اليوم السابع والعشرون من رجب والمسافة لا تقتضي هذه المدّة وإنّما وصل إلى مكّة في الخامس من شعبان وهذا هو المؤكّد من الرواة.

(٣) القصص: ٢٢.

بطحائها، وثقل قدومه على ابن الزبير لأنّ أهل مكّة من بدو وحضر تركوا ابن الزبير وأقبلوا عليه يسألونه عن الحلال والحرام ومناسك الحجّ، وكان عبدالله بن الزبير يزوره بين الحين والحين.

الفصل الثامن عشر
الجلي
في أهل الكوفة ودعوتهم للحسين عليه السلام

اجتمع في بيوت القاضي شريح سبعون رئيساً فتعاهدوا بينهم وأقسموا بالأيمان المغلّظة أن يمدّوا الحسين عليه السلام بالمال والنفس والنفيس، وكتبوا إليه: ليس علينا إمام وليس لنا جمعة ولا جماعة، وكانت الكتب تردّه أُسبوعاً بأُسبوع يدعونه إليهم ويوفدون إليه الرسل على التوالي والتواتر حتّى وصل إليه في أيّام معدودة مائة كتاب، ولمّا تمّت الحجّة للإمام عليه السلام ووعدته الرعيّة بالنصرة وإظهار الحقّ والدعوة وإقامة قواعد الدين، وكان الإمام الحسين عليه السلام في مكّة والمدينة يعيش في أجواء التقيّة واضطرّه إليها ظروف الخوف المحيطة بجنابه عليه السلام.

ودعا مسلماً بن عقيل عليه السلام وكتب معه كتاباً إلى أهل الكوفة وأوفده إليهم وكان رجلاً أميناً جلداً ثقة، وفيها: بعثت إليكم مسلماً الأمين الثقة من أهل بيتي، ابن عمّي، ليطلعني على أمركم واجتماع ملأكم ويكتب إليّ بذلك، وأنا على أثره إن شاء الله.

فاستأذن مسلم عليه السلام وخرج من طريق المدينة وزار قبر النبيّ وقبر الحسن صلّى الله عليهما وآلهما، وقال: عسى أن لا أعود بعد سفري هذا، وأحيا ليال ثلاثاً بالعبادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ ودّع عياله وأخذ دليلاً يدلّه على الطريق،

وتجنّب الطريق العام، فعطشوا في الطريق ومات الدليلان ونجى بحشاشة نفسه إلى أن وصل إلى موضع يقال له: المضيق من بطن الخبت، وكتب من هناك كتاباً إلى الحسين وأرسله مع قيس بن فهر وأعلمه بحاله وما جرى عليه وقال: إنّي تخوّفت من وجهي هذا واستعفى الحسين عليه السلام، وجائه الجواب: لا سبيل إلى ترك ذلك فهذه كتب أهل الكوفة لا تكاد تفارقنا وهي حجّة الرعيّة علينا، وقد تمّت.

فسار مسلم إلى الكوفة ونزل بدار المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ، فاجتمع حوله الرؤساء والأُمراء وقاموا بإعزازه وإكرامه، وحملوا كتاب الحسين عليه السلام على رؤوسهم وبلغ النعمان بن بشير مجيء مسلم وهو في قصر الإمارة عامل على الكوفة من قِبَل يزيد، وبايع مسلم من أهل الكوفة ثاني يوم من نزوله فيها ثمانية عشر ألفاً على أنّهم ينصرون الحسين ويحمونه من العدوّ، وإن أراد قتالاً قاتلوا معه.

وأقبل النعمان بن بشير من قصره وصعد المنبر وشرع بتهديد القوم، وقال: إنّ جيش الشام على الأعتاب وهو حمل ثقيل عليكم، ويزيد هو وليّ المسلمين اليوم فأخشى أن ينالكم بأذى، فقال له عبدالله بن الحضرميّ: الملك عقيم فاقبض على مسلم واقتله، وكان النعمان حسن السيرة فأبى عليه ذلك، وكتب إلى يزيد كتاباً يعلمه فيه بحال مسلم، فلمّا قرأ كتابه أسرع إلى نصب عبيدالله بن زياد مكانه، وكان هذا اللعين حاكماً على البصرة، فولّاه يزيد على العراق كلّه، فاستخلف عبيدالله أخاه عثمان على البصرة وسار إلى الكوفة ومعه عسكر مجر، ولمّا وصل الكوفة وصلها ملثّماً على عادة العرب في أسفارها، فظنّه الناس الحسين بن عليّ عليه السلام فرحّبوا به وما مرّ على ملأ إلّا خفّوا في وجهه قائلين: مرحباً بك يابن رسول الله، وكان اللعين يردّ عليهم بإشارة السوط، فقال بعضهم: ليست هذه أخلاق الحسين.

فلمّا وصلوا إلى باب القصر حسر عن لثامه وقال: كم تقولون: ابن رسول الله، أنا عبيدالله بن زياد، أمرني يزيد على مصركم هذا ودخل قصر الإمارة ومعه

رؤساء الولايات وقال: سأفعل بكم ما تريدون فعله فيّ، فبايعه الجميع من شدّة خوفهم ثمّ خطبهم وقال في خطبته: إنّ يزيد ولّاني على العراق وأمرني بالإحسان إلى المطيع وقطع رأس العاصي وأن أبعثه إليه، ونادى مناديه: من كان في بيته من طلبة يزيد أحد فليوجّه به إلينا وإلّا أحرقنا داره وقتلناه على بابها ونهبنا ماله.

فانتقل مسلم من بيت المختار إلى بيت هاني بن عروة وهو وإن كان على خوف شديد من عبيدالله ولكن حسن الرأي حمله على استضافة مسلم عليه السلام، ودعا عبيدالله مملوكاً له اسمه معقل وأرسله للتجسّس عليهم ومعرفة أخبار مسلم من شيعته، ولمّا علم بمسلم في بيت هاني أخبر بذلك عبيدالله فاستدعى هاني وهدّده بإنزال العقاب الشديد به، فخرجت مذحج وراء هاني وهي قبيلته تثير الشغب ولكن القاضي شريح لعنه الله استطاع أن يخمد هذه الفتنة.

وخرج مسلم من دار هاني وقد دار به أربعة آلاف رجل، ولمّا بلغ باب المسجد تناقص عددهم فلم يبق معه إلّا خمسمائة رجل وهرب الباقون، وقصد بهم مسلم باب قصر الإمارة ولم يكن معه إلّا شرذمة قليلون، فخاف عبيدالله وأقبل الكوفيّون يدخلون القصر من درب الرومي، وصعد لعينان منهم على السطح فنادى مناديهما: أيّها الناس، احذروا الأمير يزيد فإنّ جيش الشام على الأبواب، فكان الناس يأتون إخوانهم وأقربائهم ويأخذونهم من الجمع إلى بيوتهم، وكان مسلم رجلاً شجاعاً فلم يثن ذلك من عزمه وبقي يقاتل حتّى غابت الشمس واجتمع حولَه الهمج الرعاع من السكك والحارات ثلاثون ألفاً، ولمّا ذهب إلى المسجد ووقف للصلاة هربوا بأجمعهم إلّا ثلاثة، فلمّا هوى إلى سجدة الشكر رفع رأسه فلم يجد هؤلاء الثلاثة فبقي وحيداً فريداً. فخرج من المسجد يتلدد في الطرقات إلى أن وصل إلى باب امرأة مؤمنة من شيعة أهل البيت تُدعى «طوعة» فطلب مسلم منها ماءاً، فلمّا شرب وعادت بالقدح رجعت وإذا مسلم ما يزال على

الباب واقفاً، فقالت: يا رجل، سقيتك ماءاً فاذهب راشداً من هنا، فإنّ وقوفك على بابي في هذا الليل يدعو إلى الريبة، ونصحته ثلاث مرّات كلّما دخلت وخرجت، وكان مسلم ساكتاً لا يحير جواباً، إلى أن قال لها: أنا غريب في هذا البلد، فهل لك في أجر وثواب تبيتيني عندك هذه الليلة، فقالت طوعة: من أنت؟ فأخبرها بأمره، فأدخلته طوعة دارها ومهّدت له فراشاً وآتته طعاماً، فاعتذر عن الأكل، وطلب ماءاً للوضوء وقال: هذه الليلة آخر عمري، وأحيا الليل كلّه.

وكان لطوعة ولد اسمه بلال من أصحاب عبيدالله بن زياد، فمضى هزيع من الليل حتّى رجع إلى البيت، فلامته طوعة على تأخّره في العودة، وقال: إنّ الأمير وعد بجوائز سنيّه لمن وجد مسلماً وكنت جادّاً في طلبه، وكانت طوعة تكثر من التردّد على مسلم، فاتّهمها بلال في وضعها المريب، فألحّ عليها لتخبره، فامتنعت أوّلاً، وما زال يلحّ عليها حتّى أخذت عليه العهود الموثّقة والمواثيق المغلّظة أن يكتم سرّها، ثمّ قالت له: أُبشّرك بأنّ الله تعالى ساق لنا الخير كلّه، فهذا مسلم بن عقيل في بيتنا، وقد قسم الله لنا الشرف كلّه، فخبأناه في دارنا وسوف نسعد غداً يوم القيامة بشفاعة المصطفى والمرتضى وفاطمة الزهراء، وننجو من عذاب النار.

فلمّا أصبح اللعين خرج مبادراً إلى عبيدالله بن زياد فأمّر محمّداً بن الأشعث على سبعين رجلاً وقال له: اذهب وأتني بمسلم، فقصد ابن الأشعث دار المرأة طوعة، فلمّا سمعت صهيل الخيل وكان مسلم يعبد الله ويدعوه فعجّل في دعائه وأفرغ عليه لامة حربه وقال لها: لقد نلت شفاعة النبيّ ﷺ ـ يا طوعة ـ بإحسانك هذا، ولقد سنح لي عمّي أميرالمؤمنين هذه الليلة وقال: إنّك قادم علينا غداً.

وبلغ الجيش باب الدار، فخاف مسلم أن يحرقوه عليهم، فأسرع مبادراً للخروج من الدار، وقتل من الأوباش اثنين وأربعين رجلاً وهرب الباقون، وكان يمدّهم عبيدالله بن زياد ساعة بعد ساعة بالخيل والرجال، وصاح بهم عبيدالله بن

زياد: أما تستحون! تفرّون من واحد وأنتم جماعة! فقال له محمّد بن الأشعث: لعلّك جهلت سواعد بني هاشم .. ووردت على مسلم جراحات كثيرة، فعجز عن الحرب ولم يسعفه أحد من الناس، فأعطاه ابن الأشعث الأمان وأخذه إلى عبيدالله بن زياد لعنهما الله، وقال اللعين: ما بعثتك لتأمنه بل لتأتيني به، ولمّا أوقفوه بين يديه أعرض عن السلام عليه، فقال عبيدالله لبكر بن حمران الأحمري: اصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه، وكان مسلم يحمد الله ويثني عليه ويصلّي على النبيّ وآله ويتشهّد الشهادتين حتّى استشهد.

وقتل عبيدالله هاني ابن عروة في نفس اليوم الذي قتل فيه مسلماً، وقتل الرجلين اللذين كانا مع مسلم، وأرسل الرؤوس إلى الشام، وأمر بملأ أفواه السكك بالرجال، ومنع الدخول والخروج لئلّا يصل الخبر إلى الحسين عليه السلام.

الباب الثامن والعشرون

في خروج الحسين عليه السلام من مكّة

وأرسل يزيد لعنه الله إلى رؤساء الحجاز من يأمرهم بطلب الحسين عليه السلام وأرسل إلى حكّام مكّة للقبض عليه، فكان الحسين عليه السلام خائفاً، فلمّا أقبل ذوالحجّة أحرم بالحجّ فلمّا شعر بالطلب أبدل حجّه إلى عمرة مفردة وحلّ من إحرامه وعزم على الفراق، وكان الفرزدق الشاعر من موالي عليّ عليه السلام وكان حاجّاً بأُمّه في ذلك العام، فلمّا وصل إلى مكّة ذهب إلى حضرة الحسين عليه السلام وسأله عن بعض المسائل الأُخرى التي تعمّ بها البلوى، وقال: يابن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟ قال: لو لم أُعجّل لأُخذت. فقال الفرزدق: فسألني: من أين أنت؟ قلت: رجل من العرب، قال: أخبرني عن الناس خلفك، قال الفرزدق: من الخبير سألت، أصدقك، قال: الصدق أُريد، فقال الفرزدق: أمّا القلوب فمعك وأمّا السيوف فمع بني أُميّة، فقال الحسين عليه السلام: ما أراك إلّا صادقاً، إنّ الناس عبيد المال وإنّ الدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت لهم معائشهم فإذا محّصوا للابتلاء قلّ الديّانون[1]. فودّعه

---

(١) الأنوار البهيّة للشيخ عبّاس القمّي: ١٠٢، لواعج الأشجان للسيّد محسن الأمين: ١٠٢،

الفرزدق وسار بأهله.

وتحوّل الإمام الحسين عليه السلام من منزله، ولمّا بلغ «ذات رمل» أرسل عبدالله بن يقطر وقيل قيس بن مسهّر الصيداوي إلى أهل الكوفة ليخبرهم بقدومه عليهم، ولمّا بلغ القادسيّة كان الحصين بن نمير ومعه الجيش هناك يحرس الطريق، فقبض عليه وأرسله إلى الكوفة إلى عبيدالله بن زياد، فقتله عبيدالله بن زياد لعنهما الله، ولم يعلم به الحسين عليه السلام حتّى بلغ زبالة ونزل فيها وكان في تلك الليل يجيل الفكر مهموماً ويقول:

فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة ... فقدر ثواب الله أعلى وأجزل

وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلّة حرص المرء في الكسب أجمل

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت ... فقتل امرئ في الله بالسيف أفضل

عليكم سلام الله يا آل أحمد ... فإنّي أراني عنكم سوف أرحل

وأخذ ينتقل من منزل إلى منزل، إلى أن كبّر أحد أصحاب الحسين عليه السلام فكبّروا معه وكبّر الحسين عليه السلام، وقالوا للأوّل: ما الذي عرض لك حتّى كبّرت؟ فقال: رأيت نخل الكوفة، وكان مع الإمام رجلان من بني أسد، فقال: ما تزال الكوفة بعيدة لا تبصر معالمها وليس هاهنا نخل، فقال الإمام عليه السلام: دقّقوا النظر باحتياط تامّ، ففعلوا، وقال قائلهم: إنّنا نشاهد أسنّه الرماح، وطلب الإمام الحسين الماء من الأسديّين فأرشداه إليه وسار نحوه ونزل عليه.

وإذا بالحرّ بن يزيد الرياحيّ ومعه ألف فارس، وكان وقت الصلاة قد دنا،

الدرجات الرفيعة لابن معصوم: ٥٤٨، حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ٢٢٥، صحيفة الحسين: ٢٧٨ و٣٤٢.

فصلّى الإمام صلاتي الظهر والعصر بالفريقين ثمّ وعظهم وقال: أنتم دعوتموني فإذا بدى لكم فإنّي أعود من حيث أتيت، قال الحرّ: بل أُرسلت لقتالك، وأرسلني الحصين بن نمير وأمرني أن لا أُفارقك حتّى أضعك بيد ابن زياد، فقال الحسين عليه السلام بطريق المعجز: الموت أقرب إليك من ذلك.

وكلّما سار الإمام الحسين قطع الحرّ عليه دربه، وكتب الحرّ من هناك كتاباً إلى عبيدالله بن زياد بأنّ الحسين عنده وأنّه يقول: إن أباني أهل الكوفة فإنّي عائد إلى قبر جدّي في المدينة، فكتب إليه الجواب: لا تفارق الحسين وجعجع به وأنزله في أرض عراء في غير ظلّ وماء، فلمّا وصله الكتاب ناوله الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: دعني أنزل في هذه القرى القريبة من الماء لأنّ معي عيالاً وأطفالاً وهم لا يستطيعون تحمّل مسّ الظماء، فقال: إنّ أمر الأمير معك وقد قرأته، فعاد الحسين عليه السلام ونزل بكربلاء ونزل الحرّ بأزائه.

فلمّا أصبح الصباح كان يوم الخميس الثاني من المحرّم، ووصل رسول عبيدالله ابن زياد إلى الحرّ وقال: شدّد قبضتك على الحسين حتّى يخرج وحين يصلك كتابي فلا تنزله إلّا في أرض جرداء ليس فيها نبات وشجرة في غير ماء ولا كلاء، وإنّي أمرت رسولي أن لا يفارقك حتّى تعود إليّ وقد نفذت أمري، والسلام.

الفصل الأوّل

في نزول الحسين عليه السلام بكربلاء

ولمّا نزل كربلاء أتاه عمر بن سعد بأربعة آلاف مقاتل ونزل نينوى، وكان ذلك في سنة إحدى وستّين للهجرة، وجمع الرؤساء حوله وأمرهم بمناشدة الحسين عليه السلام عن سبب مجيئه، فلم يرض منهم أحد فعل ذلك، وقالوا: نحن ممّن كاتبه ورضي

بآخره كثير بن عبدالله الشعبيّ وكان من فتّاكي العرب وكان من ألدّ أعداء أهل البيت وقال: إن شئت جئتك برأسه، ولمّا وصل إلى مضارب الإمام عليه السلام استقبله أبو ثمامة وقال: أعطني سيفك وادخل على الإمام، فقال: لا ولا كرامة، إنّما أنا رسول، فقال: أقبض على سيفك وتتكلّم أنت؟ فقال: لا ولا هذه، فعاد اللعين من حيث أتى، فأرسل عمر قرّة بن قيس الحنظليّ إلى الإمام الحسين عليه السلام، فقال: كاتبني أهل مصركم هذا فإن كرهني رجعت إلى موطني.

فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد ما دار بينه وبين الحسين عليه السلام، فأرسل إليه بجواب:

والآن إذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إليه: خذ البيعة من الحسين وأصحابه ليزيد، وأرسله إليّ سلماً لأرى فيه رأيي، وإلّا فابعث إليّ برأسه ورؤوس أصحابه، وصعد عبيدالله بن زياد المسجد الجامع وأمر بالنداء لحرب الحسين، بأن يخرج الرجال بأسلحتهم ومن وجد بعد النداء في المدينة قتل، فخرج من الناس سبعون ألفاً ونزلوا وادي كربلاء ما بين فارس وراجل، واستعرض عمر بن سعد قوّاته في كربلاء وكان مصرّاً على العجلة لينال ما وعد به من ولاية الري وقزوين والديلم جزاءاً على قتل الحسين، ولكنّه قبل أن يشاهد هذا الحلم ذهب إلى نار جهنّم.

وأمر ابن سعد عمرو بن الحجّاج الزبيري بالنزول على شاطئ المسنّاة ومعه خمسمائة فارس ويمنعون الحسين وأصحابه من شرب الماء، فطلب الحسين عليه السلام في تلك الليلة الاجتماع مع ابن سعد ونصبت لهما خيمة ما بين العسكرين، وحضر فيها، فقال له الحسين: ارفع الحصار عنّي لأعود إلى مدينة جدّي أو أذهب إلى مدينة من

مدن الإسلام أو أذهب إلى يزيد[١].

ولمّا كتب ابن سعد بهذا الأمر إلى عبيدالله أجابه أنّ يزيد بن معاوية أقسم أن لا ينام على الوثير ولا يشبع من خبز الفطير ولا يضع تحت رأسه وسادة حتّى يؤتى برأس الحسين، وكان شمر بن ذي الجوشن لعنه الله حاضراً، فقال: يا أمير، وقع الصيد في الفخّ فلا تتركه يفلت، وكتب عبيدالله كتاباً: إنّي سرّحت الشمر ومعه عدّة آلاف فإن اخترت قتل الحسين فقد أحسنت وفعلت الصواب وإلّا فخلِّ بين الشمر وبين العسكر وأعطه عهد الري، ولمّا قرأ عمر بن سعد كتاب ابن زياد أمر بضرب الطبول وحمل على معسكر الحسين بسبعين ألفاً، وكان الحسين عليه السلام متّكئاً على قائم سيفه وقد أخذته سِنة، فرأى النبيّ في المنام وهو يقول له: أنت غداً عندنا بعد أن تستشهد.

ورمى ابن سعد عسكر الحسين بسهم وقال: أيّها الناس، اشهدوا لي عند الأمير بأنّي أوّل من رمى الحسين بسهم. فأرسل الحسين إلى ابن سعد: أمهلنا سواد هذه الليلة حتّى نعبد الله فإنّها آخر ليلة من ليالينا، وكانت الحادثة هذه يوم التاسع من المحرّم، فأبى عليه عمر بن سعد، فقال عمر بن الحجّاج بن سلمة بن يغوث الزبيديّ: سبحان الله! لو كانوا من الكفّار من الروم أو الخزر ثمّ استمهلونا

(١) وهذه طامّة كبرى من المؤلّف لأنّه يكتب من غير تحقيق، ولو دقّق بالمسألة قليلاص لعلم أنّ بيعة الحسين ليزيد وهو في كربلاء أهون عليه من ذهابه إليه فكيف يطلبه ولو كان هذا شعاره لأراح واستراح وهو في مكّة وهل نهضة الحسين إلّا بسبب ولاية يزيد، وكيف يصفه للوليد بشارب الخمور وفاعل الفجور ثمّ يلجأ إليه؟ وما أدراه أن لا يفعل به ما فعل أبوه بالحسن من السمّ القتال وهل يؤمن يزيد على أرنب أو قطاة أو دجاجة ليأتمنه الحسين على نفسه وحرمه، قبّح الله ابن سعد أراد ان يستريح من الحرب فافترى هذه الفرية على الحسين، ولقد قال عقبة بن سمعان صاحبت الحسين فيم حلّه وترحاله حتّى استشهد، والله ما سمعته قال: أذهب إلى يزيد.

لأمهلناهم فكيف وهم ذرّيّة رسول الله وأنتم تدّعون الإسلام! فأذن ابن سعد بالمهلة، ودخل الحسين عليه السلام خيمته وأحاط به أصحاب الشيب والشبّان، فقال عليه السلام: هذا الليل قد غشيكم فليأخذ كلّ واحد منكم بيد زوجه وأولاده وتفرّقوا في البلاد فإنّي طلبة القوم، فأجابوه بأجمعهم: ما جوابنا إلى الله ورسوله وإلى عليّ المرتضى وفاطمة والحسين عليهما السلام غداً يوم القيامة، فلم نضرب معك بسيف ولم نرم بسهم ولم نطعن برمح، لا والله لا يصل إليك سوء وفينا عين تطرف، فأنت إمامنا وابن نبيّنا صلى الله عليه وآله. فدعا لهم الحسين وجزّاهم خيراً، وقال: هذه آخر ليلة من حياتكم فقضّوها بحمد الله والثناء عليه حتّى يصبح الصباح.

قال زين العابدين عليه السلام: كنت يومئذٍ مريضاً، فجاء أبي إلى خيمتي وبعد أن صلّى صلاة المغرب والعشاء دعا مولًى لأبي ذر وكان عارفاً بصقل السلاح، وقال له: اصلح لنا سلاحنا، وكانت عمّتي حاضرة لديه وقد تناهبتها الأفكار والهواجس، وسمعت أبي ينشد:

يا دهر أُفٍّ لك من خليل   كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب وطالب قتيل   والدهر لا يقنع بالبديل

وإنّما الأمر إلى الجليل   وكلّ حيّ سالك سبيلي

فعلمت أنّ البلاء قد نزل، فخنقتني العبرة وصبرت، أمّا عمّتي فلم تصبر ومن شأن النساء الرقّة والجزع، فأقبلت على أخيها الحسين[1] وهي باكية ونادت: اليوم ماتت أُمّي فاطمة الزهراء وأبي عليّ وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال

---

(١) قال المؤلّف كلمة تحرّجت من ترجمتها في المتن ولكنّي أشير إليها في الحاشية ليعرف القارئ عوارها، قال: «سر برهنه كرد» أي حسرت عن رأسها، وهل يعقل هذا ببنت عليّ وفاطمة أن تفعله سامح الله المؤلّف، إنّي وجدته حاطب ليل.

الباقي، ليتني وسدّت أطباق الثرى، وأخذت تتربه بهذا ونحوه، فقال الحسين عليه السلام: يا أُختاه، لا يذهبنّ بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: يا أُختاه، لو ترك القطا لنام، وأُغمي عليها فنضح أبي على وجهها الماء حتّى عادت إلى وعيها، وقال: أُخيّه، أُخيّه اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله، إنّ أهل الأرض والسماء لا يـبقون، وإن كلّ شيء هالك إلّا وجهه الذي خلق الخلق بقدرته وإليه يعود وهو واحد، أبي خير منّي وأُمّي خير منّي، فهما ماتا، وما زال بها حتّى هدأ روعها، وخرجت مـن خيمته وأمر أن تقرب المضارب بعضها من بعض لئلّا يهاجمهم العدوّ ليلاً، ثمّ أمرهم بالاستغفار وقرائه القرآن لأنّها ليلة آخر العمر.

الفصل الثاني
في صفة الحرب

وكان عسكر الحسين عليه السلام ثلاثين فارساً وأربعين راجلاً، فجعل زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة، وأعطى رايته أخاه العبّاس وقـال: نحن فئة قليلة وليس بمقدورنا الحرب من جهتين فأمر بحفر خندق وراء المضارب وملأه بالحطب، فلمّا أصبح الصباح أوقد فيه النار ليحول بينهم وبين العدوّ، وكان اليوم يوم جمعة العاشر من شهر محرّم الحرام سنة إحدى وستّين من الهجرة.

ولم يبق في الكوفة أحد أو نواحيها إلّا سرّحه ابن زياد طوعاً أو كرهاً لحـرب الحسين في كربلاء، وسلّحهم بـالسهام والسـيوف والعـصي والحـجارة وغـيرها ليفرغوا من الحرب بأقصى سرعة ممكنة، وكان ورود الجيش إلى كربلاء ساعة بعد ساعة، ومنعوا الحسين وأصحابه من الماء ثلاثة أيّام.

وعبّأ عمر بن سعد عسكره فجعل عمرو بن الحجّاج الزبـيدي عـلى المـيمنة،

وشمر بن ذي الجوشن على الميسرة، وعلى الخيّالة عزرة بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، ووقفوا جميعهم مقابل اثنين وسبعين رجلاً، وقال الحسين عليه السلام لإتمام الحجّة عليهم بعد أن وقف بين الصفّين: يا قوم، إنّ الموت حقّ وإنّي لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، اسمعوا منّي كلمات للّه فيها رضاً ولكم فيها صلاح، فأوقف جيش الكوفة قرع الطبوع والكوسات وأنصتوا له:

أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتّى أعظكم بما لكم عليَّ من حقّ وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم (وأظهر الحجّة عليكم) فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر ولم تعطوا النَّصَفَ من أنفسكم أجمعوا أمركم وشركائكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

ثمّ قال: أمّا بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي (ونهب مالي وسبي عيالي)، فمن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسين بن عليّ ابن بنت رسول الله وابن وصيّه وابن إمامكم وابن عمّ رسول الله نبيّكم، أبي عليّ أوّل المؤمنين بالله والمصدِّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه، أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوليس جعفر الطيّار الذي يطير بجناحيه مع الملائكة عمّي؟ وأُمّي بنت رسول الله فاطمة الزهراء؟ ألم يقل رسول الله بحقّي وحقّ أخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة وقرطا العرش وريحانة قلبي؟ فإن صدّقتماني بما أقول وهو الحقّ (والله ما تعمّدت الكذب مذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله ويضرب به من اختلقه) وإن كذّبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري وأبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك وأمثالهم يخبروكم أنّهم

سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، مراراً وتكراراً، وسمعوا الآيات التي نزلت في حقّي وحقّ أخي وأبي، وهم يعلمون ذلك، فاسألوهم فإنّهم يشهدون بذلك.

فجعلوا لا يردّون عليه جواباً، ثمّ قال: يا أهل الكوفة، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ وقتل أهل بيتي؟ أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته! أو مال لكم استهلكته؟ أو فساد في الأرض فعلته فتطلبوني به؟ فلم تصدر منّي خطيئة ولا ذنب أو جرم يوجب قتلي، أليست الآية: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾(١) نزلت في شأني وشأن أخي؟ وآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾(٢) نزلت في حقّي وحقّ أخي وأبي وأُمّي؟ أليست محبّتي واجبة عليكم بمقتضى قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(٣) فإن جهلتم هذا، أو تجهلون أنّه ليس فيما بين جابلقا وجابلسا ابن بنت نبيّ غيري؟ ثمّ نادى: يا شبث بن ربعي ويا حجّار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ـ وعدّ خمسين واحداً من رؤوسهم وقال ـ ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضرّ الجناب وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة لك، ووعدتموني بالوعود الصالحة وأعجلتموني وكنتم ترسلون إليّ بالرسل يوماً بعد آخر، وجئت على أثر كتبكم وحططت رحالي في بلدكم فأقبلتم تقاتلوني من غير جريمة فعلتها ترضية للطاغي الباغي فإن كنتم على ما فعلتم نادمين فدعوني أرجع إلى مأمني وأعود إلى قبر جدّي ﷺ.

---

(١) الرحمن: ٢٢.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) الشورى: ٢٣.

الفصل الثالث

في توبة الحرّ بن يزيد الرياحي رحمة الله عليه

فلمّا رأى الحرّ أنّهم مقاتلوه، فقال في نفسه: أرى نفسي بين الجنّة والنـار وإنّي أختار الجنّه على النار، ثمّ أقبل على ابن سعد وقال: أمـقاتل أنت هـذا الرجـل؟ فقال: اي والله حرباً أيسرها أن تطيح فيها الرؤوس والأيدي فتكون الرؤوس في الميدان بمنزلة الكرة الطائرة والسواعد البائنة من الأجساد بمنزلة الطير الفارّ مـن عشّه.

فقال الحرّ: يابن سعد، وما قولك فيما قاله لكم؟! قال: لو كان الأمر إليّ ما فعلته ولكنّ أميرك أبى.

ثمّ أقبل الحرّ على الفرات وسق فرسه توجّه تلقاء الحسين عليه السلام ونزل من عـلى فرسه وطأطأ إلى الأرض وتاب وقال: هل لي من توبة؟ فقال الحسين: نعم وأنت حرّ في الدنيا والآخرة، ولا أدخل الجنّة بدونك.

الفصل الرابع الجلي

في مبدأ القتال إلى آخره

ولمّا نشبت الحرب تبارز الناس من عسكر الحسين وعسكر الملاعين، فرأى أنّ ذلك يؤدّي إلى فنائهم وقتل رجل من أصحاب الحسين مأة رجل مـن أصـحاب عمر بن سعد، فقالوا: لو بقينا على المبارزة فإنّه الفناء الأكيد، ولا يبقى منّا أحـد، ونرى من الأصلح أن نهاجمهم بأجمعنا، فحمل عمرو بن الحجّاج بجيش الكـوفة على ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام فشرعوا له الرماح، فأقبلت الخيل لتقدم فـرأت

الرماح مشرعة فعادت منهزمة، فرموهم أصحاب الحسين بالسهام فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين من اللعناء. فصاح عمرو بن الحجّاج: أيّها الحمق، إنّكم تقاتلون فرسان المصر، فارموهم بالسهام والحجارة، فاستصوب رأيه ابن سعد، فاستشهد الحرّ بن يزيد ومسلم بن عوسجة من أصحاب الحسين عليه السلام.

وحمل شمر بن ذي الجوشن من جهة الميسرة فاقتتلوا قتالاً شديداً مع أصحاب الحسين عليه السلام حتّى أصاب عسكر الكوفه الهلع من ذلك، وكان عسكر الحسين عليه السلام اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً، وان المشاة من أصحاب الحسين عليه السلام أينما هجموا هزموا أهل الكوفة وتتهاوى الرجال على الرجال، وصاح عزرة بن قيس: لقد قتل فرساني على يد هؤلاء النفر القليل، فأقبل الرماة نحوه فرموا خيل أصحاب الحسين فجرحوا منها أفراساً ومن الفرسان جماعة، ونشب قتال شديد وحمل شمر بن ذي الجوشن على ميمنة الحسين، فحمل عليه زهير بن القين ومعه عشرة من المقاتلين حتّى صدّوه، وكان القتل يبين بأصحاب الحسين لقلّتهم، ولو قتل واحد منهم، ولا يبين في أهل الكوفة لكثرتهم ولو قتل منهم ألف.

واستمرّ القتال حتّى زالت الشمس فصلّى الإمام بأصحابه صلاة الخوف الشديد، وبعد الصلاة استشهد أصحاب الحسين ولم يبق معه إلّا أهل بيته؛ أخوه وبنو عمومته. فبرز عليّ بن الحسين وكان الرجل والرجلان يخرج منهم لقتال الأعداء فينكئ فيهم يقتل رجالاً وينكّس فرساناً، وكان الحسين عليه السلام يحمل الشهداء والجرحى منهم إلى المخيّم وبعد أن استشهد جميع أهل بيته وإخوانه وأبناء عمّه وأبناء إخوانه لم تبق إلّا مهجة الحسين الشريفة فاستقبل العدوّ بها إلى أن استنفدت قواه فرماه لعين منهم بسهم فوقع في جبهته، فتقدّم العبّاس إلى الحسين وأخرج السهم من جبهته وحمل عليهم العدوّ فاقتطعه عن أخيه، واستشهد على الفرات وقبره اليوم هناك.

وعاد الحسين عليه السلام إلى خيمة النساء فضربه اللعين مالك الكنديّ بالسيف على رأسه فكان يقاتل جيش الكفر قتالاً ضارياً وليس معه إلّا ثلاثة رجال من أهل بيته، فيا للعجب من قتال ثلاثة رجال سبعين ألفاً من الأوباش، ودخل الحسين خيمته وضمّد جراحه وعاد إلى القتال ومعه ثلاثة مقاتلين إلى أن استشهدوا بين يديه وبقي الإمام وحيداً فريداً كأنّه الأسد الغضبان، فوقع فيهم قتلاً وأرسلهم إلى جهنّم.

ورواة الواقعة ثلاثة هم: حميد بن مسلم الكنديّ من جيش اللعناء، وزينب أُخت الحسين عليهما السلام، وعليّ زين العابدين عليه السلام، وكان حميد بن مسلم من الأخيار ولكنّه أُخرج لحرب الحسين قسراً[1] وحضر واقعة الطفّ من أوّلها إلى آخرها.

قال حميد بن مسلم لعنه الله: رأيت الحسين يحمل على العدوّ تارة على الميمنة وأُخرى على الميسرة فينكشفون بين يديه وقد بلغوا عشرة آلاف، وأحياناً عشرين ألفاً، وما كان باستطاعتهم الثبات له في مراكزهم، فلمّا رأوا ما حلّ بهم نادى مناديهم: يا أُسود العرب، أيّها الأبطال، إنّه رجل واحد جريح يفعل بكم هذا الفعل وتنهزمون أمامه، ألا تستحون، احملوا عليه بأجمعكم بالنبل والحجارة، فهجموا عليه هجمة رجل واحد.

قال حميد لعنه الله: وصلت إلى جسد الحسين ثلاثمائة وستّون رمية بسهم، وضربة بسيف، وطعنة برمح، فكانت دمائها الطاهرة تسيل فلم يبق في جسمه الشريف دم فضعف ضعفاً شديداً وأُغمي عليه، فاتّكأ ساعة على رمحه، فدار

---

(١) أحسب المؤلّف خدعه هذا الكلب بما يرويه من المآسي وما يظهره من الجزع على أهل البيت ولذا سمّى خروجه لحربهم إكراهاً، وأنا لا أعرف للإكراه معنًى وهو باستطاعته أن يلحق بالحسين كما فعل الحرّ عليه السلام أو يهرب على أقلّ تقدير، ولكن هذه من غرائب المؤلّف ولا زلت تطّلع على الغرائب والعجائب منه ولا تنتهي حتّي ينتهي الكتاب.

العسكر به، فضربه زرعة بن شريك لعنه الله على يده اليمنى، وطعنه سنان بن أنس لعنه الله بالرمح فوقع لجنبه عليه السلام، فنزل خولّى بن يزيد لعنه الله ليذبحه فارتجفت يده، فنزل الشمر لعنه الله وذبحه من الوريد إلى الوريد، ودفعه إلى خولّى لعنه الله، وقال: احمله إلى الأمير عمر بن سعد.

قال حميد بن مسلم لعنه الله: ما رأيت كالحسين في شجاعته لأنّه قتل أهله وأقربائه وأصحابه فلم يوهي قواه ولا نقصت شجاعته، وأظهر من القوّة والرجولة ما لم يستطع معها ألف رجل أن يسلبه وسلاحه، ولمّا سلبوه اقتسموا درعه ودرقته وغيرهما، وهجم الجيش على مخيّم النساء[1] ونهبوا كلّ ما وقعت عليه أيديهم ووصل عمر بن سعد لعنه الله إلى باب الخيمة فصاح النساء في وجهه، فأوكل بهم الفرسان والرجّالة وقال: ردّوا عليهنّ ما أخذتموه منهنّ، فما سمع كلامه ولم يردّ عليهنّ أحد ممّا أخذ شيئاً.

ولمّا وصل الجيش إلى زين العابدين عليه السلام أرادوا قتله. قال حميد بن مسلم لعنه الله: فمنعتهم من ذلك، وقال عمر بن سعد: ينبغي أن يقوم أحد هؤلاء بأمر النساء ولا تقتلوا ذلك الصبيّ ليكون بينا وبين النساء، فاجتمعن النساء في خيمة الإمام زين العابدين، ونهبوا كلّ ما لهم من المتاع، وركب إسحاق بن حويه (حيات) وأخنس بن مرثد ومعه عشرة من الفرسان وداسوا صدر الحسين ورضّوا عظامه..

---

(١) لا والله ما وقعت عيني ولا سمعت أذني بأحطّ نفساً ولا أردأ همّة ولا أنذل طباعاً من هؤلاء الذين أُجلّ الكلاب عنهم فلا أُسمّيهم كلاباً احتراماً للكلاب، لقد ارتكبوا شنائع ما من داعٍ لارتكابها إلّا داعٍ واحد هو خسّة نفوسهم، أترى لو أنّهم لم يهجموا على الخيام ولم يسلبوا النساء أكان أميرهم يلومهم على ذلك بعد أن فعلوا ما أراده منهم وأقرّوا عينيه لعنه الله ولعنهم بقتلهم سيّد شباب الجنّة وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله!

الفصل الخامس الجلي
في أحوال رؤوسهم

قطع الشمر لعنه الله الرأس الشريف من القفا وأعطاه خولّي بن يزيد، ولمّا رآه عمر بن سعد خاف وامتقع لونه ووضع من كان حاضراً يديه على وجهه إلّا جماعة منهم قالوا: وما الفائدة لقد نفذ القضاء.

ولمّا أصبح الصباح أعطى الرأس إلى خولّي وحميد وأرسلهما إلى عبيدالله بن زياد لعنهما الله في الكوفة، وأعطى باقي الرؤوس من الأصحاب وأهل البيت عليهم السلام وكان عددها اثنتين وسبعين رأساً إلى شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج لعنهم الله، وبقي عمر بن سعد في كربلاء اليوم كلّه واليوم الثاني إلى الزوال، وأوكل بالإمام زين العابدين وجماعة النساء من رجاله من يوثق بهم، وكان عدد النساء عشرين امرأه، وكان عمر الإمام يومئذٍ اثنتين وعشرين سنة، وعمر الإمام محمّد الباقر أربع سنين، وكلاهما كان حاضراً حادثة الطفّ، وحفظ الله الإمامين قبل ظهور إمامتهما، فلمّا ظهرت بعد الشهادة وجب حفظهما على الأُمّة.

ولمّا غادر ابن سعد كربلاء نهض جماعة من بني أسد كانوا نزولاً هناك وأقبلوا إلى كربلاء، ولمّا شاهدوا الحسين وأصحابه على تلك الحالة عمدوا إلى دفن الأجساد فدفنوا الإمام الحسين وحده ووضعوا عليّاً الأكبر عند رجليه، ودفنوا العبّاس عليه السلام على شاطئ الفرات ودفنوا بقيّة الشهداء في قبر واحد، ودفن الحرّ ذووه في الموضع الذي وقع فيه، ولا تعرف قبور الشهداء على التعيين لمن ولمن لكن ممّا لا شكّ فيه أنّ الحائر محيط بهم تحت قبر الحسين عليه السلام إلّا أنّ عليّاً الأصغر أقرب منهم إلى الحسين عليه السلام، وكان بنو أسد يفتخرون على قبائل العرب بأنّهم صلّوا على الحسين ودفنوه.

وقيل: لمّا فتح النبيّ خيبر هرب جماعة من اليهود إلى العراق وأقاموا بالقرب من أرض كربلاء وبنوا لهم منازل هناك وكان رئيسهم يدعى «إبراهيم» و «روئيل»، وكان عند مرور الجند من كربلاء إلى الكوفة ينامون على سطوح منازلهم، فوقعت عيونهم على كربلاء فرأوا النور يتصاعد من جسد الإمام والشهداء إلى عنان السماء، فاجتمعوا في اليوم الثاني وقالوا: إنّ لهؤلاء الشهداء لشأناً عظيماً عند الله، ألا ترون النور كيف ينزل عليهم طوال الليل، هلمّوا لدفنهم، فذهبوا إلى كربلاء ودفنوهم.

وفي اليوم الثاني من شهادة الإمام عليه السلام وصلت الرؤوس إلى الكوفة وجلس ابن زياد في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عامّاً ووضع الرأس الشريف بين يديه، ولمّا وقعت عينيه على الرأس استبشر وضحك، فأخرج قضيباً كان معه وراح يضرب ثناياه، وكان زيد بن أرقم في المجلس[1] وهو من كبار مشايخ الصحابة[2] فقال: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ما لا أحصيه يترشّفهما، فقال اللعين: أبكى الله عينيك، أتبكي لفتح الله ورسوله، لولا أنّك شيخ خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فقام زيد وذهب إلى منزله، عند ذلك أمر عدوّ الله بإدخال أهل البيت والعيال عليه، فدخلت زينب أُخت الحسين من فاطمة عليها السلام وجلست في زاوية من زوايا القصر ودار بها أخواتها وجواريها، فقال عدوّ الله لعنه الله: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نسائها؟

---

(١) أسألكم معاشر العقلاء: ما الذي يصنع هذا الصحابي في مجلس الطاغية الوغد الدعي وهو على علم بما يجري في كربلاء من صراع دامٍ بين الحسين وبينه، أليس لتأييده وليجعل من وجود هذا الكائن عنده ذريعة للفتك بأهل البيت، فما يجدي قوله: ارفع قضيبك إلى آخره، اللهمّ العن كلّ من آذى أهل بيت نبيّك بالقول أو الفعل أو أعان عليهم.

(٢) تعساً لهؤلاء الصحابة كباراً وصغاراً.

وأعاد القول مرّات، فقالت إحدى الجواري: هذه زينب أُخت الحسين من فاطمة عليها السلام، فقال عبيدالله لعنه الله: الحمد للّه الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم، فقالت زينب عليها السلام: الحمد للّه الذي أكرمنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً، وإنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

ثمّ قال اللعين: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟! فقالت زينب عليها السلام: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجّون ويختصمون عنده (فانظر لمن الفلج، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة).

فغضب، وكان عمرو بن حريث حاضراً، فقال: إنّها امرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد لعنه الله: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك، فاستعبرت عليها السلام وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت أهلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

(فقال ابن زياد لعنه الله: إنّها لسجّاعة، ولقد كان أبوها شاعراً) فقالت عليها السلام: ما للمرأة والسجاعة، إنّ لي عن السجاعة لشغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت[1].

وأقبلوا بعليّ بن الحسين إلى ابن زياد، فقال: من أنت؟ قال: عليّ بن الحسين، قال: أليس قد قتل الله عليّاً بن الحسين؟ فقال: كان لي أخ يسمّى عليّ قتله الناس، فقال اللعين: بل قتله الله، فقال الإمام: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2]، فقال اللعين: بك جرأة لجوابي وفيك بقيّة للردّ عليّ، اذهبوا فاضربوا عنقه، فتعلّقت به زينب وقالت: يابن زياد، حسبك من دمائنا، وقالت: والله لا أُفارقه فإن قتلته

---

(١) ترجم المؤلّف السجاعة قوله: «اين زن و اين همه دليرى» فالظاهر أنّه هو الذي صحّفها إلى شجاعة وليس الناسخ.

(٢) الزمر: ٤٢.

فاقتلني معه، وبقي ابن زياد ساعة يحدق في المشهد ثمّ قال: عجباً للرحم، والله إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به.

وأمر في اليوم الثاني أن يحمل رأس الحسين عليه السلام على رأس رمح ويطاف به في شوارع الكوفة وأزقّتها، فاجتمع من الناس لمشاهدة الرأس ما يزيد على المأة ألف.

روي عن زيد بن أرقم أنّه قال: رأيت رأس الحسين على سنان الرمح وكنت في سارة لي جالساً، فرأيت الرأس مقبلين به من بعيد، ولمّا دنى منّي رأيت شفتيه يتحرّكان وسمعته يقرأ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾[1] فقفّ شعري فصحت: ورأسك يابن رسول الله أعجب.

ثمّ إنّ عبدالله بن زياد لعنهما الله أعطى الرأس إلى زجر بن قيس ومعه رؤوس الشهداء من الأصحاب وأهل البيت وقال: احملها إلى يزيد بن معاوية، ثمّ سيّر الإمام زين العابدين وأهل البيت إلى الشام وجعل عليهم شمراً بن ذي الجوشن ومحفر بن ثعلبة ووضع الغلّ في عنق الإمام زين العابدين وغلّوا يديه إلى عنقه فكان الإمام لا يفتئ في الطريق يتلو كتاب الله ويحمد الله ويثني عليه ويستغفره ولم يكلّم واحداً من الأعداء قطّ إلّا أهل بيته.

وقيل: إنّ يزيد لمّا وقعت عينه على أولئك اللعناء قال: قد كنت أقنع وأرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما أنّي لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

وحملوا أهل البيت والإمام السجّاد على رواحل منهم لأنّ القوم انتهبوا ثقلهم فلم يتركوا عندهم شيئاً، ولمّا وصلوا إلى يزيد رفع محفر صوته منادياً: هذا محفر بن ثعلبة أتى أميرالمؤمنين باللئام الفجرة. فقال الإمام عليه السلام: ما ولدت أُمّ محفر أشرّ وألأم، وكان اللعناء يخشون من قبائل العرب أن تهيج عليهم والرأس معهم

---

(١) الكهف: ٩.

فيستلبونه منهم، فلم يسلكوا الطريق الأعظم وإنّما تنكّبوا الطراق حذار من ذلك، فوصلوا إلى قبيلة وطلبوا منهم علفاً لدوابّهم وقالوا: معنا رؤوس الخوارج نحملها إلى الأمير، وهكذا ساروا بهذه الحِجّة حتّى بلغوا بعلبك، فأمر القاسم بن الربيع عامل البلد بتزيينه وحملوا الرأس إلى البلد مع آلاف الدفوف والطبول والمزامير والشبابات، ولمّا علموا بأنّ الرأس رأس الحسين خرج ما يقرب من نصف البلد وأحرقوا الأعلام ومعالم الزينة والفرح، وقامت الفتنة أيّاماً على ساقٍ في البلد، وهرب الذين معهم الرأس من البلد سرّاً.

ووصلوا إلى أوّل بلد من بلاد الشام وكان الوالي عليه الملعون نصر بن عتبة، فأظهر الفرح والاستبشار وزيّن البلد وقضى الليل كلّه بالرقص والغناء، فخرجت سحابة سوداء أرعدت وأبرقت وأحرقت معالم الزينة كلّها، فقال عمر بن سعد وشمر لعنهما الله: هؤلاء قوم أهل نحس وشؤم فخرجوا منهم إلى ميّافارقين فاختصم كبار البلد بينهم كلّ واحد يريد دخول الرأس من بابه لأنّه عاقدٌ الزينة فرحاً به، فوقع بينهم قتال، وقتل الآلاف من الطرفين، فبقي كلاب الكوفة هناك عشرة أيّام، ومن هناك انتقلوا إلى نصيبين.

قال منصور بن الياس: رفعوا أكثر من ألف علم استقبالاً لرأس الحسين، وكان رأس الحسين معه فأراد أن يدخل البلد فتقهقر حصانه فأقبلوا بعدّة أفراس له فلم تتقدّم، فبينما هم كذلك إذ وقع رأس الحسين من أعلى الرمح وكان إبراهيم الموصليّ في القوم[1] فاحتاط للرأس لأنّه عرفه رأس الحسين فلام الناس وقتله الشاميّون فأخرجوا الرأس خارج حدود البلد وراحوا ينثرون المال على الناس بحيث يعسر

(١) لست أدري عن إبراهيم الموصليّ هذا شيئاً، فإن كان هو المغنّي أيّام الهادي والمهدي والرشيد فإنّها طامّة كبرى أن يروي المؤلّف رواية تخالف العقل والنقل.

شرح ذلك فارتفع في اليوم الثالث تراب وغبار حتّى اسودّت الآفاق فساء بهم ظنّ الناس وقالوا: إن بقيتم هاهنا قتلناكم فخرجوا منهم إلى مدينة «شبديز» فتعاهد الناس فيما بينهم أن لا يعطوهم مؤنة لهم ولا لدوابّهم، وإن اضطرّتهم الحال إلى القتال قاتلوهم.

ولمّا علم الكوفيّون بواقع الحال هربوا ليلاً فتعقّبهم أهل البلد يلعنونهم ويسبّونهم حتّى بلغوا حافّة الفرات فساروا على الشاطئ وقطعوا قرية قرية حتّى دنوا من دمشق أربعة فراسخ فكان الناس يقدمون لهم النثار والهدايا وظلّوا على باب المدينة ثلاثة أيّام حتّى يزيّنوا البلد، فزيّنوه بكلّ ما عندهم من حلي ورياش وزينة إلى درجة لم يشابهها بهذه الزينة قبل اليوم، وخرج ما يقرب من خمسمائة ألف ما بين رجل وامرأة والدفوف بأيديهم وأخرج أُمراء القوم الطبول والكوسات والأبواق والدفوف وراحوا بالآلاف يرقّصون نساءاً ورجالاً على أصوات الدفوف والطبول والربابات وكان النساء قد اختضبن واكتحلن ولبسوا الحلي والحلل، وذلك يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأوّل[1].

ولمّا أشرقت الشمس أدخلوا الرؤوس إلى البلد ولم يصلوا إلى بيت يزيد إلّا وقت الزوال لكثرة الناس، وكان يزيد لعنه الله قد اعتلى عرشه وهو «تخت مرصع» وزين القصر والمجلس بأنواع الزينات ووضع كراسيّ الذهب والفضّه عن اليمين وعن الشمال، وخرج الحجّاب وأدخلوا اللعناء الذين رافقوا الرؤوس فسألهم يزيد لعنه الله فقالوا: أنقذنا دولة الأمير من تدمير آل أبي تراب، وقصّوا عليه تمام

---

(١) والآن لنا أن نسأل المؤلّف إن كانوا في هذا الوقت ما يزالون في الطريق فمتى رجعوا إلى كربلاء وحضروا أربعين الحسين في العشرين من صفر لست أدري وليت المؤلّف أشار إلى اختلاف هذا القول مع أقوال المؤرّخين.

الحكاية، ووضعوا بين يديه رؤوس أولاد النبيّ ﷺ.

وما كان بمقدور أحد من الناس أن يسلّم على أهل البيت هذه المدّة التي هي عبارة عن ستّ وستّين يوماً وهم بأيدي الكافرين، إلى أن انبرى للإمام زين العابدين شيخ وقال له: الحمد للّه الذي قتلكم، فقال له الإمام زين العابدين: هل قرأت القرآن يا شيخ؟ فقال: نعم قرأته. قال: قرأت قوله تعالى: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1] قال: نحن القربى، ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[2] نحن القربى، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3] نزلت فينا، فاستحيا الشيخ وسكت وقال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من أعداء آل محمّد ومن قتل أهل بيت محمّد. قال: ما زلت أقرأ القرآن إلى اليوم ولا أفهمه.

وأقبل الحجّاب ليأخذوا الرؤوس وقد وضعوا رأس الحسين عليه السلام في طشت من الذهب، فوضعوه بين يدي يزيد وعرضوا باقي الرؤوس رأساً رأساً وهو يسأل: رأس من هذا؟ فيخبره الملاعين عنه ويعرّفونه به، وكان جماعة من المؤمنين في الحضور يبكون سرّاً، فعرف يزيد اللعين الأمر، فقال:

يا صيحة تحمد من صوائح   ما أهون الموت على النوائح

وغطّى الطشت الذي فيه الرأس وكان بيد يزيد الكافر لعنه الله قضيب فرفع الغطاء عن الطشت وأخذ يضرب ثنايا الحسين ويردّد أبياتاً تدلّ على كفره:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

لو رآه فاستهلّوا فرحاً   ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

قد قتلنا اليوم من أشياخهم فعدلناه ببدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

ثمّ أنشد من بعده:

نفلّق هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما
حسين أراد الملك والملك دونه أسنّة أقوام تلجّ له دما ...
ولمّا رأيت الودّ ليس بنافع وإن كان يوماً ذا كواكب مظلما[(١)]
صبرنا وكان الصبر منّا سجيّة بأسيافنا يفرين هاماً ومعصما[(٢)]

وكان أخو مروان بن الحكم يحيى بن الحكم من المؤمنين قال:

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
أميّة أمست نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليست بذي نسل

فضربه يزيد اللعين بيده على صدره وقال: اسكت. قيل: خرج يحيى من هناك ولم يره أحد بعد ذلك[(٣)].

ثمّ حوّل وجهه إلى الإمام زين العابدين وقال له: يابن الحسين، أبوك قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني، فصنع الله تعالى ما رأيت، فأجابه الإمام عليه السلام: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ﴾**[(٤)].

---

(١) البيت ليس له وزن ولا ألفاظ ولا معنى وصعب عليّ إصلاحه في المصادر التي أملكها وأنقله في الهامش وأترك الحكم للقارئ:

كذلك يصلى بحرّ نار غشمشم يعيش بداء أو يكاد صنيعما

(٢) كلّ المقاتل وكتب التاريخ ذكرت البيت الأوّل فقط.

(٣) بل رآه كثيرون وحكايته مع الحسن المثنّى في وفادته على عبدالملك بن مروان وما قال له وما أجابه به يحيى بن الحكم مشهورة.

(٤) الحديد: ٢٢.

والتفت يزيد إلى خالد ولده وقال: أردد عليه وكان الكافر غاية في الجهل، وأمر يزيد بعرض العائلة عليه، فلمّا رأى ما عليهنّ من الثياب الممزّقة المهلهلة تألّم (كذا) وقال: قبّح الله ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا.

قالت فاطمة بنت الحسين: وكان إلى جانب يزيد شاميّ أحمر، فأقبل على يزيد وقال: هب لي هذه الجارية، وكان يقصدني. قالت فاطمة: فخفت وتعلّقت بعمّتي زينب، فقالت: لا تخافي فليس له ذلك ولا لأميره فنحن أهل بيت قد رفع الله عنّا ذلك ومن يستطيع أن يسترقّ أهل البيت فاطمأنّي جأشاً.

ثمّ قالت زينب عليها السلام: كذبت والله يا شاميّ ولؤمت، ما ذاك لك ولا له، فغضب يزيد وقال: (بلى لو شئت لفعلت. قالت: إلّا أن تخرج من ديننا وتدين بغير ملّتنا) فغضب يزيد وقال: إيّاي تستقبلين جهراً بهذا، إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك. فقالت زينب عليها السلام: بدين الله ودين أبي وأخي اهتديت أنت وجدّك وأبوك إن كنت مسلماً. فقال يزيد لعنه الله: كذبت يا عدوّة الله، فقالت زينب: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، فكأنّه استحيا وسكت، وعاد الشاميّ يقول: هبني هذه الجارية، فحذفه بمحفّة كانت بيده وقال: أغرب (وهب الله لك حتفاً قاضياً).

وكان في ذلك اليوم سفير ملك الروم المسمّى بعبدالشمس حاضراً، فقال: يا أمير، لي ستّون عاماً أمتهن التجارة من القسطنطينيّة فجئت إلى المدينة ومعي عشرة أبراد يمنيّه وعشر سرر مسكيّة وحملة ثقيلة من العنبر، وقدمت بها على النبيّ صلى الله عليه وآله وكان في بيت أُمّ سلمة، فاستأذن لي أنس بن مالك فدخلت على النبيّ وقدّمت له الهدايا فقبلها منّي، وأسلمت، فسمّاني عبدالوهّاب، ولكن كتمت إسلامي خوفاً من ملك الروم وكنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ أقبل الحسنان فقبّلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وأجلسهما في حجره واليوم يحملون لك رأس الحسين وقد أبنته عن جسده وتضرب ثناياه بقضيبك وهي مقبّل رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي ديارنا بحر فيه جزيرة في

تلك الجزيرة صومعة وفي تلك الصومعة أثرحافر الحمار الذي يقال بأن عيسى ركبه ذات يوم، ونحن صغناه من الذهب ووضعناه في صندوق فكان سلاطين الروم وأُمرائها وعامّة الناس يحجّون في كلّ عام إلى ذلك الموضع ويطوفون حول تلك الصومعة ويكسون تلك الحوافر حريراً جديداً ويعمدون إلى الكسوة القديمة يتقاسمونها قطعة قطعة، ويعدّونها من أفضل التحف، وأنتم تقتلون أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

فقال يزيد: لقد نغّص علينا عيشنا ثمّ أمر بضرب عنق عبدالوهّاب، فنطق عبدالوهّاب بالشهادتين وأقرّ بنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وإمامة الحسين عليه السلام ولعن يزيد وآبائه وأجداده ثمّ قتلوه.

وجاء زهير العراقيّ وقال: يا أمير، هبني هذه الجارية ـ وأشار إلى أُمّ كلثوم ـ ومدّ يده على ملفعة السيّدة، فقالت أُمّ كلثوم بالعربيّة: قطعت يدك أبعد عنّا، فتعجّب زهير من كلامها العربيّ وسأل: من أيّ القبيل هم ؟! وكان يظنّ أنّهم من أسرى الروم، فقال الإمام زين العابدين: هذه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا ابن ابن ابنته، وهؤلاء الحرم بنات فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فخرج زهير من بينهم وقطع يده اليمنى وعاد يمسك يده القطيعة باليد الأُخرى وهي تقطر دماً، وقال: يابنة رسول الله، اعف عنّي فقد استجاب الله دعاك واعتذر إليهم وخرج من هناك ولم يقع بعدها أحد على عين منه أو أثر.

قال سهل بن سعد الساعديّ: حججت في ذلك العام وزرت بيت المقدس في الشام فلمّا دخلت دمشق رأيت بلداً كثير الفرح والمرح، ورأيت جماعة في المسجد يبكون في الخفاء ويعزّي بعضهم البعض، فسألتهم: من أنتم ؟! قالوا: نحن من موالي أهل البيت واليوم يؤتى برأس الحسين إلى البلد.

قال سهل: فذهبت خارج البلد فرأيت من كثر الناس وصهيل الخيل وصوت

الأبواق والطبول والكوسات والدفوف كأنّ القيامة قد قامت، فلمّا وصلت السواد الأعظم رأيتهم قد أقبلوا بالرؤوس على أسنّة الرماح فرأيت رأس العبّاس يتقدّم الرؤوس وورائه ركب الحرم، ورأيت رأس الحسين وعليه البهاء والعظمة ويشرق النور منه بلحية مدوّرة قد خالطها الشيب وقد خضّبت بالوسمة، أدعج العينين، أزجّ الحاجبين، واضح اللحيين، أقنى الأنف، مبتسماً إلى السماء، شاخصاً ببصره نحو الأُفق، والريح تلعب بلحيته يميناص وشمالاً كأنّه عليّ عليه السلام.

قال عمر بن المنذر الهمدانيّ: ورأيت أمّ كلثوم تخالها فاطمة الزهراء وعليها إزار خلق وعلى وجهها نقاب، فدنوت منهم وحيّيت الإمام زين العابدين وحيّيتهم، فقالوا لي: أيّها المؤمن، إن قدرت على شيء تدفعه إلى حامل الرأس ليقدّمه فافعل فقد خزينا من شدّة النظر إلينا، فأعطيت ذلك اللعين مأة درهم ليقدّم رأس الحسين عليه السلام ويبعّده عن العائلة.

وساروا هكذا حتّى وصلوا إلى يزيد لعنه الله وكان يهوديّ حاضراً هناك، فقال: رأس من هذا؟ فقال: رأس رجل من العراق عربيّ خرج عليَّ، فأمرت عبيدالله بن زياد بقتله، فقال: ابن من؟ قال: ابن عليّ من فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فقال: يا من لا دين له ولا يقين، بيني وبين داود النبيّ سبعون ظهراً واليهود تأخذ تراب قدميّ تسجد عليه ولو كان لموسى خلف لعبدناه وأنتم قتلتم أبناء نبيّكم محمّد صلى الله عليه وآله، وتدّعون أنّكم أتباعه وأُمّته. فقال يزيد: لولا أنّ النبيّ قال: من آذى ذمّيّاً فقد آذاني لأمرت بضرب عنقك، فقال اليهوديّ: ما أعظم صلفك، أيخاصمك النبيّ من أجل يهوديّ ذمّيّ أفلا يخاصمك من أجل ولده! فأمر يزيد بضرب عنق اليهوديّ، فتشهّد اليهوديّ الشهادتين وأقرّ بنبوّة المصطفى صلى الله عليه وآله وإمامة عليّ والحسنين عليهم السلام ورفع رأس الحسين وقبّله إلى أن قبضوا على يده وأخرجوه خارج البيت وقتلوه فذهب شهيداً، وقال يزيد: إنّه أسلم كي لا أقتله.

وقيل: إنّ يزيد أمر زين العابدين بمصارعة ولده وبالغ بالإلحاح عليه، فقال الإمام ليزيد: أو غير هذا؟ قال يزيد: كيف؟ قال: تعطيني سكّيناً وتعطيه سكّيناً لكي يعرف من الأقوى؟ فقال يزيد: هيهات لن تلد الحيّة إلّا حيّة[1]، ثمّ قال يزيد لزين العابدين: يابن الحسين، ما هو فضلكم على سائر قريش؟ فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: نحن أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن التأويل والتنزيل من الدين، وقال الله تعالى: سلام على آل طه وياسين، يا ويلك! لا يقاس صخر بن حرب بأبي طالب، ولا معاوية بعليّ بن أبي طالب، ولا أنت يابن هند بالحسين، ولا ابنك بعليّ بن الحسين.

وبقي الإمام زماناً عند يزيد في الشام وفي كلّ يوم يزداد ميل الناس إليه، وإلى عترة النبيّ وأهل بيته، وتأتي نساء الشام تعزّي نساء أهل البيت حتّى أوشك ملك يزيد أن يتزلزل، فاستدعى الإمام وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال الإمام: حاجتي أن تريني وجه أبي حتّى أردّه إلى جسده، قال: لقد فعلت، وكان قد صلبه أربعين يوماً على منارة الجامع في دمشق وصلب الرؤوس الباقية على المساجد والأبواب وأحياناً على باب قصر يزيد. ثمّ قال: وادفع لي قاتل أبي لأقتصّ منه، فكان كلّ من أحضروه يتنصّل من قتل الحسين، إلى أن وصلت النوبة إلى أحدهم، فقال: إنّما قتل الحسين من فتح بيت المال على مصراعيه وأغدق العطاء على الجند يعني بذلك يزيد هو الذي قتله، فاستحيا ذلك اللعين وسكت.

وروى الرواة أنّ يزيد أمر في اليوم الذي أحضروا عنده رأس الحسين عليه السلام بصنع فقّاع (بضمّ الأوّل وتشديد القاف ـ المؤلّف) وهو مسكر يصنع من الشعير ويسمّى بالهنديّ «لوزه» وسق جيشه منه، وكان محرّماً في الإسلام، فأباحه اللعين وصار

---

(١) لم تكن الحكاية مع الإمام زين العابدين بل مع أحد ولد الحسن أو عقيل وابنه خالد.

شرب الفقّاع في ذلك اليوم سنّة سنّها هذا اللعين.

قال الإمام الرضا عليه السلام: من رأى الفقّاع فليلعن يزيد ومن تـابعه ويـصلّي عـلى الحسين وأصحابه(١).

إنّ المؤرّخين تناهوا في ضبط وقائع عاشوراء للـحسين وأصـحابه عليهم السلام حـتّى بلغت المجلّدات واجتازت قدرة كتاب كهذا الكتاب أن يستوعبها، ولكن وجدت من الضروريّ أن لا يخلو هذا الكتاب من ذكر الحسين وأصحابه عليهم السلام لاسيّما المراثي والمدائح التي نظمها الإنس والجنّ فيهم لكي لا يوجب السأم.

قيل: إنّ الإمام زين العابدين استأذن يزيد في خطبة أهل الشام يوم الجـمعة، فلمّا كان يوم الجمعة أحضر يزيد لعنه الله خبيثاً لعيناً من أهل الشام وكان فصيحاً بليغاً وقال: اصعد على المنبر وقل ما عرض لك وجرى على لسانك من ثلب عليّ والحسين والثناء على الشيخين (لعنهما الله)، فصعد ذلك الرجل المنبر وقال كلّ مـا وسعه، فقال الإمام: ائذن لي حتّى أخطب الناس، فندم اللعين وقال: كـلّا لا آذن لك، فألحّ الناس على يزيد إلحاحاً شديداً، فما قبل شفاعتهم، فقال ابـنه مـعاوية: أبتاه وما يصنع هذا مع صغر سنّه، دعه حتّى نرى ما يقول، فقال: أنتم لا تعرفون أهل هذا البيت، إنّهم توارثوا العلم والفصاحة، إنّي أخشى أن تثور الفتنة وراء هذه الخطبة، وتحيق بنا ولكنّه استكان للأمر ورضي أن يخطب.

فرقى الإمام المنبر وقال:

الحمد للّـه الذي لا بـدايـة له، والدائم الذي لا نـفاد له، والأوّل الذي لا أوّل

---

(١) عن الرضا عليه السلام قال: من نظر إلى الفقّاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسـين عليه السلام وليـلعن يـزيد وآل زياد يمحو الله عزّ وجلّ بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم. (بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٩، العوالم: ٤١٥، مستدرك سفينة البحار ٥: ٤٠١ وغيرها).

لأوّليّته، والآخر الذي لا مؤخّر لآخريّته، والباقي بعد فناء الخلق قدر الليالي والأيّام، وقسم فيما بينهم الأقسام، فتبارك الله الملك العلّام.

وقال في كلامه: إنّ الله أعطانا الحلم والعلم والشجاعة والسخاء والمحبّة في قلوب المؤمنين، ومنّا رسول الله صلى الله عليه وآله ومنّا وصيّه ومنّا سيّد الشهداء وجعفر الطيّار في الجنّة وسبطا هذه الأُمّة والمهديّ الذي يقتل الدجّال. أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرّفه بحسبي ونسبي، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردى، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ وأتى، أنا ابن من أُسري به إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن الحسين القتيل بكربلا، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن سدرة المنتهى، أنا ابن شجرة طوبى، أنا ابن المزمّل بالدماء، أنا ابن من بكى عليه الجنّ في الظلماء، أنا ابن من لاح عليه الطيور في الهواء.

فلمّا بلغ إلى هذا الموضع من خطبته ارتفعت الضجّة من المجلس وبكى الناس بكاءاً عالياً فضيّع يزيد نفسه وزعق بالمؤذّن: أذّن ويحك، فقام المؤذّن وصاح: الله أكبر، فقال الإمام عليه السلام: نعم الله أكبر وأعلى وأجلّ وأكرم ممّا أخاف وأحذر.

فلمّا قال المؤذّن: أشهد أن لا إله إلّا الله، فقال الإمام: نعم أشهد مع كلّ شاهد، وأحتمل على كلّ جاحد، ألّا إله غيره ولا ربّ سواه.

فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، قام الإمام ونزع عمامته من رأسه وقال للمؤذّن: أقسمت عليك بمحمّد هذا إلّا ما سكتّ ساعة، واستقبل يزيد لعنه الله بوجهه وقال: يا يزيد، هذا الرسول العزيز الكريم جدّي أم جدّك؟ فإن قلت جدّي فالناس تعلم بأنّك كاذب فيما تدّعي، وإن قلت جدّك فلماذا قتلت أبي

مظلوماً من غير ذنب ونهبت ثقله وأسرت عياله، قال هذا وأهوى إلى جيبه فشقّه[1] وأخذ يبكي وقال: أُقسم بالله لو كان أحد في الدنيا جدّه رسول الله فهو أنا، فلماذا قتل هذا الرجل أبي بظلم وساقنا كما تساق أسرى الروم؟! ثمّ قال: ويلك يا يزيد، تفعل هذا الفعل وتقول أشهد أنّ محمّداً رسول الله، وتستقبل القبلة! ويل لك يوم القيامة يوم يكون جدّي وأبي خصميك. وهنا صاح يزيد بالمؤذّن: أقم للصلاة، فتهامس الناس فيما بينهم فصلّى بعضهم وترك الصلاة آخرون، وتفرّقوا من المسجد.

وأرسلت زينب عليها السلام إلى يزيد ليأذن لهم في إقامة العزاء على الحسين عليه السلام، فأذن لها يزيد وقال: خذوهم إلى دار الحجارة ليبكوا هناك، فأقاموا العزاء سبعة أيّام، فكان النساء يجتمعن عليهنّ في كلّ يوم واجتزن حدود الحصر والإحصاء، وحمي غضب الناس على يزيد فأرادوا الهجوم عليه وقتله في بيته، فجائه مروان وقال: لا أرى بقاء أولاد الحسين وعياله وأهل بيته عندك إلّا مضرّاً بمصلحة ملكك فاعمل على ترحيلهم من الشام إلى المدينة، الله الله في ملكك لئلّا يندثر بسبب هؤلاء العيال.

فاستدعى يزيد الإمام زين العابدين عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وتفدّاه وتذلّل له وأظهر الحزن على أبيه ليستميله وقال: لعن الله ابن مرجانة لو كنت صاحب أبيك لم أترك الأمر يصل بنا إلى هذا الحدّ، وإنّي أُلبّي رغباتك كافّة فاطلب منّي ما تشاء وسلني حاجاتك أقضها لك كلّها، ولكن نفذ القدر بما جرى، فإذا وصلت إلى المدينة فكاتبني بحاجاتك وخلع عليه وأكرم النساء وزاد في إعزازهنّ. وقيل: إنّ

---

(١) هذا لا يجوز تصوّره ولا تحلّ روايته لأنّه كذب محض على الإمام السجّاد، والإمام لا يفعل هذا في مجلس يزيد لأسباب منها أنّه خرق لحجاب شخصيّته وهتك لحرمة ثورة أبيه.

أهل البيت ردّوا كلّ ما تقدّم به يزيد إليهم.

وروي أنّ أُمّ كلثوم أُخت الحسين توفّيت في دمشق الشام فاستدعى يزيد عمر ابن خالد القرشيّ وقيل النعمان بن بشير الأنصاريّ وكان عمر رجلاً مؤمناً، وكان يكتم إيمانه واعتقاده، وأمّره على ثلاثمائة رجل وقال له: أوصل هؤلاء الصبية والعيال إلى المدينة وسر فيهم ليلاً لا نهاراً كيلا تراهم، فإذا نزلت في منزل فكن بمبعدة عنهم، فقبل عمر بن خالد شروط يزيد وأوصلهم إلى المدينة سالمين(١).

ولمّا بلغوا المدينة استقبلهم الرجال والنساء بالبكاء والعويل وأقاموا العزاء على الحسين زماناً ونظموا المراثي فيه فكانت قد بلغت مجلّدين، منها قول الشافعي:

تأوّب همّي والفؤاد كئيب	*وأرق عيني والرقاد غريب*
وممّا نفى نومي وشيب لمتي	*تصاريف أيّام لهنّ خطوب*
فواكبدي من حزن آل محمّد	*ومن زفرات ما لهنّ طبيب*
فمن مبلغ عنّي الحسين رسالة	*وإن كرهتها أنفس وقلوب*
قتيل بلا جرم كأنّ ثيابه	*صبيغ بماء الأرجوان خضيب*
فللسيف إعوال وللرمح رانّة	*وللخيل من بعد الصهيل نحيب*
تزلزلت الدنيا لآل محمّد	*وكان لها صمّ الجبال تذوب*
وغابت نجوم واقشعرّت كواكب	*وهتك أشعار وشقّ جيوب*
هم شفعائي يوم حشري وموقفي	*وبغضهم للشافعيّ ذنوب*
نصلّي على المختار من آل هاشم	*ونؤذي بنيه إنّ ذا لعجيب*

(١) لم يذكر مرورهم في كربلاء والظاهر أنّه لا يقول به وإلّا لما فاته ذكره.

الفصل السادس

استشهد مع الحسين عليه السلام ثمانية عشر واحداً من أهل بيته ؛ ستّة لأميرالمؤمنين عليه السلام وهم : العبّاس وعبدالله ومحمّد وأبوبكر وجعفر وعثمان. أبوبكر وجعفر وعثمان لأُمّ ولد، والعبّاس وعبدالله أُمّهما ليلى بنت مسعود الثقفيّ وأبوها من شجعان العرب وصناديدهم، ولمّا ولدت ليلى لأميرالمؤمنين عدداً من الأولاد سمّيت أُمّ البنين[1].

وعليّ الأوسط وعبدالله الرضيع ولدا الحسين، وأبوبكر وعبدالله والقاسم أولاد الحسن، ومن هؤلاء الثلاثة القاسم وعبدالله لم يبلغا الحلم، ومحمّد وعون ولدا عبدالله بن الطيّار بن أبي طالب من زينب أُخت الحسين عليهما السلام، وجعفر وعبدالرحمن ولدا عقيل، وعبدالله وأبو عبدالله ولدا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ومحمّد بن سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وهؤلاء كلّهم دفنوا عند رجلي الحسين عليه السلام إلّا العبّاس السقّا الذي دفن على شاطئ المسنّاة حيث استشهد.

الفصل السابع
في خاتمة الكتاب الجلي

اعلم أنّ من كان له رسوخ في الدين أو ثبات في الاعتقاد أو حظّ من العقل أو

---

(١) فأين سيّدتنا فاطمة بنت حرام الكلبيّة عليها السلام التي استشهد أولادها الأربعة مع أخيهم الحسين في كربلاء وهي أُمّ العبّاس عليها وعلى أولادها الصلاة والسلام، ولم أر إجماعاً يخرقه مؤلّف كهذا الإجماع الذي خرقه هذا المؤلّف. فأُمّ البنين لا يكاد يجهلها أو يشكّ بوجودها أحد من الناس فما بال هذا الرجل!

تصديق بالقيامة أو الجنّة والجحيم أو رجاء بالثواب أو خوف من العقاب أو معرفة بالتوحيد والعدل أو أدنى إرادة في أهل بيت العصمة والطهارة أو نصيب من الإسلام أو مطالعة للسير والتواريخ أو تعمّق في معرفة الكتب أو أدنى توفيقاً من الله تعالى أو امتزجت دنيّة ذاته بالإنصاف يعلم أنّ يزيد يستحقّ اللعنة وهو بريء من الإسلام كما أنّ الإسلام بريء منه، وهو خالد في العذاب الأبديّ والعقاب السرمديّ وهو مأواه، وعند الشيعة لعنه مستحبّ بل هو من الواجبات والفرائض كالصلاة والصيام المكتوبتين، ولكنّ هذا متعذّر من أهل السنّة وصعب عليهم لأنّ يزيد عندهم خليفة شرعيّ فهو وليّ معاوية ومعاوية خليفة عمر وعثمان ونائبٌ منابهما ومتولّي أمرهما ومختارهما، وقد تمكّن وتسلّط من قبلهما على خلق الله.

يقال: إنّ ملكاً من ملوك مازندران سأل علويّاً: أين استشهد الحسين وأصحابه وأهل بيته؟ فقال العلويّ: في كربلاء، فقال الملك: أيّها العلوي، إنّ الحسين قُتل يوم السقيفة يوم بايعوا أبابكر.

فقد روى المؤالف والمخالف عن ابن جرير الطبري في أحد تصانيفه: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لثلمة في الإسلام مخالفة عليّ بن أبي طالب.

وممّا لا شكّ فيه أنّ تقدّم الشيوخ الثلاثة على العترة وتجرّأهم على العترة وغصبهم لحقوقهم على النهج المذكور هو الذي جرّأ الفسّاق والكفّار عليهم ووجد المنافقين الأُفق مفتوحاً لنفاقهم وبقيت الشهب عالقة بين الناس على قطب الضلالة وقال ضعفاء الإسلام: لو لم يكن هذا مرخَّصاً فيه لم يفعله أصحاب الصدر الأوّل من المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله يوم عريشه وهم يصغون إلى نزول القرآن ويفقهون تأويله من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهؤلاء لم يحصنوا بقوّة علميّة وخلفيّة فقهيّة يدفعون بها الشبهة عن أنفسهم ولم يكن لهم من معرفه القرآن حظّ ولا من التصديق به ثمرة وإلّا لعلموا أنّ من آذى

أولاد الأوبياء وظلمهم فقد وقع الظلم على الأنبياء والأولياء مثل قابيل الذي قتل هابيل أخاه من قبل الأب والأُمّ حسداً منه، وأولاد يعقوب حين رموا يوسف في غيابة الجبّ وباعوه كرّة أُخرى بدراهم معدودة، ومثل ذلك كنعان بن نوح وسائر بني إسرائيل الذين ظلم بعضهم البعض الآخر، وامرأتا نوح ولوط اللتان كفرتا.

والضرورة قاضية بأنّ هذا الغدر والظلم ليس على أساس من الإنسانيّة أو القرابة الأُخوّة: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١) فتبيّن أنّ هذا الظلم والقتل من أولاد المشركين الذين قضوا أعمارهم في طاعة اللات والعزّى وصار الشرك بالنسبة إليهم نظير العادة والجبلّة، أمكن وأولى وأحرى لاسيّما وأنّ إسلامهم كان رهبة من سيف أميرالمؤمنين أو رغبة في الخلافة والإمامة، كما وأنّهم وصلوا في الدنيا إلى غاياتهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾(٢) والمؤرّخون وجماعة ممّن خالطهم يعرفون هذا جيّداً منهم ولكن فئة منهم نشأوا في رتب الضلالة وثبتوا على ذلك كما نشأوا على حبّ التقليد من اتّباع طريقه الآباء والأجداد ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾(٣) مع الانسياق وراء السواد الأعظم من الناس وهذا أيضاً علامة من الضلالة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾(٥)، أو أنّ الله تعالى خذلهم لأنّهم لم يعشوا إلى نور العقل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ

(١) النساء: ٥٤.

(٢) الأحقاف: ٢٠.

(٣) الزخرف: ٢٢.

(٤) المائدة: ١٠٠.

(٥) الزخرف: ٧٨.

(٦) العنكبوت: ٦٩.

آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾[1]، وهؤلاء يعلمون ويقرؤون ويسمعون ولكن لم يحالفهم التوفيق في الاعتقاد: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ﴾[2].

وطائفة موفّقة مطمئنّة قلوبهم بذكر الله وصارت صدورهم مرآة تنعكس فيها الأشعّة الربّانيّة والأنوار الإلهيّة ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ﴾[3] حيث غاصوا بأفكارهم في عمق المأساة ممّا جرى على آل الرسول من غصب الحقوق الدينيّة والدنياويّة واستخرجوا بأيدي الأدلّة العقليّة الأعلاق النفيسة الغالية والجواهر الثمينة من أصداف الشرع.

وعمدت أوّلاً إلى وضع هذا الكتاب بألفاظ مشكلة وعويصة لا يفهمها إلّا العالمون، ولمّا نظرت في هذا الهدف وجدت الإفادة منه نزرة قليلة والاستفادة ضئيلة.

ثانياً: رايت من الأصلح أن أجتنب هذه الخطّة فأجري تعديلاً جذريّاً للكتاب فأستبدل الواضحات بالعويصات والمبيّنات بالمعضلات لتعمّ الفائدة دنيا العجم كلّها ويشيع الكتاب ويشتهر في أكناف العالم وأطرافه.

وأنفقت اثني عشر عاماً من عمري على جمعه بتأويل الدلائل واستخراج البراهين على شبهات الخصوم، ولم تقتصر هذه المدّة عليه وحده بل حالفني الحظّ في أثناء تأليفه في هذا الزمن الطويل نسبيّاً أن أكتب كتباً غيره سرت في تأليفها إلى جانب تأليفه، منها نقض معالم فخر الدين الرازي وقد أكملت منه إلى هذا اليوم مجلّداً واحداً بالعربيّة مع السعي المضني والجهد التام، وقد نقضته كلمة فكلمة،

---

(١) الكهف: ١٣.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) الزمر: ٢٢.

رحمكم الله وإيّانا وجميع المؤمنين والمؤمنات.

قد تمّت هذه النسخة المسمّاة بـ«كامل البهائي في السقيفة» في سنة خمسة وسبعين وستّ مائة (٦٧٥) والحمد للّه ربّ العالمين.

وفرغ من ترجمته إلى العربيّة محمّد شعاع فاخر في ليل التاسع من شهر شعبان من عام ١٤٢٦ هجريّة بعد صلاة المغرب والعشاء، والحمد للّه أوّلاً وآخراً والصلاة على حبيبه المصطفى وآله ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على أعدائهم من الأوّلين والآخرين الذين جهلوا حقّهم ولم يستضيئوا بنورهم فضلّوا وأضلّوا.

المترجم: محمّد شعاع فاخر

فهرس المحتويات